



رقم ٧٢

المكان ديانا









# إحياء علوم الدين

للإمام الفخري

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدمة

الدكتور بدوي طهاني

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم  
بجامعة القاهرة

المجلد الثالث

دار الإحياء للعلم والعقيدة

مبنى البابي الجديد وسفحاته

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(قرآن كريم)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)

وهو الأول من ربيع المملكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تنحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهش في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، للطالع على غفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، للستغنى في تدبير مملكته عن المشاور وللوازر ، مقبل القلوب وغفار الذنوب ، وبستار الصيوب ، ومفرج الكرب ، والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر اللحدنين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بسد : فصرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكأله وغره وفي الآخرة عذبه وذخره وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بمجارحة من جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو التقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المكشوف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو القبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو الطالب وهو المخاطب وهو الماعب وهو الذي يسعد بالتقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الذي يحيب ويشق إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ، وباطلامه واستنارته تظهر بحسب الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي إذا جهل الانسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين الرء وقلبه ويحولته بأن عنمه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية قلبه بين أربعين من أصابع الرحمن وأنه كيف هو مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم اللائكة للترتين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه وبرأيه ويرصد لما يلوب من خزائن السموات عليه وفيه فهو بمن قال الله تعالى في - نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين . وإذ فرغنا

(كتاب شرح عجائب القلب)

[الباب الثلاثون في

تفاصيل أخلاق

الصوفية]

من أحسن أخلاق

الصوفية التواضع ولا

يلبس العبد لبسة أفضل

من التواضع ومن ظفر

بكنز التواضع والحكمة

يقيم نفسه عند كل

أحد مقدارا يعلم أنه

يقيم ويقيم كل أحد

على ماعنده من نفسه

ومن رزق هذا فقد

استراح وأراح وما

يعقلها إلا العالمون .

أخبرنا أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القدسي

قال أنا عثمان بن عبد الله

قال أنا عبد الرحمن

ابن إبراهيم قال ثنا

عبد الرحمن بن حمدان

قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعبادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات للهلكات والنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن تقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تتدفق بعد ذلك في تفصيل للهلكات والنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بعجائبه وأسواره الداخلة في جملة عالم للملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام .

( بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء )

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في حقول العلماء من يحيط بهذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الأقاليم منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بفرسنا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الصنوبري الشكل الودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعده ، ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للبيت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدرك البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين . والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسدي تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو الإدراك العالم العارف من الإنسان وهو الحاطب والعاقب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسدي وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق السمع للآلة أو تعلق التمكن بالمكان وشرح ذلك مما تنوفا لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بعلوم للكشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الإلغوم للعامة . والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، والقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم للعامة يقتصر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتر إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بحس غرضنا لمعنيين : أحدهما جنس لطيف منبعه تجويف القلب الجسدي فينشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا يتنهي إلى جزء من البيت إلا ويستقر به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أفضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين للعالمين للقلب حتى يتساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بهذه الروح أصلا . المعنى الثاني هو اللطيفة المائلة للدركة من الإنسان وهو الذي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فلعنت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يغيى بعضكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الخمر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرة لبن أو غدا رطب ويكافئ عليها وأيا كلها

شرحناه في أحاديث القلب وهو الذي أراده الله تعالى بقوله - قل الروح من أمر ربي - وهو أمر عجيب رآني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضاً مشترك بين معانٍ ويتعلق بغير ضامته معانٍ : أحدها أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ماسياتٍ شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك » (١) . المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس للطهنة قال الله تعالى في مثلها - يا أيها النفس الطمئة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي حزب الشيطان وإذ لم يتم سكوتها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعارضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند قصورها في عبادة مولاه قال الله تعالى - ولا تأسبم بالنفس اللوامة - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لتقتضي الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام أوامرأة العزيز - وما أرى نفسي إلا النفس لأماراة بالسوء - وقد يجوز أن يقال المراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم والمعنى الثاني محمود لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى ونسأل المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضاً مشترك لمعانٍ مختلفة ذكرناها في كتاب العلم ، والتعلق بمرئنا من جملتها معنيين : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بمخاطق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم التي عمله القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به الإدراك فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حاله فيه والصفة غير للوصف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به عمل الإدراك أعني الإدراك وهو المراد بقوله عليه السلام « أول ما خلق الله العقل » (٢) فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لا بد وأن يكون العمل مخلوقاً قبله وأومعه ولأنه لا يمكن الخطأ معه وفي الخبر أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف لك أن معاني هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجنائي والروح الجسماني والنفس الشهوانية والمعلوم فهذه أربعة معانٍ يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس : وهي اللطيفة العالمة للدرك من الإنسان والألفاظ الأربعة مجتمعة أتوا رد عليها بالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثرا العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردتها فترام يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب المراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكتفى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بأسرار البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه عملها ومملكتها وأعمالها ومطبتها ولذلك شبه سبل التتري القلب بالعرش والصدر بالسكينة فقال القلب هو العرش

ولا يستكبر عن إجلالة  
لأمة والمساكين وأخبرنا  
أبو زرعة إجازة عن  
ابن خلف إجازة عن  
السلي قال أنا أحمد بن  
علي القرني قال أنا أحمد  
ابن المنهال قال حدثني  
أبي عن محمد بن جابر  
الجبلي عن سليمان بن  
عمرو بن شعيب عن  
أبيه عن جده قال قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إن من  
رأس التواضع أن تبدأ  
بالسلام على من لقيت  
وترد على من سلم  
عليك وأن ترضى  
بالدون من المجلس وأن  
لا تعب للدهنة والتزيك  
والبر » وورداً يضعه  
عليه السلام « طوبى  
لن تواضع من غير

(١) حديث أعدي عدوك نفسك التي بين جنبك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه  
عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال  
له أقبل فأقبل وقال أدبر فادبر الحديث تقدم في العلم .

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله ذكره فان ذلك محال بل أراد به أنه يملكه  
والجري الأول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم  
هذا التشبيه أيضاً إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضاً لا يليق بغيرنا فلتجاوز.

### ( بيان جنود القلب )

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو - ففسر سبحانه في القلوب والأرواح وغيرهما من العوالم جنود  
لا يعرف حقيقتهما وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغيرنا  
وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالباطن وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم  
والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده للشاهد البين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر  
الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو التصرف فيها والرد لها وقد  
خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه عمداً فإذا أمر العين بالافتتاح انفتحت وإذا أمر  
الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم بتكلمه وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء  
والحواس للقلب يشبه من وجهه تسخير للإنسان لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون  
له خلافاً بل لا يصفون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفتقران في شيء وهو أن للإنسان عليه السلام  
السلام طاعة بطاعتها وامتثالها والأطعاف طيع القلب في الافتتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خير  
لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والراد  
لسفره الذي لأجله خالق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع المنازل إلى لقائه فلا أجله خلقت القلوب قال  
الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وإنما مركبه البدن وزاده العلم وإنما الأسباب  
التي توصله إلى الزاد وتمكنه من الزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه  
مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى فالدنيا  
مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلين فاضطر إلى أن  
يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما  
يحفظ البدن بأن يجب إليه ما يوافق من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما يتنافى من أسباب الهلاك  
فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فضلق  
في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع  
الهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع للهالكات ويعتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد  
والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمر خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها  
ثم المحتاج إلى الغذاء مالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإله فافتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو  
إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه  
الحاجة إليها وجه الحكمة فيها بطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في  
كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تنحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى  
جلب النافع للوافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار للنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة  
والثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود ميثونة  
في سائر الأعضاء لا سيما المضلات منها والأوتار والثالث هو المدرك للتعرف للأشياء كالحواس وهي  
قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي ميثونة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك  
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم والحم والصب

منقصة وذلك في نفسه  
من غير مسكنة مثل  
الجنيد عن التواضع  
فقال خفض الجناح  
ولين الجانب ، وسئل  
التضليل عن التواضع  
فقال تخضع للحق  
وتتقاد له وتقبله ممن  
قاله وتسمع منه وقال  
أيضا من رأى نفسه  
قيمة فليس له في  
التواضع نصيب. وقال  
وهب من منبه مكتوب  
في كتب الله إني  
أخرجت الدر من  
صلب آدم فلم أجد قلبا  
أشد تواضعا إلى من  
قلب موسى عليه  
السلام فلذلك اصطفتيه  
وكلمته ، وقيل من  
عرف كوامن نفسه  
لم يطمع في العلو

والدم والمظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطن إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولنا تسكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما تسكلم الآن فيما أبدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو للدر من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء ببعض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات في الباطن حس مشترك وتخيّل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيّل لكان الدماغ غلو عنه كالتخيل واليد والرجل عنه فذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدرك فهم الضعفاء بضرب الأمثلة بطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن يتفهم به الأقوياء والقحول من العلماء ولكننا نتجهد في فهم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرّب ذلك من أفهامهم .

### ( بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة )

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد يتقادان لقلب اقيادا تاما فيقنيه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مراقبتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بنى وعمر حتى يملكاه ويستعبدها وفيه هلاكه واقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد والقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكير كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانها قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيا يفكر العقل إليه ونحن نقرّب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن قول مثل نفس الانسان في بدنه أعني بالنفس اللطيفة للدّ كورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان للبدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصانع والعملة والقوة العقلية والفكرة له كالشاعر الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والليرة إلى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشرائع والمال والسم القاتل ويدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتديراته حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيا في تديراته بوزيره ومستشير الله ومعرضين إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بأشارته في أن الصواب في تقيض رأيه أدبه صاحب شرطته وساسه بوزيره وجملة مؤمره لا مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لاساسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك للنفس متى استعانت بالعدل وأدبت بحمية الغضب وسلطها على الشهوة واستعانت بأحدائها على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وتلوّاه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بجمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتضييع مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم - وقال تعالى - واتبع هواه فله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - وقال عز وجل فيمن نهي النفس عن الهوى

والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حنيفة من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليترحم محرماتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام لكل شيء مطية ومظية العبد التواضع . وقال النوري خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وفقه صوفي وغنى متواضع وفقير شاكرو وشريف سقي . وقال الجلال مؤلا شرف التواضع كذا إذا مشينا نخطو وقال يوسف بن أسباط وقد سئل عما غاية التواضع قال أن تخرج

— وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى — وسأني كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسايط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . الثالث الثاني : اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعنى الدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه للدركة من الحواس الظاهرة والباطنة بكنزها وأعوانه وأعضاؤه وكرهته وأنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والنضب كمنو ينازعه في ملكه ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وتتر وقسه كمنه فيه رابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وظهره على ما يحب حمد أمره إذا عاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى — والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة — وإن ضيع ثمره وأهمل رعيته ذم أمره فاتمهم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأمض الصلاة ولم تحم الكسير اليوم أنتهم منك (١) كاورد في الخبر وإلى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» (٢) للثالث الثالث : مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوة كفرسه وغضبه ككلبه ففي كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومضى كان هو في نفسه أخرى وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه يبيت تحتها متقادا ولا كلبه يسترسل بأشارته مطيعا فهو خليف بأن يعطى فضلا عن أن يئال ما يطلب وأما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماع الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بطلعه .

### ( بيان خاصة قلب الانسان )

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الأدمى إذ للحيوان الشهوة والنضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى القتب بعينها فتعلم عداوته بقلها تهرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلذلك ما يختص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأموال الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فان هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركها فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر وأما الإرادة فانه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبث من ذاته شوق إلى جهة للصلحة وإلى تهاطى أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والعقل يريد ما يطيبها ويسد لئال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في حين للرض والمائل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل العرف بمواقب الأمور ولم يخلق هذا للباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذن قلب الانسان اخضع بعلم وإرادة بملك عنها سائر الحيوانات بل بملك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والنضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان : إحداهما أن يشتمل قلبه

(١) حديث يقال يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الصلاة الخبر لم أجد له أصلا (٢) حديث رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

من بيتك فلا تلق  
أحدا إلا رأيت خبرا  
منك ورأيت شيخنا  
ضياء الدين بأبا التعجب  
وصكنت معه في  
مفره إلى الشام وقد  
بش بعض أباد الدنيا  
له طامعا على رهوس  
الأسارى من الأفرنج  
وم في قيودهم قلنا  
مدت السفرة والأسارى  
يشظرون الأواني حتى  
تفرغ قال لل خادم  
أحضر الأسارى حتى  
يقعدوا على السفرة مع  
الفراء فجاء بهم  
وأندم على السفرة  
صفا واحدا وقام الشيخ  
من سجاده ومشى  
إليه وقعد بينهم  
كالواحد منهم فأكل  
وأكلوا وظهر لنا على  
وجهه ما نازل باطنه

على سائر العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت بمكنة قرينة الامكان والحصول ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم للكتابة بالتجارب والفكر فتكون كالتحزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحائض بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرة للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لأخصى يتفاوت الخلق فيها بكمرة المعلومات وقلتها وبصرف المعلومات ونخبها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل البادئة والكشفة وبعضهم يتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيئ الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتبة التي التي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتسكف بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والسافة ومراقى هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل صالِك منزله الذي بلغه في ملكه فيعرفه ويصرف ما خلفه من النازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا باليقين كما أنا تؤمن بالنبوة والتي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال الحميز وما فتح له من العلوم الضرورية ولا للمميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته - ما فتح الله للناس من رحمة فلا يحسك لها - وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب للترغية لفتحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لفتحات ألا تفرحوا بها » (١) « والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيت من الحجب والكسورة الحاصلة من الأخلاق الذمومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى سماه الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له » وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال شوق الأبرار إلى لقاءي وأنا إلى لقاءهم أشد شوقا » (٢) « وقوله تعالى « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا » (٣) « كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تعجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة اللثم ، تعالى عن البخل واللعن علوا كبيرا ولكن حجب حجب وكسورة وفشل من جهة القلوب فإن القلوب كالأنوار فإدامت مغطاة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بحلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٤) « ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة

من التواضع لله والانكسار في نفسه والسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعمله . أخيرا أبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول سمع عند أهل المعرفة أن للدين رأس مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في اللسان وبخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتياة بلاياهم . وأما اللواتي في الباطن فحب وجود سيده خوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

- (١) حديث إن لربكم في أيام دهركم فتحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل لقد طال شوق الأبرار إلى لقاءي الحديث لم أجده أصلا إلا أن صاحب التردوس خرج من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولده في مسند التردوس إسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام .



وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفضاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعاده وصلاحه لجوار  
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعالم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته  
التي لأجله خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية السكر والفر  
وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية فإن تعطلت منه نزل إلى حضن رتبة الحمار  
وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من  
صفات اللائكة للقرين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم واللائكة فإن الانسان من  
حيث يتغذى وينسل فينبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار لحيوان ومن حيث صورته وقامته  
فكالصورة للنقوشة على الحائط وإعسا خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه  
على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه باللائكة تحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى  
ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صواحيب يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشراً إن هذا  
إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كل تأكل الأنعام قد انحط إلى  
حضن أفق البهائم فيصير إما غمراً كثوراً وإما شرها تكثير وإما ضريباً ككلب أو سنوراً أو حقوداً  
كجمل أو متكبها كنمر أو ذا روغان كتملأ أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد ومامن عضو من  
الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي  
بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة  
السعادة في ذلك أن يجعل لفاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه  
والأعضاء خدمه فيستقر هو أعنى للدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكة الملك ويجرى  
القوة الخيالية للمودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بریده إذ تجتمع أخبار الحواس عند مجرى  
القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خزانه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الأعضاء  
المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار تقع من  
الأصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائر هافاتها  
أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد  
ويسلها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها  
ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع  
قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موهباً سعيداً شاكراً نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة  
أو استعملها لسكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه  
دون منزلته إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولاً شقيماً كافراً نعمة  
الله تعالى مضياً لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق القتل والابادة فيلقب  
وللعاد نمود بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأخبار حيث قال دخلت على عائشة  
رضي الله عنها فقلت للانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويده جناحان ورجلاه برید  
والقلب منه ملك (١) فإذا طاب للملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول . وقال على رضي الله عنه في تمثيل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آية وهي القلوب فأحبها

والندم على فعله  
والحياء من ربه وقال  
يحيى بن معاذ التواضع  
في الخلق حسن ولكن  
في الأغنياء أحسن  
والتكبر معيب في الخلق  
ولكن في الفقراء  
أسمى . وقال ذو النون  
ثلاثة من علامات  
التواضع تصغير النفس  
معرفة بالغيب وتعظيم  
الناس حرمة للتوحيد  
وقبول الحق والنصيحة  
من كل واحد . وقيل  
لأبي يزيد متى يكون  
الرجل متواضعاً قال إذا  
لم يرى لنفسه حقاً ولا  
خلاً من علمه بشراً  
وازدرائها ولا يرى أن  
في الخلق شراً منه .  
قال بعض الحكماء  
وجدنا التواضع مع  
الجهل واليخل أحمد

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي  
والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وهو لأحمد من حديث  
أبي ذر أما الأذن قمع وأما العين فقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء .

إليه تعالى وأرقها وأصفها وأصلها ثم فسر فقال أصلها في الدين وأصفها في اليقين وأرقها على  
الاخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره  
كشكة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى  
- أو كظلمات في بحر لجي - مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ -  
وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب .

### ( بيان مجامع أوصاف القلب وأمثله )

اعلم أن الانسان قد اصطبغ في خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من  
الأوصاف وهى الصفات السبعة والبهيمة والشيطنانية والربانية فهو من حيث سلب عليه الغضب  
يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والقتل ومن حيث سلبت  
عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرس والشبق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر  
ربانى كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فانه يدعى لنفسه الربوية ويجب الاستسلام  
والاستسلام والتخضع والاستعداد بالأمر كلها والتفرد بالرياسة والانسلاخ عن رتبة العبودية  
والتواضع وبشتمى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والعرفه والاحاطة بمخائى الأمور  
ويفرح إذا نسب إلى العلم ويمزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستسلام بالفر  
على جميع الخلائق من أوصاف الربوية وفى الانسان حرص على ذلك ومن حيث يغتنم من  
البهائم بالتيقز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريفا يستعمل  
التيقز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والحداع ويظهر الشر في  
معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية  
والشيطنانية والسبعة والبهيمة وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الانسان خنزير  
وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما لولونه وشكله وصورته بل  
لشبعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضارى والكلب العقور ليس كلبا وسبعا  
باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعة الضراوة. والمدن والعقور وفى باطن الانسان  
ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والنسك والسبع  
يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويفرى  
أحدهما بالآخر ويحسن لهما ماما مجبولان عليه والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد  
الشیطن ومكره بأن يكشف عن تلبسه بصيرته النافذة ونوره للشرق الواضح وأن يكسر شره هذا  
الخنزير بتسليط السكب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة السكب بتسليط الخنزير  
عليه ويجعل السكب معهودا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل فى  
محاسنة البدن وجرى السكب على الصراط للتعظيم وإن عجز عن قهرها قهره واستخدمه فلا يزال  
فى استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشتبع الخنزير ويرضى السكب فيكون دائما فى عبادة كلب وخنزير  
وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والعجب منه أنه  
يشكر على عبادة الأصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكشف حقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله  
كما يتل للمكاشفين إما فى النوم أو فى اليقظة لراى نفسه مائلا بين يدي خنزير ساجدا لمرورة وراى كها  
أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره فمها حاج الخنزير لطب شيء من شهواته انبت على القور فى خدمته  
وإحضار شهوته أو رأى نفسه مائلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطعيا سامعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا

من الكبير مع الأدب  
والسخاء وقيل لبعض  
الحكام هل تعرف  
نعمة لا يحسد عليها  
وبلاء لا يرجم صاحبه  
عليه قال نعم أما النعمة  
فالتواضع وأما البلاء  
فالكبر . والكشف  
عن حقيقة التواضع  
أن التواضع رطبة  
الاعتدال بين الكبر  
والضعة فالكبر . رفع  
الانسان نفسه فوق  
قدره والضعة وضع  
الانسان نفسه مكانا  
يزرى به ويغضى إلى  
تضييع حقوقه فأنهم  
من كثير من إشارات  
للشايخ فى شرح التواضع  
أشياء إلى حد أقاموا  
التواضع فيه مقام  
الضعة ويلوح فيه  
المسوى من أوج

بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويشير الكلب ويمنعها على استخدامه فهو من هذا الوجه يبد الشيطان بعبادتها فليزق كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بين البصرة فلا يرى إن أنصف نفسه إلا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل للمالك مملوكا والرب مبروبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتركز عليه حتى يصير طابعا وربنا مهلكا للقلب وممتهلا أماطعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتفتير والرياء والمهنة والمجانة والحب والحرص والجشع واللقق والحسد والحقد والثبات وغيرها وأما طاعة كلب النضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذلة والبذخ والصلف والاستشاعة والتكبر والسجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والنضب فيحصل منها صفة للسكر والحداد والحنينة والدهاء والجرأة والتلبس والتضريب والنفس والحب والحقا وأمثاله ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بمخافق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصرة واستحقاق التقدم على الخلق لكل العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والنضب ولا تنتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والمهدو والزهدي والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والساعدة وأمثاله ويحصل فيه من ضبط قوة النضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتياط والغفو والثبات والنبيل والشهامة والودرة وغيرها فالقلب في حكم امرأة قد اكتتفت هذه الأمور للزينة فيه وهذه الآثار على التواصل وأصلة إلى القلب أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزداد مرة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى يتلا أفق جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر للطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله عليه السلام «إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه» (١) وقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ» (٢) وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكرا قال الله تعالى - ألبذ كرا لله تطمئن القلوب - وأما الآثار للذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرة القلب ولا يزال يترامى عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى - كلابران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال عز وجل - أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كاربط السماع بالتقوى قال تعالى - واتقوا الله واسمعوا - واتقوا الله ويعلمكم الله - ومهما تراكم الذنوب تطبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الخلق وصالح الدين ويستترين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع صممه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك وأولئك الذين - يشسوا من الآخرة كايئس الكفار من أمهاب القبور - وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء

الافراط إلى حضيض التفسير ويوم انحرافا عن حسد الاعتدال ويكون تصدم في ذلك للبالغة في قبح هوس للردين خوفا عليهم من العجب والكبر قسلا أن يفك مرديد في مبادي ظهور سلطان الحال من العجب حتى لقد قبل عن جمع من الكبار كلات مؤذنة بالاحباب وكل ما نقل من ذلك القليل من الشايخ لبقايا السكر عندهم وانحصارهم في مضيق سكر الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصوفي ابتداء أمرهم وذلك إذا حقق صاحب البصرة نظره يعلم أنه من استراق

(١) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ لم أجده له أصلا

فاذا هونع وتاب سقل وإن عاد زيد فيها حتى سقل قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهو وقلب الكافر أسود منكوس» (١) فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أنبل على للمعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومعها أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تنفس ثم تنفس ثم تنفس فاتها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مضغع فيه إيمان ونفاق» (٢) فقل الإيمان فيه كمثل البقلة يعدها للناء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يعدها القبيح والصديد فأى للادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهب به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتحكم منه إلا الذين اتقوا فاتقوا باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بقاء الله تعالى .

( بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة )

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى اللطيفة للدبرة لجميع الجوارح وهي الطاعة المندومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة إلى صور التلونات فسكا أن التلوان صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتضج فيها وكما أن المرآة غير وصور الأشياء غير وحصول مثالها في المرآة غير في ثلاث أمور فكذا ههنا ثلاث أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأشياء والعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول التل في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذا وصول مثال العلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلًا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلًا لعدم وقوع السيف في اليد ، ثم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتشبهه بالمرآة أولى لأن عين الانسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثاله مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تتكشف فيها الصورة لحسة أمور : أحدها قصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل وصقل : والثاني لحينه وصده وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة . والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها شطر الصورة وجهها فكذا القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها قصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لتقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يخفى على الوقت وصلافة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالصجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قدى على رقة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرجت وألجت وطففت في أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى تفرد في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهو الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري وقد نهدم .

لكدورة للعاصي والحبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكبه وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من تارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا» (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثرها إذ غابته أن يتبعه بحسنة يحو بها فلو جاء بالحسنة ولم تقدم السيئة لازداد لاهعالة إشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لاحيلة له فليست للراءة التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالإقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يحل القلب ويصفيه ولذلك قاله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» (٢) . الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب الطبع الصالح وإن كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا يكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكرا فيها وإذا كان تهديد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فباطلك فمن صرف الهم إلى الشهوات الدنوية ولذاتها وعلاقتها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي. الرابع الحجاب فان للطبع القاهر لشهوته للتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا يكشفه ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن يكشف في قلبه خلاف ما تلقاه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر التكميين وللتحصين للمذاهب بل أكثر الصالحين للتفكير في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في قلوبهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التي يقع منها الثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتدرك للعلوم التي تناسب مطلوبة حتى إذا تدركها ورثها في نفسه ترتيبا عضويا يعرف العلماء بطرق الاعتبار فمقد ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنبج حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتصر إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يألفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدوجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتائج من ازدواج الفعل والأشئ ثم كما أن من أراد أن يستخرج مركبا يمكنه ذلك من حماد وبربر وإنسان بل من أصل مخصوص من الجبل الكرواثن وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان بينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدوجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو للسانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قهقهة مثلا بالمرآة فانه إذا رفع المرآة بأزواجه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يصرها ويرى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبق صورة القفا في المرآة الحاذية للقفا ثم تنطبق صورة

(١) حديث من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا لم أر له أصلا (٢) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد تقدم في العلم.

استراق النفس السمع  
فليرى ذلك بيزان  
أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وتواضعهم  
واجتنابهم أمثال هذه  
الكلمات واستبدهم  
أن يجوز للعبد التظاهر  
بشيء من ذلك ولكن  
يجعل الكلام الصادقين  
وجه في الصحة ويقال  
إن ذلك طمع عليهم  
في سكر الحال وكلام  
السكراني يجعل فالشايخ  
أرباب التمكن لما علموا  
في النفوس هذا الداء  
الذي في القفا في شرح  
التواضع إلى حد الحقوه  
بالضمة تدا وبالمردين  
والاعتدال في التواضع  
أن يرضى الإنسان  
بمثلة دوين ما يستحقه  
ولو أمن الشخص  
جموح النفس لأوقها

هذه للراة في للراة لأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة التفاف كذلك في اقتناص العلوم طرق حكيمة فيها الزوارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في للراة يمز على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحيلة في تلك الزوارات في هذه الأسباب للامانة للقلب من معرفة حقائق الأمور والافتقار قلب فهو بالقطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فاروق سائر جواهر العالم بهذه الحافية والشرف وإليه الاشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان - إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموت والأرض والجبال بها صار مطبقا لحل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي للعفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحل الامانة ومطبق لها في الأصل ولكن يثبطه عن التهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فإمما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » (١) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « تولوا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٢) إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله أين الله في الأرض أوفى السماء ؟ قال في قلوب عبادي للؤمنين » (٣) وفي الخبر « قال الله تعالى : لم يسمي أرضي ولا سمائي ووسمي قلب عبدى للؤمنين الذين الوادع » (٤) وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخوم اقلب قليل وما مخوم القلب فقال هو التقي - التقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد » (٥) ولذلك قال عمر رضي الله عنهما رأى قلبه ربى إذ كان قد رفع الحجاب بالثغوى ومن ارفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فبرى جنة عرض بعضها السموات والأرض أما مجتمها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكتاف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادر الكبصار فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوية لأن الحضرة الربوية محيطية بكل الوجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله وملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بينما عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكة في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإيماء مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاله قد أفلح من زكاه ومراد تزكيته حصول أنوار الايمان فيه أعنى إشراق نور العرفة وهو للراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقوله لا آمن شرح الله

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجروح في خيلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستسلام بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتداوى بالتواضع وإيقافها دون ما يستحقه لئلا يتطرق إليها التكبر فالتكبر ظن الانسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من الخلوقين يكون كاذبا والتكبر يتولد من الإحباب والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانساني من الانسانية حقيقة وقد

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لتدريث تقدم (٣) حديث ابن عمر أن الله قال في قلوب عبادي للؤمنين لم أجده بهذا اللفظ والطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله آتية من أهل الأرض وآتية ربكم قلوب عبادي الصالحين الحديث فيه بنية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدى للؤمنين الذين الوادع لم أره أصلا وفي حديث أبي عتبة قلبه عند الطبراني بعد قوله وآتية ربكم قلوب عبادي الصالحين وأحبها إليه ألبها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن مخوم القلب الحديث ه من حديث عبد الله بن عمر بإسناد صحيح .

صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان للتكلمين وهو مزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو للشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بثلاث وهو أن تصديقك يكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن يخبرك من جريته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تهتمه في القول فإن قلبك يسكن إليه وطمأن خبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فأنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبشارة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر بالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلمهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب الجنتين وليسوا من اللقرين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ يمكن فباسم من الأحاديث من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فتقارب اليهود والنصارى أيضاً مطمئنة بما يسمعون من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ وللعلو اعتقدوا الحق للاطلاعهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق . الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فإنك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازدادت به يقيناً لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيجزم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزوج بدليل وخطأ أيضاً يمكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق الحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتمهة موضعاً ولا يقدر في هذا التلبس والحاكاة غرضاً . الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة اللقرين والصدقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضاً يتأثرون بمقادير العلوم ودرجات الكشف وأما درجات العلوم فثلاثة أن يصير زيداً في الدار عن قرب وفي ضمن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل إدراكه والآخر يدركه في بيت أومن بعد أوفى وقت عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه التفات في الحفايا من صورته ومثل هذا منصور في تفاوت للشاهدة للأمر الإلهي وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيداً وعمراً وبكراً غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيداً فعرفة ذلك تزيد بكثره للعلومات لعمالة فهذا حال القلب بالإضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

( بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والأخرى )

اعلم أن القلب بغير رتبة مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة وللمكتسبة إلى دنيوية وأخرى أما العقلية فنحن بها متفنى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشئ الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معتمداً ما كان هذه علوم يجد الإنسان نفسه مثلاً الصبا مظهراً عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له سبباً قريئاً ولا فليس غنى عليه أن الله هو الذي خلقه وهذه إلى علوم مكتسبة وهي للاستفادة بالعلم والاستدلال وكلا القسمين قديسي عقلال على رضى الله عنه :

عظم الله تعالى شأن  
الكبر قوله تعالى - إنه  
لا يحب التكبرين -  
وقال تعالى - أليس في  
جهنم مثوى للتكبرين -  
وقد ورد « يقول الله  
تعالى: الكبرياء وذاتى  
والعظمة إزارى فمن  
نازعى واحدا منهما  
قصمته » وفي رواية فذنته  
في نار جهنم . وقال عز  
وجل رداً للإنسان في  
طغيانه إلى حسده :  
- ولا تمس في الأرض  
مرحاً إنك لن تحرق  
الأرض ولن تبلغ  
الجبال طولاً - وقال  
تعالى - فلينظر الإنسان  
مما خلق خلق من ماء  
دافق - وأبلغ من هذا  
قوله تعالى - قتل الإنسان  
ما أكفره من أي شيء  
خلق من لطفه خلقه

وأيت العقل عقليين فطبيع ومسموع . ولا ينفع مسموع  
إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين مخدوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعل « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل »<sup>(١)</sup> والثاني هو  
المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعل رضى الله عنه « إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب  
أنت بمثلك »<sup>(٢)</sup> إلا يمكن التقرب بالضرورة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل

على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناس العلوم التى بها ينال القرب من  
رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغيرها العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الإبصار  
لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينه أوجن عليه الليل والعالم الحاصل منه فى  
القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورويته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى  
مدة الصبإ إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفضان  
نورها على البصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس  
وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتيسر بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن  
خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نفس العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم  
الإنسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قلوب ولا  
خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالوازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من

هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فإن البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة  
للدركة وهى كالقارس والبدن كالقارس وهى القارس أخرى على الفارس من عى الفرس بل لا نسبة لأحد  
الضررين إلى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال - ما كذب الفؤاد  
ما رأى - سمى إدراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم منكسوت السموات  
والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يمرض فى  
معرض الامتنان ولذلك سمى ضد إدراكه عى فقال تعالى - فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب  
التي فى الصدور وقال تعالى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم  
العقل . أما العلوم الدينية فهي للأخوة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك  
يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب  
وسلامته عن الأدوية والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن  
العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق  
التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بمداحه إلا بالعقل فلاغنى بالعقل  
عن السماع ولاغنى بالسماع عن العقل فالمدعى إلى بعض التقليد مع عزل العقل بالسكية جاهل وللكسفى  
بجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فربما أن يكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين  
الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستضر بالفذاء  
مق فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهى  
وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه

تقدر مرسود قال بعضهم  
لبعض للتكبرين أولئك  
نطفة مذرة وآخرك  
جيفة قدرة وأنت فيما  
بين ذلك حامل المذرة  
وقد نظم الشاعر هذا  
للغنى :

كيف زهو من رجيحه  
أبد الدهر ضجيحه  
وإذا ارتحل التواضع  
من القلب وسكن  
الكبر انتشر أثره فى  
بعض الجوارح وترشح  
الاناء بما فيه فتارة  
يظهر أثره فى النطق  
بالتسابل وتارة فى الخد  
بالتصغير قال الله تعالى  
- ولا تصغر خدك  
للناس - وتارة يظهر  
فى الرأس عند استعلاء  
النفس قال الله تعالى  
- لو تأمروهم  
ورأيهم يصدون وهم

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقلات الحكيم فى نوادر الأصول باسناد ضيف  
وقد تقدم فى العلم (٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بمثلك أبو نعيم من  
حديث على باسناد ضيف .



الريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى المريض بالثدا ووطن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن جادر عن عمى في عين البصيرة تعود بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتجبر به فيفسل من الدين انسلا الشرة من الصبين وإما ذلك لأن مجزءه في نفسه خيل إليه نقضا في الدين وهيات وإعسا مثاله مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها بأواني الدار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لم لا ترد إلى مواضعها فقالوا لك تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدي للطريق لعمالك فالعجب منك أنك لا تهتدي عثرتك على عمالك وإنما تحلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية. والعلوم العقلية تقسم إلى دنيوية وأخرية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخرية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كأخلاقه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعوق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال لها ككفى اليزان وكالشرق والغرب وكالضربتين إذا أرضيت إحداها أضطخت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تنفي بالأمرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما ناعما من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إن أكثر أهل الجنة إليه (١)» أي إليه في أمور الدنيا. وقال الحسن في بعض مواضعه لقد أدركنا أرقامالورا يتموم لقلتم مجانين ولوادرككم قالوا شياطين فهما صحت أمرا غريبا من أمور الدين ججده أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يفرنك جعودهم عن قوله إذ من الحال أن يظفر سالك طريق للشرق بما يوجد في الغرب فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى «إن الدين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» وذلك عز وجل - فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عبادته في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء للؤيدون بروح القدس للستمدون من القوة الإلهية التي تنع لجميع الأمور فلا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها.

(بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار)

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تنجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب ينير حجة وتعلم واجتهاد من المبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك للتي في القلب والأول يسمى إلهاما وثقنا في الروح. والثاني يسمى وحيا وتخص به الأنبياء والأول يخص به الأولياء والأصفياء والذي قبله للكتسب وهو بطريق الاستدلال يخص به

(١) حديث أكثر أهل الجنة إليه ، الزائر من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدى إنه منكر .

الملاء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإنا نحيل بينه وبينها بالأسباب المحضة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب للسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تأملها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألفاظ وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند اللئام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتعام ارتفاع الحجاب بالوقت فيه ينكشف الغطاء وتنكشف أضياف القطة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلعب في القلوب من وراء ستر النسيب من غير إلباس العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الإلهام إلا كغيباب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فإن ذلك ليس باختيار العلم ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة للكم الفيد للعلم فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة اللاتك واليه الإشارة بقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء - فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرموا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه الصنفون والبحت عن الأقاويل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات للذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الحق على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو التولي قلب عبده وللتكفل له بشؤره بأنوار العلم وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدور وانكشف السر للسكرات وانفتح عن وجه القلب حجاب الغيرة بلطف الرحمة وتلاذت فيه حقائق الأمور الإلهية فلس على الهدى لا الاستعدادات تصفية المجردة وإحضار المحمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والتردد بدوام الانتظار لما يفتح الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وقاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفرغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الحق على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولا باعطاء علائق الدنيا بالكلية وتفرغ القلب منها وقطع المحمة عن الأهل والوالد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يغلو بنفسه في زاوية مع الانصراف على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقرأة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصير عليه إلى أن يحس أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الله كرم ثم يواظب عليه إلى أن يحس عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضر فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة دفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو عاصفه صار متعرضا لنفحات رحمة الله لا يبيح إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كاختراع الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته ووضعت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلعب لواعج الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود قدينا خروا إن عاد قد ثبت وقد يكون غطنا وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقصر على دفن واحد ومنازل أولياء الله تعالى

ما جلة دنيوية كأن  
الكبر جهل الانسان  
بنفسه وإزالتها فوق  
مزلتها قال بعضهم  
للحسن ما أعظمكم في  
تمسك بالذات لمست عظيم  
ولكني عزيز ولما  
كانت العزة غير  
مذمومة ونفها مشاكلة  
بالكبر قال الله تعالى  
- تستكبرون في  
الأرض بغير الحق -  
فيه إشارة خفية لإثبات  
العزة بالحق فالوقوف  
على حد التواضع من  
غير انحراف إلى الضعة  
وقوف على صراط العزة  
النصوب على متن نار  
الكبر ولا يؤيد في  
ذلك ولا يثبت عليه  
إلا أقدام العلماء  
الراستخين والسادة  
القرينين وبقضاء  
الابدال والصديقين .

فيه لا يحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير بعض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استمداد وانتظار فقط ، وأما النظر وذو الاعتبار فلم يشكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإضافته إلى هذا للتصد على الدور فانه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا ثمرته واستمدوا اجتماع شروطه وزعموا أن هو العائق إلى ذلك الحد كالتعذر وإن حصل في حال ثباته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غليانها » (١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » (٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد الزواج ويختلط العقل ويعرض البدن وإذا لم تقدم رياضة النفس وتهذيبها بمقتضى العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاة فيها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أقرن العلم من قبل لا تنتفع له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلا اشتغال بطريق التعلم وأقرب إلى الغرض ، وزعموا أن ذلك يضاهى ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك وصار قلبها بالوحي والألهام من غير تكرير وتعليق وأنا أيضا ربما انتهت في الرياضة وللواظبة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء الغور على كز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا : وقالوا لا بد أولا من تحصيل ماحصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

### ( بيان الفرق بين القامبين بمثال محسوس )

اعلم أن محائب القاب خارجة عن مدركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وماليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن نقرّب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثاليين : أحدهما أنه لو فرضنا حوضا مغفورا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تتفتح فيه ويحتمل أن يجف أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعالم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثال الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالحلوة والعزلة وغش البصر وبعد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فان قلت فكيف تنفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من محائب أسرار القلب ولا يسمع بذلك في علم العامة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأعيان مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب اللائكة القريبين ، فكما أن للهندس بصور أبنية الدار في يده ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورة تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فان من ينظر إلى السماء والأرض ثم ينض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليهما ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غليانها أحمد وك وصححه من حديث المقداد بن الأسود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

قال بعضهم من تكبر قد أخبر عن ندالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذي التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمرائه ونبيه فان النفس لطلب الراحة تتلهى عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نهيه فاذا وضع نفسه لأمره ونبيه فهو تواضع . والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فان اشتبهت نفسه شيئا مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منعها ذلك وجعله ذلك أن يترك مشيئة الله تعالى . واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند إيمان نور الشاهدة في قلبه فتد ذلك تدوب

فيحصل فيه جقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم للوجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم للوجود موافق للنسجة للوجود في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسائي ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أي وجود صورته في القلب وبمن هذه الوجودات روحانية وببعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدثك على صغر حجمها بحيث تنطبع صورة العالم والسماوات والأرض على اتساع أكتافها فيها ثم يمرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فأنك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يحصل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر عما يابن ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبمجاها . وترجع إلى الغرض المقصود فنقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فيها ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتبصر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتبصر الباء من عمق الأرض ، ومهما أميل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار خضع ذلك من التبصر في الأرض وكان أن ينظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، فاذن القلب بابان : باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملكوت تنوعا من الماكة فأما افتتاح باب القلوب إلى الملكوت والشهادة وعالم الشهادة ولللك أيضا هيأ عالم الملكوت تنوعا من الماكة فأما افتتاح باب القلوب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما افتتاح باب الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل في عجائب الرؤيا وإطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن اشرد بذكر الله تعالى وقال **﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾** سبق للمفردون قيل ومن هم للمفردون يارسول الله ؟ قال للتزهدون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أرى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبرهم <sup>(١)</sup> » ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المنفتحة إلى عالم الملكوت وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والقلب لا يمكن أن يستغنى في علم العلامة فهذا مثال بعلمك الفرق بين مدخل العالمين .

النفس وفي ذواتها صفاؤه من غش الكبر والسبب قتلين وطبيع للحق والخلق لموارها وسكون وجهها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لتبينا عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضى الله عنها في الحديث الطويل قالت « قدت رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما بأخذ النساء من الغيرة فلما مضى أنه عند بعض أزواجه فطلبته في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد ساجدا كالقرب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سواى وخيالى وآمن بك

(١) حديث سبق للمفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصر على أول الحديث وقال فيه وما للمفردون قال الله كرون الله كثيرا والذا كرات ورواه له بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم أقالهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي السرداء دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاما ضيف .

المثال الثاني يرفك الفرق بين العاملين : أعنى عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في كتابات  
تس العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيها وتصليها  
قطر . فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم يتباهون بدي بعض اللواتك بحسن صناعة النقش والصور  
فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ورعى بينهما  
حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر فعمل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ القريبة لا ينحصر  
ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويسقونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين  
أنهم قد فرغوا أيضاً فصعب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقبل وكيف  
فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارضوا الحجاب فرفضوا وإذا بجانبهم تلاً أنه منه حجاب الصنائع  
الرومية مع زيادة اشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصليل فالزاد احسن جانبهم  
بمزيد التصليل ؛ فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتركته وصفاة حتى يتلأف به جليلة  
الحق بنهاية الاشراق كعمل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب وتقس العلوم وتحصيل  
تقشها في القلب كعمل أهل الروم . فكيفما كان الأمر قلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى  
وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله التراب لا يأكل محل الإيمان بل يكون  
وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من تقس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول تقس  
العلم فلا غنى به عنه ولا مساعدة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كآفته لا غنى  
إلا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزائن المترعة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة  
والإيمان كما تفاوتت درجات الأغنياء بحسب قوة المال وكثرته فالمعارف أنوار ولا يسمى المؤمنون إلى  
لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى - يسمى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم - وقد روى في الخبر  
« إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم أصفر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إيمانهم  
قدمه فضيء مرة وينطفئ أخرى فإذا أضاء قدم قدمه لشيء وإذا أطفى قام ومرورهم على الصراط  
على قدر نورهم فبهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من  
يمر كاقطاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس إذا اهتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إيمانهم  
قدمه محبوبوا على وجهه ويديه ورجليه يمر بدا ويقاطى أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك  
حتى يخلص (١) » الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان للمالين  
سوى النبيين والرسلين لرجح ، فهذا أيضاً ضاهي قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها  
لرجح ، فإيمان آماد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين  
نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما يتكشف في نور الشمس صورة الآفاق  
مع اتساع أقطارها ولا يتكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت الشراح  
الصدر بالمعارف وانكشاف سعة لللكوت لقلوب البارئين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة  
أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة ذرة (٢) »  
كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه التقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

(١) حديث إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل حتى يكون أصفرهم رجل يعطى نوره على إيمانهم قدمه  
الحديث الطبراني و ك من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال  
يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث  
أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

فؤادى وأقربك لسانى  
وها أنا ذا بين يديك  
بأعظم يا غافر الذنب  
العظيم » وقوله عليه  
السلام « سجد لك  
سواى وخيالى »  
استقصاء في التواضع  
بحموات الوجود وحيت  
لم يتخلف ذرة منه عن  
السجود ظاهر أو باطنا  
ومق لم يكن لأصوفى  
حظ من التواضع  
الحاصل على بساط  
القرب لا يتوفر حفظه في  
التواضع للخلق وهذه  
سعادات إن أقيمت  
جاءت بكليتها والتواضع  
من أشرف أخلاق  
الصوفية . ومن أخلاق  
الصوفية : للدارة  
واحتيال الأذى من  
الخلق وبلغ من مداراة

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قبلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على صراخه بل وداه عالة ناقمن قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بعير واحد يتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراخي قال أنا أبو العباس المبرور قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

مفهومه أن من إسمائه يزيد على مثقل فانه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه أو لا وأن من قلبه مثقال ذرة لا يستحق الجلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان للؤمن <sup>(١)</sup> » إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين - تفضيلا للمؤمنين على المسلمين وللراية المؤمن العارف دون اللقمة . وقال عز وجل - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فأراد هنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم ومبرهن عن الذين أوتوا العلم وبدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على اللقمة وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف . وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والذين أوتوا العلم درجات - فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بجماعة درجة بكل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال <sup>(٢)</sup> « أكثر أهل الجنة البه وعليون لدوى الألباب <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي <sup>(٤)</sup> » وفي رواية « كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التفاضل إذ المحرم من رحمة الله عظيم النبل والحسرة والمحرم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كينظر الغنى الذي يملك عشرة دراهم إلى الغنى الذي يملك الأرض من الشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم التباين من يخسر جظه من ذلك ولا آخره أكبر درجات وأكبر تفضيلا .

( بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب )

للمعرفة لامن التحمل ولا من الطريق للمعاد )

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والذين جاهدوا فبنا لنهدينهم سبيلا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم « من عمل بمساعله ورثه الله علم ما لم يعلم ووقته فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار <sup>(٥)</sup> » وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - من الإشكالات والشبه - ويزقه من حيث لا يحتسب - يعلمه علما من غير تعلم ويغفنه من غير تجربة وقال الله تعالى سيأيم الله الذين آمنوا وإن تقوا الله يجعل لكم فرقا ناب - قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان <sup>(٦)</sup> يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أعطني نورا ووزدني نورا واجعل لي قلمي نورا وفي قبري نورا وفي ممالي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعره وفي بصري وفي قلمي وفي يدي وعظمي <sup>(٧)</sup> » و« سئل

(١) حديث ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبراني من حديث سلمان بلقظ الإنسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا نعلم شيئا خيرا من ما مثله إلا الرجل للمؤمن وإسناده حسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة البه وعليون لدوى الألباب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أن أمانة وصحة وقد تقدم في العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بمساعله الحديث تقدم في العلم دون قوله ووقته فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نورا ووزدني نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ما هذا الشرح فقال هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر واتشرح (١) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس «اللهم قهقهه في الدين وعلمه التأويل» (٢) وقال على رضى الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم (٣) وقيل في تفسير قوله تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء - إنه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى - ففهمناها سليمان - خص ما انكشف باسم الفهم . وكان أبو الترداء يقول للؤمن من ينظر بؤره الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجره على ألسنتهم ، وقال بعض السلفين للؤمن كنهاته ، وقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا قراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى» (٤) وإليه يشير قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - وقوله تعالى - قد بينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «العلم علان علم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع» (٥) وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبائه لم يطلع عليه مسلكا ولا بصرا وقد قال عليه السلام «إن من أمي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم» (٦) وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث - يعني الصديقين والهادث هو المعلم والمعلم هو الذي انكشف له من باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون - خصصها بهم وقال تعالى - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء يلاحظ ولا دوس ، وهذا هو العالم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعلمناه من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل الملقى الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والأناظر أخرج من الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما شفى رضى الله عنه عند موته : إنما هي أخواتك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضى الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخلت على عثمان رضى الله عنه وكنت قد قيت امرأة في طريق فظنرت إليها شورا وتاملت محاسنها فقال عثمان رضى الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أماعلمت أن زنا العيين (١) حديث سئل عن قوله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام - الحديث وفي المستدرک من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث اللهم قهقهه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحسب ولا وجهه وقد تقدم في العلم (٣) حديث على ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه تقدم في آداب تلاوة القرآن (٤) حديث اتقوا قراسة المؤمن الحديث من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أمي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم من حديث أبي هريرة لقد كان فيا قبلكم من الأم محدثون فان يك في أمي أحد فانه عمر رواء من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال شيء حسنته لم صنعت ولا شيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا جربا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شمت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاندراة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق كافة من أخلاق الصونية وباحال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

النظر لتوبن أولاً عزرك فقلت أوحى به الي ؟ فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة . وعن  
أبي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت قفيرا عليه خرقتان قفأت في نفس هذا وأشباهه كل على  
الناس فتأداني وقال - والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه - فاستغفرت الله في سرى فتأداني وقال - وهو الذي  
يقبل التوبة عن عباده - ثم غاب عني ولم أره . وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي  
القضل المصمعي وهو عليل وكان ذاعيل ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت في نفسي من  
أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي بأبا العباس رده هذه الهمة الدنية فإن الله تعالى أطافا خفية . وقال  
أحمد النقيب دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا أحمد قلت ما الخبر ؟ قال كنت جالسا جري غطاري  
أنك بخيل قلت ما أنا بخيل فنادى مني خاطري وقال بل أنت بخيل قلت ما فتح اليوم على بشي ؟ لإدافته  
إلى أول قفيري يلتقي قال فما استقم الخاطر حتى دخل على صاحب للؤس الخادم ومعه خمسون دينارا  
فقال اجعلها في مصالحك قال وقت فأخذتها وخرج بها وبقي مكره من مكره بين يدي مزين يحلق رأسه  
فتقدمت إليه وناولته الدنانير فقال أعطها للزبن قلت إن جعلتها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك  
إنك بخيل قال فناولتها للزبن فقال للزبن قد عدت لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لناخذ عليه  
أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أذهله الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي  
دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا أكل في داره طعاما فلما خرجت من  
عنده إذا به قد حلقني وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير  
التيناني هذا مشهورا بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي قصده مسلما عليه فخرت صلاة اللرب فلم يكده  
يقرا الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعف في قلبي فلم أعلم خرجت إلى الطهارة فقصدي سبع فعدت إلى أبي  
الخير وقلت قصدي سبع فخرج وصاح به وقال ألم أف لك لا تعرض لضيفاني فتنجي الأسد فقطرت فلما  
رجعت قال اشتغلت بتقويم الظاهر خفتم الأسد واشتغلنا بتقويم البواطن غافنا الأسد . وما حكى من  
نفس للشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضأهم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة  
الحضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهائف ومن فون الكرامات خارج عن الحصر  
والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل . والدليل القاطع الذي  
لا يقدر أحد على جده أمران : أحدهما هجاب الرؤيا الصادقة فإنه يكشف بها التيب وإذا جاز ذلك في النوم  
فلا يستحيل أيضا في اليقظة فلم يفرق النوم اليقظة إلا في كودا لحواس وعدم اشتغالها بالمسوسات فكف  
من مستيقظ غائص لا يسبح ولا يصير لاشتغاله بنفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
التيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره الذي عبارة  
عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف  
بالحقائق ولا يشغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نيا بل يسمى وليا فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا  
الصحيحة فزمه لعلامة أن يقربا أن القلب له بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى لللكوت من داخل  
القلب وهو باب الإلهام والتفت في الروح والوحي فإذا أقربهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم  
وبمباشرة الأسباب للألفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا إليه فهذا ما بينه على حقيقة ما ذكرناه من  
عيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم لللكوت ونما السبب في انكشاف الأمر في اللتام بالمثل المخرج  
إلى التعبير وكذلك تمثل للأفكار للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من أسرار هجاب القلب ولا  
يليق ذلك إلا بعلم الكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فإنه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف  
منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملى عليه شيئا من ذكرى الحفي عن مشاهدتي

لكل شيء جوهر  
وجوهر الإنسان العقل  
وجوهر العقل الصبر .  
أخبرنا أبو زرعة  
طاهر عن أبيه الحافظ  
للقدس قال أنا أبو محمد  
الصربيني قال أنا  
أبو القاسم عبيد الله  
ابن حياة قال أنا  
أبو القاسم عبد الله بن  
محمد بن عبد العزيز قال  
حدثنا علي بن الجعد قال  
أنا شعبة عن الأعمش  
عن يحيى بن وثاب  
عن شيخ من أصحاب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قلت من  
هو قال ابن عمر عن  
النبي صلى الله عليه  
وسلم أنه قال للؤمن  
الذي يباشر الناس  
ويصير على أدام خير  
من الذي لا يخالطهم



من التوحيد وقال ما تكتب لك عملا ونحن نحب أن نضع ذلك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قللت السنين  
تكتبان الفرائض قالوا بل قلت فيك شيكا ذلك وهذه إشارة إلى أن السكران الكائنين لا يظلمون على أسرار  
القلب وإنما يظلمون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من  
مشاهدة اليقين فالتفت إلى مثاله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم  
أطرق إلى صدره وقال ما تقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأعرب جواب سمعته فساأته عن التفاته فقال لا يمكن  
عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب النحال فقال لا أدري فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه  
فقال لا أدري فنظرت إلى قلبي وسألته خذني بما أجبته فكذا هو أعلم مني فما كان هذا هو معنى قوله عليه  
السلام « إن في أمي محدثين وإن عمر منهم » وفي الأثر : إن الله تعالى يقول إني أعيد أطلعت على قلبه فرأيت  
القلب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه . وقال أبو سليمان النادري  
رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة للشريرة حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه فقد ظهر  
افتتاح باب من أبواب القلب إلى جهة للكسوت وللأذى الأعلى ويفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع  
والإعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد احفظوا ما سمعوا  
من اللطمين فانهم ينجلي لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء يد الله على أقوال الحاكما لا ينطقون إلا  
بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .  
( بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها )

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضا  
مثال هدف تنصب إليه السهام من الجوانب أو هو مثال مرآة منصوبة تحتها عليها أصناف الصور المختلفة  
فتراعى فيها صورة بعد صورة ولا تغلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة  
إليه وإنما مداخل هذه الأنهار المتجددة في القلب في كل حال أمان الظاهر فالخواس الحس وأمان  
الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق للركبة من مزاج الإنسان فانه إذا أدرك بالخواس شيئا  
حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة المزاج  
حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال  
من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والقصود أن القلب  
في التغير والتأثر دائما من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر وأعي الخواطر  
ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعي به إدراكاته علوما إما على سبيل التجرد وإما على  
سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث إنها تخطر بعبان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي الحركات  
للإرادات فان النية والعزم والارادة إنما تكون بعد ظهور للنوى بالبال لاعتلاء قبدأ الأفعال  
الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء  
والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى  
الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فاقترا إلى إصمين مختلفين فالخاطر المحمود  
يسمى إلهاما والباطل للنوم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواسا ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة  
ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا  
ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب السبب على الأسباب فهما استنارت حيطان البيت بنور النار  
وأظلم سقفه واسود بالبخان علت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب وظلمته  
سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطانا

ولا يصبر على أذامه  
وفي الخبر لا يصبر أحدكم  
أن يكون كتابي  
ضمضم قيل ماذا كان  
يصنع أبو ضمضم قال  
كان إذا أصبح قال  
اللهم إني قد صدقت  
اليوم بمرضى على من  
ظلمني فمن ضربني  
لا أضربه ومن هتفني  
لا أشتمه ومن ظلمني  
لا أظلمه . وأخبرنا  
ضياء الدين عبد الوهاب  
قال أنا أبو الفتح  
الحرزى قال حدثنا  
الترقي قال أنا الجراحي  
قال أنا المحبون قال  
أنا أبو عيسى الترمذي  
قال ثنا ابن أبي عمر  
قال ثنا صفيان عن  
محمد بن النكبر عن  
عروة عن عائشة  
رضي الله عنها قالت

واللطيف الذي يتبأ به القلب لقبول الإلهام الخير يسمى توفيقاً والذي به يتبأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواءً وخذلاناً فإن للعاني المختلفة تقبُّر إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إضافة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الإلهام الخير بالقرقر بالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فإن للوجودات كلها متقابلاً بمر دوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم « في القلب لثان لثان من الملك إجماد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولة من العدو إجماد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستد بالقرقر من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (١) - الآية وقال الحسن إنما هما هيمان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبداً وقف عنده فمسا كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهدهم لتجاذب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) » فله تعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبغ سرعة الثقل والقدرة على التحريك والتشيع فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لقلعه في التقلب والترديد كما أنك تعاطى الأفعال بأصبعك والله تعالى يفعل مايفعل باستسغار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرة في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثلاً والقلب بأصل القطرة صالح لقبول آثار الملك لقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً ليس يرجح أحدهما على الآخر وإنما يرجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها فإن اتبع الإنسان مقتضى النضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عرش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرضى الشيطان ومرتمه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وشبهه بأخلاق اللاتسكة عليهم السلام صار قلبه مستقر للاتسكة ومهيأ لهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للتشيع عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مامنكم من أحد إلا وله شيطان قالوا أو أنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير (٣) » وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أماته الله على شهوته حتى صارت لا تتبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان للتدريج بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل لللك وألمه والتطارد بين جندي اللاتسكة والشياطين في ممر كذا القلب دائماً إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاصاً وأكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وتعلكتها فامتلات بالوسواس الداعية إلى إثارة العاجلة وإطراح الآخرة مبدأً مستتلاً بها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخليه القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بشي ابن العشرة أو أخو العشرة ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أنت قلت له القول قال يا عائشة إن من شر الناس من يترك الناس أو يده الناس افتاء نفسه وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تعجبها وخالق الناس بخلق حسن » فهاشئ يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحله كمن السدارة والنفس

(١) حديث في القلب لثان لثان من الملك إجماد بالخير الحديث وحسنه وفي الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث المؤمن بين أصبعين الحديث تقدم (٣) حديث مامنكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود .

والشهوات وعمارته يذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر للآلئكة . وقال جابر بن عبيدة العنوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به الأصوص فإن كان فيه شيء عاجوه وإلا مضوا وتركوه يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلب الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه -

وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومجوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١] للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقرأتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتوضأ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال فقلت ذلك فأذهب الله عني (٢) » وفي الخبر « إن اللوضوء شيطانا يقال له الوهمان فاستنوا بالله منه (٣) » ولا يعجز وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماموسى مايوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء أنعم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالاً للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى - من شر الوسواس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار وتضادها قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان واضع خرطوميه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قلبه (٤) » وقال ابن وضاح في حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مسح الشيطان وجهه يده وقال بأبي وجهه من لا يفلح (٥) وكما أن الشهوات تمزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطه بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع (٦) » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات ولأجل اكتشاف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأقعدن لهم صراطك المستقيم

(١) حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص (٢) حديث إن اللوضوء شيطانا يقال له الوهمان الحديث م من حديث أبي بن كعب وقال غريب وليس إسناده بالقوى عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكاييد الشيطان وأبو يعلى الوصلى وابن عدى في الكامل وضميحه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مسح الشيطان يده وجهه وقال بأبي وجهه من لا يفلح لم أجده أصلا (٥) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم تدم

[١] قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصواب عتبان بن أبي العاص وفي العراق ما يشير لذلك اهـ .

لاتزال تشتمر من  
يمكن مرادها  
ويستفزه العيظ  
والنضب بالمدايرة قطع  
حمة النفس ورد طيشها  
وشورها . وقد ورد  
« من كظم غيظا وهو  
يستطيع أن ينفذه  
دعاه الله يوم القيامة على  
رءوس الخلائق حتى  
يخيره في أى الحول  
شاء » . وروى نجاير  
رضي الله عنه عن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال « ألا أخبركم  
على من تحرم النار ؟ على  
كل هين لين سهل  
قريب » . وروى  
أبو مسعود الأنصاري  
رضي الله عنه قال أنى  
التي عليه السلام برجل  
فكلمه فأرعد فقال  
هون عليك فاني لست

ثم لا يتبين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد لا ين آدم بطرق فمده له بطريق الاسلام فقال أسلم وتترك دينك ودين آباءك فصاه وأسلم ثم قد له بطريق الهجرة فقال أهاجر أندع أرضك وممالكك فصاه وهاجر ثم قد له بطريق الجهاد فقال أجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتسبح نساؤك ويقسم مالك فصاه وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فقات حقا على الله أن يدخله الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتسبح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطره سبب ويقتضي اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن يفتك عنه آدمي وإنما يخلفون بصيانه ومتابته ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله شيطان (٢) » قد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والحذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم العلامة بل مثل الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل فصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لاهلالية وعلم أن الداعي إلى الشر المحذوف في المستقبل عدو قد عرف العدو لاهلالية ، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عدواته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويعتز به فقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين - فينبغي للعدو أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه ، ثم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للمؤمن ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نموذج بالله منه وحقيقة اللائكة فذلك ميدان العارفين للفتنلين في علوم الكشافات فلا يحتاج في علم العلامة إلى معرفته ، ثم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يسلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا يفتي كونه وسوسة وإلى ما يسلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فان من مكاييد الشيطان أن يرضى الشر في معرض الخير والتميز في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعاتهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أمانظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل يهلك من التلفة قد أشرفوا على النار أما لكثرة على عباد الله تنقدم من العاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى الصراط المستقيم ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجده بلطف الجبل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعو بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكده فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بين الاحتفال فيستدرج

ملك إنما اثان امرأة من قريش كانت تأكل القديد وعن بعضهم في معنى لين جانب الصوفية :

هينون لينون أيسار بنو يسر

سواس مكرومة أبناء أيسار

لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا

ولا يمارون إن ماروا يكثر

من تلق منهم ثقل لا تبت سبهم

مثل النجوم التي يسرى بها السارى

وروي أبو البرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق

(١) حديث إن الشيطان قد لا ين آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سبرة بن أبي فاكه بإسناده صحيح (٢) حديث ما من أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

للسكين بالنصح إلى الهلاك فيحكم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم» (١) . «وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) . ولقد روى أن إبليس لعنه الله مثل لميسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم قال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضاً تحت الخير تليسات وتليسات الشيطان من هذا الجنس لا تنتاهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة ، وسند كرمجة من مكاييد الشيطان في كتاب التور في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صفتنا فيه كتاباً على الخصوص نسميه [تابيس إبليس] فإنه قد انتشر الآن تلبسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخبرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتليسات الشيطان ومكايده حتى على العبد أن يقف عند كل كم يخطر له يعلم أنه من لمة الملك أولمة الشيطان وأن يعم النظر فيه بعين البصيرة لانهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - أي رجعوا إلى نور العلم - فإذا هم مبصرون - أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيبذل طبعه إلى الإذعان بتليسه بتابعة الهوى فيكثر فيه غلظه ويتعجل فيه هلاكه وهو يشعر وفي مثله قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسناً فإذا هي سيئات ، وأغصن أنواع علوم العامة الوقوف على خدع النفس ومكاييد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أمهله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتسبب عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبواب الحواس والجنس وأبوابهم داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل وللحال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويقي مع ذلك مداخل باطنه في التفيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويهليه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حياً ، نعم قد يهوى بحيث لا يتقابلة ويدفع عن نفسه شره بالجهاد لسكن لا يستغنى قط عن الجهاد والدفاع مادام الهم يجرى في بدنه فإنه مادام حياً فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنتلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتى شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحاً والعدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل للحسن أبا سعيد أتيتم الشيطان تبسم وقال لولم لا نسترحنا فاذن لا خلاص للمؤمن منه ، نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بيمره في سفره» (٣) . وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول ، وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل الصفر وقلت ولذلك قال تدينني بذلك أن الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تنضى إلى المعاصي الظاهرة وأنعم يشعرون في طرقه النامضة فانهم لا يهتدون إليها

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم من حديث أنس بإسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه عن حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهجة .

قد حرم حظه من الخير ، حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إسماعيل قال ثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الساليني قال أنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبي طلحة الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله الحوي السرحي قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر السمر قمي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن أحمد بن أبي خلف قال ثابعد الرحمن بن محمد عن محمد بن إسحق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ . وللشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الثلاثة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة للسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة هنا هي القلب المصنّى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم النور المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى غوامض طرقه والإفطرقة كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق العام من طرقه وهو الذي ينجع به العلماء والعباد السالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة ، فانذر كرمثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الأدي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية غفقا وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها إليه فأنى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعا فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تتمتع بأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك قتل ماتت قتلها ودقها قاتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودقها فأناه أهلها فسالوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأناه الشيطان فقال أنا الذي خنتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فطعن تنج وأخلصك منهم قال بمأذا ؟ قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني برىء منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك - (٢) » فالنظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما يظن صاحبه أنه خير وجسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويحرم البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فتعوز بالله من تضيق أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

(بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلوه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه غاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف ومالا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ويتوصل إلى دفع الشيطان إلا بعرفة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث في الكبرى ولا وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية غفقا وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب بطوله في قوله تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعه مرسل ولما كتم نحوه موقوف على علي بن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطين في مسنده من حديث علي (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث النعمان بن بشير من رجع حول الحمى يوشك أن يواقه فقطع .

يوم خنين وفي رجل  
نعل كثيفة فوطئت بها  
على رجل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فتفحق فتحة بسوطي  
يده وقال باسم الله  
أوجستى قال فبت  
لنفسى لأجما أقول  
أوجست رسول الله قال  
فبت بلبلة كما يعلم الله  
فلما أصبحنا إذا رجل  
يقول أين فلان قلت هذا  
والله الذي كان منى  
بالأس قال فانطلقت  
وأنا متخوف فقال لي  
إنك وطئت بملك على  
رجلي بالأس فأوجستى  
فنهضت فتجلى بسوط  
فهنسه ثم أنون نجيعة  
غسلها بها . ومن  
أخلاق الصوفية الإشارة  
والمواساة ومعلمهم على  
ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبواب صفات العبد وهي كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية بحرى الدروب التي لا تشق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام لقى إبليس فقال له ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برأته وكلك تسكنا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فأخضع لى ربى أن يتوب علىّ فقال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أذ الأمانة فقال موسى يارب عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى ياموسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقى موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا ؟ أسجد له ميتا ثم قال له ياموسى إن لك علىّ حقا بما أخفعت لى إلى ربك فأذكرنى عند ثلاث لأهلكك حين : اذكرنى حين تغضب فإن روحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك بحرى الدم ، اذكرنى إذا غضبت فإنه إذا غضب الانبسان شقت فى أهله فيدرى ما يصنع واذكرنى حين تلقى الزحف فأتى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فأتى رسولها إليك وسوكت إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أثار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإنا القرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرنى كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى ، قد حكى أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أى أخلاق بنى آدم أعون لك قال الحدة فإن البند إذا كان حديدا قلبناه كما يغلب الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف يغلبى ابن آدم وإذا رضى جثت حتى أكون فى قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فهما كان البند حريصا على كل شئ أهماه حرصه وأمنه إذا قال صلى الله عليه وسلم « حبك للشيء يسمى ويصم <sup>(١)</sup> » ونور البصرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يصير خفيئا عند الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى فى السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال له نوح أخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك باثنين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تخافاني بهما أهلك الناس : الحرص والحسد ، فبالحسد لغت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرص فإنه أيسر لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص . ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليها السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يا إبليس ما هذا المالبق ؟ قال هذه الشهوات التي أصابتها ابن آدم فقال فهل فيها من شئ ؟ قال ربما شبعت فتغذاك عن الصلاة وعن الله كره قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قال له علىّ أن لا أملا بطنى من الطعام أبدا فقال له إبليس ولطى أن لا تصنع مسلما أبدا . ويقال فى كثرة

(١) حديث حبك للشيء يسمى ويصم أبو داود من حديث أنى الدرداء باسناد ضعيف .

والرحمة طبعها وقوة  
اليقين شرعا يؤثر  
بالموجود ويصبرون على  
المفقود . قال أبو يزيد  
اليسطامى ما غلبنى  
أحد ما غلبنى شاب من  
أهل بلغ قدم علينا  
حاجا فقال لى يا أبا يزيد  
ما حد الزهد عندكم  
قلت إذا وجدنا أكلنا  
وإذا فقدنا صبرنا فقال  
هكذا عندنا كلاب  
بلغ قتلته وما حد  
الزهد عندكم ، قال  
إذا فقدنا شكرنا وإذا  
وجدنا آثرنا . وقال  
ذو النون من علامة  
الزاهد الشروع صدره  
بلاث : تفريق المجموع  
وترك طلب المفقود  
والإشارة بالقوت . روى  
عبد الله بن عباس  
رضى الله عنهما قال

الأكل ستخالف مدمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شياطين . والثالث أنه يتقلع الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقعة . والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يهيج فيه الأمراض . ومن أبواب حب التزين من الأثاث والثياب والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الإنسان باض فيه وفرح فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبينتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستغفره فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى وغنى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نموذ بالله منه . ومن أبواب العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الزياء والتلبس حتى يصير للطموع فيه كأنه مبدوء فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتعجب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله التناء عليه بما ليس فيه وللداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس عثر لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة اجلس عني شيئا أعلمك به فقال لأحاجة لي به قال انظر فإن كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحد غير الله سؤال الرغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أملكك إذا غضبت . ومن أبواب العظيمة العجلة وترك الثبات في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى » (١) وقال عز وجل - خلق الإنسان من عجل - وقال تعالى - وكان الإنسان عجولا - وقال نبيه صلى الله عليه وسلم - ولا تبجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليه وصيه - وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بدالتبصرة والعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتعمل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري ، فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نسكت ردوسها فقال هذا حدث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافق الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا للأنسكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارة ماحلت أنقى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأبوسوا من أن تعبد الأصنام بهذه الهلة ولكن اتوا بنى آدم من قبل العجلة والحفنة . ومن أبواب العظيمة الدرامم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والمقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فهو وجدانة دينار مثلا على طريق انبث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعةائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعةائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها حتى جهنم فلا آخر لها سواه . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانظروا حتى أعيروا ثم جاءوا وقالوا ما ندرك قال أنا أتاكم بالحجر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صجنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى مسلاتهم فيمحي ذلك فقال إبليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضر للأَنْصار « إن شتمتم قسعتن للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شتمتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم شيئا من الغنيمة » وقالت الأنصار بل قسم لهم من أموالنا وديارنا وتؤثرهم بالغنيمة ولا تشاركهم فيها ، فأزل الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني فبعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى

(١) حديث العجلة من الشيطان والتأني من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الأمانة وقال حسن



فَنَصِيبُ مِنْهُمْ حَاجَتُنَا <sup>(١)</sup> . وَرَوَى أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَسَّدَ يَوْمًا حَجَرًا ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ إِبْلِيسَ فَقَالَ يَا عِيسَى رَغِبْتَ فِي الدُّنْيَا فَأَخَذَهُ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَمَى بِهِ مِنْ تَحْتِ رَأْسِهِ وَقَالَ هَذَا لَكَ مَعَ الدُّنْيَا وَطَى الْحَقِيقَةُ مِنْ عَمَلِكَ حَجَرًا يَتَوَسَّدُ بِهِ عِنْدَ النَّوْمِ قَدْ مَلَكَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عِدَّةُ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْقَائِمَ بِاللَّيْلِ مِثْلًا لِلصَّلَاةِ مِثْلًا كَانَ بِالقُرْبِ مِنْهُ حَجَرٌ يُمْكِنُ أَنْ يَتَوَسَّدَهُ فَلَا يَزَالُ يَدْعُوهُ إِلَى النَّوْمِ وَإِلَى أَنْ يَتَوَسَّدَهُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَسَكَانٌ لَا يَخْطُرُ لَهُ ذَلِكَ يَالِ الْوَلَاتِ تَحْرُكُ رَغْبَتُهُ إِلَى النَّوْمِ هَذَا فِي حَجَرٍ فَكَيْفَ بِمَنْ عَمَلَهُ الْخَدَّاءُ الْوَيْمَرُ وَالْقُرْشُ الْوَيْطِيَّةُ وَالتَّزَاهَاتُ الطَّيْبَةُ ثَمَّ يَنْقُطُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ . وَمَنْ أَبْوَابُهُ الْعَظِيمَةُ الْبُخْلُ وَخُوفُ الْفَقْرِ لَانَ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَنْعَمُ مِنَ الْإِتِّفَاقِ وَالتَّصَدُّقِ وَيَدْعُو إِلَى الْإِدْخَارِ وَالْكُزِّ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَهُوَ الْوَعْدُ لِلْمُكَاتِرِينَ كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ . قَالَ خَيْثَمَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ مَاغْلِبْنِي ابْنَ آدَمَ غَلَبَ فَلَنْ يَغْلِبَنِي عَلَى ثَلَاثٍ أَنْ أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ لِلْمَالِ مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ وَإِخَافَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَنَعَمَهُ مِنْ حَقِّهِ . وَقَالَ سَفِيَانٌ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ سِلَاحٌ مِثْلُ خُوفِ الْفَقْرِ فَإِذَا قَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ أَغْنَى فِي الْبَاطِلِ وَمَنْعَهُ مِنَ الْحَقِّ وَتَمَكَّمَ بِالْمَوَدِّ وَظَنَّ بِرَبِّهِ ظَنًّا سَوِيًّا . وَمَنْ أَكَاثِبُ الْبُخْلِ الْحَرَصُ عَلَى مَلَازِمَةِ الْأَسْوَاقِ لِمَجْلَعِ الْمَالِ وَالْأَسْوَاقِ هِيَ مَنَاشِشُ الشَّيَاطِينِ . وَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِنَّ إِبْلِيسَ لَيَأْتِي بِكَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ يَارَبُّ أَنْزَلْنِي إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلْتَنِي رَجُلًا فَاجِلٌ لِي يَبْتَئَا قَالَ الْحِمَامُ قَالَ أَجِبْ لِي مَجْلَسًا قَالَ الْأَسْوَاقُ وَبِجَامِعِ الطَّرِيقِ قَالَ أَجِبْ لِي طَعَامًا قَالَ طَعَامُكَ مَا يَذْكُرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ أَجِبْ لِي شُرَابًا قَالَ كُلُّ مَسْكَرٍ قَالَ أَجِبْ لِي مَوْذَنًا قَالَ الزَّمَانُ قَالَ أَجِبْ لِي قُرْآنًا قَالَ الشَّعْرُ قَالَ أَجِبْ لِي كِتَابًا قَالَ الْوَشْمُ قَالَ أَجِبْ لِي حَدِيثًا قَالَ الْكُذْبُ قَالَ أَجِبْ لِي مَعِيَا يَدُ الْنِسَاءِ <sup>(٢)</sup> وَمِنْ أَبْوَابِ الْعَظِيمَةِ التَّوَصُّلُ : التَّعَصُّبُ لِلْمَذَاهِبِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْحَقْدُ عَلَى الْخُصُومِ وَالنَّظَرُ إِلَيْهِمْ بَيْنَ الْأَزْدَادِ وَالِاسْتِخْفَارُ وَذَلِكَ مِمَّا يَهْلِكُ الْعِبَادَ وَالْفَسَادُ جَمِيعًا فَإِنَّ الطُّغْيَانَ فِي النَّاسِ وَالِاسْتِغْنَاءَ بِذِكْرِ تَقْصِيمِ حَقِّهِ جَبْرًا فِي الطَّبْعِ مِنْ الصِّفَاتِ السَّبْعِيَّةِ فَإِذَا خِيلَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ وَكَانَ مُوَافِقًا لَطَبْعِهِ غَلَبَتْ حَلَاوَتُهُ عَلَى قَلْبِهِ فَاسْتَفْتَلَ بِهِ بِكُلِّ هِمَّةٍ وَهُوَ بِذَلِكَ فَرَحَانٌ مَسْرُورٌ يَنْظُرُ أَنَّهُ يُسَمَّى فِي الدِّينِ وَهُوَ سَاعٍ فِي اتِّبَاعِ الشَّيَاطِينِ فَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَتَعَصَّبُ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ أَكْلُ الْحَرَامِ وَمُطْلَقُ اللِّسَانِ بِالْفُضُولِ وَالْكَذْبِ وَمُتَعَاظُ لَأَنْوَاعِ الْفُسَادِ وَلَوْ رَأَى أَبُو بَكْرٍ لَسَكَانَ أَوَّلَ عَدُوِّهِ إِذْ مَوَالِي أَبِي بَكْرٍ مِنْ أَخْدَانِيهِ وَصَارَ بِسِيرَتِهِ وَحَفَظَ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ . وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَضَعَ حِمَاةً فِيهِ لِكَيْفَ لِسَانَهُ عَنِ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي فَأَتَى لِهَذَا التَّضَوُّلِ أَنْ يَدْعِيَ وَلاَهُ وَحِبَّهُ وَلاَ يَسِرُّ بِسِيرَتِهِ وَتَرَى ضُؤْلًا آخَرَ يَتَعَصَّبُ لِمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِنْ زُهْدِهِ عَلَى وَسِيْعَتِهِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي خَلْقَتِهِ ثَوْبًا اشْتَرَاهُ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ وَقَطَعَ رَأْسَ الْكَلْبِ إِلَى الرِّسْغِ وَرَى الْقَاسِقَ لَا بِسَابِغٍ الْحَرِيرِ وَمُتَجَمِّلًا بِأَمْوَالِ الْكُتُبِ أَمِنْ حَرَامٍ وَهُوَ يَتَغَاظِي حُبَّ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيَدْعِيهِ وَهُوَ أَوَّلُ خُصَمَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْتَ شَعْرِي مَنْ أَخَذَ وَلَدًا عَزِيزًا لِنَاسِنٍ هَوَقْرَةً عَيْنُهُ وَحَيَاةَ قَلْبِهِ فَأَخَذَ يَضْرِبُهُ وَبِزَقَةٍ وَيَنْتَفِ شَعْرُهُ وَقَطَعَهُ بِالْقِرَاضِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَدْعِي حُبَّ أَبِيهِ وَوَلَدَهُ فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ عَنْدهُ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الدِّينَ وَالشَّرْعَ كَأَنَّهُمَا حُبٌّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَطَى وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ بَلْ مِنْ أَهْلِهِمْ .

(١) حَدِيثٌ ثَابِتٌ لَمَّا بَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِبْلِيسُ لِشَيْطَانِيهِ لَقَدْ حَدَّثَ أَمْرَ الْحَدِيثِ ابْنَ أَبِي الدُّنْيَا فِي مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ هَكَذَا مَرَسَلًا (٢) حَدِيثٌ أَبِي أَمَامَةَ إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ يَارَبُّ أَنْزَلْنِي إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلْتَنِي رَجُلًا فَاجِلٌ لِي يَبْتَئَا قَالَ الْحِمَامُ الْحَدِيثُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَاسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا وَرَوَاهُ بَعْضُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ أَيْضًا .

أزواجه هل عندك  
شيء فكلهن قلن  
والذي بشك بالحق  
نبينا ما عندنا إلا النساء  
فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ما عندنا  
ما نطعمكم هذه الليلة  
ثم قال من يضيف  
هذا هذه الليلة رحمه  
الله فقام رجل من  
الأنصار فقال أنا  
يارسول الله فأتى به  
منزله فقال لأهله هذا  
ضيف رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فأكرمه  
ولا تدخرى عنه شيئاً  
فقال ما عندنا إلا قوت  
الصية فقال قومي  
عليهم عن قوتهم حتى  
يناموا ولا يطعمون  
شيئاً ثم أصرحى فإذا  
أخذ الضيف ليأكل  
قوى كأنك تصاحين  
السراج فأعطشيه

والتيحمون للماصي الشرع هم الذين عزقون الشرع ويقطونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حلم يوم القيامة عند الصالحين وعند أولياء الله تعالى لآل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ماغيبه الصالحين في أم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجرؤوا على اللسان ذكرهم مع تبس أفعالهم ثم إن الشيطان يغيل إليهم أن من مات عبداً إلى بكر وعمر فالتألم لهم حوله وغيل إلى الآخر أنه إذا مات عبداً لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لماطحة رضى الله عنها وهي بضمة منه (١) «اعلمي فاني لا أغني عنك من الله شيئا» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء ، وهكذا حكم التصيين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس بيسير بسيرة فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لأجل الهديان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت في إلى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالمين قد سلت للدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتصيب فخبسوا ذلك في صدورهم ولم يذهبوا هم على مكاييد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فهدلهم كوا وأهلكوا فإنا لله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن بن علي بن إبليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الماصي قصصه ما ظهر في الاستغفار فبول لهم ذنوباً لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وقد صدق للمؤمن قاتلهم لا يظنون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى الماصي فكيف يستغفرون منها . ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأقام الشيان لقيمهم عن مجلسهم وبقرو بينهم فلم يستطع فأتى رقعة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم ققاموا يقتتلون وليس بإمام يريد ، ققام الذين يذكرون الله تعالى فافتعلوا بهم يغفلون بينهم ففترقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبواب حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته في أمور لا يلفها أحد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يغيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها بصيرتها كافر أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المرء القوي البصير وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأفقد الناس حماة أرواحهم اعتقاداً في عقل نفسه وأثبت الناس عقلاً أعدم إتهاماً لنفسه وأكثروا سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فأذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه (٢) » والنبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالصالح لو رزى ويسرق كان خيراً له من أن يشكك في العلم فإنه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتيان العلم وقع في السكر من حيث لا يدرى

ونالني تمضج السنن  
لضيف رسول الله حتى  
يشبع ضيف رسول  
الله ققامت إلى الصبية  
ضلفتهم حتى ناموا عن  
قوتهم ولم يطعموا شيئاً  
ثم قامت فأتت  
وأسرجت فلما أخذ  
الضيف ليا كل قامت  
كأنها تصلح السراج  
فأطفاه فجعلها مضان  
ألستما لضيف رسول  
الله وظن الضيف أنها  
ياكلان معه حتى شبع  
الضيف وبأنا طاوئين  
فما أصبحوا غدوا  
إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فلما نظر  
إليهما تبسم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ثم  
قال لقد هبب الله من  
فلان وفلانة هذه اليلة  
وأتزل الله تعالى -  
ويؤثرون على أنفسهم

(١) حديث فاطمة بضمة من متفق عليه من حديث للسور بن عفرمة (٢) حديث إني لا أغني عنك من الله شيئاً قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والزار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

كن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة وما كيد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا يحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بشر على غيره بالظن بثبوت الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالنسبة فيهلك أو يقتصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا مواضع التهم <sup>(١)</sup> » حتى احتذرهم <sup>(٢)</sup> من ذلك روى عن ابن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبرته « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معسكفا في السجدة قالت فأثبته فتحدثت عنده فلما أسيئت انصرفت قام يمشي معي ثمر به رجلان من الأنصار فلما ثم انصرفا فناداهما وقال إنما صفية بنت حيي قلنا يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرا فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإني خشيت أن يدخل عليكما <sup>(٣)</sup> » فانظر كيف أشفق <sup>(٤)</sup> على دينهما فخرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير إجماعا منه نفسه فإن أوردع الناس وأقام وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بين واحدة بل بين الرضا بضمهم وبين السخط بتدري السوايا وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى السوايا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فجمعا رأيت إنسانا يسمى الظن بالناس طالبا لليوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبيثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب للماذير وللتناقض يطلب لليوب وللؤمن سليم الصدر في حق كافة المخلوق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولوأردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما بينه لي غيره فليس في الآدمية مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله . فان قلت لما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لاحول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سدهذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات للمذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات الهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ماسا في شرحه ، ثم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ومنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد محاربة القلب بالقوى وتطهيره من الصفات للمذمومة والإفكون الذي ذكر حديث نفسه لاسلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - خصص بذلك التلقي فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه يتزجر بأن تقول له أخسا فبعد الصوت يذمه فإن كان بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يتزجر عنه بمجرد الذكر كأنما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدهات فيستقر الشيطان في سويدهات القلب وأما قلوب للتئين الحالية من الهوى والصفات للمذمومة فإنه يطرقها الشيطان للشهوات بل خلوها بالنفث عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمد بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجده أصلا (٢) حديث صفية بنت حيي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معسكفا فأثبته فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة -  
وقال أنس رضى الله  
عنه أهدي لبعض  
أصحابه رأس شاة  
مشوى وكان جهودا  
فوجه به إلى جاره  
فتداوله سبعة أنفس  
ثم عاد إلى الأول فألزمت  
الآية لذلك . وروى أن  
أبا الحسن الأنطاكي  
اجتمع عنده نيف  
وثلاثون رجلا بقرية  
بقرى الرى وله أرغفة  
معدودة لم تشبع  
خسة منهم فكروا  
الرفغان وأطفؤا  
السراج وجلسوا للطعام  
فلم ارفعوا الطعام فإذا  
هو جاله لم يأكل أحد  
منهم لإشارته منه على  
نفسه . وحكى عن  
حنيفة العدوى قال  
انطلقت يوم اليرموك  
لطلب ابن عم لي

الواردة في الذكر . قال أبو هريرة النقي شيطان للؤمن وشيطان للكافر فإذا شيطان الكافر دهن ميم  
كاس وشيطان للؤمن مهزول أشعث أغبر عار قال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا  
مع رجل إذا أكل جلى الله فأظلم جاشما وإذا شرب صلى الله فأظلم عطشانا وإذا لبس صلى الله فأظلم عريانا  
وإذا ادهن صلى الله فأظلم شعثا فقال لكتي مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرا به  
ولبامه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا  
بصونا يرانا هو وقيه من حيث لا نراهم اللهم فأبسه منا كما أبسته من رحمتك وقطعه منا كما قطعه  
من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير قال قتشل له إبليس  
يوما في طريق السجد قال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس فقال وما تريد قال  
أريد أن لاتسلم أحدا هذه الاستمادة ولا تعرضك قال والله لا أنصمها ممن أرادها فاصنع ماشئت . وعن  
عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي ﷺ يده شملة من نار فيقوم بين يديه وهو  
يصلى فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأثام جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي  
لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يصرج فيها ومن  
فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفت شملته وخر  
على وجهه <sup>(١)</sup> وقال الحسن « نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتاً من  
الجن بكيدك فإذا أويت إلى فراشك اقرأ آية الكرسي <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لقد أتاني الشيطان  
فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بيثني بالحلق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا  
دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح طريحا في السجد <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ماسلك عمر  
لحا إلى سالك الشيطان لحا غير الذي سلكه عمر <sup>(٤)</sup> » وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان  
وقوته وهي الشبوات فهما طمعت في أن تدفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله  
عنه كان محالا وكنت كمن يطعم أن يشرب دواء قبل الاحتيا واللمدة مشغولة بتليظ الأطعمة ويطمع  
أن يتفقه كما تنفع الذي شره بعد الاحتيا وتخيلة للمدة والذكر الدواء والتفوى احتيا وهي تخلى  
القلب عن الشبوات فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع الحلة بنزول  
الدواء في للمدة الخالية عن الأطعمة قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - وقال تعالى - كتب

(١) حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان الشيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يده شملة من نار  
الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسل والمالك في الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد  
مرسلا ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن  
عياش الشامي عن ابن مسعود . ورواه أحمد وأحمد والبراز من حديث عبد الرحمن بن حبيش وقيل له كيف  
صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن نبئت أن  
جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتاً من الجن بكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد  
الشيطان هكذا مرسل (٣) حديث أناني شيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه الحديث ابن  
أبي الدنيا من رواية الشامي مرسل هكذا ولا يخارى من حديث أبي هريرة أن عفريتاً من الجن فقلت  
على البارحة أو كلمة نحوها ليطمع على صلاتي فأمكنني الله منه الحديث ون في الكبرى من حديث  
عائشة كان يصلي فأثام الشيطان فأخذه فصرعه فثقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدي الحديث  
وإسناده ضعيف (٤) حديث ماسلك عمر فحيا إلى سالك الشيطان فحيا غير فحبه متفق عليه من حديث  
سعد بن أبي وقاص بلفظ يا ابن الخطاب ما ليك بالشيطان سالكا فحيا .

ومعنى شىء من ماء وأنا  
أقول إن كان به رمل  
سقيته ومسحت وجهه  
فإذا أنا به قتل أسيتك  
فأشار إلى أن نعم فإذا  
رجل يقول آه فقال  
ابن عمي انطلق به  
إليه فحيت إليه فإذا  
هو هشام بن العاص  
فقلت أسيتك فسمع  
هشام آخر يقول آه  
فقال انطلق به إليه  
فحيت إليه فإذا هو  
قد مات ثم رجعت  
إلى هشام فإذا هو أيضا  
قد مات ثم رجعت  
إلى ابن عمي فإذا هو  
أيضا قد مات . وسئل  
أبو الحسين البوشنجي  
عن الفتوة فقال الفتوة  
عندي ما وصف الله  
تعالى به الأنصار في قوله  
سوالدين يوءوا الدار  
والإيمان - قال ابن

عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير - ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الله كره بطرد الشيطان (١) ولم تفهم أن أكثر عموماً الشرع مخصوصة بشروط قلها علماء الدين إلى تحسك فليس الحجر كالفان وتأمّل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب المالين وجواب العائدين وكيف يعربك في أودية الدنيا ومهالكها حتى أنك لا تذكر ما قد نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت فالصلاة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها فالصلاة لا تقبل من القلوب للشهوة بغيرها الدنيا فلا جرم لا يطرده عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الوسواس قبل الاختيار ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الأحياء بالتقوى ثم أرفده بدواء الله كرفر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه، ولذلك قال وهب بن منبه: اتق الله ولا تسلب الشيطان في العلية وأنت صديقه في السر أى أنت مطيع له. وقال بعضهم يا هيا لمن يصي الحسن بعد معرفته بما حسنه ويطيع اللعين بعد معرفته بظلمانه، وكأن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك فقد شروطه الله والثناء، قيل لابراهيم ابن آدم ما باننا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم - قال لأن قلوبكم ميتة قبل وما الذي أماتها؟ قال ثمان خصال: عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقتلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقتلتم نفسي الموت ولم تستمدوا الله وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فواطعوه على المعاصي وقتلتم تخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقتلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم مريم عيوبكم ورواظهم وكم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأفسختم ربكم فكيف يستجيب لكم. فان قلت لا داعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في الماملة فاشغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار في شواهد الأخبار: أنهم جنود مجنونة وأن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعوه إليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف اللسببات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان. وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره: ثين والأعور ونبسوط وداسم وزنبور، فأما ثين فهو صاحب اللصالب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الحدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فانه صاحب الزنا يأمر به وزيته وأما نبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فانه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميمه باليبس عنده ويفضيه عليهم وأما زنبور فهو صاحب السوق فبسيه لازلون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٢) وشيطان الوضوء يسمى الوهان (٣) وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة، وكأن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في اللاتكة كثرة، وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة اللاتكة واختصاص كل واحد منهم بعمل متفرده، وقد قال أبو أمامة الباهلي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل المؤمن مائة وستون ملكاً يدبون عنه

عطاء يؤثرون على أنفسهم جوداً وكرماً ولو كان بهم خصاصة يبيس جوداً وقرراً. قال أبو حمص الإشاره أن يقدم حظوظه الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الإشار لا يكون عن اختيار إنما الإشار أن تهدم حقوق الخلق أجمع على حرك ولا تميز ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة. وقال يوسف ابن الحسين من رأى لنفسه ملكاً لا يصح منها الإشار لأنه يرى نفسه أحق بالقوة برؤية ملكه إنما الإشار عن يرى الأشياء كلها للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك

(١) الحديث الوارد بأن الله كره بطرد الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوهان تقدم وهو عند من حديث أبي.

مالم يقدر عليه من ذلك ليجر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الديات عن قصعة العسل في اليوم الصائف وما لو بدالك لآيتوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفه عين لاخطفته الشياطين (١) وقال أيوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه بولدمع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تنقني عليه لأتقوى عليه قال لا يؤد لك ولد لاؤكل به ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسينة سيئة وبالحسنة عسرا إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا العبد الذي كرمته على إن لا تنقني عليه لأتقوى عليه قال لا يؤد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم غيظك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أبصار لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسادهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٢) وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليجي بن زكريا عليهما السلام وقال إنني أريد أن أصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا ثقيل على أحدهم حق قته وتتمسكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركتنا منه ثم نفود عليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن نذكره من حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكفرة في أيدي صبيانكم فقلوبهم كيف شئنا قد كفونا أن تقسمهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء . فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتها ولا تترك حقيقة صورتها بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة لما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلوات والسلام في صورته إلا مرتين (٣) وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالقيح وظهر له بحراء فسد الأفق من الشرق إلى الغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبا (٤)

إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إليه . وقال بعضهم حقيقة الاشارة أن تؤثر عظم آخرتك على إخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإشارتها محل أو ذكر من هذا المعنى ما قيل أن بعضهم رأى أخاه فلم يظهر البصر الكثير في وجهه فأفكر أخوه ذلك منه فقال يا أخى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى للمسلمان ينزل عليهما مائة رحمة : تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في المكاييد الشيطان وطب في العجم الكبير بإسناد ضعيف (٢) حديث أبي الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب والحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وحسب في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان وضعفه ولا نحوه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الحنفي وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل في صورته إلا مرتين الشيخان من حديث عائشة وثبت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الآدمي غالبا الشيخان من حديث عائشة وثبت فأين قوله : فدنا فتدلى ، قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث .

فكان براه في صورة دحية الكلبي<sup>(١)</sup> وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكلف أهل الكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما الكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن الكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأله ربه أن يره موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا رجل شبه البور يري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبيه الأيسر بين منكبيه وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكبيه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اليقظة قد رآه بعض الكاشفين في صورة كلب جام على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا يد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم النبي وهو مدخل الألهام والوحي وجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيبصق السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التليس . أما الصورة التي تحصل من الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محكية للصفة ومواقفة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة ومواقفة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان للمعاني ومحكية لها بالصدق ولذلك يدل القرء والخزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عجبية وهي من أسرار عجاب القلب ولا يليق ذكرها بلم العامة وإنما للقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك للملك تارة بطريق التخييل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التخييل بصورة محكية للمعنى هو مثال للمعنى لا عين للمعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محقة ويغرد بمشاهدته الكاشف دون من حوله كالنائم .

( بيان ما يؤخذ به البعد من وساوس القلوب ومحكمها وخوارطها )

وتصودها وما يبنى عنه ولا يؤخذ به )

اعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سباسة العلماء بالشرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمق ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به »<sup>(٢)</sup> وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدي بسية فلا تكتبوها فإن عملها فاكذبوها سية وإذا هم بحسنة لم عملها فاكذبوها حسنة فإن عملها فاكذبوها عشرا »<sup>(٣)</sup> وقد خرجة البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حدث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدثهم قام قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا قالت دحية الحديث (٢) حدث عني لأمق مما حدثت به نفوسها متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمق مما حدثت به أنفسها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدي بسية

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم إجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول : من صحب الصوفية فليصحب بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرا وملكه مباحا وقال روم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالقرء والافتقار والتحقيق بالبدن

دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالبيئة وفي لفظ آخر «من هم بحسنة فلم يعملها كتبته حسنة ومن هم بحسنة فعلها كتبته إلى سبعاثة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت» وفي لفظ آخر «وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها» وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخذه بقوله سبحانه - إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء - وقوله تعالى - ولا تهف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا - فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يفي عنه وقوله تعالى - ولا تكتنوا الشهادة ومن يكتنمها فإنه آثم قلبه - وقوله تعالى - لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم - والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فقول : أول ما يراد على القلب الخاطر كالخطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لراكها . والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسبته ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تثبت الحجة والنية ما لم تندفع الصور فإن قد ينمعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصور فربما يكون تأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والليل . الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسيجهما بالفضل ونية وقصدا وهذا المهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أضى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا المهم وصار إرادة مجزومة فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بهذا الجزم فيترك العمل وربما يغفل بمرض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يوقه عائق فيعتذر عليه العمل فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالخارحة : الخاطر وهو حديث النفس ثم الليل ثم الاعتقاد ثم المهم . فقول : أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الليل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما اللذان بقوله <sup>عليه السلام</sup> «عنى عن أمي ما حدثت به نفسها» حديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما المهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم «يا رسول الله نسي تحذني أن أطلق خولة . قال مهلا إن من سنق النكاح . قال نسي تحذني أن أحب نفسي . قال مهلا خضاء أمي دؤب الصيام . قال نسي تحذني أن أترهب . قال مهلا رهبانية أمي الجهاد والحج قال نسي تحذني أن أترك الحج . قال مهلا قاذي أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه (١)»

والإيثار وترك التعرض والاختيار . قبل الماسى بالصوفية وغير الجند بالهقه وقبض على الشحام والرقام والنورى وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النورى قليل له إلى ماذا تبادر ؟ فقال أوثر إخواني بفضل حياة ساعة ، وقيل دخل الروذبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته منلق فقال صوفى وله باب منلق افسكروا الباب فكسروه وأمر جميع ما وجدوا في البيت أن يباع فأفسدوه إلى السوق واخذوا رقفا من الثمن وقعدوا في الفهار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا ودخلت امرأته وعليها



فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطراباً أو اختياراً والأحوال تختلف فيه فالاختيارى منه يؤخذ به والاضطرابى لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو الهمم بالفعل فانه يؤخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفاً من الله تعالى وتدا على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهمم على وفق الطبع مما يدل على تمام التفقه عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى أشده من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكاتبه حسنة لأنه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن توق القل بمائق أو تركه لاختوفاً من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختيارى . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح مفصلاً في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت لللائكة عليهم السلام رب ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال اربقوه فإن هو عملها فاكذبوها له بثلثها وإن تركها فاكذبوها له حسنة إنما تركها من جرأى (١) » وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها لله فأمّا إذا عزم على فاحشة فتصدرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم (٢) » ونحن نعلم أن من عزم ليلاً على أن يصبح ليقول مسلماً أو زنى بامرأة فمات تلك الليلة مات مصراً ويحشر على نيته وقد هم ببسطة ولم يعملها . والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا اتقى المسلمان ربيهما فالتقتا والمقتول في النار قليل يارسول الله هذا القتال لما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه (٣) » وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوماً فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والهمم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة وتقص العزم بالندم حسنة فذلك كتبت له حسنة فأما قوت الراد بمائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فال مؤاخذ به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تسدوا

ولكن عليك يا ابن مظلوم بالصيام فإنه مجفرة ولأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله ابن عمرو خضاه أفي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظلوم قال يارسول الله ائذن لي في الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة والتكبير على كل شرف الحديث وه بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سنن وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد العمى وهو ضيف وأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمي الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت لللائكة رب ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال المصنف إنه في الصحيح وهو كذا قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنما يحشر الناس على نياتهم . من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يعث الناس على نياتهم وإسنادهما حسن وم من حديث عائشة يعثهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يعثون على نياتهم (٣) حديث إذا اتقى المسلمان ربيهما فالتقتا والمقتول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء فدخلت بيتاً  
فمرت بالكساء وقالت  
هذا أيضاً من بقية الناع  
فيعوه فقال الزوج لها  
لم تكلفي هذا باختيارك  
قالت استصكت مثل  
الشيخ يأسطنا وبحكم  
علينا ويبقى لنا شيء  
ندخره عنه . وقبل  
مرض قيس بن سعد  
فأسبغوا إخوانه في  
عيادته فسأل عنهم  
فقالوا إثم يستحيون  
بمالك عليهم من الدين  
فقال أخزى الله ملائمتهم  
الاخوان عن الزيارة ثم  
أمر منافقاً ينادى من  
كان قيس عليه مال  
فهو منه في حل  
فكسرت عتبة داره  
بالشيء لكثرة عواده .  
وقيل أن رجلاً صديقاً  
له ودق عليه الباب  
فلما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - « جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا يطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم بحاسب بذلك قال صلى الله عليه وسلم : لمسلم يقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا وقالوا سمعنا وأطعنا (١) » فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - فظهر به أن كل ما يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف النقاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا يد وأن يقطر وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والفتاوى والحسد وجملة الجائزات من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بشيء اختار على غير ذى محرم لم يؤاخذ به فإن أعيينا نظرة ثانية كان مؤاخذا به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التقوى ههنا وأشار إلى القلب (٢) » وقال الله تعالى - لن نزال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منك - وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حواز القلوب (٣) » وقال « البر ما اطمان إليه القلب وإن أتوك وأتوك (٤) » حتى إذا قول إذا حكم القلب للفق بإيجاب شيء وكان غططنا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فقلبه أن يصل فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بعله فإن تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك لظفر إلى القلب دون الجوارح .

( بيان أن الوسواس هل يتصور أن يقطع بالكلية عند الذكر أم لا )

اعلم أن العلماء الرافقين للقبول الناظرين في صفاتها ومجائباتها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق : قتالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خنس (٥) » والحنس هو السكوت فكأنه يسكت . وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثير بالوسوسة كالشغل بهجه فانه قد يكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد على ضعف . وقالت فرقة يتعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متعاقبة يظن لغزارها أنها متساوقة وهي كالكرة التي عليها قط متفرقة فانك إذا أردتها بسرعة رأيت القط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الحنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكما أن الانسان قد يرى بينه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا يطيق الحديث م من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره (٣) حديث الإثم حواز القلوب تقدم في العلم (٤) حديث البر ما اطمان إليه القلب وإن أتوك وأتوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وإن أئتلك الناس وأتوك وقد تقدم (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدى من حديث أنس في أثناء حديث إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الجديدي وقد تقدم قريبا .

جنتي ؟ قال لأربعة  
درم دين على فدخل  
الدار ووزن أربع مائة  
درم وأخرجها إليه  
ودخل الدار باسكيا  
فقال امرأته هل تأملت  
حين شق عليك الإجابة  
فقال إنما أبكي لأن لم  
أفقد حاله حتى احتاج  
أن يفانئني . وأخبرنا  
الشيخ أبو زرعة عن  
أبيه الحافظ القدسي  
قال أنا محمد بن محمد إمام  
جامع أصفهان قال ثنا  
أبو عبد الله الجرجاني  
قال أنا أبو طاهر محمد بن  
الحسن الحمد أباذي  
قال ثنا أبو البحتري قال  
ثنا أبو أسامة قال ثنا  
زيد بن أبي بردة عن  
أبي موسى قال قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إن  
الأعصرين إذا أرموا

القلب قد يكون مجرى لشئين فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يصير بهما أمر دينه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه » (١) وإلى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه اللذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف: الأول أن يكون من جهة التلبس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان تترك التمسك بالذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فتد هذا إذا ذكر البعد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر البعد وعد الله تعالى ووعد به وجد إيمانه وقيته خفس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أهدى من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول للصبر لا تضيق إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالعجب بعمله فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويسبده كما تسبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيترك البعد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يجب به فيخفس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكيفية عن العارفين المستبشرين بنور الإيمان والمعرفة . الصنف الثاني : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم إلى ما يلزم البعد فينبأ أنه مصيبة وإلى ما يلزم الظن فإن علمه يقينا خفس الشيطان عن تهيج يورث في تحريك الشهوة ولم يخفس عن التهيج وإن كان مظنوناً فربما يبقى مؤثراً بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبية . الصنف الثالث : أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالية والتفكير في غير الصلاة مثلاً فإذا أقبل على الله كر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الله كر والوسوسة ويتصور أن يساقوا جميعاً حتى يكون الفهم مشتتاً على فهم معنى التراءى وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعد جداً أن يندفع هذا الخفس بالكيفية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالاً إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) فلو أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فإننا قد نرى للمتوصب القلب يبدو تأذي به قد تفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجاهدة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في مجاهدة محبوه بقلبه ويفوس في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرس على مال وجه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرس على الجنة ولكن ذلك عزز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأنعام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من اللذاهب وجهاً ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمراً طويلاً بعيداً ومحال

في الغزو وقل طامع  
عياهم جمعوا ما كان  
عندهم في ثوب واحد ثم  
انقسموا في إناء واحد  
بالسوية فهم متى وأنا  
منهم . وحدث جابر  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « أنه إذا أراد  
أن يفرو قال : يا معشر  
الهاجرين والأنصار  
إن من أخوانكم قوما  
ليس لهم مال ولا عدة  
فليضم أحدكم إليه  
الرجل والرجلين  
والثلاثة للأحدكم من  
ظهره إلا عقبة  
كفية أحدكم » قال  
فضمنتم إلى اثنين  
أو ثلاثة مالى لإعابة  
كفية أحدكم من جملة .  
وروي أنس قال لما قدم  
عبد الرحمن بن عوف  
للدنية آخى النبي عليه  
السلام بينه وبين سعد

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يصير بهما أمر دينه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن بلقظ الأخرى مكان دينه وفيه الحسين بن أحمد بن محمد المزوي البخاري الحافظ كذب ك والآفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا تقدم في الصلاة .

في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتيسر له الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روى: «أنه نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رى بذلك الثوب وقال شغلي عن الصلاة وقال انهبوا به إلى أبي جهل واتوني بأنجانيتي» (١). «وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على اللبر ثم رى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم» (٢). وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريكه النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لمسه ثم رى به فلما قطع وسوسة عروض الدنيا وهداها إلى البرى والمقارفة فنادى على شياوراء حاجته ولو ديناراً واحداً لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفيهاذا ينفعه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد وأكيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب محالها في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن اتقى في الملل وظن أن الدباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل العاصي فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فإن أبى أمره بالتحريج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجها عن العلم فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً غنياً فتميل قلوبهم إليه فيحبب نفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويسلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة.

(بيان سرعة قلب القلب واحكام القلوب في التغير والثبات)

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء ريثاً به أصابه من جانب آخر ما يصاده فتغير صفته فإن زل به الشيطان فدعا إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنوناً جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره فتارة يكون متنازلاً بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قطعهما وإليه الإشارة بقوله تعالى - وتقلب أقدنهم وأبصارهم - ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول «لا ومقلب القلوب» (٣) وكان كثيراً ما يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء» (٤) وفي لفظ آخر «إن شاء أن يقيه أقامه وإن شاء أن يزيفه أزاعه» وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثاً مثلاً فقال «مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة» (٥) وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في ثوبه في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه على اللبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث من حديث أنس وحسنه وك من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرطه ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى ك وصحه على شرطه من حديث التماس بن سمعان ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاعه ون في الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة ك في المستدرک وقال صحيح على شرطه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح قلت رواء البقوى في معجمه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا.

ابن الربيع قال له أقامك مالي نصفين ولى امرأتان فأطلق أحدهما فإذا انقضت عدتها فزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في أهلِكَ ومالك فما حمل الصوفى على الاشارة إلى طهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفياً إلا بسد أن سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخا والسعي يوشك أن يصير صوفياً لأن السخا صفة القرينة وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - حكم بالقلاح لمن يوق الشح وحكم بالقلاح

«مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا<sup>(١)</sup>» وقال «مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن<sup>(٢)</sup>» وهذه التقلبات ومحاجبات صنع الله تعالى في قلبها من حيث لا تهتدى إليه للعرف لا يعرفها إلا الراقبون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالتقوى وذاك بالرياسة وطهر عن خبايا الأخلاق تتدفق فيه خواطر الخير من خزائن القلب ومدخل للساكوت فيصرف العقل إلى التفكير . فما خطره ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فيكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به وينظر للكل إلى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بقواه مستقرا بضيء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهيئا فعند ذلك يحده بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة : بقوله تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفى الذي هو أخفى من ديب الخلة السوداء في الأيلة الظلمة فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من الملل كات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سذكها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكير والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب الطمأن الذي أراد بقوله تعالى - ألا بدكر الله تلمحن القلوب - وبقوله عز وجل - يا أيها النفس للطمئة - . القلب الثاني : القلب الخنول للشجون بالهوى للدنس بالأخلاق المدمومة والحجاث الفتوح فيه أبواب الشياطين للسود عنه أبواب اللامعة ومبدأ الشر فيه أن يتدفق فيه خاطر من الهوى ويهيج فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفيق منه ويستكشف وجه الصواب فيه . فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على انبساط الخيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فيشرح الصدر بالهوى وتبسط فيه ظلمات الانجاس جند العقل عن مدافسته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالترزين والترور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخج نور اليقين لحوف الآخرة إذ يتضاعف عن الهوى دخان مظلم إلى القلب عملا جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالمين التي ملأ الدخان أجفائها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأمنه ماهو الحق فيه عمن عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة في وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت اللصية إلى عالم الشهادة من ظلم القلب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكلا . - أم تحسب أن أكرمهم يسمىون أو يقرأون إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل مبيلا - وبقوله عز وجل - لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وبقوله تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى

لمن ألقى وبذل قال  
سومارز قنارم ينفقون  
أولئك على هدى من  
ربهم وأولئك هم  
الفلحون - والفلاح  
أجمع اسم لسعادة  
الدارين والتي عليه  
السلام فبه بقوله ثلاث  
مهلكات - وثلاث  
منجيات فجعل إحدى  
المهلكات شعرا مطاعا .  
ولم يقل مجرد الشح  
يكون مهلكا بل يكون  
مهلكا إذا كان مطاعا  
فأما كونه موجودا في  
النفس غير منقطع فانه  
لا ينكر ذلك لأنه من  
لوازم النفس مستمدا  
من أصل جبلتها التراب  
وفي التراب قبض  
وإسكاف وليس ذلك  
بالعجب من الأدنى  
وهو جلي فيه وإعما  
العجب وجود السخاء

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا أحمد و ك وقال صحيح على شرطه من حديث القنادين الأسود (٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة الحديث الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن والبراز نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف :

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مسالك قلبه أوكالدى لا يملك نفسه فبقاه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للثبوت عند ظهور أسبابه أوكالدى لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحق وز كريعب من عيوبه أوكالدى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أودينار بل يهلك عليه تهالك الواله للستتر فيسقى فيه للروءة والقوى فشكل ذلك لتساعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وتتطفي منه أنواره فينطفئ نور الحياء وللروءة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث قلب يبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحظه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتثبت النفس بشهوتهما إلى نصرة خاطر الكفر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتمتع فيثبت العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويبيع قلبها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالهيمسة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعوالم تحصيل النفس إلى نصح القلب فيعمل الشيطان حيلة على العقل فيقوى داعى الهوى ويقول ما هذا الصرح البارد ولم تتمتع عن هواك فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك فرغته أو يترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتجرى تسلك حتى يبقى محروما شقيا متعبا يشحك عليك أهل الزمان أقر يد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتيت ولم يتمتعوا أما ترى العالم الثلاثي ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتصلي النفس إلى الشيطان وتتقلب إليه فيعمل لك حيلة على الشيطان ويقول هل هلك إلا من أتبع لذة الحال ونسى العاقبة أتقتنع بآلة سيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبدأ أباد أم تستقل أم الصبر عن شهواتك ولا تستقل أم النار أتتربص بشفقة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك مصيبة غيرك أرايت لو كنت في يوم صائف شديد الحار ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب نفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخافهم خوفا من حر النار فعند ذلك تحتل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين إلى أن يضل على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأولياته ومساعد لحزب الشيطان وأعدائه وجري على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات للكلية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب ألقى القلب والاتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أوسع حزب الشيطان فتأخر من الجانبين وهذه الطاعات والمأصى تظهر من خزان القلب إلى عالم الشهادة بواسطة خزنة القلب فانه من خزان للسكرات وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق لجنة يستر له أسباب الطاعات ومن خلق النار يستر له أسباب المأصى وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يفر الحق بقوله إن الله رحيم فلا يزال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا - يمدح وينبهم وما يمدح الشيطان إلا غرورا - يمدح التوبة وينبهم للتفرد فيهلكهم باذن الله تعالى بهمه الحيل وما يجرى مجراها فيوسع قلبه قبول الضرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك قضاء من الله وقدر سلف رده أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضل يضل جعل صدره ضيقا حرا كما كما يمدح في السماء . - إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده - فهو الهادى

في التربة وهو نفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والابتلاء والسخاء ثم وأكل من الجود ففي مقابلة الجود والبخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل بطرق إلى السخاء الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة التربة وكل معنى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة التراتر والله تعالى منزله من التربة والجود بطرق إليه البراء ويأتي به الانسان متطلبا إلى عوض من الحق أو الحق بمقابل ما من

واللذل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا أراد لحكمه ولا مقب لتضائه خلق الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال - إن الأبَر لي نعيم وإن التجار لي جحيم - ثم قال تعالى فيا روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي » فقال الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ولنتقصر على هذا القدر اليسير من ذكر محابب القلب فإن استقصاءه لا يليق بلم العامة وإعازد كرتنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المامة وأسرارها لينتفع بها من لا يقع بالظواهر ولا يجترى بالقشر عن الباب بل يشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيها ذكرناه كفاية لمؤمن إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق . ثم كتاب محابب القلب لله الحمد ولله ، ويتلو كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

### ﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

( وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربيع لله للسلكات )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن تقويعه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهد العبد وتكميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عبادته تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتيسيل صعبه وعسيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وصبيه وصفيه وبشره ونذيره الذي كان يوح أنوار النبوة من بين أسرارِهِ ويستشرف حقيقة الحق من غايته وتبشيرِهِ وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام من ظلمة الكفر ودباجرِهِ وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين ومجرة مجاهدة للتقين ورياضة للتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة وللهلكات الدامغة والمجازى الفاضحة والذائل الواضحة والخبائث للبدعة عن جوارب المالمين للنخوة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى للوقدة التي تطلع على الأفتدة كأن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الجسيمة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يغوت حياة الأبد . وأبين منه المرض الذي لا يغوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الغاية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تملسه على كل ذي لب إذ لا يخفى قلب من القلوب عن أسقامها لو أهملت تراكت وترادفت الملل وظاهرت فحتاج العبد إلى تأق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها ليعالجها ليعالجها هو للراد بقوله تعالى - قد أفلق من زكاهها - وإحلالها هو للراد بقوله - وقد خاب من دسها - ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن كزاعة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الإسناد .

﴿ محكمات رياضة النفس ﴾

الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسجاء لا يتطرق إليه الزيادة لأنه ينبع من النفس الزكية للترغمة عن الأعواض دنيا وأخرة لأن طلب العوض مشعر بالجهل لكونه معاولا بطلب العوض لها تيمحض سخاء فالسجاء لأهل الصفاء والائثار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى - إنما نطمعكم لوجه الله لا نريد منهكم جزاء ولا شكورا - أنه نفي في الآية الإطعام لطلب الأعواض حيث قال لا نريد بهد قوله لوجه الله فما كان له لا يشعر بطلب العوض بل القرينة لطهارتها تنجذب إلى مراد الحق

لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الريع وغرضنا الآن النظر السكلي في تهذيب الأخلاق وتعميد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثلاً له ليقرب من الأفهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم يان حقيقة حسن الخلق ثم يان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ثم يان السبب الذي به يتال حسن الخلق ثم يان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ثم يان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم يان الطرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ثم يان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم يان علامات حسن الخلق ثم يان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ثم يان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلاً يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

( يان فضيلة حسن الخلق ومثمة سوء الخلق )

قال الله تعالى ثيبه وحبيبه مثنياً عليه ومظهرها نعمته لديه - وإنك لملى خلق عظيم - وقالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن <sup>(١)</sup> » وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق. فقال قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - ثم قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يثبت لأتكم مكارم الأخلاق <sup>(٣)</sup> » وقال <sup>(٤)</sup> « أتقول ما يوضع في اللسان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق <sup>(٥)</sup> » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأثابه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أثابه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أثابه من وراءه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت إليه وقال أما تفقه هو أن لا تنضب <sup>(٦)</sup> » وقيل « يا رسول الله ما الشر قال سوء الخلق <sup>(٧)</sup> » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال « اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بحقائق حسن <sup>(٨)</sup> » وسئل عليه السلام « أي الأعمال أفضل قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطمعه النار <sup>(٩)</sup> » وقال الفضيل <sup>(١٠)</sup> [ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيراتها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار » وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع في اللسان حسن الخلق والسخاؤ ولما خلق الله الإنسان

للمرض وذلك أكل السخا من أطهر الفرائز. روت أسماء بنت أبي بكر قالت : قلت يا رسول الله ليس لي من شيء إلا ما أدخل على الزبير فأعطى، قال نعم لا نوكي فيوكي عليك . ومن أخلاق الصوفية التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة . قال سفيان الاحسان أن تحسن إلى من أساء إليك فإن الاحسان إلى الحسن متاجرة . صنفه السوقي خذ شيئاً وهات شيئاً وقال الحسن الاحسان أن تم ولا تخش كالشمس والريح والنبث . وروى أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت قصوراً مشرفة

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند م (٢) حديث تأويل قوله تعالى - خذ العفو - الآية هو أن تصل من قطعك ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان (٣) حديث بشت لأتكم مكارم الأخلاق أحمد وك والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصلحة (٤) حديث أمقل ما يوضع في اللسان خلق حسن دت وصححه من حديث أبي الدرداء (٥) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر للروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسل (٦) حديث ما للشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبي داود من حديث رافع بن مكيت سوء الخلق شؤم وكلامه لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصني قال اتق الله حينما كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه قطعته النار تقدم في آداب الصلحة .

[١] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرج الرقاق ولم يثبه عليه وقد تقدم في باب الصلحة فليتأمل .



قال اللهم قوتي قنواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوتي قنواه بالبخل وسوء الخلق (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق إلا فزينا دينكم بها» (٢) وقال عليه السلام «حسن الخلق خلق الله الأعظم» (٣) وقيل «يارسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ينسط الوجه وحسن الخلق» (٥) وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» (٦) وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك» (٧) وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً (٨) وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنهم خلقاً (٩) وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنهم خلقاً (١٠) وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقه» (١١) وعن أسامة بن شريك قال «شهدت الأعرابي يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطى العبد قال : خلق حسن» (١٢)

(١) حديث أبي الدرداء أول ما يوضع في اللوزان حسن الخلق الحديث لم أتف له على أصل هكذا ولأبي داود وث من حديث أبي الدرداء ما من شيء في اللوزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث المنار قطنى في كتاب المستجاد والخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (٤) حديث قيل يارسول الله أي المؤمنين أفضلهم إيماناً قال أحسنهم خلقاً ذنك من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح بلفظ أكل المؤمنين والطبرانى من حديث أبي أمامة أفضلكم إيماناً أحسنكم خلقاً (٥) حديث إنبيكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ينسط الوجه وحسن الخلق البراز وأبو يعلى والطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البراز رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضاً وضمفهما ابن جرير (٧) حديث إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الخرائطى في مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى في كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً الخرائطى في مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبي مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى الخرائطى في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدرى وإما هو ابن مسعود أى عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الخرائطى في مكارم الأخلاق بإسناد فيه لين (١١) حديث أبي هريرة حكى للرددينه ومروءته عقه وحسن خلقه حب و ك وصحبه على شرطه والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعفين ثم رواه موقوفاً على عمر وقال إسناده صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعرابي يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى العبد قال خلق حسن ه وتقدم في آداب الصفة .

على الجنة قتلت  
باجبريل لمن هذه  
قال للكاظمين القبط  
والعاقين عن الناس  
روى أبو هريرة رضى  
الله عنه «أن أبابكر  
رضى الله عنه كان  
مع النبي صلى الله  
عليه وسلم في مجلس  
لجاء رجل فوقع في  
أبي بكر وهو ساكن  
والنبي عليه السلام  
يتبسم ثم رد أبو بكر  
عليه بعض الذي قال  
فغضب النبي وقام  
فلجحه أبو بكر فقال  
يارسول الله شتمنى  
وأنت تبسم ثم رددت  
عليه بعض ما قال  
فغضبت وقلت فقال  
إنك حيث كنت  
ساكناً كان معك  
ملك يرد عليه فلما  
تكلمت وقع الشيطان

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا» (١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تتعدوا بشئ من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفه أو خلق يعيش به بين الناس» (٢) وكان من دجائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» (٣) وقال أنس بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال «إن حسن الخلق ليذهب الخطيئة كما تذهب الشمس الجليد» (٤) وقال عليه السلام «من سعادة للراء حسن الخلق» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «اليمين حسن الخلق» (٦) وقال عليه السلام لأيذر «يا أبا ذر لا تغفل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق» (٧) وعن أنس قال «قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت للراءة يكون لها زوجان في الدنيا فتتو وتيموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون» قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن السلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته» (٩) وفي رواية «درجة الظلمكان في المواجه» وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال «إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أممي جائيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى» (١٠) وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن البعد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف النازل وإنه لنصف في العبادة» (١١) وروى «أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته

فلم أكن لأقصد في مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلهن جوق ليس عبد يظلم بظلمة فيعفو عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة . أخبرنا ضياء

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا طس طس من حديث أبي هريرة إن أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا ولطبراني في معارج الأخلاق من حديث جابر إن أقربكم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصعبة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يتعد بشئ من عمله الحديث الحرايطي في معارج الأخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي معارج الأخلاق من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدني لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث علي (٤) حديث أنس إن حسن الخلق ليذهب الخطيئة كما يذهب الشمس الجليد الحرايطي في معارج الأخلاق بسند ضعيف ورواه طب وطس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة للراء حسن الخلق الحرايطي في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث اليمين حسن الخلق الحرايطي في معارج الأخلاق من حديث علي باسناد ضعيف (٧) حديث يا أبا ذر لا تغفل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ه ح من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يا رسول الله رأيت للراءة يكون لها زوجان الزوجان الطبراني في الكبير والحرايطي في معارج الأخلاق باسناد ضعيف (٩) حديث إن السلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيهما ابن أبي شيبة (١٠) حديث عبد الرحمن بن سمرة إني رأيت البارحة عجبا الحديث الحرايطي في معارج الأخلاق بسند ضعيف (١١) حديث إن البعد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والحرايطي في معارج الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب معارج الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصفيانيين من حديث أنس باسناد جيد

الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا الكرخي قال أنا الترياق قال أنا الجبراحي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرقاعي قال ثنا محمد ابن فضيل عن الوليد ابن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل من

فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بضحك فقال عمر رضي الله عنه م فضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال بحيث لهؤلاء ، اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهينك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا بعدوات أنفسهن آهني ولا تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إياها يا ابن الخطأب والذي نفسي بيدي ما قبلك الشيطان قط سالكا بيا لإسلاكك بيا عرجك (١) «وقد صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا يفر وسوء الظن خطيئة تفوح» (٢) وقال عليه السلام «إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم» (٣) الآثار : قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الحاصل من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين وللحال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين وللحال والحياء قال فإذا كانت أربعاً قال الدين وللحال وللحال وحسن الخلق قال فإذا كانت خمساً قال الدين وللحال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستاً قال يابني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو عتيق لله ولئى ومن الشيطان يرى وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترفع ولا تهاد طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيء الخلق . وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فليل في ذلك فقال بكيت رحمة له فارقت وخلفه معه لم يفارقه . وقال الجنيدي : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن عمل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال السكثاني التصوف خلق لمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ، وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزيز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلهم حسبا ، وقال لسكن بنيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا للمطفي صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

### ( بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق )

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصفروا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

- (١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا يفر الحديث طعن من حديث عائشة ما من شيء إلا له توبة إلا صاحبه سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه وإسناده ضعيف (٣) حديث إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل من درك جهنم الطبراني والحرابي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصفيانيين من حديث ألس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بحديثين .

حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكونوا إيمة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن غفلوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا » وقال بعض الصالحين « يا رسول الله الرجل أمر به فلا يقربني ولا يضيئني فيمربي فأجزبه قال لا اقربه » وقال الفضيل الفتوة الصنع عن عثرات الإخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الواصل للكمال ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مكارم الأخلاق

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندي وكف الأذى . وقال الواسطي هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من عدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرمانى : هو كف الأذى واحتمال المؤمن . وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيا بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك للكفاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يتم الحق في الرزق ويشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال على رضى الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بمد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لأنفسه ثم ليس هو محيط بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة فقول الخلق والخلق عبارتان تستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الانسان مركب من جسد تدرك بالبصر ومن روح ونفس تدرك بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما بيحة وإما جميلة فالنفس للدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد للدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بضافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشرًا فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - فيه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، وللراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي للصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل للال على التدور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت راسخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بمجرد روية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجليل والقيس . والثاني القدرة عليها . والثالث المعرفة بها . والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل قرب شخص خلقه السخاء ولا يبدل إما لفقد المال أو لما منع وربما يكون خلقه البخل وهو يبدل إما لباعث أولياءه وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بل إلى الشدين واحد وكل إنسان خلق بالطرفة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجليل والقيس جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن للمنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستمد النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والقدم والحيد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتماثلت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم فحسنها وصلاحيها في أن تصير بحيث يسهل بها ذلك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجليل والقيس في الأفعال فاذا

أن تفو من ظلك  
وتصل من قطعك  
وتطلى من حرملك  
ومن أخلاق الصوفية  
البشر وطلاقة الوجه.  
الصوفي بكاؤه في خلوته  
ويشبه وطلاقة وجهه  
مع الناس فالشعر على  
وجهه من آثار أنوار  
قلبه وقد تنازل باطن  
الصوفي منازل الهيبة  
ومواهب قدسية  
يرتوي منها القلب  
ويتملى فراحا سرورا  
قل بفضل الله وبرحمته  
فبذلك فليفرحوا -  
والسرور إذا تمكن من  
أقلب فاض على الوجه  
آثاره قال الله تعالى  
-وجوه يومئذ مسفرة-  
أى مضيئة مشرقة  
تستشعر سائر فرحة  
قبل أشرفت من طول  
ما أغرت في سبيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعنى إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح للشيء وقوة العدل هي القدرة ومثاله مثال المنفذ للمضي لأشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقه بحسب الإشارة لا يحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال القرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جوحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الضمنية واعتدالها يبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يبر عنه بالغة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جودا والهمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان ذنبتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد مقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجريزة ويسمى تخريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والصفوة والعدل ، ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأحوال الاختيارية ، ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتخبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ، ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب متقادة للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالغة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدل هذه الأصول الأربع تصدر الأخلاق الجليلة كلها إذ من اعتدل قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الفهم وتقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن للقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجريزة للسكر والغداع والبغاء ومن تخريطها يصدر البلبه والتمارة والحق والجنون ، وأعني بالتمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فتدركون الإنسان غمرا لى شيء دون شيء والفرق بين الحق والجنون أن الأخير مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق للوصول إلى الغرض . وأما الجنون فإنه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإشارة فاسدا . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والتجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم النيت والوقار والتودد ومثاله وهي أخلاق محمودة . وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبخع والاستساطة والتكبر والعجب . وأما تخريطها فيصدر منه اللهانة والذلة والجور والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والسامحة والتباعد والورع والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع ، وأما ميلها إلى الانفراط والتفريط فيحصل منه الحرص والبره والوقار والحيث والتبذير والتقصير والرياء والمتسكة والمجانة والبث واللق والحسد والتمائم والتدليل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأهملت محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع وهي الحكمة والشجاعة والصفوة والعدل والباقى فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من

الله ومثال بعض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والشفقة قالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا تم القلب بلاية للسامة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى - تعرف في وجوههم نضرة النعيم - أي نضارته وبريقه يقال أنضر النبات إذا أزهى ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - قلبا نظرت نضرت فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصرهم بنور المشاهدة وانصرفت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلى ولذا شرقت الشمس على المرأة لامتقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال ، ومن انكف عن هذه الأخلاق كلها وانصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين البعدي فينبغي أن يمد كان الأول قريب من الملك للقرب فينبغي أن يقتدى به ويتقرب إليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلا ليتمم كرام الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أو صف المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتبى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصالحين فقال - أشيلاء على الكفار رحماء بينهم - إشارة إلى أن للشدة مضعوا ولراحمهم مضعوا فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه ويان أركانه وثمراته وفروعه.

### (بيان قبول الأخلاق لتغيير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استعمل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتركبة النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمع نفسه بأن يكون ذلك قصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كان الخلق هو صورة الظاهر فالخلق الظاهر لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبيح الباطن يجري هذا المجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يقمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى الزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضيق زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع انفعال القلب إلى الخلوطة والعاجلة وذلك حال وجوده . فقولوا كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والوعاظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ «حسنوا أخلاقكم» (٢) وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البرية يمكن إذ ينقل البازي من الاستيحاء إلى الأسس والكعب من شره إلى كل إلى التأديب والامساك والتخلية والفرس من الجماع إلى السلاسة والاقبال وكل ذلك تغيير للأخلاق . والقول الكاشف للقطاء عن ذلك أن يقول للوجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسما والكواكب بل أعضاء البدن داخلاً وخارجاً وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكاله وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد تربط باختيار العبد بأن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخله إذا انضاف التربة إليها ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا تربة فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تحبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قبحهما وتقرهما بالكيفية حتى لا يبق لهما أثر لم تقدر عليهما أصلاً ولو أردنا سلامتهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما وقد أمرنا بذلك وسار ذلك سبب نجاحنا ووصولنا إلى الله تعالى . نعم الجبلات مختلفة بعضها سرية القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة التربة في أصل الجبلية وامتناده من القوة وجوداً وقوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أمعها أمراً وأعصاها

الجدران قال الله تعالى  
- سيام في وجوههم  
من أزال السجود وإذا  
تأثر الوجه بسجود  
الظلال هي القلوب  
في قول الله تعالى  
- وظلالهم بالسود  
والأصا - كيف لا يتأثر  
بشهود الجبال . أخبرنا  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا  
الكرخي قال أنا  
الترابي قال أنا الجراحي  
قال أنا المحبوبي قال أنا  
أبو عيسى الترمذي قال  
ثنا قتيبة قال ثنا  
السيكندر بن محمد بن  
السيكندر عن أبيه عن  
جابر بن عبد الله قال  
قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم «كل معروف  
صدوق وإن من المعروف  
أن تلقى أخاك بوجه  
طلق وأن تفرغ من

(١) حديث يثبت لأتم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصلبة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر ابن لائق مكارم الأخلاق من حديث معاذ بن معاذ حسن خلقك لئلا ينقطع رجاءه ثقات .

على التشهير قوة الشهوة فانها أقدم وجوداً إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قديماً كد بكرة العمل بمقتضاه والطاعة له وبعثاد كونه حسناً ومرضياً والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجمل والتيسع بل يبق كالفطر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستقم شهوته أيضاً باتباع اللذات فهذا سريع القبول للسلاج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح التيسع ولكنه لم تعود العمل الصالح بل زينه له سوء عمله فتماطاه اعتياداً لشهوته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم قصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت لوظيفة عليه إذ عليه قلع مارسع في نفسه أولاً من كثرة الاعتياد للفساد والآخر أن يفسد في نفسه صفة الاعتياد للصالح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهى لها بجد وتشهير وحزم . والثالثة أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجمل وترى عليها فهذا يكاد يتمتع بمعالجته ولا يرجى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نفسه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويأبى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب الراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة المجرم ومن التصديق تهذيب الأديب والأول من هؤلاء جاهل قط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشريد ، وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم إن الأديم مادام حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن القصد من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيئات فإن الشهوة خلقت لقائمة وهي ضرورية في الجيلة فلا توقطت شهوة الطعام لمهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهذا ومهما بق أصل الشهوة فيبقى لأعماله حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال وليس المطلوب إمالة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يغلو عن التهور وعن الجبن جريماً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته متقاداً للعقل ولذلك قال الله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وصفهم بالشدة وإعما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم يشكوا من ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا بشر أعزب كما يغضب البشر <sup>(١)</sup> » . « وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان عليه السلام لا يخرج غضبه عن الحق <sup>(٢)</sup> » وقال تعالى - والكاذبين القبيظ والمافين عن الناس - ولم يقل والقاذبين القبيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لها والغالب عليهما

(١) حديث إنما أنا بشر أعزب كما يغضب البشر م من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرج عن الحق الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمك فتأون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه لهما من حديث عائشة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ولسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دلوك في إناة أخيك»  
وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيدي  
يعجبني من القراء كل  
سئل طلق مضحك .  
فأما من تلقاه بالبشر  
ويلفك بالعبوس كأنه  
يمن عليك فلا أكثر  
الله في القراء مثله ومن  
أخلاق الصوفية السهولة  
ولبن الجانب والتزول  
مع الناس إلى أخلاقهم  
وطباعهم وترك  
التعسف والتكلف  
وقد روى في ذلك عن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أخبار  
وأخلاق الصوفية  
تحكي أخلاق رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
وكان يقول عليه الصلاة  
والسلام «أما إني أمزح  
ولا أقول إلا حقاً» روى  
«أن رجلاً قال له زاهر

يمكن وهو المراد بتغيير الخلق فإنه ربما تستولى الشهوة على الإنسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانبساط إلى الفواحش وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك يمكن والتجرب بقلوب المشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خاف محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أثبت الله تعالى عليه فقال - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشراهة والجود قال الله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب للسرفين - وقال في الغضب - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال **عليه السلام** «خير الأمور أوسطها» (١) وهذا ليس تحقيق وهو أن السعادة منوطه بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إلامن أتى الله قلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منها أي لا يكون ملتفتا إلى اللال ولا يكون حرصا على إبقائه ولا على إمساكه فإن الحرص على الاتفاق مصروف القلب إلى الاتفاق كما أن الحرص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك فكان كالقلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ماهو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فإن القاتل لآحار ولا يبرد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشراهة والجود وكذلك سائر الأخلاق فكل طرفي الأمور نعيم هذا هو المطلوب وهو ممكن ، نعم يجب على الشيخ للرشد للمريد أن يقيع عنده الغضب رأسا ويقيم إمساك اللال رأسا ولا يرخس له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء غلته وغضبه وظن أن القدر للرخص فيه فإذا قصد قطع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سوره بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب أن أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فإنه موضع غرور الحق إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق .

( بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة )

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشعر أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما بوجود الحق وكال فطري بحيث خلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقنا معتدلين متقادين للعقل والشعر فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعميس بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكْتِسَاب فربما خلق صادق الهجة سخيا جريا وربما خلق بخلافا فيحصل ذلك فيه بالاعتدال ومخالطة للتخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعليم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق للمطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكففه على فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواطئ عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواطئ على أفعال للتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعيا فيتيسر عليه ما يرجع الأخلاق المحموده شرعا فتحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسعي هو الذي يستل بذل المال الذي يذله دون الذي يذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستل التواضع ولئن ترسخ

ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأبى إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهديا إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاتحضته النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام قبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري العبد قال إذن تجدي كاسدا يارسول الله فقال ولكن عند الله ريسع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وآل محمد زاهر بن حرام . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ القدسي عن أبيه قال

(١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معصلا .



الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجميلة ويتعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتأمل بها كما قال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرعة عيني في الصلاة »<sup>(١)</sup> ومهما كانت العبادات وترك الحظورات مع كراهة واستئصال فهو نقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم للواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى - وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين - وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير »<sup>(٢)</sup> ثم لا يكتفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلزام الطاعة واستكرامه للصيغة في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك « لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة قال : طول العمر في طاعة الله تعالى »<sup>(٣)</sup> ولذلك كره الأنبياء والأولياء اللواتي فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أذكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإعانتها كد تأثيرها بأكثرة الواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ما لا يلاهي إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من اللسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إليه الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بينان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرعة العين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب أغرب من ذلك فان قد نرى الملوك والنعيمين في أحزان دائمة ونرى المقامر للقلس قد يخلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار بمسلبه ماله وخرب يمتد به كهمفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد ينفذ طول النهار في حر الشمس قائما رجليه وهو يحس بألمها الفرح بالطيور وحر كاتها وطيراتها وتحلقها في جوار السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط على أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك غرا لنفسه ويحطع الواحد منهم إن راى رابعا أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصير على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يستفده كالا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرعة عينه وسبب انتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال الخنث في تشبهه بالاناث في تنف الشعر وشم الوجه ومخالطة النساء قرى الخنث في فرح جماله وانتخار بكاله في تحننه بقباهي به مع الخنثين حتى يجري بين الحجابيين والكناسيين التفاضر واللباهة كما يجري بين الملوك والعلماء فنكل ذلك نتيجة العادة والواظبة على نعت واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في الخفاطين والمعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى المقام فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والنزمت للواظبة عليه بل يميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الليل إلى أكل الطين قد يخلب على بعض الناس ذلك بالعادة ،

(١) حديث وجعلت قرعة عيني في الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث عبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير طرب (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر في عبادة الله رواه التضاعى في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف وللمزني من حديث أبي بكره وصححه أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله.

أنا الطاهر بن محمد  
القيسي قال أنا أبو  
الحسن قال أنا أبو عمرو  
ابن حكيم قال أنا  
أبو أمية قال حدثنا  
عبيد بن اسحق العطار  
قال ثنا سنان بن  
هرون عن حميد عن  
أنس قال « جاء رجل  
إلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال :  
يا رسول الله احملني  
على حمل قال أحملك  
على ابن الناقة قال أقول  
لك احملني على حمل  
وتقول أحملك على  
ابن الناقة فقال عليه  
السلام فاحمل ابن  
الناقة » وروى صيب  
قال « أتينا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وبين يديه تمر يأكل  
فقال أصب من هذا  
الطعام فجعلت أكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفة وعبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإن أعاد القلب الحكمة والعروة وحب الله عز وجل ولكن أنصرف عن مقتضى طبعه لمرض قدحل به كما قد يحل المرض بالمدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سيان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معينا على حب الله تعالى وعلى دينه فمقد ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتبصر طبعها لانها وهذان من حجب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب فيفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وقعها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الخلق في الكتابة له صفة قسيمة حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بمجاجة اليد ما يتعاطاه الكاتب الخادق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيكتبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى المجارحة فصارت يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قبيح النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال القبيح وهو التكرار للفق حتى تعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير قبيح النفس وكذلك من أراد أن يصير سعيماً غيب النفس حلياً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قبح النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليله ولا ينالها بتكرار ليله فكذلك طالب تزكية النفس وتكليفها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء للأبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأتس النفس بالسكسل وتهجر التحصيل رأساً فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صفائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليله لا يحس تأثيره في قبح النفس بل يظهر قبحه شيئاً فشيئاً على التدرج مثل غو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فلكل واحد منها تأثير فإيمان طاعة الإله أو إلهاً أو إلهين في فله ثواب لا محالة فان الثواب بآزاء الأثر وكذلك للصية وكمن قبيح يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذلك من يستهين بصفائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يحتفظ الموت بنته أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتمدد عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مغالها وهو للمعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال على رضي الله عنه : إن الإيمان لا يبدو في القلب نكتة يضاء كما زاد الإيمان ازداد ذلك اليأس فاذا استكمل العبد الإيمان أبيض القلب كله وإن النفاق لا يبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والقطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة وتارة بعشادة أرباب الفضائل الجميلة

من التمر فقال أنا سأل وأنت رمد فقلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « وروى أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا أبا الأذنين . وسئلت عائشة رضي الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس يسامها ضحاكاً « وروت أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك . وأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح المروزي قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقها الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتلقا فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع وافق له قرناء السوء فعمل منهم وتيسر له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الربتين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - .

### ( بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق )

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والليل عن الاعتدال - سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والليل عن الاعتدال مرض فيه فلتتخذ البدن مثالا . فتقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجانب الفضائل والأخلاق الجليلة إليها مثال البدن في علاجها بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تسمى للعدة للضره بعارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معذلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالإعتياد والتعلم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالتغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتثنية بالعلم وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن الطبيب تعهد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفاتها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة للغير لا اعتدال البدن للجوبة للعرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة في البرودة وإن كانت من برودة في الحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن الشهي تكلفا وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وحشة الصبر عن المشتريات لعلاج الأبدان للروضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعباد بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبدأ بالأبد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سببا للحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه إن لم يحفظ ميساره زاد الفساد فكذلك النفاض التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى إن الطبيب لا يعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي منصفية أم قوية فإذا عرف ذلك انتفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المرض وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ التبع الذي يعطب نفوس المريدين ويسالج قلوب السترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمرانهم وكما أن الطبيب لوعالج جميع الرضى ببلع واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريدين وفي حاله وسنه ومزاجه وما احتمله بئته من الرياضة وينبغي على ذلك رياسته فإن كان المريدين متبذرا جاهلا يهود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمصية فيأمره أولا بتركها

الترىاق قال أنا

أبو محمد الجراحى

قال أنا أبو العباس

المجسوف قال أنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذى قال ثنا

عبد الله بن الوضاح

الكوفى قال ثنا

عبد الله بن إدريس

عن شعبة عن أبي

التياس عن أنس رضى

الله عنه قال « إن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليخطبنا

حتى إنه كان يقول

لأنخ لى صغير يا أعمير

ما فعل النخير » والنخير

عصفور صغير . وروى

أن عمر سابق زهرا

رضى الله عنهما فسبقه

الزير فقال : سبقتك

ورب الكعبة ثم سابه

مرة أخرى فسبقه عمر

فقال عمر : سبقتك

فإذا تزين نظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن  
 لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات ووفرغ  
 قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى العروة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فيأمره أن يخرج إلى  
 الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تتكسر إلا بالذل ولاذل أعظم من ذلك السؤال  
 فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى يتكسر كبره وعز نفسه فإن الكبر من الأمراض الهلكة وكذلك  
 الرعونة وإن رأى الطالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتا إليه  
 استخدمه في تهميد بيت الماء وتنظيفه وكس للواضع القنطرة وملازمة الطبخ ومواضع الدخان حتى  
 تتشوش عليه رعوته في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم وزيئونها ويطلبون للرقعات النظيفة  
 والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الإنسان  
 نفسه أو يعبد صنما لهما عبد غير الله تعالى قد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا  
 وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان الريد لا يسخر ويترك  
 الرعونة رأسا أو يترك صفة أخرى ولم يسمح بضعها دفعة فينبغي أن ينقله من الخلق للذموم إلى خلق  
 مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان للماء لا يزال الدم  
 كما يرغب السي في الكتب باللب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر  
 الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة  
 فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقل إلى جاء أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك  
 إذا رأى شره الطعام غالبا عليه أزمه الصوم وتقليل الطعام بهم كلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها  
 إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر ويتكسر شرهه وكذلك إذا رآه  
 غابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره  
 أن يطر ليلية على الماء دون الحبز وليلة على الحبز دون الماء ويعينه اللحو والادم رأسا حتى تذلل نفسه وتتكسر  
 شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه أزمه الحلم والسكوت  
 وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويأمره خدمة من ساء خلقه حتى يبرن نفسه على الاحتمال معه  
 كالحكي عن بعضهم أنه كان يهود نفسه الحلم ويؤذي عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتبهه على ملأ  
 من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به للثل وبعضهم كان  
 يستشعر في نفسه الجبن ويضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء  
 عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يملجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة  
 وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فأزمه نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح  
 بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من تفرقه  
 على الناس رعوته الجود والرياء بالبدل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر  
 دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق السلكي فيه  
 سلوك مسلك الضاعة لكل مათواه النفس وتعمل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة  
 فقال تعالى - وأما من حاف مقام ربه وهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى للآوى - والأصل اللهم في  
 المجاهدة الوفاء بالعزم فالدعوى على ترك الشهوة قد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا  
 فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اشفق منه فعن عزم

ورب الكعبة وروى  
 عبد الله بن عباس  
 قال قال لى عمر تعالى  
 أنا فلك فى الماء أينما  
 أطول نقبا ونحن  
 محرمون . وروى  
 بكر بن عبد الله قال  
 كان أصحاب رسول  
 الله صلى الله عليه  
 وسلم يتنازعون حتى  
 يتبادحون بالطبخ  
 فإذا كانت الحقائق  
 كانوا هم الرجال يقال  
 بلح يبدح إذا رمى  
 أى يرامون بالطبخ  
 وأخبرنا أبو زرعة  
 عن أبيه قال أنا الحسن  
 ابن أحمد الكرخي  
 قال ثنا أبو طالب  
 محمد بن محمد بن  
 إبراهيم قال ثنا  
 أبو بكر محمد بن محمد  
 ابن عبد الله قال حدثني  
 إسحاق الحربي قال ثنا

فيحي أن يانم نفسه عقوبة عليه كاذكراته في معاقبة النفس في كتاب الحاسبة والراقية وإذا لم يخوف النفس بقوة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة ففقد بها الرياضة بالكلية .

( يان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة )

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لقتل خاص به وإنما مرضه أن يتعدى عليه فله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فرض البدن يتعدى عليها البطش ومرض العين أن يتعدى عليها الإبصار وكذلك مرض القلب أن يتعدى عليه فله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة واللمعة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإشارته ذلك على كل شهوة سواه والاعتناء بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة واللمعة وخاصة النفس التي للأدنى ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقاع والإبصار أو غيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها ومختبرها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة المعرفة المحبة لمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم أو أزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترسوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز واللواء أو سقطت شهوتها عن الخبز واللواء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها أصحابها ومرض القلب بما لا يعرفه صاحبه فذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يالجها فإن الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب للمريض قلما يلتفت إلى علاجه فلماذا صار الداء عضالاً والمرض مزمناً والمرض هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في الملة التي يالجها فإن كان يالج داء البخل فهو للهالك للبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه يبدل للسال وإشاقه ولكنه قد يبدل السال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فكان كمن يالج البرودة بالحرارة حتى قلب الحرارة فهو أيضاً داء بل للطلاب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك للطلاب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجب الخلق المذخور فإن كان أسهل عليك وأقرب من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الزوجي له مثل أن يكون إسماك للسال وجمعه آفة عندك وأيسر عليك من بذله مستحقه فاعلم أن النال عليك خلق البخل فزد في اللواظبة على البخل فإن صار البذل على غير المستحق آفة عندك وأخف عليك من الامساك بالحق قد غلب عليك التبذير فارجع إلى اللواظبة على الامساك فلا تزال رقيب نفسك وتستدل على خلقك بقسیر الأمسال وتحسرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الانفات إلى السال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجع عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك قد آتى الله سلباً عن هذا التمام خاصة ويجب أن يكون سلباً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال ثنا حماد  
ابن خالد قال أنا محمد بن  
عمر بن علقمة قال ثنا  
أبو الحسن بن عيص بن  
الليث عن يحيى بن  
عبد الرحمن بن حاطب  
ابن أبي بريمة قال إن  
عائشة رضى الله عنها  
قالت «أثبتت النبي صلى  
الله عليه وسلم بهرة  
طبختها له وقت لبسده  
والنبي صلى الله عليه  
وعلم يبنى وبينها كلى  
فأثبت قتل لها كلى  
فأثبت قتل لنا كلى»  
أو لألطن بها وجهك  
فأثبت فوضعت يدي  
في الجريرة فططخت بها  
وجهها فضحك النبي  
صلى الله عليه وسلم  
فوضع غلبه وقال  
لبسده الطبخ وجهها  
فططخت بها وجهي  
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتزمة إليها ولا متمشوقة إلى أسبابها - فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطينة راضية مرضية داخلية في زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية العفوض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم ، ومن استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة . ولما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أغنى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال إليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن منكم إلا وإردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم تنجي الذين اتقوا - أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه . ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهدنا الصراط المستقيم - إذ وجب قراءة التفات على كل ركعة فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شديتي هود فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على سواء السبيل في غاية العفوض ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على تحقيقها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فأي فقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليدعها وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب . فقل الله الكريم أن يجعلنا من للتقين .

( بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه )

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق : الأول أن يجلس بين يدي شيخ يصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويشيع إشارته في مجاهدته وهذا شأن للريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثاني أن يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا فينصبه رفيا على نفسه ليلحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه بالباطنة والظاهرة ينبه عليه فيكفها كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلك عنى مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالهار وحلة بالليل قال وهل بلك غير هذا ؟ قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناققين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق فهو على جلالته وقدره وعلو منصبه هكذا كانت تهيمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز قتل في الأصدقاء من يترك المداينة فيخبر باليب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بيب عيا أو عن مدهان يخفى عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعترل الناس قتيلا لم لا تخطئ الناس ؟ قال وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوي فكانت شهوة دوى الدين أن يتبينوا العيوب بهم بتبينه غيرم

عليه وسلم فمر عمر رضي الله عنه على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجوهكم كغسلات عائشة رضي الله عنها فما زلت أهاب عمر لحنية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ووصف بعضهم ابن طلاس فقال كان مع الصبي صبا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحمة إذا خلا . وروى معاوية بن عبد الكريم قال كنا نلذذنا الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونخرج عنده وبما زحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من يفسحنا ويمرنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفسحاً عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لها فلو فيها منه على أن تحت ثوباً عرقياً لتقلدنا منه منه رفرحنا به واشتغلنا بإزالة القرب وإبعادها وقتلها وإما نكاتها على البين ويدوم ألها يوماً فداً دونه ونكاتها الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الوت أبداً أو آلاف من السنين ثم إنا لا نخرج من ينهبنا عليها ولا نشغل بازائها بل نشغل بمقاومة الناصح بمثل مقاتله فنقول له وأنت أيضاً تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الاتضاع بنصحه وبشبه أن يكون ذلك من مساواة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلمننا رشدنا ويعصرنا ببيوتنا ويشغلنا بمداواتها ويوقننا للقيام يشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وقضه . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط تبدى للسوايا . ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مدهن يثني عليه ويمدحه ويغني عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يغفل عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساوئيه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم . الطريق الرابع : أن يخاطب الناس فكل مارآه مذموماً فيها بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فيا يتصف به واحد من الأقران لا يفتك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه . فليقتصد نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأدياً فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن اللؤب . قيل ليسى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت نهمل الجاهل شيئا فاجتنبته وهذا كله حيل من قد شفيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقاً ناصحاً في الدين فارطاً من تهذيب نفسه مشغلاً بهتذيب عباد الله تعالى ناصحاً لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فيلزمه فهو الذي يخلصه من مرضه ويضجيه من الهلاك الذي هو بسده .

( بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات )

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار افتتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فإن مهزرت عن ذلك فلا ينبغي أن يغوتك التصديق والإيمان على حيل التلق والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي للأوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتن الله قلوبهم للتقوى - قيل نزع منه عجة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن بين خمس هدايد : مؤمن يحسنه ومنافق يفضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه » (١) فيل أن النفس عدو متنازع يجب عليه مجاهدتها .

(١) حديث المؤمن بين خمس هدايد : مؤمن يحسنه ومنافق يفضه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكي ففسده الأخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال السوفية وحسن أخلاقهم فيما يمتدونه من الداعية في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرم إلى سعة رحمة الله فاذا خلو أوقدوا موقد الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يقف في هذا المعنى على حد الاعتدال إلا صوفى قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائل لها بوقور العلم حتى يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذروا نذر أصحابكم أكل الشهوات فإن القلوب  
للتلطفة بشهوات الدنيا عقولها عن محبوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة  
لوعود غائب لم يره وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد «مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأضمر إلى  
الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس (١)» وقال صلى الله عليه وسلم  
«المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك  
ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذ نخاصمك يوم القيامة فيلن يضحك بضا إلا أن يفرقه الله تعالى  
ويستر (٣)» وقال سفيان الثوري ما طلعت شيئا أشد على من نفس مرة لى ومرة على «كان أبو العباس  
للوصل يقول لنفسه يا نفس لا في الدين مع أبناء اللوك فتتبعين ولا في طلب الآخرة مع العباد تتجهدين  
كأن بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس الاستسحين وقال الحسن مالداه الجوح بأجوج إلى اللجام  
الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه  
القوت من الطعام والتمس من اللنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة  
الطعام موت الشهوات ومن قلة اللنام صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتال  
الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شىء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت  
من النفس إرادة الشهوات والآثيم وهاجت منها حلالة فضول الكلام جردت على بأسير قلة الطعام  
من غبد التهجذ وقلة اللنام وضربها بأيدي الجمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن  
من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفى من ظلمة شهواتها فتجنى من عوائل آفاتنا قصير عند ذلك  
نظيفة ونورية خفيفة روحانية تتجول في ميدان الحريات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس القارء  
في الليدان وكلالك للتره في البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطاناه ونفسه فاحترس  
من الدنيا يآزده فيها ومن الشيطان يخالفته ومن النفس يترك الشهوات وقال بعض الحكماء من  
استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولاً زمامه في يدها  
تجره حيث شاءت فتخضع قلبه من القوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم  
لا يدرك إلا بترك النعيم قال أبو يحيى الوراقى من أرض الجوارح بالشهوات قد غرس في قلبه شجر  
الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحزب فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتأ  
لذلك . ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوستف عليه السلام بئد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على  
رأية الطريق في يوم موكة وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء ملكه سبعة سباع من جهل  
الملوك عبيدا بالعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعته لم إن الحرس والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء  
المفسدين وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا قال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إنه من يتق ويصبر  
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرقت ليلة قمت إلى وردى فلم أجدا حلالة التي كنت أجدها  
فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فإذا رجل ملفف في عباءة مطروح على الطريق  
فلما أحسن بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة قتلت يامعدي من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل  
أن يهرك لى قلبك قتلت قد فعل فما حاجتك قال فى يصير داء النفس دواءها قتلت إذا خالفت النفس

ولا يصلح الاكثار  
من ذلك للمريد  
البتدين قلة عليهم  
ومرقتهم بالنفس  
وتعديهم حد الاعتدال  
فللنفس في هذه  
للوطن نهضات ووثبات  
تجر إلى الفساد وتنجح  
إلى العناد فالزول إلى  
طباع الناس يحسن من  
صمد عنهم وترقى لملو  
حاله ومقامه فيزل إليهم  
وإلى طباعهم حين  
ينزل بالعالم فأما من لم  
يصعد بصفاء حاله عنهم  
وفيه بقية مزج من  
طباعهم وقوسهم  
الجامعة الأماره بالسوء  
إذا دخلت في هذه  
للداخل أخبت النفس  
حفظها واغتنمت آثارها  
واستروحت إلى الرخصة  
والزول إلى الرخصة  
يحسن لمن يركب

(١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأضمر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد وقد تقدم في  
شرح معاني القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في أثناء حديث وصححه وه من  
حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله الحديث  
لم أجده بهذا السياق .



هو اها فأقبل على نفسه فقال اسمي فقد أجبك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعه إلا من الجند ها قد سمعته ثم انصرف وما عرفته . وقال زيد الرذضي إليك على الباء البارقي الدنيا لملي لأحرمه في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكم قال إذا اشتريت الصمت قال متى أصبحت قال إذا اشتريت الكلام . وقال على رضي الله عنه من اعتناق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشبهه قال لنفسه اصبري فوالله ما أمتك إلا من كرامتك علي ، فأذن قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنبهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب . وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه . ونحصل الرياضة وسرها أن لا تمتنع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصر من الأكل والنكاح واللباس والسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه أنس به وألفه فإذا مات غيى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يمتنع الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وجهه والنفكير به والاقطاع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله . ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الله كره والتفكير فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقترب منه والناس فيه أربعة : رجل مستغرق قلبه بذلك الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات الميعة فهو من الصديقين ولا يمتنع إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره بالسان لا بالقلب فهذا من الهالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريرا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لاهالة قوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمسكه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نفوذ بك من خزيك فانك أنت العاذر وربما يقول القائل إن التمتع بالمباح مباح فكيف يكون التمتع بسبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة واللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسبب ذلك في كتابهم الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل للكلام فرأيت رمانا فاشتيته فأخذت منه واحدة فشقتها فوجدتها جامضة ففضيت وتركها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزناير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سأله أن يحميك من هذه الزناير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سأله أن يحميك من شهوة الزمان فإن لدغ الزمان بجدا لا نسان أله في الآخرة . ولغ الزناير يجدها في الدنيا فتركته وضيت . وقال السري أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزة في دبس فما أطلعتها فأذن لا يمكن إصلاح القلب لسوء طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التمتع بالمباح فان النفس إذا لم تمنع نفس للباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن التوبة والقبول فحظه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن اللهايات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوت عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء مجمل لم تحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بمنه الذي يشتهي الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على البدن منعها من الحرام فان لم يجرها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات فقلبت ، فهذه إحدى آفات المباحات

الزمنه غالب أوقاته  
وليس ذلك شأن  
البدني فللصوفية  
العلماء فيها ذكرناه  
ترويح يملون حاجة  
القلب إلى ذلك والشيء  
إلا وضع للحاجة يتقدر  
بقدر الحاجة ومعيار  
مقدار الحاجة في ذلك  
علم غامض لا يسلم لكل  
أحد قال سعيد بن  
الخاص لابنه اقتصد في  
مزاحك فالأفراط فيه  
يذهب بالبهاء ويجري  
عليك السفهاء وتركه  
ينظف للوالسين  
ويوحش الخاطلين قال  
بعضهم الزناح مسلبة  
للبياء مقطعة للأخاء  
وكما يصعب معرفة  
الاعتدال في ذلك يصعب  
معرفة الاعتدال في  
الضحك والضحك من  
خصائص الإنسان

وراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير ثمة كالسكران الذي لا يفقه من سكره وذلك القرح بالدنيا سم قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن ويذكر للوث وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك قد لها ففسأل الله السلامة فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال القرح بمؤاناة الدنيا فوجدوها قاسية شريرة بئسمة التأثير عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله ففضلوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب القرح والبطر قطعوها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلوا أن حلالها حساب وخرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن توفى الحساب في عرصات القيامة قد عذب غلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية وللك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلع من أسر الشهوات ورتقا والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وقلوبا بها ما يغفل بالبازي إذ قصد تأديبه وقلبه من التوب والاستيحاش إلى الاقياد والتأديب فانه يحبس أولا في بيت مظلم وتخط عيناه حتى يحصل به القطام عن الطيران في جواهره وينسى ما قد كان أهله من طبع الاسترسال ثم يرفق به بالعلم حتى يأمن بصاحبه ويألفه إلفا إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأمن بذكره إلا إذا فطمت عن ماديها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن اللذات ثم عودت التناء والدكر والثناء ثانيا في الخلوة حتى يثلب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك ينقل على الريد في البداية ثم يتم به في النهاية كالمسي يطم عن الشيء وهو شديد عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكأوه وجزعه عند القطام ويشد قوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعب في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم صبره طمعا فلو ورد بعد ذلك إلى الشيء لم يرجع إليه فيجهر الشيء ويألف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج والجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السرج الذي ألقته بالاسل والقيود أولا ثم تأمن به بحيث تترك في موضعها تنف فيه من غير قيد فكذلك تؤبد النفس كما يؤبد الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزيها بالموت إذ قيل له أحبب ما أحببت فانك مفارقة فاذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لاحالة لفرقه شغل قلبه بحبها لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصعبه في التفر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قاتلا فان العمر قليل بالاضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من مائل إلا وهو راض باحتمال للشقة في سفر وقلم صناعة وغيرها شهرا ليقتم به سنة أو دهرها وكل العمر بالاضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح بحمد القوم السرى وتذهب عنهم عماية الكرى كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالدنيا يفرح بالمال أو بالجاه أو بالتبلى في الوعظ أو بالمر في القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه فانه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمتع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب القرح

وبميزه عن جنس الحيوان ولا يصكون الضحك إلا عن صافية تعجب والتعجب يستدعي الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من زرع قدمه في العلم ولهذا قيل إنك وكثرة الضحك فانه يبعث القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى ينفذ الضحك من غير عجب للشاء في خير أرب وذكر فرقي بين اللدابة والزواج قليل لللدابة ما لا يفضب جده والزواج ما يفضب جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة في الصلاة

فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقطع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سيئاً ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والملازمة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهد آخر إلا بالموت .

### ( بيان علامات حسن الخلق )

اعلم أن كل إنسان جاهل بيوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والنفاقين في كتابه وهي بجمعتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لنعلم أيهم حسن الخلق. قال الله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - إلى قوله - ولكم هم الوارثون - وقال عز وجل - التائبون العابدون الحامدون - إلى قوله - وبشر المؤمنين - وقال عز وجل - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - ولكم هم المؤمنون حقاً وقال تعالى - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً - إلى آخر السورة فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة لنسب الخلق وقد جمعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما يقدره وحفظ ما يوجد وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) « وقال عليه السلام » من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم » من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٣) « وقال » من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (٤) « وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكلل للمؤمنين إسماناً أحسنهم أخلاقاً » (٥) « وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم مؤمناً صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقتن الحكمة » (٦) « وقال » من سرتك حسنته وساءت سيئته وفرو مؤمن » (٧) « وقال « لا يهل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » (٨) « وقال عليه السلام « لا يهل لمسلم أن يروع مسلماً » (٩) « وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يهل لأحدهما أن يشفي على أخيه ما يكرهه » (١٠) « وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

(١) حديث المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت متفق عليه أيضاً من حديثهما وهو بعض الذي قبله (٥) حديث أكلل المؤمنين إسماناً أحسنهم أخلاقاً تقدم غير مرة (٦) حديث إذا رأيتم مؤمناً صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقتن الحكمة من حديث أبي خلد لا يهل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة ومرسلاً وقد تقدم (٧) حديث لا يهل لمسلم أن يروع مسلماً طس من حديث الثعالب بن بشر والبرابر من حديث ابن عمر وإسناده ضعيف (٨) حديث إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله

من الذنب وحكم  
يطلان الوضوء بها  
وقال يقوم الأثم مقام  
خروج الخارج  
فلا اعتدال في المزاج  
والضحك لا يتأتى إلا  
إذا خلص وخرج من  
مضيق الخوف والقبض  
والهسية فانه يقوم  
بكل مضيق من هذه  
المضايق بعض الترويح  
فيعدل الحال فيه  
ويستقيم فاليسقط  
والرجاء ينشئان المزاج  
والضحك والخوف  
والقبض يمكنان فيه  
بالعدل . ومن أخلاق  
الصوفية ترك التكلف  
وذلك أن التكلف  
تصنع وتعمل وتمايل  
على النفس لأجل الناس  
وذلك يبين حال  
الصوفية وفي بعضهم  
منازعة للأقدار وعدم

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا راضيا حليما رفيقا عفيفا شقيقا لاما ناولا سبيا ولا انعاما ولا مفتنا ولا محولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا حشا يحب في الله ويعض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همة في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همة في الطعام والشراب كالبيعة (١) » وقال حاتم الأصم المؤمن مشغول بالتمسك والعبر والمنافق مشغول بالحرس والأمل والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويحكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلو والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويغشى الفساد والمنافق يقطع ويرجو الحساد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يتحتم به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفا ومن حكام من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يوما يمشي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذب به جذبا هديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال أنس رضي الله عنه عني نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ثم أمر بأعطاءه (٢) » ولما كثرت قرش يئذاهم وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون (٣) » قيل إن هذا يوم أحد فذلك أنزل الله تعالى فيه - وإنك لمي خلق عظيم - ويحك أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندى فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الجندى إنما أردت العمران فقال هو المقبرة فضاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورد إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندى ما قاله فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فزله الجندى عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يحتدر إليه قبيل بعد ذلك لم تلم ذلك له أنا عبد فقال إنه لم يأتني عبد من أنت بل قال أنت عبد قلت نعم لأنني عبد الله فلما ضرب رأسى سألت الله له أجنة قبل كيف وقد ظلمك فقال علمت أني أوجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه مني الشر . ودعى أبو عثان الحيرى إلى دعوة وكان الداعى قد أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرج أبو عثان فلما ذهب غير بعيد دعاه فأتيا فقال له يا أستاذ ارجع فرج أبو عثان فقال له مثل مقافته الأولى فرجع ثم دعاه الثالثة وقاله ارجع على ماوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقافته الأولى فرجع أبو عثان ثم جاءه الراية فقدمه حتى عامله بذلك مرات وأبو عثان لا يتخير من ذلك فأكب على رجله وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فلما أحسن خلقك فقال إن الذي رأيتني هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعى أجاب وإذا جازجر . وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سكة فطرحته عليه إبانة ثم ما دفر فلز عن دابته فوجد سجدة الشكر ثم جعل ينفذ الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا قليل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار فصول على الرمال لم يجزله

الحديث تقدم في آداب الصبغة (١) حديث مسئل عن علامة المؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همه في الصلاة والصيام الحديث لم أجد له أصلا (٢) حديث كان يمشي فأدركه أعرابي فجذب به جذبا هديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حب والبيح في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

الرضا بما قسم الجبار  
ويقال التصوف ترك  
التكلف ويقال  
التكلف تخلف وهو  
تخلف عن شأو  
الصادقين . روى أنس  
ابن مالك قال شهدت  
وليمة لرسول الله ما فيها  
خير ولا لحم وروى عن  
الجابر أنه أتاه ناس من  
أصحابه فأتاهم بخبز  
وخل وقال كلوا فاني  
صعدت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
« ثم الأدام الخل »  
وعن صفيان بن سلمة  
قال دخلت على سلمان  
القارسي فأخرج لي  
خبزا وملعا وقال كل  
لولا أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم نهانا  
أن يتكلف أحدنا أحد  
تلكت لك والتكلف  
مذموم في جميع

أن يفضى ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمه الله عليه كان لو نه يميل إلى السواد إذ كانت أمة سوداء وكان بنيسابور حرام على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فقدم رجل رستاق إلى باب الحمام ففتحته ودخل ففرغ ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إلي الماء فقام علي بن موسى وامتل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاق وصح كلامه مع علي بن موسى الرضا غاف وهرب وخلصاه فخرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما التنبأ أن يضع ماله عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبد الله الحياض كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الحياطة فكان إذا خاطبه في شيء حل إليه درهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فافترق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسي فلم يجد دفعه إلى تنفيذ الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر إليه التلذذ عرف أنه زائف فردّه عليه فعااده أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يمايلني بهذه اللعامة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأخذ الحرام منه وألقها في البئر ثلاثين بهامسما . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال : قوة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب المعرات وتحسين ما يدور من السيئات والخمس للضرورة واحتمال الأذى والرجوع باللامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولين فوه . وسئل سهل عن حسن الخلق قال : أدناه احتمال الأذى وترك اللسكافة والرحمة للفقار والاستغفار له والشفقة عليه . وقيل للإحنف بن قيس ممن تلمذت الحلم فقال من قيس بن قيس عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال يتناهى وجالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه هواء فسقط من يدها فوق علي ابن له صغير فأت فدعشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أوسا القرني كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا إخوتاه إن كان ولابد فارموني بالصغار حتى لاتدموا ساقى فتعنفوني عن الصلاة ، وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجبه وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال إن كان قد بقي في نفسك شيء قله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتي قال أمنت عقوبتك فتسكلت فقال أما أنت فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لملك ابن دينار رحمه الله يامرائي فقال يا هله وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة ، وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه قال لأنهم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ونقيت من النقص والفل والحقه بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو انتهى حسن الخلق فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يفتن بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فإنها درجة رفيعة لا ينالها إلا القويون والصديقون .

( بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول شوم وجهه تأديبهم وتحسين أخلاقهم )

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأؤكددها والصي أمانة عند والدته وقلبه الطاهر جوهره قيسة ساذجة خالية عن كل نقص وصورة وهو قابل لكل ما شق ومائل إلى كل ما يمال به

الأهياء كالتكلف  
بالملبوس للناس من  
غير نية فيه والتكلف  
في الكلام حوزيادة  
التقلى الذى صار دأب  
أهل الزمان فما يكاد  
يسلم من ذلك إلا آحاد  
وأفراد وكمن متعلق  
لا يعرف أنه تعلق ولا  
يفطن له قد يتعلق  
الشخص إلى حد  
يخرجه إلى صريح  
النفاق وهو ميان لحال  
الصوفى . أخبرنا الشيخ  
المسلم ضياء الدين  
نجد الوهاب بن علي قال  
أنا أبو الفتح المروى  
قال أنا أبو نصر الترياق  
قال أنا أبو محمد الجراحى  
قال أنا أبو العباس  
الحبسوى قال أنا  
أبو عيسى الترمذى قال أنا  
أحمد بن منيع قال  
تأزيد بن هرون عن

إليه لأن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤيد  
 وإن عود الشر وأهل إهمال البهائم حتى وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله  
 عز وجل - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا  
 فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصائبته بأن يؤديه ويهذبه ويصله بحاسن الأخلاق ويحفظه من القراء  
 السوء ولا يهوده التتم ولا يجيب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فهلك  
 هلاك الأبد بل ينبغي أن راقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائته وإرضاعه إلا امرأة سالحة متدينة  
 تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا يركه فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي العجست طينته من الحبث  
 فيميل طبعه إلى ما يناسب الحباث ومهما رأى فيه غاييل التميز فينبئ. أن يحسن مراقبته وأول ذلك  
 ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان محتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لاشراق نور  
 العقل عليه حتى يرى بعض الأعياء قبيحا ومخالفا لبعض ضار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية  
 من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكال العقل عند البلوغ  
 فالصبي للمستحي لا ينبغي أن يحمل بل يستعان على تأديبه بحياه أو غيره وأول ما ينب عليه من الصفات  
 شرم الطعام فينبئ أن يؤدب فيه مثل أن يأخذ الطعام بالإيمنه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه  
 وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن  
 لا يسرع في الأكل وأن يحيد الضغ عن لا يوالى بين التمم ولا يطلع يده ولا يتوبه وأن يهود الحبز القفار  
 في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من  
 يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي للتأدب القليل  
 الأكل وأن يجيب إليه الاشارة بالطعام وقلة البلالة به والقناعة بالطعام الحشن أى طعام كان وأن يحب  
 إليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والحشئين وأن الرجال  
 يستكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبريسم أو ملون فينبئ أن يستكره  
 ويلذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التتم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة  
 كل من يسمعه ما يرغب فيه فإن الصبي مهما أهل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب ردى الأخلاق  
 كذبا حسودا سروقا غما لحوا ذافضول وضحك وكيد ومجانة وإمحا يحفظ عن جميع ذلك يحسن  
 التأديب ثم يشغل في للكتب فيتعلم القرآن وأحداث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينفرد في  
 نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشرار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأدياء الذين  
 يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يفسد في قلوب الصبيان بذل الفساد ثم مهما ظهر  
 من الصبي خلق جميل وفصل محمود فينبئ أن يكرم عليه ويحازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر  
 الناس فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبئ أن يتخالف عنه ويهتك ستره ولا يكشفه  
 ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفاؤه فان إظهار  
 ذلك عليه ربما يفيد حسارة حتى لا يبالى بالكشفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبئ أن يعاقب سرا  
 ويحظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح  
 بين الناس ولا تتكرر القول عليه بالتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع اللامة وركوب القبايح  
 ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيئة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا والألم تخوفه  
 بالأب وتزجره عن القبايح وينبئ أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن  
 يمنع القروش الوطنية حتى تصلب أعضاؤه ولا يضمن بذنه فلا يصبر عن التتم بل يعود الحشونة في القروش

محمد بن مطرف عن  
 حسان بن عطية عن  
 أبي أمامة عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم قال  
 «الحياء والى شعبتان  
 من الإيمان والبداء  
 والبيان شعبتان من  
 النفاق» البداء القبح  
 وأراد بالبيان ههنا  
 كثرة الكلام والتكاف  
 للسنان زيادة تماق  
 وثناء عليهم وإظهار  
 التفضيح وذلك ليس  
 من شأن أهل الصدق  
 وحكي عن أبي وائل  
 قال مضيت مع صاحب  
 لي زور سلمان تقدم  
 إلينا خبز شعير وملح  
 جريشا فقال صاحبي  
 لو كان في هذا للطح  
 ستر كان أطيب من طبع  
 سلمان وزهر من مطهرته  
 وأخسعترا فلما أكلنا  
 قال صاحبي الحمد لله

واللبس والطعم فينبغي أن يمنع من كل ما يغفله في خفية فانه لا يخفيه إلا وهو يستعد أنه قبيح فإذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض التهار للشي والحركة والرياضة حتى لا يثلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع للشي ولا يرخى يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يختصر على أقرانه شيء مما يملكه والده أو شيء من مطاعمه وملابس أو لوحه ودواته بل يود التواضع والا كرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له شمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرضا في الإعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لوم وخسوف تاء وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطعم والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصعب في انتظار لقمة والطعم فيها . وبالجملة فيحب إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطعم فيها أمر من آفة أكثر مما يجدر من الحيات والفاراب فان آفة حب الذهب والفضة والطعم فيها أمر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكار أيضا وينبغي أن يهود أن لا يصق في مجلس ولا يمتخطو ولا يتقارب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل وجلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام وبين له أن ذلك يدل على الوفاة وأنه فعل أبناء اللثام ويمنع الخمين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يبتدي بالكلام ويسود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره عن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له للسكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وخفته ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القراء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قراء السوء وينبغي إذا ضرب به العلم أن لا يكثر الصراخ والضرب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب للمالك والنسوان وينبغي أن يؤخذ له بعد الانصراف من الكتاب أن يلبس لباسا جليلا يسترع إليه من تعب للكتب بحيث لا ينسب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى العلم دائما يمت قلبه ويبطل ذكاه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا ، وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يسمع في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويحب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الحيانة والكذب والفحش وكل ما ينسب على الصبيان فإذا وقع نشوه كذلك في الصبا فربما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما للتصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لأصل لها إذ لا بقاء لها ، وأن اللوث يقطع نسيمها ، وأنها دار عمر لدار مقر ، وأن الآخرة دار بقى لدار عمر ، وأن اللوث ينتظر في كل ساعة وأن الكئيب العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى فيوسع نسيمه في الجنان فإذا كان النشوة سالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقما مؤثرا ناجعا ثبت في قلبه كما ثبت النشوة في الحجر ، وإن وقع النشوة بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشربه الطعام واللباس والزينة والتفاخر نيا قلبه عن قبول الحق نبوة الحافظ عن التراب البابس فأوائل الأمور هي التي يبتنى أن تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جمعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي قضا بما رزقنا  
فقال سلمان لو فقت  
بما رزقك لم تكن  
مطهرى مروهة وفي  
هذا من سلمان ترك  
التكلف قولا وفعل  
وفي حديث يونس النبي  
عليه السلام أنه زاره  
إخوانه فقدم إليهم  
كسرا من خبز شعير  
وجز لهم قسلا كان  
يزرعهم قال لولا أن  
الله لمن للتكفين  
لتكلفت لكم قال  
بعضهم إذا قصدت  
للزيارة قدم ماحضر  
وإذا استزرت فلا تبق  
ولا تذر وروى الأثير  
ابن العوام قال نادى  
منادى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يوما اللهم اغفر  
لذين يدعون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأناظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره قال قل قلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد فقلت ذلك ليلي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلت فوقع في قلبي حالوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتكم ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيصيه يالك وللصية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بي إلى الكتب فقلت إني لأخشى أن يتفرق على همى ولكن شارطوا العلم أني أذهب إليه ساعة فأتمم ثم أرجع فضيت إلى الكتاب فعملت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أسوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقت لي مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأيتت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عني شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألت عنها فأجابني فأقيمت عنده مدة أنفع بكلامه وأتأجب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجلست قوتي اقتصادا على أن يشتري لي بدرم من الشعير الفرق فيطحن ويخبر لي فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بخمسة مئزر ملح ولا أدم فكان يكفي ذلك الدرهم سنة ثم عزمتم على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأته أكل للملح حق لقي الله تعالى .

( بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة )

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حارث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سبيلها مستتبيا بنعم الدنيا ولداتها فان من كانت عنده خزانة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخزانة وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حارث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمة الشهادة من غير صدق وإخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخزانة إلا أنه لا يدري من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا للصدق إذا ألب الخزانة قد لا يتركها ولا يعظم إشتياقه إلى الجوهرة فاذن للبالغ من الوصول عدم السلوك وللناقص من السلوك عدم الارادة والبالغ من الارادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة وللذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين إلى طريقه وللنبيين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد اتهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبيه منهم متنبه يهزم عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجددم مائلين إلى الهوى عادلين عن سبج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق الطماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان للطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتطلت الطرق لاهماله فان تنبيه متنبه من غسه أو من تنبيه غيره وانبث له إرادة في حارث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لابد من تقديمها في بداية الارادة وله معصم

لأموات أمسى ولا يشكفون إلا إلى برى من التكلف وصالحو أمسى وروى أن عمر رضى الله عنه قرأ قوله تعالى - فأنبثا فيها حيا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلًا وحدائقًا غلبا وفاكهة وأبا - ثم قال هذا كله قد عرفناه فلما الأب قال ويبد عمر عصاه فضرب بها الأرض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف غلبوا أيها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم أعمالوا به ومن لم تعرفوا فسكوا عنه إلى الله . ومن أخلاق الصوفية الانفاق من غير إقتار وترك الإخبار وذلك أن الصوفى يرى خزان فضل الحق فهو بمثابة

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .



لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمها في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: لال والجاه والتقليد والصليبة وإعاريض حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبق له إلا قدر الضرورة فإذا دام يبق له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به بحجوب عن الله عز وجل وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإشارة الجول والحرب من أسباب الذكر وتماطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التصب لمذهب وأن يصدق بمنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ومحرم في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له المولى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لامن المجادلة فان غلب عليه التصب لمستفد ولم يبق في نفسه متسع لتغيره صار ذلك قيدا له وحجابا إذا ليس من شرط الريد الانتهاء إلى مذهب معين أصلا وأما النصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من اللظام وتسميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ماضى ورد للظام وإرضاء المحصور فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر للماضى الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أولا ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وأخرها ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن لال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به ليعالجه ليهديه إلى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه فاده الشيطان إلى طريقه ليعالجه فمن سلك سبيل البوادي للملكة بشير خفي فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تثبت بنفسها فانها تحجب على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تنمر فتنضم الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الإجماع على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالسلكية ولا يتألفه في ورده ولا صدره ولا يلقى في متابعتها شيئا ولا يدرى أن نعمه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نعمه في صواب نفسه لو أصاب فإذا وجد مثل هذا التضم وجب على معتصمه أن يحميه ويصممه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الحلو والصمت والجوع والسر وهذا حصن من القواطع فان مقصود الريد إصلاح قلبه ليتشاهد به ربه ويصلح. لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي ياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رفته ، ورفته مفتاح الكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك الصديق فان مجازية العروق الممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحوارين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري يا صابر الأبدال أبدالا إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فائدة الجوع في توير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السهر فانه يحلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرى والمرأة المجاورة فيلوح فيه جمال

من هو مقيد على شاطئ بحر والقيم على شاطئ البحر لا يدخر اللاء في قربته وراويته . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلاه ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط بنفقا خلاقا ويقول الآخر اللهم أعط محسنا تلقا » وروى أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لنفسه » . وروى أنه « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطعم خادمه طيرا فلما كان الغد أتاه به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيتك أن تحب شيئا لقد كان الله تعالى يأتى

الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتهما قتم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسهر أيضا نتيجة الجوع فإن السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسى القلب ويعتبه إلا إذا كان جدر الضرورة فيكون سبب للكشف لأسرار النيب فقد قيل في صفة الأبدال إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن العزلة لا تخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشربه وتدير أمره فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشبه القلوب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه ويستقل التجربة . لذلك والفكر فيستريح إليه فالصمت يلحق العقل ويوجب الورع ويعلم التقوى . وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانها دهليز القاب والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريمة كدرة قدرة من أنهار الخواص ومقصود الرياضة تخفيف الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه نداء التظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الخواص إلا من قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليأخذ رأسه في حبيبه أو يتدثر بكساء أو إزار في مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما نرى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة قليل له يا أيها المزمحل يا أيها للدثر (١) فهذه الأربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع الموارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإعما سلوكه بقطع القبات ولا عتبة على طريق الله تعالى لإسمات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك القبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل وهي تلك الصفات التي أسرار العلاقات التي قطعها في أول الارادة وآثارها أغنى للال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى المعاصي فلا بد أن يغفل الباطن عن آثارها كما أغفل الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس الريد كما سبق ذكره فإذا كفى ذلك أضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة بغفله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام وعنه من تكثير الأوراد والظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد ونعمتها أغنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بسد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علاقته قال الشبلي للحصري إن كان يخطر بقلبك من الجملة التي تأتيني فيها إلى الجملة الأخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك أن تأتيني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق للشيء الذي ليس له إلا الله واحد فإذا كان كذلك أزمه الشيخ زاوية يتفرد بها ويوكل به من

برزق كل غسد .  
وروى أبو هريرة  
رضي الله عنه « أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم دخل على  
بلال وعنده صبرة من  
تمر فقال ماهذا يا بلال  
فقال أدخر يارسول  
الله قال أما تخشى أنفق  
بلالا ولا تخشى من  
ذي العرش إقتالا » .  
وروى أن عيسى ابن  
مريم صلى الله عليه  
وسلم كان يأكل الشجر  
ربليس الشعر ويبعث  
حيث أمسى ولم يكن  
له ولد يموت ولا يمت  
يخرب ولا يخبأ شيئا  
لقد فالصوفي كل خباياه  
في خزائن الله صدق  
نوكله وقتشه بربه  
فأدبنا للصوفي كدار  
الغربة ليس له فيها  
ادخار ولا له منها

(١) حديث بدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يا أيها المزمحل يا أيها للدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فتوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأنت خديجة قتلته دثروني وصبوا على اللبلاء باردا فدثروني وصبوا على ماء باردا قال قزلت يا أيها الدثر وفي رواية قزلت زملوني زملوني ولها من حديث عائشة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكر امرن الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحرير ثم لا يزال يواظب عليه حتى تسقط الأثر عن اللسان ويبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يحس عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب عاضدة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بالذكر الله تعالى وهو القصد خلا لاجابة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تعاقب بالدنيا وما يتذكر فيه بما قدمضى من أحواله وأحوال غيره فانه معها اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضا قصصا فيجهد في دفع ذلك ومهما دفع الوسواس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءت الوسواس من هذه الكلمة وأنها ماضية وماضية قولنا الله ولأى معنى كان إلها وكان مبهودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب التكرار وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشعرا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعا أن الله تعالى منزعه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك في قلبه ويجره على خاطره فيسرعه أن لا يبالى به ويضعه إلى ذكر الله تعالى ويبتل إليه ليفسه عنه كإفلال تعالى - وما ينزعك من الشيطان نزع فاستعد بالله إنه جميع عليم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من قرة أو نشاط أو ألتفات إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحد ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكاته وكبائته فالوعلم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحمله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله ردة إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأق الشيخ ويتلف به فان هذه ممالك الطريق ومواضع أخطارها فكمن من مرید اشتغل بالرياضة فقلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الملوكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدين البصائر» (١) وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في المدول عن ذلك كثير ولذلك قبل يجب على الشيخ أن يفرس في الريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرد إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتواتر أو يشغله بخدمة للتجريد في الفكر لتشغله بركتهم فان الحاجز عن الجهاد في صف القتال ينبني أن يسبق التوم ويسعد دواهم ليحسر يوم القيامة في زميرهم وكلمه بركتهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدين البصائر قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثا لمحمد بن عبد الرحمن بن السلمي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فضليكم بدين أهل البادية والنساء وابن السلمي عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها انتهى ، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن السلمي والله أعلم .

استنكار قال عليه السلام «لو نوكم على الحق توكد لرزقكم كما يرزق الطير تعدو خاصا وتروح بظناه» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو العجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله اللائي قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن التكر عن جابر قال سأل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا قال ابن عينة إذا لم يكن عنده وعد وبالأنداد

لا يبلغ درجتهم ثم الريد لتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال وما يمدوم من أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك خورا في طريقه ووقوفه بل ينبغي أن يلازم حاله جملة غمرة ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو أقيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الا شطاع عن الخلق إلى الحق والخلاوة قال بعض السابحين قلت لبعض الأبدال للتطعين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن تكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له دلي على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تاملهم فإن ملامتهم وخشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن السكن إليهم هلكة قلت هذا لعله قال باهدأ أنتظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتامل الباطلين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فإذا انتهى إلى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغلو عن غيره ولا يغلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلي له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يحوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ولنسعا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك اللذة وتحسين الألفاظ للعبادة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام ليقبل إليه القلوب والأصماع فرما يحيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب اللوثي الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويضغ كيد الشيطان بأن يظهر في أثر العنس يكون أحسن كلاماثة وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لأعماله إن كان يحركه كيد القبول وإن كان يحركه هو الحق حرصا على دعوة عباده الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وأزرنى على إصلاح عباده كالأدي وجب عليه مثلا أن يعمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضالما وتعين عليه ذلك شرعا بقاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يخس من يمينه والغافلون موتى القلوب والوعاظ هم للنهبون والمهيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزز الوجود جدا فينبغي أن يكون للريد على حذر منه فانه أعظم حبال الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق فإن إثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى - بل تؤثرن الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال - إن هذا في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهذا منهاج رياضة الريد وتربيته في التدرج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتى فإن أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم التضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه التزور فلماذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتاتين أن نستكمل ربع الالهيات بثمانية كتب لإنشاء الله تعالى ؟ كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر التضب والحقد والحسد وكتاب في كسر الدنيا

عن الدارمي قال أنا يعقوب بن حميد قال أنا عبيد العزيز بن محمد عن ابن أخي الزهري قال إن جبريل عليه السلام قال ما في الأرض أهل عشيرة من آيات إلا قلبهم لما وجدت أحدا أعاد إضافة لهذا المال من رسول الله صلى الله عليه وسلم [ ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا ] . قال ذوالنون للصري : من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقال بشر ابن الحرث لو لم يكن في القناعة إلا المنع بالز لكفي صاحبه وقال بنان الحال : الحر عبيد ما طمع والبعد حر ما قنع

وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب اللال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع الفروج وذكر هذه الهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربيع الهلكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن الهلكات وللنبيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

### ﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

( وهو الكتاب الثالث من ربيع الهلكات )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعالى له التحقيد والتقدیس والتسبيح والتزنية القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه للتطول بالفضل فيما ينعم به ويسد به التكفل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه للنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما ينفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يمتيه ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضل فهو يقويه وهو الذي يوقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكهم ويرد به ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقر به حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناوئه ويكسر به شهوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويقيم هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهي ويكثر عليه ما ينجس بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثر على ما هو به وينتجبه وكيف يحفظ أوامر الله وينتهي عن نواهيه ويوافق على طاعته وينجز عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبي وسوله الوجهية صلاة زلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وعلمائه .

[ أما بعد ] فأعظم الهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواه من دار القرار إلى دار الدل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فقلبتما شهواتهما حتى أكلتا من فابتدأ لهما سوء آتاهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يقبها شهوة الفرج وعدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال الذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والطمعومات ثم يتبع استنكار المال والجاه أنواع العروانات وضروب المناسبات والمجاهدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغافة التفاخر والتكبر والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحقود والحدود والمداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اتحاقم البني والتكبر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما تولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطنيان ولم ينجر به ذلك إلى الإهمال في الدنيا وإشارة المعالجة على العتيق ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتنا تحذيرا منها ووجب إضاح طريق المجاهدة لها والتمني على فضلها ترغيبا

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص . وقال أبو بكر المرازى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويق ودبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل . وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه . وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينفوذ . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الحلال يشهدنا قال أنا أبو حمزة عمر بن إبراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوي قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول  
يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام  
والنأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة  
ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفضله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة  
البطن والفرج والعين .

### ( بيان فضيلة الجوع وذم الشبع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك كأجر المجاهد في  
سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه  
وسلم «لا يدخل ملكوت السماء من ملابطه» (٢) وقيل يارسول الله أي الناس أفضل قال «من قل مطعمه  
وضحك ورضى بما يستر به عورته» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذل النفس  
لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البسوا وكوا واشربوا  
في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم «السكر نصف العبادة وقلة الطعام  
هي العبادة» (٦) وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة  
أطولكم جوعا وتضكروا في الله سبعائه وأبضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل ثوم أ كول  
شروب» (٧) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز» (٨) أي مختارا لذلك وقال  
صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي لللائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى  
انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصر وتركهما شهدوا بإملائك مني أكلة  
بدعها لإبدانها مدرجات في الجنة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تيمتوا القلوب بكثرة الطعام  
والشراب فان القلب كالزراع يموت إذا كثر عليه الماء» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «ما لأب آدم  
وعاء شرأ من بطنه حسب ابن آدم لقبات يقعن صلبه وإن كان لا بد فاعلا ثلث لطعامه وثلث لشرابه  
وثلث لنفسه» (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال  
فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طاع جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخياء  
الأخياء الذين إن شهدوا لم يرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الأرض وتخف بهم ملائكة السماء  
ثم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل اقترش الناس الفرش الوثيرة واقترشوا الجباه والركب  
ضجع الناس فقل النبيين وأخلاقهم وحفظوها ثم تبكي الأرض إذا ققدتهم ويسخط الجبار على كل

حدثنا محمد بن عباد  
قال حدثنا أبو سعيد  
عن صدقة بن الربيع  
عن شمارة بن عزة  
عن عبد الرحمن بن  
أبي سعيد عن أبيه  
قال سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وهو على الأعواء يقول  
«ما قل وكفى خير مما  
كثر وأطسى» وروى  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال «قد  
أفلق من أسلم وكان  
رؤيته مكففا» ثم  
صبر عليه» وروى  
أبو هريرة رضى الله  
عنه أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم دعا  
وقال «اللهم اجعل رزق  
آل محمد قوتا» وروى  
جابر رضى الله عنه عن  
النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال «القناعة مال

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجده له أصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت  
السماوات من ملا بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحك ورضى عما  
يستتر عورته يأتي الكلام عليه وعلى ما بدعهم من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس  
الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري البسوا وكوا واشربوا في أنصاف البطون (٦) حديث السكر نصف  
العبادة وقلة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتضكروا الحديث لم  
أجد لهذه الأحاديث التقدمة أصلا (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك البيهقي في  
شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نضع لشعبنا ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على  
نفسه وإسناده معضل (٩) حديث إن الله يباهي لللائكة بمن قل مطعمه في الدنيا الحديث ابن عدى  
في الكامل وقد تقدم في الصيام (١٠) حديث لا تيمتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أقف  
له على أصل (١١) حديث مالملا ابن آدم وعاء شرأ من بطنه الحديث من حديث التقديم وقد تقدم.

بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الحرق شعثا غيرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقاويلهم إلى أمر الله القتي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يشعرون بلا عول عفاوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيته في بلدة فاعلم أنهم آمنان لأهل تلك البلدة ولا يذهب الله قوما م فيهم الأرض بهم فرحة والخيال عنهم راض اتخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تجو بهم وإن استعلت أن يأيتك اللوت ويطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف للنازل وتحل مع التبيين وتضرع بقدم روحك لللائكة ويصلي عليك الجبار (١) .

روى الحسن بن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يانشر الحواريين أجمعوا أكلهم وأمرهم أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضا عن نينا صلى الله عليه وسلم روى طائوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله ليغض الحبر السمين لأن السمين يدل على الغلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالجبر ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى يغض القاري السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «لؤمن يأكل في مفي واحد وللناقي يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أضفاف ما يأكل للؤمن أو تسكون شهوته سبعة أضفاف شهوته وذكر للمي كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ للمي وليس للمي زيادة عدد ممي للناقي على ممي للؤمن . وروى الحسن بن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدبوا قرع باب الجنة يفتح لكم قفلت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» (٧) وروى «أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم غيبا في الدنيا» (٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه روى ابن الجوزي في اللوحات وفيه حباب بن عبد الله بن جبلة أجد الكذابين وفيه من لا يرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبي أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن بن أبي هريرة البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث طائوس مرسل أجمعوا أكلهم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر للصف هنا أنه مرسل والمرسل روى ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا (٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلا (٦) حديث للؤمن يأكل في مفي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (٧) حديث الحسن بن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدبوا قرع باب الجنة يفتح لكم قفلت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» (٨) حديث إن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم غيبا في الدنيا البقي في الشبع من حديث أبي جحيفة وأصله عند وحسه وه من حديث ابن عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة .

لا ينفذ وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال كونوا أوعية الكتاب ويايع الحكمة وعدوا أنفسكم في اللو واسألوا الله تعالى الرزق يوما يوم ولا يفركم أن لا يكثر لكم . وأخبرنا أبو زرعة طاهر عن أبي الفضل والباء قال أنا أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله الشاوي قال أنا أحمد بن علي الحافظ قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا عمرو ابن مالك البصري قال حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي سلمة الأنصاري قال أخبرني سلمة بن عبد الله بن حصن

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً وربما بكيت رحمة بما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يده وأقول نفسي لك القداء لو تبلت من الدنيا بقدر ما يتوكل ويملك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فاضوا على حالمهم قد صبروا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدي استحي إن ترهت في معيشي أن يقصر في غذا دونهم فالصبر أياماً يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غذا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١) وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تلب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل فم أهلك منذ ثلاثة أيام (٢) وقال أبو هريرة «ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله للثخون الملائي ومأرك عبد أكلة يشتهيها لا كانت له درجة في الجنة (٤) . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم والبطنة فانها تمهل في الحياة بين في المات وقال شقيق البلخي العبادة حرفة حانونتها الخلوه وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت للعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين تخافين أن تجوعي لا تخافين ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي بلامصباح أجسنتني فأبى وسيلة بملتني ما بملتني وكان فتح اللوصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فأبى عمل أودى شكر ما أنعمت به علي وقال مالك ابن دينار قلت لعمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غلبة قوته وتقويه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أسمى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي أجعتني وأجعت عيالي وتركنتي في ظلم الليالي بلامصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك فأبى منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منهبة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سباسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شبت فاذكر الجيع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشاء أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله في خزائنه لا يبطئه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوى نيفا وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافق القيامة يحمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكل شياً أشنع من الجوع للدين والدنيا وقال لأعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والنلم في الجوع وضعت

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» وقيل في تفسير قوله تعالى - فلنجينه حياة طيبة - هي القناعة فالصوفي قولم على نفسه بالقسط عالم بطباع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لعله بدائها ودواؤها . وقال أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك الراء والمجاهدة والتضرب لإباحي واعتناء الرفق والحلم وذلك أن النفوس تشب وتظهر

(١) حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ شبعاً قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع الحديث لم أجده أيضاً [١] (٢) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقد تقدم (٤) حديث إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة طب وأبو ميم في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف

[١] وجد بهما في المراتي ما يأتي ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى اللدني مطولاً في كتاب استحلاء اللوت وأورد منه عياض في الشفاء ٥١ .



للصية والجهل في الشبع وقال ماعبد الله بشيء أفضل من مخالطة الهوى في ترك الحلال وقديما في الحديث «ثلث للطعام فمن زاد عليه فاعما يأكل من حسنته»<sup>(١)</sup> وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها للثنين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبدا إلا بالخاص البطون والسهرو والصمت والحلو وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه استطعت عنه الوسواس وقال إقبال الله عز وجل على الصبد بالجوع والسم والبلاء لأن شاء الله وقالوا علموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهو والجهد وقال ما مر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من العصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وسئل حكيم بأى قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذلك بأخلاق الله كترك العزوم وغيرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانجمن أقاتها بدوام سوء الطن بها واصحها بخلاف هواها. وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما صافى أحدا إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب السكي مثل البطن مثل للزهرو هو المود المحجوف ذو الأوتار إنما حسن صوته لحفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلئ. وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للصنام. وقال أبو بكر بن عبد الله للزنى ثلاثة يجهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة. وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه - تين صباحا لم يأكل غطر بياله الحبز فاقطع عن الناجاة فإذا رغب موضع بين يديه فجلس يبكي على فقد الناجاة وإذا شبع قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا بول الله ادع الله تعالى إلى فاني كنت في حالة غطر بيالي الحبز فاقطعت عن فقال الشيخ اللهم إن كنت تعلم أن الحبز خطر بيالي منذ عرفتك فلا تنفر لي بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخاطر. وروى أن موسى عليه السلام لما قرب به الله عز وجل نجيا كان قد ترك الأكل أربعين يوما ثلاثين ثم عشرا على ما ورد به القرآن لأنه أمسك بفير تبيت يومافز يدعشره لأجل ذلك.

### ( بيان فوائد الجوع وآفات الشبع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك»<sup>(٢)</sup> ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام المعدة وساءة الأذى فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يأتى به إلا أن الانسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الأشياء المكروهة وما يجرى مجراه فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وطن أن منفعته لسكراته الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصة في الدواء وليس لكونه مرا وإنما يقف على تلك الخاصة الأطباء فكذلك لا يقف على علة شبع الجوع إلا ماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة للنفع كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه ناضا ولكننا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الايمان إلى درجة العلم قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فقول في الجوع عشر فوائد : الفائدة الأولى صفاء القلب وإيقاد القربى وإيضاح البصيرة فإن الشبع يورث البلبلة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن القسكرف فيثقل القلب بسببه عن

في المارين والصوفي  
كل رأى نفس صاحبه  
ظاهرة قابلهما بالقلب  
وإذا قوبلت النفس  
بالقلب ذهبت الوحشة  
وانطفاأت الفتنة قال  
الله تعالى تعالينا لبياده  
- ادفع بالتي هي أحسن  
فاذا الذي بينك وبينه  
عداوة كانه ولى  
حبيب ولا يترفع الراد إلا  
من نفوس زكية انتزع  
منها الغل ووجود الغل  
في النفوس مراد الباطن  
وإذا انتزع للرءاء من  
الباطن ذهب من  
الظاهر أيضا وقد يكون  
الغل في النفس مع من  
يشاكله ويخاله لوجود  
النافسة ومن استقصى  
في تدوير النفس يار  
الزهاد في الدنيا يمتحي  
القل من باطنه ولا يبق  
عنده منافسة دنيوية

(١) حديث ثلث للطعام تقم .

[١] حديث جاهدوا أنفسكم لم يخرجها المراقى .



والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب فالقرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر .  
 الفائدة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشيطان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم لجوعون فيطمعون الفريخ والزقوم ويسقون التساق وللهل فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يهب الخوف فمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتأمل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد جملة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل ولذلك قيل ليوסף عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزان الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنتى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشيطان في غفلة عن ألم الجائع . الفائدة الخامسة : وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ للمعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الأطعمة فتزيلها يضعف كل شهوة وقوة وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والعقاوة في أن يملك نفسه وكما أنك لا تملك الدابة بالجوع إلا بضعف الجوع فإذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس كما قيل لبعض مبالك مع كبرك لا تعتمد بذلك وقد أنهد فقال لأنه سريع للرح فاحش الأثر فأخاف أن يجمع بي فيورطني فلا أن أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على الفواحش . وقال ذو النون ما شبع قط إلا أعصيت وأوهمت بمعصية . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن القوم لما شبعوا بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزانة الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يدفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن الجمع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والخمجة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيفسكه لا محالة بأعراض اللسان ولا يكف الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج : فلا تخفى غائتها والجوع يكتفي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين ترى كما أن الفرج يرى فإن ملك عينه بنض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثلا وإلا لقمص معاصي الأعضاء السبعة سبها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الحشر البحث سنة لا يخلط به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . الفائدة السادسة : دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر للريدين لا تأكلوا كثيرا فقتربوا كثيرا فقتربوا كثيرا فقتربوا كثيرا فجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجيد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنقى الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم قوتها ومهما

نفسه وغيره لما لحق  
 الصوفي مع هذا منافسة  
 وضراء وغل فإن هذا  
 معه في طريق واحد  
 ووجهة واحدة وأخوه  
 ومعينه وللؤمنون  
 كالبنيان يشد بعضه  
 بضاء ورجل مفتتح  
 بشيء من حجة الجاه  
 والمال والرياسة ونظر  
 الخلق لها للصوفي مع  
 هذا منافسة لأنه زهد  
 فيها فيه رغب فمن شأن  
 الصوفي أن ينظر إلى  
 مثل هذا نظر رحمة  
 وشفقة حيث يراه  
 محجوبا مفتتنا فلا  
 ينطوي له على غل ولا  
 يماريه في الظاهر على  
 شيء لعله يظهور نفسه  
 الأمارة بالسوء في الراء  
 والمجادلة . أخبرنا  
 الشيخ العالم أبيه الدين  
 عبد الوهاب بن علي

غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم التمزب إذا نام على الشبع احتمل وعنده ذلك أيضا من التهجّد ويحوجه إلى التسلم إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر إن كان قد آخره إلى التهجّد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فإن فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعدد التسلم في كل حال فالنوم منيع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : تيسر للواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر ترواده إلى بيت للماء لكثرة شربه والأوقات الصرورة إلى هذا لوصفها إلى الذكر وللناجاة وسائر العبادات لكثرة ربه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه قلت ما حملك على هذا قال إني حسبت ما بين الضغ إلى الاستغاف سبعين تسبيحة فما مضت الحيز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضعه في اللضع وكل نفس من المر جوهره نفيسة لا قيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزائنه باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقتة ومن جملة الصوم فإنه ييسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحضرها القائلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - يملون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات قد حلاوة الناجاة وتعدد حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وقتل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول للماجد والشباع يدورون حول الزايل . الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببا لكثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في اللعنة والعروق ثم للرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينقص العيش ويحوج إلى القصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لا يغلو الإنسان منها بعد التعب عن أنواع من الهوى واقتناع الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندسي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان أعلمهم الإهليلج بنفس للعدة وهذا داء وحب الرشاد يزل للعدة وهذا داء والماء الحار يرخي للعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشبهه وأن ترضع بذلك عنه وأنت تشبهه فقالوا صدقت . وذكر بعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس »<sup>(١)</sup> فتجنب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد »<sup>(٢)</sup> وأظن تجنب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم :

قال أنا أبو القتيح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا الهارثي عن ليث عن عبدلك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تمارأ أخاك ولا تعده موعدا فتخافه » وفي الخبر « من ترك المراء وهو مبطل بخيله يبيت في ربهن الجنة ومن ترك المراء وهو محق بخيله في وسطها ومن حسن خلقه بخيله في أعلاها » . وأخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا

من أكل خبز الخنطة مجتا بأدب لم يمتل إلا علة الموت قبل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار إن أشع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته الملح ولأن يقلل من الملح خير له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا »<sup>(١)</sup> في الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطينان والبطار وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة اللؤنة فإن من تعود قلة الأكل كفاء من المال قدر يسر والتي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له أخذنا بمخفقه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للداخل فيكتسب من الحرام فيصى أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية اللذ والقراءة واللؤ من خفيف اللؤنة . وقال بعض الحكماء إنى لأضئ عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح قلبي . وقال آخر إذا أردت أن استقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فترك الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سر المأكولات فيقال إنها غاية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مذموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكتسبا فلا يسل من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أديعوا قرع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب ونحى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإنما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فتلهي لاهعالة . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإشارة والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليامي والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته<sup>(٢)</sup> كما ورد به الخبر فإياك الله كان خزائنه الكسب وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى فليس للبعد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التبخمة والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقال لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيناكم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأمنوا برأيهم وأهزلوا دينهم وأنصبوا أنفسهم بالسدو والرواح إلى باب السلطان يتعرضون كل بدن بما اعتاد لم أجده أصلا<sup>(٣)</sup> حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف<sup>(٤)</sup> حديث كل امرئ في ظل صدقته من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم .

أبو عبيد الرحمن  
السروردي محمد بن  
أبي عبد الله السالفي  
قال أنا أبو الحسن  
عبد الرحمن الداودي  
قال أنا أبو محمد عبد الله  
ابن أحمد الحموي قال أنا  
أبو عمران عيسى  
السرقي قال أنا  
أبو محمد عبد الله بن  
عبد الرحمن الدارمي  
قال حدثنا يحيى بن  
بسطام عن يحيى ابن  
حمزة قال حدثنا النعمان  
ابن مكيحول عن ابن  
عباس رضي الله عنهما  
قال قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم « من  
طلب الصلح ليأبى به  
العلماء أو يمارى به  
السفهاء أو يريد أن  
يقبل بوجوه الناس  
إليه أدخله الله تعالى  
جهنم » انظر كيف

للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تبعني أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يتسكى على شماله ويأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته السكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام اتقني بشئ أعظم به طعامي بالكع أطعامك تهضم إنما دينك تهضم ابن الفقير أين الأرملة أين السكين أين القيم الذي أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليذكر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه « ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل ممين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك (١) أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت أئواما كان الرجل منهم يمسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولوشاء لأكله فيقول والله لأأجل هذا كله أبطى حتى أجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع ينشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تنتهي فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رويهاها وبالقوف على تفصيل هذه القوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصرة فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة التقليد في الإيمان والله أعلم بالصواب .

### ( بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن )

اعلم أن على اللريدي بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل كل إلاحلالا فان العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس للأكل في تناول الشبهات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تقليل الطعام فسيبيل الرياضة فيه التدرج فمن اعتاد الأكل الكثير واتمقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحمته مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغبين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغبين واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغبين وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا فيرجع إلى رغبين في شهر ولا يستعزبه ولا يظهر أثره فان شاء قل في ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقص عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل القسرى رحمة الله عليه إذ قال إن الله استعبد الخلق ثلاث : بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان صائما وتكافى الطلب إن كان قعيدا وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل . وسئل سهل عن بدايته وما كان يقات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت أأخذ بدهم ديسا وبدهم دقيق الأرز . وبدهم سمناء وأخلط الجميع وأسوى منه ثلثمائة وستين أكرة أخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها قبله فالساعة كيف تأكل قال بغير حد ولا توقيت . وعي عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليالة إلى نصف مد وهو رغبين وشئ مما يكون الأربعة منه منا

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارة مع السفهاء سببا لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم في طلب التهر والتلبة والتهر والتلبة من صفات الشيطنة في الآدمي . قال بعضهم : المحادل المار يضع في نفسه عنه الخوض في الجدال أن لا يقع بشئ ومن لا يقع إلا أن لا يقع لها إلى قناعته سبيل فففس الصوفي تبدلت صفاتها وزهد عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « والذى نفسى بيده لا يسلم عبدا

(١) حديث نظر إلى رجل ممين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك أحمد و ك في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث جعدة الجشمي وإسناده جيد .

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقبات لأن هذه الصيغة في الجمع للقة فهو لما دون الشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم . الدرجة الثالثة : أن يردّها إلى مقدار للدوهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد يهتدى إلى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على اللد إلى اللان ويشبه أن يكون ما وراء اللان إسرافاً مخالفاً لقوله تعالى ولا تسرفوا أنفى في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالنسب والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تدبر فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر نفسه رغيفاً ورغيفين فلا يقين له حد الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : إحداها أن لا تطاب النفس الأدم بل تأكل الحبز وحده بشهوة أي خبز كان فهما طلبت نفسه خبزاً بعينه أو طلبت أدماً فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يسبق فلا يقع اللذباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فبدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب المرديد أن يقدر مع نفسه التقدير الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بسدها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوة على الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص ، نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعاً من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعاً ونصفاً وصاع الحنطة أربعة أمداً فيكون كل يوم قريباً من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يزيد عليه شيئاً حتى ألقاه فأنى صحته يقول « أقربكم مني مجلساً يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم » (١) وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة قد غيّرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبرتم بالرقق وجمعت بين إدامين واختلف عليكم بألوان الطعام وغداً أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تسكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مداً من تمرين اثنين في كل يوم (٢) والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمه الله عليه يقول للؤمن مثل العنيزة بكفيه الكيف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والنافق مثل السبع الضاري بلما بلما وسطاً وسطاً لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤرأخه بفضل وجهه وهذا الفضول أمامكم . وقال سهل لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوت المؤمن منها حلالاً لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضاً أربع درجات : الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام لما فوقها وفي الردين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى اللد حتى انتهى بهم إلى ثلاثين يوماً وأربعين يوماً وأنهى إليه جماعة من العلماء يكثر عدهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحم وإبراهيم التيمي وحجاج بن فراصة وحفص العابد الصيمى والسلم ابن سعيد وزهير وسلمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبي ذر أقربكم مني مجلساً يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد في كتاب الزهد . وفي طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأجسكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مداً من تمرين اثنين في كل يوم له وصححه إسناده من حديث طلحة البصري .

حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه » انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عنه عليه السلام أنه صر يقوم وهم يحذون حجراً قال ما هذا قالوا هذا حجر الأعداء قال ألا أخبركم بأعد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأتاه فقلب شيطاناً وشيطان أخيه فكلمه وروى أنه جاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجلاً فقال أبو ذر من كسر رجلاً من هذه الشاة فقال أنا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا أغضبك فتضربني

وكان أبو الجزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا بطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من السموات أى كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة من رهاب قذا كره بحاله وطعم في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا لنبى أو صديق فقال له الصوفى فإن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنت على باطل ؟ قال نعم فجلس لا يريح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزبدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز للشيخ فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يلبسها إلا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طلبه وعادته واستوفى نفسه في لله وأنسا جوعته وحاجته . الدرجة الثانية : أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهى أدناها أن يقتصر في اليوم واليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف وداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل الترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الحدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا تقدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغذ (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبى ﷺ لما نشأوا فيك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا لك في كل يوم قوام بين ذلك (٢) وهو الحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجذ وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلق القلب لفرار للعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى العلوم فلا تنازع قبل وقته . وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالحكم هذا قط غير أنه قد أخر القطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فإن كان يلبث قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجذ فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رغب في مثلا أكل رغبيا عند الفطر ورغبيا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجذ ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغب الأول على التهجذ وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقلبه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الأدام وأعلى الطعام مخ البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخل وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناه الملح

(١) حديث أبي سعيد الحدرى كان إذا تقدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغذ لم أجده له أصلا  
(٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فإن أكلتين في يوم من السرف البهيق في الشعب من حديث عائشة وقال في إسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تزلع قدماه ورواه مختصرا كان صلى الله عليه وسلم حتى تزلع قدماه وإسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فضله وإنما هو من قوله فأياكم أراد أن يواصل فيواصل حتى السحر ورواه من حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

تأثم فقال أبو ذر لأغظن من حشك على غيظي فأعتقه . وروى الأصمعي عن أعرابي قال إذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد خالف أقرهما إلى هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال لنا إبراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد ابن سليم قال ثنا الربيع ابن بكار قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال



والخل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كل لذية يشتهيها الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأنسا له لذات الدنيا حتى يألفها ويكره اللوث وبقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون اللوث سجنا له وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرما لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتدت نفسه الاغلات منها فيكون لوث إطلاقها وإليه الإشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث ذل معاشر الصديقين جوعوا أنفسهم لولية القردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فتكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول بإعادته فذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من اللباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتي الذين يأكلون مع الحنطة <sup>(١)</sup> » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يصم ومن داوم عليه أيضا فلا يصم يتناوله ولكن تربي نفسه بالنعم فتأنس بالدنيا وتأنف اللذات وتسمى في طامها فيجرها ذلك إلى اللعاصي فهم شرار الأمة لأن مع الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاص وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتي الذين غدوا بالنعم ونبتت عليه أجسامهم <sup>(٢)</sup> » وإنما همهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في السلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك ينعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذية الأطعمة وتبرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبة قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر أمرت بأهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على أن تيسر أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بصل وقال اعزلوا عني حسابها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتفى بمكة طرية فالتصته بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بمد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشيوت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لها برغيفها وادفعها إليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتيتها منذ كذا وكذا فلم يجدها فلما وجدت اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه بمها فقال له ما وادفعها إليه ثم قال للغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعا بين يديه وقال قد أعطيت درهما وأخذتها منه فقال لها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فأتى سميت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

(١) حديث شرار أمتي الذين يأكلون مع الحنطة لم أجده أصلا (٢) حديث شرار أمتي الذين غدوا بالنعم الحديث ابن عدى في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسل قال الدارقطني في العلل إنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لأبى به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتفى بمكة الحديث وفيه سميت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزي في اللوضعات

« ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاعتصام عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عالم بالرباني أمير على نفسه يصرفها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحتساب . نقل أنهم كانوا يتوضأون عن إبداء المسلم يقول بعضهم لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحب إلي من أن أتوضأ من طعام طيب . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الحدث

القراح فعل الدنيا وأهلها الدمار<sup>(١)</sup> أشار إلى أن للتصويرة ألم الجوع والمطش ودفع ضررهما دون التمتع ببلات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمنى فأعلمه فدخل عليه فحرق عشاؤه فأثوه بشريد لحم فأكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله يا يزيد بن أبي سفيان أ طعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده لئن خالفتكم عن سقيم ليخالفن بك عن طريقهم ، وعن يسار بن عمر قال ما خلت لعمري دقيقتا قط إلا وأنا له عاص ، وروى أن عتبة الفلام كان يسجن دقيقة ويغفقه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يثأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيصرفه من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاه له يا عتبة لو أعطيتك دقيقتك غفرت لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عنى كلب الجوع . قال شقيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم ابن آدم بمكة في سوق الليل عند موله النبي صلى الله عليه وسلم يسكن وهو جالس بناحية من الطريق فدخلت إليه وقعدت عنده وقلت إيش هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فصادته مرة والثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استر لي قلت يا أخى قل ما كنت فقال لي اشتريت نفسى منذ ثلاثين سنة سكباجا ففنتها جهدى حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى الناس إذا أنا بقى شاب بيده قدح أخضر يماز منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمى عنه فحرقه وقال يا إبراهيم كل فقلت ما أكل قد تركته لله عز وجل فقال لي قد أطعمك الله كل فإكانى جواب إلا أتى بكيت فقال لي كل رحك الله فقلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل فأكلك الله فأنما أعطيتك قليل يا خضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحما الله من طول صبرها على ما عملها من منعه . اعلم يا إبراهيم أنى سمعت للأنكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يسط فقلت إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأجل المقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بقى آخر ناوله شيئا وقال يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقينى حتى نسمت فالتفت وحلاوته في فمى ، قال شقيق فقلت أرى ككفك فأخذت بكفه فقبلتها وقلت يا من يعلم الجياح الشهوات إذا صحوا للنح يا من قدح في الضمير اليقين يا من يشفى قلوبهم من محبته أرى لشقيق عندك حالا ثم رقت يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وقدر صاحبه وبالجمود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال فقام إبراهيم ومشى حتى أدر كنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشهى لبنا فلم يأكله وأهدى إليه يوما رطب فقال لأصحابه كلوا فإذا قته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الحوارى : اشهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فحفت به إليه ففرض منه عضة ثم طرحه وأقبل يسكني فحلت إلى شهوى بعد إطالة جهدى وإشغافى قد عذمت على التوبة فأعلمنى قال أحمد فأرأيت أكل للملح حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن نعيم مرت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقال لي نفسى لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة ، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى ولا نص منى ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتيت نفسى لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي خنيفة أنبت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعتة يقول نفسى اشتيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

حدثان حدث من  
فرجك وحدث من  
فيك فلا محل حبة  
الوقار والحلم إلا القضب  
ويخرج عن حد العدل  
إلى العدوان بتجاوز  
الحد في القضب يتورم  
القلب فان كان القضب  
على من فوقه مما يعجز  
عن إفاذ القضب فيه  
ذهب الدم من ظاهر  
الجلد واجتمع في القلب  
وبصر منه المم والحزن  
والانكداد ولا ينطوى  
الصوف على مثل هذا  
لأنه يرى الحوادث  
والإعراض من الله  
تعالى فلا ينكد ولا ينتم  
والصوفى صاحب الرضا  
صاحب الروح والراحة  
والتي عليه السلام  
أخبر أن المم والحزن  
في الشك والسخط .  
سئل عبد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعل الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور الديلى في مسند القردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف .

اشتهيت ثمأكلت أن لاتأكله أبدا فسلت ودخلت فادأ هو وحده ومرا أبو حازم يوما في السوق  
فرأى الفاكهة فاشأها فقال لابنه اشترنا من هذه الفاكهة القطوعة الممنوعة فلما ذهب إلى الفاكهة  
التي لامتطوعة وللمنوعة فلما اشترأها وآتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني  
حتى اشتريت والله لادقته فبعت بها إلى يتامى من الفقراء ، وعن موسى الأشج أنه قال قسى تشهى  
ماحا جريشا منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال قسى تشهى منذ عشرين سنة ما طلبت  
منى إلا الماء حتى تروى فإأروبها ، وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال  
استحييت من نفسى أن أأدأها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترت قطعة لحم على خبز وغويها  
وتركتها على رف فليت صيا فقلت ألسنت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فتأولته إياها قالوا  
وأقبل يبكى ويهرا - ويطمعون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا - ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث  
يشهى ثمأ سنين فلما كان ذات يوم اشترى ثمرا بغيراط ورقفه إلى الليل ليفطر عليه قال فبعت ربع  
شديدة حتى أظلمت الدنيا فززع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا الجراءنى عليك وشرائى التمر  
بالقيراط ثم قال لنفسه ما أظن أن أخذ الناس إلا بدنبك على أن لاتذوقه . واشترى داود الطائي بنصف  
فلس قنلا وفسلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حجابك يوم القيامة ثم  
لم يأكل بعده إلا قنارا وقال عتبة الغلام يوما لجد الواحد بن زيد إن فلانا نصف من نفسه منزلة ما أعرفها  
من نفسى قال لأنك تأكل مع خبزك ثمأ وهو لا يزيد على الحبز شيئا قال فان أنا تركت أكل التمر عرفت  
تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكى فقال له بعض أصحابه لا بكي الله عينك أهى التمر بكي فقال  
عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في التمر وهو إذا ترك شيئا لم يساوده . وقال جعفر بن  
نصر أمرنى الجنيذ أن اشترى له التين الوزيرى فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضها في فاه  
ثم ألقاها وجعل يبكى ثم قال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي هاتف أما تستحي تركته من أجل  
ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لعطاء السلى إنى متكلف لك شيئا فلا ترد على كرامتي فقال الفصل  
ما تريد قال فبعثت إليه مع ابنى مربة من سوق قد لثته بسمن وعسل فقلت لاتبرح حتى يشربها فلما  
كان من الغد جعلت له نوحها فردها ولم يشربها فصابتة ولته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على  
كرامتي فلما رأى وجدى لذلك قال لايسوؤك هذا إنى قد شربتها أول مرة وقدرأودت نفسى في المرة  
الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - يجزعه ولا يكاد يسيغه -  
الآية . قال صالح فبكيت وتلت في نفسى أنا في واد وأنت في واد آخر ، وقال السرى السقطى نفسى منذ  
ثلاثين سنة تطأبنى أن أغمس جزرة في دبس فإأطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعر فرجلا تقول له  
نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام وأطمعنى بعد ذلك شهوة أشتهيا فيقول لها لاأريد أن تطوى  
عشرة أيام ولكن اتركى هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه قريبا إليه رغفا فجعل  
أخوه يقبل الأرفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أى شئ تمنع أما علمت أن فى الرغيف الذى  
رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صائفا حتى استدار من السحاب الذى يحمل الماء  
والماء الذى يسقى الأرض والرياح والهائم وبني آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تطلبه  
ولا ترضى به وفى الخبر « لا يستدر الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثة وستون صائفا أولهم  
ميكائيل عليه السلام الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم للاملكة التى تزيى السحاب والشمس والقمر  
والأنفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحجاب - وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها - (١) »

(١) حديث لا يستدر الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثة وستون صائفا أولهم ميكائيل

عباس رضى الله عنهما  
عن التمر والغضب قال  
مخرجهما واحد واللفظ  
يختلف فمن نازع من  
يقوى عليه أظهره  
غضبا ومن نازع من  
لا يقوى عليه كتمه  
حزنا والحرد غضب  
أيضا ولكن يستعمل  
إذا قصد للغضب عليه  
وإن كان الغضب على  
من يشأ كله وعامله  
من يتردد فى الانتقام  
منه يتردد القلب بين  
الانقباض والانبساط  
فيتولد منه الغل والحقد  
ولا يأتى مثل هذا إلى  
قلب الصوفى قال الله  
تعالى - وزنا ما فى  
صدورهم من غل -  
وسلامة قلب الصوفى  
وحاله يقذف زبد الغل  
والحقد كايقذف البحر  
الزبد لما فيه من تلاطم

وقال بعضهم أتيت فاسما الجرعى فسأته عن الزهد أى شئ هو فقال أى شئ سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت وأى شئ تقول أنت قال : اعلم أن البطن دينا العبد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ويقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا ، وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شئ يوافقه من لأ كولات فقال تسأني فإذا وصفت لك لم تقبل منى قال صف لي حتى أسمع قال تشرب سكجنينا وتمس سفر جلا وتأكل بعد ذلك اسفيداجا فقال له بشر هل تعلم شيئا أقل من السكجنين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهذبا بالحل ثم قال أنعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الخرنوب الشامى قال تصرف شيئا أقل من الاسفيداج يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص يسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم منى بالطلب فلم تسأني ، قد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان للتح شهوة لأنه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا ينجم في الشهوات فكفي بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشاء ويغفل كل ما بهو فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم . قال على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما ساقبه ، وقيل إن للدوام على اللحم ضراوة كضراوة الحجر ومهما كان جائعا وتأقت نفسه إلى الجماع فلا يذني أن يأكل ويجمع فعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسوقه لذلك ولكن ليصل أولي الجاس فيذكر الله تعالى فانه أقرب إلى الشكر ، وفي الحديث « أذيووا طعامكم بالذكر والصلاة ولامتأموا عليه فتسوقوا لوبكم » (١) وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيبأ كاه ، قد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحيائها وإذا أصبح في يوم واحد بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجبي وكده وكده يقول أشبع الحار وكده ومهما انتهى شيئا من الطعام وطيباته ألواكه فينبغي أن يترك الخبز وبأكلها بدلا منه لتكون قوتها ولا تكون تفكها فلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة . نظرسهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وتر فقال له أبدا بالقرظان قامت كفايتك به ولا أخذت من الخبز بعده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا أو غليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشترى الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطائفة وكان بعضهم يقول لأصحابه لاتأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها واطلب بعض أنواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ماتا تبنا من العراق فأكهة أحب إلينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فأكهة ، وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات الباحات واتباعها بكل حال فيقدر ما يستوفي العبد من شهوته بمعنى أن يقال له يوم القيامة - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - وقد مر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته بتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتني نسي خبز أرز ومما فتنها قوتيت مطالبها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لأحسن أن أصف ما تلقاني به من النعم والكرامات وكان أول شئ استقبلني به خبز أرز ومما قال كل اليوم شهوتك ههنا بخير حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا هنيئا

أمواج الأنس والهنية وإن كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه نار دم القلب والقلب إذا نار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة واللباس ومنه تحمر الوجنتان لأن الدم في القاب نار وطلب الاستعلاء وانتفض منه العروق فظهر عكسه وأثره على الخلد فيتمدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون هذا في الصوفي إلا عند هناك الحرمان والغضب لله تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفي عند الغضب إلى الله تعالى ثم تقواه تحمله على أن يزن حركته وقوله

الحديث أمجد أصل (١) حديث أذيووا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تأموا عليه فتسوقوا لوبكم طس وابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .

بما أسأتم في الأيام الحالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقضا الله لما يرضيه .

( بيان اختلاف حكم الجوع وفصيلته واختلاف أحوال الناس فيه )

اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وما أردناه في فضائل الجوع ربما يوميء إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيئات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في النفع منه على وجه يوميء عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينهى أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيضامان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكفاية بعيد فيعمل أنه لا ينتهي إلى الغاية فانه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في التشاء على قيام الليل وصيام التهارثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه<sup>(١)</sup> فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بشغل للعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادات وتقل للعدة يمنع من العبادات وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبق للمأكل فيه أثر ليعيش بالمتعة فأنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الإنسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الأذى البعد عن هذه الأطراف للتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال: نعمة أقيمت في وسط حلقة محيطة على الزاير مطروحة على الأرض فان النخلة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أهدأ الأوضاع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالمتعة والملاسة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطلق للإنسان في الخروج وهو يريد أن يشبه بالملاسة في التخلص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد الواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوباً في جميع هذه الأحوال للتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها »<sup>(٢)</sup> وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادات والتفكير وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جرحاً مثقولة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فلا اعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة في إيلامها بالجوع كما ينال في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مرید بما لا يمتاطه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه القوا كد الشهوات وقد لا يمنع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التمديب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجحاح والامتناع عن العبادات كان الأسهل لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتسكن نفسه وللمقصود أن تسكن حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإعسا

(١) حديث النبي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوسطها

البيهقي في الشعب مرسل وقد تقدم .

بمیزان الشرع والعدل  
وبهم النفس بعدم  
الرضا بالنفساء ، قيل  
لبعضهم : من أقهر  
الناس لنفسه قال  
أرضاهم بالمقدور  
وقال بعضهم أصبحت  
ومالي سرور إلا مواقع  
القضاء وإذا اتهم  
الصوفي النفس عند  
الغضب تداركه العلم  
وإذا لاح علم العلم  
قوى القلب وسكنت  
النفس وعاد دم القلب  
إلى موضعه ومقره  
واعتدل الحال وفاضت  
حرارة الخلد وبانت  
فضيلة العلم قال عليه  
السلام « السمت  
الحسن والتسودة  
والاقتصاد جزء من  
أربعة وعشرين جزءا  
من النبوة » . وروى  
حارثة بن قدامة قال

يبتغى من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحق أما الصديق فلا سقاية نفسه على الصراط المستقيم واستغاثته عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المغرور فافظنه نفسه أنه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فإن النفس قلما تأتدب تأدبا كاملا وكثيرا ما تنظر فتتظفر إلى الصديق ومساعدته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمرضى ينظر إلى من قد صبح من مرضه فيتناول ما يتناولوه ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذى يدل على أن تحديق الطعام بتقدير يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متناهية عن الحق غير بالثة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يخطر ويفطر حتى يقول لا يصوم <sup>(١)</sup> وكان يدخل على أهله فيقول « هل عندكم من شيء » فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم <sup>(٢)</sup> « وكان يقدم إليه الشيء فيقول « أما إني قد كنت أردت الصوم ثم يأكل <sup>(٣)</sup> » وخرج <sup>عليه السلام</sup> يوما وقال « إني صائم فقال له عائشة رضى الله عنها قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه <sup>(٤)</sup> » ولذلك حكى عن سهل أنه قيل له كيف كنت في بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يحنث ورق النبق مدة ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين قليل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس الراد بقوله بلا حد ولا توقيت آكل كثيرا بل أنا لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف السكرخى يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل قليل له إن أخاه بشرا لا يأكل مثل هذا فقال إن أخى بشرا قبضه الورع وأنا بسطنى المعرفة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمنى أكلت وإذا جوعنى صبرت مالى والاعتراض والتحيز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواريا قليل يأبأ بإسحق بهذا كله قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه ثورا يسيرا فهم الأوزاعى والثورى فقال له الثورى يأبأ بإسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الاسراف في اللباس والأثاث والذى أخذ العلم من السجاع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للحم منذ عشرين سنة . وعن سرى السقطى أنه منذ أربعين سنة يشهى أن يمشى جزيرة في دبس فما فعل فيراه متناظرا فيتجر أو يقطع بأن أحدهما عطش والآخر بالصبر بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسعها فطن محتاط أو غي مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة المارقين حتى أسمع نفسى فأبى نفسى أطوع من نفس سرى السقطى ومالك بن دينار وهؤلاء من المتعنين عن الشهوات فيقتدى بهم وللمغرور يقول ما نفسى بأعصى على من نفسى معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى تقول لا يخطر ويفطر حتى تقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم وقد حسنه ون من حديث عائشة وهو عند من بنحوه كما سياتى (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أريد الصوم البيهقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إنسانه صحيح وعند من قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفى رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفى لفظ البيهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريه .

قلت بارء ولله أومنى وأقلل إلى أعيه قال لا تغضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تغضب قال عليه السلام « إن الغضب حجرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفخ أوداجه من وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجاس وإن كان جالسا فليضطجع » أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا الهروى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضى الله

الكرخي وإبراهيم بن آدم فذكر فيهم وأرفع التقدير في ما كولي فأنا أيضا ضيف في دار مولاي قالى ولا اعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أوفى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يعلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله واتباضه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكيفية حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه نية فيكون عاملا لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضى الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله <sup>(١)</sup> ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة مزوجة بعسل جعل يدير الأناة في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعثها أعز لواغى حسابها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها بحريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو إلى الاعتدال فإنه يقصر لراحة عما يدعو إليه فينبغي أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فإن الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيبقى إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذى فاتك من العرفة والسكال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يغوص مع الريد في كل رياضة كان يأمره بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فيفره ذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح القير لزمه الزول إلى حد الضعاف تشبه بهم وتلطفا في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنياب والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى أن لا يترك في كل حال ولذلك أبى عمر رضى الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بمن فحلاه بالردة وقال لآثم لك كل يوما خبزاً ولحماً ويوما خبزاً ولبناً ويوما خبزاً ومنما ويوما خبزاً وزيتاً ويوما خبزاً وملحاً ويوما خبزاً فقراراً وهذا هو الاعتدال فأما اللواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكيفية إقرار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

( بيان آفة الرياء للتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقال الطعام )

اعلم أنه يدخل على ترك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن لا تسدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشبه بها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشبهها فيخفى الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفى . سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأسا قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحبا أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجهودات بالأعمال فإن إخفاء النفس وإظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعف والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتبى ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمرى للتائقين فقال تعالى . إن للتائقين في الدرك الأسفل من النار . لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وسر فكان ستره لكفره كفر آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر الخواصين فحما الكفر عن ظاهره والمعارفون يبتلون بالشهوات بل بالهوى ولا يبتلون بالرياء والنفس والإخفاء بل كمال المعارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لمزلة من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الخلواء والعسل

الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نساءه .

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد الفيس « إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التوود والتألف والواقفة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعداء على الكفار رحماء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقتم ما فى الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتوود والتألف من اتلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذى أوردناه فما تعارف منها اتلف قال الله تعالى - فأصبحتم بنعمته

عن نفسه قلوب الصافين حتى لا يشعشعوا عليه حاله فنهاية الزهد : الزهد في الزهذبه باظهار صنده وهذا عمل الصديق فانه جمع بين صديقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس تقلين وجرعا كأس الصبر مرتين مرة شهيه ومرة برمي فلا جرم أولئك يؤتون أجرام مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالقرسوا فين فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته وتقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يفتره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستر اصلاحا لترك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرد وبروجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره فذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطاع عليه ليس يقتدى به في الفعل أولا ينجز باعتقاده أنه تارك للشهوات . الآفة الثانية : أن لا يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام فليأكل كل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كتبت تاركا لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تلعط نفسك منها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد قمعت عليها إذ لم تمطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فاني إذا أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت المزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أتلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب ووقع في حية لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

## ( القول في شهوة الفرج )

اعلم أن شهوة الواقع ساهلت على الإنسان لها تدنين : أحدها أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذته الواقع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كأن النار وألهاها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بالأمحسوس ولذته محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالدوق لا يعظم إليه الشوق . الفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يملك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - معناه شدة القلة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر » وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لإلأ أنه قال في تفسيره « الذكر إذا دخل وقدر قبل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله <sup>(١)</sup> » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلي وهفي ومني <sup>(٢)</sup> » وقال عليه السلام « النساء حائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال <sup>(٣)</sup> » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه أولوا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لا حياء لك الله مناجاة بك قال جئت لأعلم عليك منزلة من الله ومكانته قال فما الذي رأيته عليك قال برنس أخطفته به قلوب بني آدم قال فما

إخواننا - وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « المؤمن آلف مألوف لاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليمين تسفل أحدهما الأخرى وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لماذا نأى أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر وقال الذي أسنده الذكر إذا دخل هذا حديث لا أصل له (٢) حديث الهم إنني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلي ودينني تقدم في الدعوات (٣) حديث النساء حائل الشيطان الأصناف في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة .



التي إذا صنعها الانسان استحوذت عليه قال إذا أعجبتني نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذر  
 ثلاثا لا تهل بامرأة لا تهل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تهل له إلا كنت صاحبها دون أصحابي حتى أقتنه بها  
 وأقتنها به ولا تعاهد الله عبدا إلا أوفيت به ولا تخرج من صدقة إلا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يعشها  
 إلا كنت صاحبها دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به ثم ولي وهو يقول يا وليته علم موسى ما يجذر  
 به بني آدم . وعن سعيد بن السبب قال ما بث الله نبياً فيها خلا إلا لم يأس إيليس إلا يهلكه بالنساء ولا  
 شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا يتيق ويبت ابني أعقل فيه يوم الجمعة أرواح وقال  
 بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرى به فلا أخطئ وأنت موضع  
 سري وأنت رسولي في حاجتي فنصف جند الشهوة ونصف جند النصب وأعظم الشهوات شهوة النساء  
 وهذه الشهوة أيضا لها إفراط وتفریط واعتدال فالإفراط ما يهرق العقل حتى يصرف همه الرجال إلى  
 الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سائر طرق الأخرى ويهمل الدين حتى يجرى إلى اتحام الفواحش  
 وقد ينتهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شديعين : أحدهما أن يتناولوا ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من  
 الواقع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى للعدة تنظم شهوة الطعام ومماثل ذلك إلا كثر ابني  
 بسباع ضارية وحيات عادية فتدغم عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهيجها ثم يشغلها بالصلاصها  
 وعلاجها فان شهوة الطعام والواقع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب  
 الخلاص . فان قلت فقد روي في غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «عسكوت إلى  
 جبرائيل ضئف الواقع فأمرني بأكل الهريسة (١)» فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يختمه نسوة  
 ووجب عليه تخصيصهن بالامتناع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلب القوة لهذا الامتناع .  
 والأمر الثاني أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال إلى المشق وهو غاية الجهل بما وضع له الواقع وهو  
 مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لأن التشقق ليس بفتح بارقة شهوة الواقع وهي أقبح الشهوات وأجدرها  
 أن يستحيها منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا من محل واحد والبهيمية تنقضي الشهوة أين انقضى  
 فشكفي به وهذا لا يكتفي إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلاً إلى ذل وعبودية إلى عبودية حتى  
 يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة ومغتالاً لأجلها وما  
 المشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لأم له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك  
 معاودة النظر والسكر وإلا فإذا استحك عسر دفعه فكذلك عشق السالوا الحامو القارو والأولاد حتى  
 حب اللعب بالطيور والزرد والشرنج فان هله الأمور قد تستولي على طائفة بحيث تنفص عليهم  
 الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة . ومثال من يكثر سورة المشق في أول انبثائه مثال من صرف  
 عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد  
 استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبتها ويجرها إلى ورثائها وما أعظم  
 التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما في آخرها فلا تقبل العلاج  
 إلا بمجد جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح فاذن إفراط الشهوة أن يلبس العقل إلى هذا الحد وهو  
 مذموم جداً وتفریطها بالمعنى أو بالنصف عن امتناع النكاح هو أيضاً مذموم وإنما المحمود أن تكون  
 معتدلة ومطبعة للعقل والشرع في انتباها ونابسطها ومهما أفرطت فكسرها بالجرع والنكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبريل ضئف الواقع فأمرني بأكل الهريسة العقيلي في الضمفاء طس من  
 حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

وهم لا يزغون وخاف  
 الناس ولا يخافون  
 وهم أولياء الله الذين  
 لا خوف عليهم ولا هم  
 يحزنون قيل من هؤلاء  
 يا رسول الله قال  
 للتحاجون في الله . وقيل  
 لوتحاب الناس وتعاطوا  
 أصناف المحبة لاستغفروا  
 بها عن العداة . وقيل  
 المدالة حليفة المحبة  
 تستعمل حيث لا توجد  
 المحبة وقيل طاعة المحبة  
 أفضل من طاعة الربهة  
 فان طاعة المحبة من  
 داخل وطاعة الربهة  
 من خارج ولهذا المعنى  
 كانت محبة الصوفية  
 مؤثرة من البعض في  
 البعض لأنهم لما تحابوا  
 في الله تواصوا بمحاسن  
 الأخلاق ووقع القول  
 بينهم لوجود المحبة  
 قاطعة فكذلك الريد

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالبادء فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء <sup>(١)</sup> » .  
( بيان ما على اللريد في ترك الزوج وفعله )

اعلم أن اللريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالزواج فان ذلك شغل شاغل ينمعه من السالك ويستجره إلى الأذى بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يخرجه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى <sup>(٢)</sup> فلا تقاس للأنثى بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال مارأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول وقول له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا آتني الله بها أي إن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغول فكيف يقاس بغير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فيرده فذلك كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كليتي يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه فيصور طاقة قلبه عنه <sup>(٣)</sup> فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنسه بالخلق عارضا رقيقا يبدنه ثم إنه كان لا يطبق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فإذا ضاق صدره قال أرحنا بها بإبلال <sup>(٤)</sup> حتى يعود إلى ما هو قرة عينه <sup>(٥)</sup> فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم فشرط اللريد العزيمة في الابتداء إلى أن يقوى في الممرة هذا إذا لم تقلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسر بها الجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنفع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فليها لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره . ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصنائع وهو يؤدي إلى القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غضن بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة . وقال سعيد بن جبيرة إن ساجات الفتنة لها ود على السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بده الزنا قال النظر والتمني . وقال الفضيل يقول إبليس هو قوس القديعة وسهمي الذي لا أخطئه به يعني النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظر سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيماننا يجد حلاوته في قلبه <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تركت بدني فتنة أضرب على الرجال من النساء <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بني إسرائيل كانت من قبل النساء <sup>(٨)</sup> » وقال تعالى - قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعيلان

بالشيخ والأخ بالأخ  
ولهذا الذي أمر الله تعالى  
باجتماع الناس في كل  
يوم خمس مرات في  
المساجد أهل كل دور  
وكل حلة وفي الجامع  
في الأسبوع مرة أهل  
كل بلد وانضمام أهل  
السواد إلى البلدان في  
الأعياد في جميع السنة  
مرتين وأهل الأقطار  
من البلدان للفرقة  
في العمر مرة واحدة كل  
ذلك لحكم بالغة منها  
تأكيد الألفة والوادة  
بين المؤمنين وقال عليه  
السلام « المؤمن للمؤمن  
كالبيان يشد بهضه  
بعضا » أخبرنا أبو زرعة  
قال أنا والدي أبو الفضل  
قال أنا أبو نصر محمد بن  
سلطان العدل قال أنا  
أبو طاهر محمد بن محمد  
ابن عيسى الزيادي قال

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج الحديث تقدم في النكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع ما في الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كليتي يا عائشة لم أجد له أصلا (٤) حديث أرحنا بها بإبلال تقدم في الصلاة (٥) حديث إن الصلاة كانت قرة عينه تقدم أيضا (٦) حديث النظر سهم مسموم من سهام إبليس الحديث تقدم أيضا (٧) حديث ما تركت بدني فتنة أضرب على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء من حديث أبي سعيد الخدري .

تزيان وزناها النظر والبدان تزيان وزناها البطش والرجلان تزيان وزناها للشي والهمزني وزناه  
 القبله والقلب بهم أويتحن ويصدق ذلك الفرج أوكذب (١) وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم  
 الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا قلنا  
 أوليس بأعمى لا يصيرنا فقال وأنتما لا تبصرانه (٢) وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العمدان  
 كما جرت به العادة في المآثم والولائم فبحرم على الأعمى الخلوة بالنساء وبحرم على المرأة مجالسة الأعمى  
 وتحديق النظر إليه لغير حاجة وإنما يجوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن  
 قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فإن الشر في الصبيان  
 أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح والنظر إلى وجهه الصبي الشهوة  
 حرام بل كل من يتأثر قلبه بهمال صورة الأمرد بحث يدرك التفرقة بينه وبين اللحنى لم يحل له  
 النظر إليه . فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لعمالة ولم تزل وجوه الصبيان  
 مكشوفة . فأقول لست أعنى تفرقة العين قط بل يبنى أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة  
 بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها  
 وشجرة تساقطت أوراقها فانه يحل إلى إحداها بينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل  
 ذلك لا يشتهى ملاسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشية الحسنة قد  
 تبيل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها وبصرف ذلك  
 يميل النفس إلى القرب والملاسة فهما وجد ذلك الليل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين  
 النبات الحسن والأتواب النقشة والسقوف الذهبية فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتناول  
 به الناس ويحرم ذلك إلى العاطب وهم لا يشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري  
 على الشاب الناسك من غلام أردت مجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبث بسلام بين أصبعين  
 من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لوطا . وعن بعض السافدة لسبون في هذه الأمة ثلاثة أصناف  
 لوطيون : صنف ينظرون وصنف يصالحون وصنف يلدن فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما  
 عجز الريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح قرب نفس  
 لا يسكن توقاتها بالجوع . وقد بضمهم : غلبت على شهوتي في يده إرادتي بما لم أطق فأكثر الضجيج  
 إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده  
 على صدرى فوجدت بردها في فؤادى وجميع جسدى فأصبحت وقد زال ما بين فبقيت معافى سنة ثم  
 عاودنى ذلك فأكثر الاستغافنة فأتانى شخص في المنام فقال لي أتحب أن يذهب ما جده وأضرب  
 عنقه قلت نعم فقال مد رقبته فشدتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنق فأصبحت وقد زال ما بين  
 فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك أوأشد منه فرأيت كأن شخصا في بين جنبي وصدرى يخطبني  
 ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رصفه قال فتزوجت فاقطعت ذلك عنى وولد لي ومهما  
 احتاج للريد إلى النكاح فلا يبنى أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتدائه  
 فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك  
 في كتاب آداب النكاح فلا تطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن ينكح بقيرة متدنية ولا يطلب

(١) حديث لسك ابن آدم حظه من الرنا فالصبيان تزيان الحديث م حق والفظ له من حديث  
 أنى هريرة وافق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن  
 أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث د ن ت وقال حسن صحيح .

أنا أبو العباس عبد الله  
 ابن يعقوب الكرماني  
 قال حدثنا يحيى  
 الكرماني قال حدثنا  
 حماد بن زيد عن حماد  
 ابن سعد عن الشعبي  
 عن النعمان بن بشير  
 قال منعت رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 يقول «ألا إن مثل  
 المؤمنين في توادهم  
 وتراحمهم وتراحمهم  
 كمثل الجسد إذا  
 اشتكى عضو منه تداعى  
 سائر به بالسهر والحمى»  
 والتألف والتودد  
 يؤكدان أسباب الصلابة  
 والصحة مع الأخيار  
 مؤثرة جدا . وقد قيل  
 لقاء الإخوان قراح  
 ولا شك أن البواطن  
 تتلفق ويتوآى البعض  
 البعض بل مجرد النظر  
 إلى أهل الصلاح يؤثر

النية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالة الصداق وتسويق الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يجد خوفًا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلاستحقته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق . تزوج بعض الريدن بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استجبت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل أناني منزله منذ ستين مذهب إلى الحلاء قط إلا وحمل الماء قبل إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفًا من أن يستجبها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينه حين ذلك فقيل له في ذلك فقال تصدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال أختي أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج للريد فهكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روى أن محمد بن سليمان الهاشمي كان ملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلماؤها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على راحة المدوية رحمها الله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس بمضى الأيام والليالي حتى أتتها مائة ألف وانا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبني فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أملك كتابي هذا فهي زائدك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال وأوصياءك فيفتسحوا ثرائك فسم الله وليكن فطرك للوت وأما أنا فلأن الله تعالى خلوني أمثال الذي خلوك وأضعافه ماسرني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر للريد إلى حاله وقلبه فإن وجده في العزوبة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور : الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزوج البنات قال سعيد بن السيب ما أيس إيليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يشكو بالأخرى ماضي : أخوف عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن السيب فتفقدي أياما فلما أتيته قال أين كنت ؟ قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخرتنا فشدها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة ؟ قلت بركة الله تعالى ومن يتزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتفضل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو أقل ثلاثة قال فحمت وما أمدني ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر من أخذ ومن أستدين فضليت القرب وانصرفت إلى منزلي فأسرجت وكنت سائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزًا وزيتا وإذا باني يفرح قلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن السيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين دارة والمسجد قال خرجت إليه فإدا به سعيد بن السيب فظننت أنه قد بدله قلت يا أبا عبد لو أرسلت إلي لأمتنك فقال لا أنت أحق أن تأتي قلت فما تأمر قال إنك كنت رجلا عزبا فترزجت فكبرته أن أيتيك الليلة وحدهم هذه امرأتك وإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها

ملاحوا والظرف الصور  
يؤثر أخلاقا مناسبة  
لخلق المنظور إليه  
كدوام النظر إلى  
المحزون يحزن ودوام  
النظر إلى السورور  
يسر . وقد قيل من  
لا ينفك لخطه لا ينفك  
لفظه والجل الشرود  
يسير ذلولا بمقارنة الجلل  
الدلول فالمقارنة لها تأثير  
في الحيوان والنبات  
والجماد والماء والهواء  
يفسدان بمقارنة الجيف  
والزروع تنق عن أنواع  
السرو في الأرض  
والنبات موضع الفساد  
بالمقارنة وإذا كانت  
للمقارنة مؤثرة في هذه  
الأعيان ففي النفوس  
الشرعية البشرية  
أصغر تأثيرا ومضى  
الإنسان إنسانا لأنه  
يأنس بمباراه من خير

فدفعها في الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوقفت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم سعدت السطح فرميت الجيران فأدوني وقالوا ما شأنك قلت ويحك زوجي سعيد بن السيب ابتنته اليوم وقد جاء بها الليلة بل غفلة قالوا أوسعيد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي جارت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأنت ثلاثا ثم دخلت بها فاذهي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فسكتت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر آتيته وهو في حلقته فسكنت عليه فرد على السلام ولم يكن لي حق تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الإنسان قتلته بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رابك منه أمر فدونك والصبا فانصرفت إلى منزلي فوجه إلى بشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن السيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاء العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستجبال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة وجوب المبادرة في الدين إلى تطفئه نارها بالنكاح رضي الله تعالى عنه ورحمه.

( يان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين )

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الميخان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستجني منه ويحشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لمجنأ ولخوف أو لحياء أو لحفاظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعمن الصمة أن لا يقدر في هذه العوائق فائدة وهي دفع الائم فان من تركها اثرنا ندفع عنه إثمه بأى سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع اللوانع وتيسر الأسباب لاسيا عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق ففكتم فمات فهو شهيد (١) » وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجل دعت امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين (٢) » وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثبت الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسأته قسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكان أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي منهم إغار إلى قوله تعالى - ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضا ما هو أعجب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى زلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليتناغ عيئا وجلس سليمان في الحجة وكان من أجل الناس وجها وأورعهم فبصرت به أعراية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فأسفرت عن وجهها كأنه قلة فقرأت وقالت

(١) حديث من عشق ففكتم فمات فهو شهيد ك في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد ثم قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لي عرس ورمح غزوت سويدا ورواه الخراطمي من غير طريق سويد بسند فيه بطل (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وشر والتألف والتوردد  
مستجلب للمزيد وإعسا  
العزلة والوحدة تحمد  
بالنسبة إلى أراذل  
الناس وأهل الشر  
فأما أهل العلم والصفاء  
والوفاء والأخلاق  
الحيدة فينتهم مقاربتهم  
والاستئناس بهم  
استئناس بالله تعالى  
كأن عجبته هبة الله  
والجامع معهم رابطة  
الحق ومع غيرهم رابطة  
الطبع فالصوفي مع غير  
الجنس كائن بآئن ومع  
الجنس كائن مغاين  
والمؤمن مرآة للمؤمن  
إذا نظر إلى أخيه  
يستشف من وراء أثوابه  
وأعماله وأحواله  
تجليات إلهية وتبرعات  
وتلويحات من الله  
الكرام خفية ثابتة  
عن الأغيار وأدركها

أهنتني فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلى إيليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخلف النجيب فلم يزل يكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فقرأه وقد انتفخت عيناه من البكاء واضطجع قائما فقال ما يبكيك ؟ قال خير ذكرت صديق قال لا والله إلا أن لك قصة إنما عندك بصيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يكي بكاء شديدا فقال سليمان وأنت ما يبكيك ؟ قال أنا أحق بالكاء منك لأنني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يتكلمان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحتج بشو به فأخذته عينه فقام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن في شأنك شأن امرأة العزيز زلجها فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أحجب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آوأم للبيت إلى غار فدخلوا فاحدثت صخرة من الجبل فسدت عليهم النار فقالوا إنه لا ينجيك من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى يصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأعقب قباهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرحع عليهما حتى نالما غلبت لهما فبؤسهما فوجدتهما نائمين فسكرت أن أضيق قبليهما أهلا ومالا فلبثت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلعت الفجر والصبيحة يضاضغون حول قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تنقض الحاتم إلا بحقه فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجرا وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب ففتمت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني به دحين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والريق فقال يا عبد الله أتجزأني فقلت لا أستجزئ بك غنمه فاستاقه وأخذته كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا عسبون (١) فهذا أفضل من تمسك من قضاء هذه الشهوة فف وفقر من من تمسك من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا فحفظها منهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والافات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال ﷺ « لك الأولى وعليك الثانية (٢) » أي النظرة . وقال العلامة بن زياد لا تتبع بصرك ودام المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة وقلبا يخلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فهما تخاليل إليه الحسن فاضى الطبع للمعاودة وعنده يفتنى أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاسمحس ثارت الشهوة ومجوز عن الوصول فلا يحصل له

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الإحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم للتم من التهم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ماورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « ما من الناس أحد آمن علينا في محبته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لا اتخذت أبا بكر خليلا » وقال « ما نفعني مال كمال أبي بكر » فالخلق حجروا عن الله بالخلق في النع والعطاء فالصوفي في

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آوأم للبيت إلى غار فذكر الحديث بطوله رواه البخاري (٢) حديث لك الأولى وليست لك الثانية أي النظرة دت من حديث بريدة قاله لعلي قال ت حديث غريب .

إلا التحسر وإن استعجب لم ياتد وتأم لأنه قصد الانداز قد قل ما آك فلا يخاف في كلنا حالتيه  
عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات  
فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التحكم فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق قد روى  
عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم  
إلى قرية أخرى فقبضها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لأنا أشد حباك منك لي ولكي  
أخاف الله قال فأمنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع ثانياً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فإذا هو برسول  
لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن تظننا سحابة  
حتى ندخل القرية قال مالى من عمل صالح فأدعوا فدفع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت حتى دعائى فدعا  
الرسول وأمن هو فأظلتها سحابة حتى اتيا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فسال السحابة معه  
فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذى دعوت وأنت الذى أمنت فأظلتنا سحابة  
ثم يمتك لتخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس  
بمكانه . وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب معتبد لازم السجد الجامع  
لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السميت فظفرت إليه امرأة ذات جمال وعقل  
فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقتت له على الطريق وهو يريد للسجد فقالت له يا فاني اسمع  
منى كليات أكلك بها ثم اعلم ما شئت ففنى ولم يكلمها ثم وقتت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد  
منزله فقالت له يا فاني اسمع منى كليات أكلك بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف نعمة وأنا أكره  
أن أكون لثمة موزما فقالت له والله ما وقتت موقفى هذا جهالة منى بأمرك ولكن معاذ الله أن  
يتشوف العباد إلى مثل هذا منى والذى حملنى على أن لقبنتك في مثل هذا الأمر بنفسى لمرفق أن  
القليل من هذا عند الناس كثير وأتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شئ يبيها وجملة  
ما أقول لك إن جوارحى كلها مشغولة بك فإله الله في أمرى وأمرك قال ففنى الشاب إلى منزله  
وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلى فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة  
واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيتها  
المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره فإذا لبس لها  
ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا  
يطيق غضبه فإن كان ما ذكرت باطلاً فاني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال  
كالهبن وتجتو الأم لصوله الجبار العظيم وإنى والله قد ضعف عن إصلاح نفسى فكيف بإصلاح  
غيرى وإن كان ما ذكرت حقاً فاني أدلك على طبيب هدى يداوى السكوم والمرضة والأوجاع للرمضة  
ذلك الله رب العالمين فاقصده بصدق للسألة فاني مشغول عنك بوجه تعالى - وأندرم يوم الألفة  
إذ القابول لى الخناجر كاطعين مالمظالمين من حميم ولاخفيع يطاع . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور -  
فأين الهرم من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقتت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد  
الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يا فاني لا ترجع فلا كان للتيق بعد هذا اليوم أبداً إلا غدا بين يدي الله  
تعالى ثم بكت بكاء شديداً وقالت سأسأل الله الذى بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك  
ثم أنها تبته وقالت آمين على جموعة أحملها عنك وأوصنى بوصية أحمل عليها قال لها أوصيك بحفظ  
نفسك من فسك وأذكرك قوله تعالى - وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالناظر - قال فأنطرت  
وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ثم إنها أقافت ولزمت بيها وأخذت في العبادة فلم تزل على

الابتداء بغنى عن الخلق  
وبرى الأشياء من الله  
حيث طالع ناصيته  
التوحيد وخرق  
الحجاب الذى منع  
الخلق عن صرف  
التوحيد فلا يثبت  
للخلق منعا ولا عطاء  
وعجبه الخلق عن الخلق  
فإذا ارتقى إلى ذروة  
التوحيد يشكر الخلق  
بعد شكر الخلق ويثبت  
لهم وجوداً في النعم  
والعطاء بعد أن يرى  
السبب أولاً ولذلك  
لسعة علمه وقوة  
معرفة يثبت الوسايط  
فلا يحبه الخلق عن  
الحق كرامة للسليين  
ولا يحبه الخلق عن  
الحق كأرباب الإرادة  
والتبديين فيكون  
شكره للحق لأنه النعم  
والعطى والسبب

ذلك حتى ماتت كذا فكان الفتي يذكرها بعد موتها ثم يسكن فيقال له لم بكأوك وأنت قد أياسرنا من نفسك ؟ فيقول إني قد ذبحت طبعها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحي منه أن أسترده ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشهوئين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلو إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

### ( كتاب آفات اللسان )

( وهو الكتاب الرابع من ربيع للهالكات من كتاب إحياء علوم الدين )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله وألمحه نور الإيمان فزينه به وجهه وعلمه البيان قدّمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سقرا من رحمته وأمليه ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه عترة الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرمهم وبجله ونبهه الذي أرسله بكتاب أنزله وأممي فضله وبين شبهه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهله .

[ أما بعد ] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه القوية فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويعترض له بآيات أولئك فإن كل ما يتناوله العلم يرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رحب الميدان ليس له حرد ولا جهة منتهى وحده ، له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى الضمان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجون من شر اللسان إلا من قيد بلعجام الشرع فلا يطلقه إلا فيا ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يجد فيه إطلاق اللسان أو يندم فامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه قليل عسير وأصعب الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تلب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحباله وإنه أعظم آفة الشيطان في استغواء الإنسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نقول جميع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يمتن ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الحوض في الباطل ثم آفة الرءاء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التفرق في الكلام بالتشديق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما حرجت به عادة للتفاهين للدينين للخطابة ثم آفة التفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة الفتن إما لحبوان أو جماد أو إنسان ثم آفة الفناء بالشعر وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يحرم من الفناء

( كتاب آفات اللسان )

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة المحادون الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطس أو سحشا فقال الحمد لله تعالى بها عنه سبعين داء أهونها الجذام » وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد نعم عليه بنعمة حمد الله إلا كان الحمد أفضل منها » فقله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يرضى الحق بها شكرا ويحتمل أن الحمد أفضل منها نعمة





صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه <sup>(١)</sup> وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بواقفه <sup>(٢)</sup>» وقال <sup>(٣)</sup> «من سره أن يسلم فليزلم الصمت <sup>(٤)</sup>» وعن سعيد بن جبير مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكّر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استقمعت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا <sup>(٥)</sup>» وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال هذا أوردني إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته <sup>(٦)</sup>» وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يابى ويقول باللسان قل خيراً ثم واسكت عن سرّ لم من قبل أن تقدم قيل له يا أبا عبد الرحمن أهدأ شيء؟ قوله أوشى سمعته؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه <sup>(٧)</sup>» وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كف لسانه ستر الله عورته ومن لك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره <sup>(٨)</sup>» وروى أن معاذ بن جبل قال «يا رسول الله أوصني، قال: اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في اللوف وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده إلى لسانه <sup>(٩)</sup>» وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله <sup>(١٠)</sup> «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق <sup>(١١)</sup>» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الشاء» ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا يروى النفس وآفاتهما وشبهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين يذل الجاه والمعاونة في إصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخاطباتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفي تام الحال عالم رباني . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كبروا ت وصحبه . وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصبعه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والحراني في بكرم الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليزلم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكّر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رفعه ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعاً وإنما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفعه ورواه ت موقوفاً على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطّلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني للوارد إن رسول الله <sup>(٦)</sup> قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الفروع وهم على الداروردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٦) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يابى ويقول باللسان قل خيراً ثم واسكت عن سرّ وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٨) حديث إن معاذاً قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (٩) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا . وسلاورجالة ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً .

خيرا أو ليسكت <sup>(١)</sup> » وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبدا تكلم فغم أو سكت فسلم <sup>(٢)</sup> » وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وإنه عن النكر فإن لم تحقق فكف لسانك إلا من خير <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليتحق الله امرؤ علم مايقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن سمعوا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة <sup>(٥)</sup> » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة فقام وسالم وعاجب فالعالم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل <sup>(٦)</sup> » وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره قبله ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم تدبره قبله <sup>(٧)</sup> » وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في القرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثرت سقطه ومن كثرت سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به <sup>(٨)</sup> » .

الآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أحوج إلى طول سجن من لسان ، وقال طاوس لسانى سبع إن أرسلته أكلنى ، وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه ، قبل على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسر ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يشه . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والنهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

(١) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه .

(٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغم أو سكت فسلم ابن أبي الدنيا في الصمت والبيق في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع الحديث ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث طس من حديث أبي سعيد وله في المعجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمن سمعوا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة . من حديث أبي خلاد بلطف إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة وقد تقدم .

(٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة فقام وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى لفظ المجالس وضعه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره قبله الحديث لم أجده مرفوعا وإنسارواه الخرائطى في مكارم الأخلاق من روايه الحسن البصرى قال كانوا يقولون (٨) حديث من كثر كلامه كثرت سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة القلاء والبيق في الشعب موقوفا على عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتأفه بذلك لقضاء حوائج الناس . وقال عطاء لأن رأيي الرجل سنين فيكتسب جاهها يعيش فيؤمن ثم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يختن به خلق من الجهال للدين ولا يصلح هذا إلا لعبد اطلع الله على باطنه فلم منه أن لا رغبة له في شيء من الجاه والمال ولو أن ملوك الأرض وقوا في خدمته ما طغى ولا استطال ولو دخل إلى أون بوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق وأفراد من

للمالك بن دينار يا أبا عبي حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد مامن الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن بن حكيم قوم عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بھر لا تسكلم فقال له أخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت . وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقصر ، فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما أكل ، وقال الآخر إنى إذا تسكلمت بكلمة ملكتنى ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم أعسكنى ، وقال الثالث عجبت لعمتك إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن رجعت لم تنفعه . وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت ، وقيل أقام للنصور بن العزاز بتسكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة ، وقيل ما تسكلم الريح بن خنيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ما تسكلم به كتبته بحاسب نفسه عند اللساء . فان قلت فهذا الفضل الكبير لصمت ماسيه ؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والنية والخيمة والرياء والتفاق والتجسس واللراء وتركبة النفس والحوش في الباطل والخصومة والفضول والتعريف والزبادة والنقصان وإيذاء الحاقق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهى سبابة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلالة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخاص فى فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه بما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله فى الحوض خطر وفى الصمت سلامة فذلك عظمت فضيلته ، هذا ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والدكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة فقد قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - وبذلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض ، وقسم هو شفع محض ، وقسم فيه ضرر ومنفعة ، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة . أما الذى هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفتى بالضرر . وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضيق زمان وهو عين الحسرات فلا يفتى إلا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والنية وتركبة النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنده كرهه علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال « من صمت نجيا » (١) فلتأدق والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم (٢) ولا يعرف ماتعت أحادكاته من بحار المعاني إلا خواص العلماء وفيما سنده كره من الآفات وعبر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان وننتدى بأخفها وترقى إلى الأغلط قليلا ونؤخر الكلام فى النية والخيمة والكذب فان النظر فيها أطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بدون الله تعالى .

( الآفة الأولى : الكلام فيما لا ينبيك )

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التى ذكرناها من النية والخيمة والكذب واللراء والجبدال وغيرها وتسكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تسكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيع به زمانك وبحاسب على عمل لسانك

(١) حديث من صمت نجيا تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم م من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

( الآفة الأولى الكلام فيما لا ينبيك )

الصادقين ينسلخون  
عن إرادتهم واختيارهم  
ويكشفهم الله تعالى  
بمراده منهم فيدخلون  
فى الأشياء بمراد الله  
تعالى فإذا علموا أن  
الحق يريد منهم المخالطة  
وبدل الجاه يدخلون  
فى ذلك بنية صفات  
النفس وهذا لأقوام  
ماتوا ثم حشروا  
وأحكموا مقام القناء  
ثم رفقوا إلى مقام البقاء  
فيصكون لهم فى كل  
مدخل وخروج برهان  
ويأذن من الله  
تعالى فهم على بصيرة  
من ربهم وهذا ليس  
فهم ارتياح لصاحب  
قلب مكشف بصريح  
المراد فى خفى الخطاب  
فيأخذ وقته أبدا من  
الأشياء ولم تأخذ  
الأشياء من وقته

وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان يفتح لك من نجات رحمة الله عند الفكر ما ينظم جدواه ولو هالت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكلم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا يتنفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل ببيع لا ينه فانه وإن لم يأثم فقد خسر فانه الربيع العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته إلا فكريا ونظرة لإعبرة ونقطة لإذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا ينه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينه (٢) » بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطة من الجوع فسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا ينه ويمنع مالا يضره (٣) » وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كفا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أجز يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه للتأليه على الله ؟ قال هي أي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا ينه أو منع مالا ينه (٤) » ومعناه أنه إنما تنهى الجنة لمن لا يحاسب ومن يتكلم فيما لا ينه حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تنهى الجنة مع المناقشة في الحاسب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه فاس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به أن سلامة الصدر وترك ما لا ينه (٥) » وقال أبو بزر قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن هزيل في اليزان ؟ قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينه (٦) » وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الدم للوقوف لا تتكلم فيما لا ينه فانه فضل ولا آمن عليك الورور ولا تتكلم فيما ينهك حتى تعبد له موصفا فانه رب متكلم في أمر ينه

(١) حديث للمؤمن لا يكون صمته إلا فكريا ونظرة لإعبرة ونقطة لإذكرا لم أجده أصلا وروى محمد بن زكريا العلاني أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطق ذكرا وصمتي فكريا ونظري عبرة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينه (٣) وقال غريب وه من حديث أبي هريرة (٤) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لعله كان يتكلم بما لا ينه ويمنع مالا يضره (٥) من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ للصف بسند ضعيف (٦) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كفا فسأل عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كعبا قال ما لا ينه أو منع مالا ينه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرة بإسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٧) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوثق ما أرجوه سلامة الصدر وترك ما لا ينه ابن أبي الدنيا هكذا مرسله وفيه أبو نعيم اخلف فيه (٨) حديث أبي ذر ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينهك ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من  
الأقطار إلا واحد  
متحقق بهذا الحال .  
قال أبو عثمان الحيري  
لا يكمل الرجل حتى  
يستوى قلبه في أربعة  
أشياء للنعم والعطاء  
والعز والذل وكذلك هذا  
الرجل يصلح ببلد  
الجاه والدخول فيما  
ذكرناه . قال سهل  
ابن عبد الله لا يستحق  
الإنسان الرياسة حتى  
تجتمع فيه ثلاث  
خصال : يصرف جهله  
عن الناس ويحتمل  
جهل الناس ويترك  
ما في أيديهم ويبدل  
ما في يده لهم وهذه  
الرياسة ليست عين  
الرياسة التي زهد فيها  
وتعين الزهد فيها  
لضرورة صدقه  
وسلوكة وإنما هذه

قد وضعه في غير موضعه فنت ولا تمار خلها ولا سفيها فان الحليم يثقل والسفيه يؤذيك واذا ذكر أخاك  
إذا غاب عنك بما تحب أن يذكره به وأعفه بما تحب أن يفيك منه وعامل أخاك بما تحب أن  
يملكك به واعمل عذر رجل يعلم أنه مجازي الإحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل لقمان الحكيم ما حكته  
قال لأسأل عما كذبت ولا أنسأف ما لا ينجي . وقال ورق العجلى : أمرأنا في طلبه منذ عشرين سنة  
لم أقدر عليه ولست ببارك طلبه قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا ينجي . وقال عمر رضي الله عنه  
لا تعرض لما لا ينجي واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى  
الله تعالى ولا تصحب القادر فتعلم من جفوره ولا تطعمه على سره واستشر في أمرك الذين يخشون  
الله تعالى . وحدا الكلام في لايبيك أن تتكلم بكلام لو سكنت عنه لم تأثم ولم تتضر به في حال ولا مال .  
مثلا أن تجاس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع  
وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تجمعت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكنت  
عنها لم تأثم ولم تتضر وإذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكابتك زيادة ولا نقصان ولا تركية نفس  
من حيث التناحر : شهادة الأحوال العظيمة ولا اغتياث لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى  
فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنت تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملة أن تسأل غيرك  
عما لا ينجي فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا للجواب إلى التضييع هذا إذا  
كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن  
عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل  
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا  
وإن سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمداغة الجواب انفض إلى جهد وقعب فيه فقد  
عرسته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر  
عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يغني ويستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك  
فتقول له ماذا تقول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين قريبا عنده مانع من  
ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل  
عن مسألة لاحاجة بك إليها وللشغل ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لأدري فيجب عن غير بصيرة  
ولست أعنى بالنكلم في لايبي هذه الأجناس فان هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا ينجي  
ما روي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم  
لجعل تعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك ففتحه حكته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ  
قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أى حصل العلم به من  
غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال  
فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك سر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا ينجي  
وتركه من حسن الاسلام فهذا حده . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لاحاجة به إليه  
أو للإسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال فائتة فيها . وعلاج ذلك  
كله أن يعلم أن اللوث بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أخاها رأس ماله وأن لسانه شبة  
يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فاحاله ذلك وتضييعه خسران مبین هذا علاجه من حيث العلم  
وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يصح حصة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يجنيه  
حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يجنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتاد شديد جدا .

رياسة إمامها الحق  
لصلاح خاتمه فهو فيرا  
بالله يقوم بواجب حقها  
وشكر نعمتها لله  
تعالى .

[ السبب الحادى  
والثلاثون في ذكر  
الأدب ومكانه من  
التصوف ]

روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « أدبى ربي  
فأحسن تأديبى »  
والأدب تهذيب الظاهر  
والباطن فإذا تهذب  
ظاهر البعد وباطنه  
صار صوفيا أديبا وإنما  
سميت المأدبة مأدبة  
لإجتماعها على أشياء  
ولا يتكامل الأدب في  
العبد إلا بتكامل مكارم  
الأخلاق ومكارم  
الأخلاق مجموعها من  
تحسين الخلق فالخلق

## ( الآفة الثانية : فضول الكلام )

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا ينفع والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يحجمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كملتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قلبكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يمدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أسما يعرفون أنها عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أنتكرونها أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن الجيبي وعن الشمال قيد ما يلفظ من قول إلا لله به رقيب عتيد . أما يستحي أحدكم إذا نشرت محيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولادنياء . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلي من الماء البارد إلى الظنآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكب والجار اللهم اخذه وما أشبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتق الفضل من ماله <sup>(١)</sup> » فانظر كيف قاب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل اللسان وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الحفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهويكم الشيطان <sup>(٢)</sup> إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق ألتفت بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حق إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أتباع لك كذا وكذا فيكتب كذبا . وقال الحسن يا ابن آدم بسط لك صحيفة ووكل بها مائة أربعمائة يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض غفاريته بعث قرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من اللامعة على رهوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين تسفل منهم ما أسرع ما يعلن وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظرفان كان له تكلم وإلا أمسك والقاهر إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن من أكثر كلامه أكثر كذبه ومن أكثر ماله أكثر ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

## ( الآفة الثانية : فضول الكلام )

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتق الفضل من ماله البغوي وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب الصري وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البغوي لا أدري سمع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن مندة مجهول لأنصف له صحبة ورواه الزائر من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث د ن في اليوم واليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ العنقب

صورة الانسان  
والخلق معناه فقال  
بعضهم الخلق لاسيبل  
إلى تفسيره كالحق وقد  
ورد « فرغ ربكم من  
الخلق والخلق والرزق  
والأجل » وقد قال تعالى  
- لا تبديل لخلق الله -  
والأصح أن تبديل  
الأخلاق يمكن مقدور  
عليه بخلاف الخلق  
وقد روى عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « حسنوا  
أخلاقكم » وذلك أن  
الله تعالى خلق الانسان  
وهيأ لقبول الصلاح  
والفساد وجعله أهلا  
للأدب ومكارم الأخلاق  
ووجود الأهلية فيه  
كوجود النار في الزناد  
ووجود النخل في النوى  
ثم إن الله تعالى بقدرته  
ألم الانسان ومكنه

« كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسنانى قال أما كان لك في ذلك ما يرد كلامك (١) »  
 وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شرا من فضل في لسانه  
 وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه إنه ليمنى من كثير من الكلام خوف البهاة . وقال بعض  
 الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليستك وإن كان ساكنا فأعجبه السكوت فليستك  
 وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من  
 يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة وقصان . وقال ابن عمر إن أحق ما طهر الرجل  
 لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرسا كان خيرا لها . وقال إبراهيم يهلك  
 الناس خشتان فضول للال فضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه  
 وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا ينفع .

### ( الآفة الثالثة : الحوض في الباطل )

وهو الكلام في العاصي ككتابة أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتتم الأغنياء وتجبر  
 الملوك ومراهمهم للذمومة وأحوالهم للكرهية فإن كل ذلك مما لا يحل الحوض فيه وهو حرام  
 وأما الكلام فيما لا ينفع أو أكثر مما ينفع فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما  
 لا ينفع لا يؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفريج بالحديث ولا يدعوا كلامهم  
 التمسك بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وهنأها فلذلك  
 لا غرض منها إلا بالاقتصار على ما ينفع من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك  
 بها صاحبها وهو يستحقها فقد قال بلال بن الحارث قال رحول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل  
 ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم  
 القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها  
 سخطه إلى يوم القيامة (٢) » وكان علقمة يقول كم من كلام منغية حديث بلال بن الحارث وقال  
 النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا (٣) »  
 وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلحق لها بالهوى بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم  
 بالكلمة ما يلحق لها بالارضاء الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم « أعظم الناس خطايا  
 يوم القيامة أكثرهم خوصا في الباطل (٤) » وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخافضين -  
 وبقوله تعالى - فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر  
 الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في محبة الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر  
 بجلس لهم فيقول لهم توضحوا فإن بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الحوض في الباطل وهو

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك  
 من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات .

### ( الآفة الثالثة : الحوض في الباطل )

(٢) حديث بلال بن الحارث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث . ت وقال الحسن  
 صحيح (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا ابن أبي  
 الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن ولشيوخه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا  
 يهوى بها سبعين خريفا في النار فحظت وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة  
 أكثرهم خوصا في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلًا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني  
 موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالترية  
 إلى أن يصير النوى  
 نخلًا والزناد بالمالج  
 حتى يخرج منه نار وكما  
 جعل في نفس الإنسان  
 صلاحية الخير جعل فيها  
 صلاحية الشر حال  
 الإصلاح والإفساد  
 فقال سبحانه وتعالى  
 - ونفس وما سواها  
 فألهمها فجورها  
 وتقواها - فقسوينا  
 بصلاحيها للشيطان  
 جميعا ثم قاله عز  
 وجل - قد أفلح من  
 زكاها وقد خاب من  
 دساها - فإذا تركت  
 النفس تدبرت بالقل  
 واستقامت أحوالها  
 الظاهرة والباطنة  
 وتهذبت الأخلاق  
 وتسكنت الآداب  
 فالأدب استفرج ما في  
 القوة إلى الفعل وهذا



وراء ماسياتي من النية والنجمة والحق وغيرها بل هو الخوض في ذكر عظومات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البديع والذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بطلعه وكرمه .

### ( الآفة الرابعة للراء والجبال )

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تعار أخاك ولا تمازحه ولا تعد موعدا فتختلفه » (١) وقال عليه السلام « ذروا للراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم من ترك أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال » (٣) وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل » (٤) وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراء ابن كان حقا » (٥) وقال أيضا « ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتسهيل الصلاة في اليوم الدين والصبر على الليالي وإسباغ الوضوء على السكاره وترك الراء وهو صادق » (٦) وقال الزبير لا يbane لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطعمهم ولكن عليك بالنسبة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التقل . وقال مسلم بن يسار يا كد للراء فانه ساعة جهل العالم وعندها ينتهي الشيطان زلته . وقيل ماضل قوم بعد أن هداهم الله إلا بالجلد . وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه ليس هذا الجدل من الدين في شيء . وقال أيضا للراء يفسد القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيموتوك وقل لبلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا عماريا معجبا برأيه قد تمت خسارته وقال سفيان ثوخلت أخى في رمانة فقال حلوة وقتل حامضة لسجى إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالراء فليرمينك بدهاية عنك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أمارى صاحبي فيما أن أكذبه وإنما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إثم أن لا تزال مجاريا

### ( الآفة الرابعة للراء والمجادلة )

(١) حديث لا تعار أخاك ولا تمازحه ولا تعد موعدا فتختلفه من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث ذروا للراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته طيب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك ورواه ابن الأسمع بإسناد ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهقه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث من ترك للراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في السمات والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في اللزائيل من حديث عمرو بن روم (٥) حديث ماضل قوم إلا أوتوا الجدل من حديث أبي أمامة ومحمّد بن زياد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يترك الراء وإن كان حقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن بالبدعي يترك الكذب في الزاحاة والراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث توفيته ترك الراء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخبر الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركتان (١) » وقال عمر رضى الله عنه لا تتم العلم ثلاث ولا تركه ثلاث لا تعلمه تسمارى به ولا تباهى به ولا ترائى به ولا تركه حياة من طلبه ولا زهاد فيه ولا رضا بالجلل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثرت كذبه ذهب جماله ومن لاقى الرجال سقطت مروءته ومن كثرهم سقم جسمه ومن ساء خلقه غلب قسه . وقيل ليمون بن مهران مالك لا تركه أخاك عن قلى قال لأنى لا أثار يولا أمار به وما ورد فى ذم الراء والجدال أكثر من أن يحصى . وحده الراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما فى اللفظ وإما فى المعنى وإما فى قصد الكلام وترك الراء ترك الانسان على الاعتراض فكل كلام ممتعه فإن كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه والطنن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العرية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما فى المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما فى قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس إن جرى فى مسألة علمية ربما خص باسم الجدول وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال فى معرض الاستفادة لالعى وجه العناد والنيكارة أو التلطف فى التعريف لافى مرض الطمن وأما المجادلة فصارة عن قصد إخماد الغير وتبجيذه وتقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يجب أن يكون هو الظاهر لخطأه بل يفضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأنم به لو سكبت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهمج على الغير باظهار قصه وهما شهورتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تركية النفس وهى من مقتضى مافى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما الراء والجدال فالواظب على الراء والجدال مقوله هذه الصفات لله لك وهذا يجاوز حد الكراهة بل هو مصيبة مهما حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك الممارسة عن الأيذاء وتنبه الغضب وحمل الاعتراض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدم فى قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين الثأرين كما يثور المهرام بين الكليين بقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعلم نكابة وأقوى فى إلحاحه وإلجائه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث له على تقيص غيره كما سبأنى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فإن علاج كل علة بما طبع سببها وسبب الراء والجدال ما ذكرناه ثم الواظبة عليه بجمعها عادة وطبعها حتى يتمكن من النفس وجسر الصبر عنه . روى أن أباحيفة رحة الله عليه قال لداود الطائى لم آتت الأترواء قال لأجاهد نفسى بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تسكلم قال فعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد على منها هو كما قال لأن من مع الحظا من غيره وهو قادر على كشفه تصير عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك الراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يفتل ذلك فى اللذاهب والمقائد فإن الراء طبع فاذا ظن أن له عليه ثوابا اعتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغى للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تطف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لتقصان قوى أصولها فى العزلة فلهذا احتاج الريدون إلى محبة المشايخ لتكون الصعبة والتسليم عونا على استخراج مافى الطبيعة إلى الفعل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضى الله عنهما قهوههم وأدبهم وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى ثم أسمى بكمار الأخلاق فقال - خذ المفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين - » قال يوسف بن الحسين

في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخلل إليه أنها حيلة منه في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجدلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فقتلوا البدعة في قلبه بالجدل وتأكيد فاذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يرد قول هذا سبع مرث وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثني الناس عليه ووجد نفسه يسييه عزا وقبولا قويته فيه هذه المملكات ولا يستطيع عنها نزوما إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والراء وحباله والتعزز بالفضل وأحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها .

( الآفة الخامسة : الحصومة )

وهي أيضا دمومة وهي وراء الجدال والراء فالراء ملين في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يربط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية البكاسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والحصومة لجأح في الكلام ليستوفي به مال أوحق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا للراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق قد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (٣) وقال بعضهم إياك والخصومة فانها تحق الدين ويقال ما خصم ورع قط في الدين وقال ابن تيمية مربي بشر بن عبد الله ابن أبي بكرة فقال ما يحاسبك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عمي قال إن لأبيك عندي يدا وإني أريد أن أجز بك بها وإني والله مارأيت شيئا أذهب للدين ولا أقص للرومة ولا أضيع للذة ولا أغفل للقلب من الحصومة قال فقلت لأصرف فقال لي خصمي مالك قلت لأخاسمك قال إنك عرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فاني لأطلب منك شيئا أهولك . فان قلت فإذا كان للإنسان حق فلا بد له من الحصومة في طلبه أو في حفظه مه اطلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تدم خصومته ، فاعلم أن هذا الدم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الحصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الحصومة على قصد التسلط أو على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزح بالخصومة ككلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصره الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يهمله على الحصومة محض العناد قهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما تصدى عناده وكسر عرسته وإني إن أخذت منه هذا للمال ربما ربيت به في بشر ولا أبالي وهذا مقصوده اللدد والخصومة والاجاج وهو مذموم جدا فأما للظلم الذي ينصر حجة بطريق الشرع من غير لد وإسراف وزيادة لجأح على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

(١) حديث رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلًا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ رحم الله امرأ كلف لسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا .

( الآفة الخامسة : الحصومة )

(٢) حديث عائشة إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم خ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأسفهاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور .

بالأدب يفهم العلم والعالم  
يصح العمل والعمل  
تتال الحسكة والحسكة  
يقام الزهد والزهد  
تترك الدنيا وتترك  
الدنيا يرغب في الآخرة  
وبالرغبة في الآخرة  
تتال الربة عند الله  
تعالى . قبل لنا ورد  
أبو حفص العراقي جاء  
إليه الجنيدي فرأى  
أصحاب أبي حفص  
وقفا على رأسه  
يأثمون لأمره لا يخطئ  
أحد منهم فقال يا أبا  
حفص أدبت أصحابك  
أدب للسلوك فقال  
لا يا أبا القاسم ولكن  
حسن الأدب في الظاهر  
عنوان الأدب في  
الباطن قال أبو الحسين  
النوري ليس لله في  
عبده مقام ولا حال  
ولا معرفة تسقط معها

وإبداء قفله ليس بهرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب وإذا هاج الغضب نسي للتنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساة صاحبه ويحزن بمسرة وبطاقة اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة قد تعرض لهذه المذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشغل بشماعة خصمه فلا يتيقن الأمر على حد الواجب والخصومة مبدأ كل شر وكذا الرأى والجدال فينبغي أن لا يفتح بابا إلا للضرورة وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذرا جدا فمن اتعصر على الواجب في خصومته سلم من الآثم ولا تلزم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا عن الخصومة فيأخضع فيه لأن عنده ما يكتفي فيكون تاركا للأولى ولا يكون آمنا، نعم أنل ما يفته في الخصومة وللراء والجدال طب الكلام وماورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طب الكلام إظهار اللواقفة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تهجيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماره أو خاصمه قد جهه أو كذبه ففوت به طب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «يمكنكم من الجنة طب الكلام وإطعام الطعام»<sup>(١)</sup> وقد قال الله تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فارود عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول - وإذا جئتم تتحية غلبوا بأحسن منها أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام وآلان السلام»<sup>(٢)</sup> وروى أن عيسى عليه السلام مرّ به خنزير فقال مر بسلام قيل يا روح الله أهول هذا الخنزير فقال أكره أن أعود لساني الشر وقال نبينا عليه السلام «الكلمة الطيبة صدقة»<sup>(٣)</sup> وقال «اتقوا النار ولو بشق تمرّة فإن لم تجدوا بكلمة طيبة»<sup>(٤)</sup> وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء الكلام اللين يسفل الضغائن للسكنة في الجوارح . وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسهط ربك إلا أنك ترضى به جليستك فلا تكن به عليه غيلا فإنه له بعوضك منه ثواب المحسنين وهذا كله في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة وللراء والجدال والعلاج فإنه الكلام المستكره للوحش المؤذي للقلب للنفس للعيش للهيج للغضب للوغر للصدر نساء الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

#### ( الآفة السادسة )

التعصر في الكلام بالتشديد وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والقدمات وما جرت به عادة للتفاخمين للمدعين لخطابة وكل ذلك من التصنع للذموم ومن التكلف المقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وأتقياء أمقي برآء من التكلف» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسا التثارون للتميقون للتشدقون في الكلام»<sup>(٥)</sup> وقالت فاطمة رضي الله عنها

(١) حديث يمكنكم من الجنة طب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لا عرفه وله من حديث هاني أبي شريح بإسناد جيد بوجوب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام

(٢) حديث أنس إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها الحديث وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبي هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرّة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم .

#### ( الآفة السادسة : التعصر في الكلام والتشديد )

(٥) حديث إن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسا التثارون للتميقون للتشدقون أحمد من حديث

آداب الثرية وآداب الثرية حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلي بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة أعز من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنكت رجلا أقعد بجذاه السكبة ورجبا كنت أستلقي وأمدّ رجل طباة في عاتبة السكبة قالت لي يا أبا عبيد قال إنك من أهل العلم أقبل مني كلمة لا تجالسه إلا بأدب ولا فيمحي اسمك من ديوان القرب قال أبو عبيد وكانت من الصارفات . وقال ابن عطاء : النفس مبهولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار أمي الذين غدوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الشباب ويشدقون في الكلام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «أهلك للتنتطون ثلاث مرات» (٢) والتنتع هو التعقق والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : إن شقاق الكلام من شقاق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلا» بالسنتها (٣) وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبث والمقدمة للصنعة للتكلفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك النفاصيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات . إذ نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة في الجبن فقال بعض قوم الجاني : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال أسجما كسجج الأعراب (٤) وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتنعيع بين عليه ، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تسع مذموم ولا يدخل في هذه تحسين أخطاء الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلا رعاة اللفظ تأثير فيه فهو لا تقي به ، فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشديق والاشتغال به من التكلف للمذموم ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتجيز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه .

### ( الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان )

وهو مذموم ومنهى عنه ومصدره الخبث واللؤم . قال صلى الله عليه وسلم «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش» (٥) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما هم يولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس للؤم من بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم

أبي ثعلبة وهو عندت من حديث جابر وحسنه بإلفظ إن أبغضكم إلى (١) حديث فاطمة شرار أمي الذين غدوا بالنعيم الحديث وفيه ويشدقون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب (٢) حديث ألا هلك للتنتطون م من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد بن أبي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلا» بلسانها رواه أحمد (٤) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث م من حديث الفيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصلهما عند ع أيضا .

### ( الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان )

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في الكبري في التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله ابن عمرو ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة (٦) حديث النبي عن سب قتلى بدر من المشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله ثقات وللشأن من حديث ابن عباس بإسناد صحيح إن رجلا وقع في آب للباس كان في الجاهلية فلفطه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس للؤم من بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي ت بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه وروى موقوفًا قال الدارقطني في السبل والوقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والعبد  
مأمور بملازمة الأدب  
والفحش تجري بطباعها  
في ميسدان المخالفة  
والعبد ردها بمجده  
إلى حسن اللطابة  
فمن أعرض عن  
الجهد فقد أطلق  
عنان النفس وغفل  
عن الرعاية ومهما  
أعانها فهو شريكها وقال  
الجنيد من أتان نفسه  
على هواها فقد أشرك  
في قتل نفسه لأن  
العبودية ملازمة الأدب  
والطغيان سوء الأدب .  
أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا أبو الفتح  
المصري قال أنا  
أبو النصر الترياق قال  
أنا أبو محمد الجرجاني قال  
أنا أبو الباس المحبوبي  
قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور : رجل يسيل فيه قبحا ودما فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلها كما يستل الرث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لماشة « يا عاشقة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال عليه السلام « البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق (٣) » فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا للبالغة في الايضاح حتى ينشئ إلى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان إلقاء ذلك مجالا إلى أسمع العوام أولى من البالغة في بيانه إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا أهملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون الراد به الماهرة بما يستحي الانسان من بيانه فان الأولى في مثله الإغماض والتخافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن سمرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأني أمامي قال صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأحنف ابن قيس ألا أخبركم بأدواء اللسان البذي والحلق الذنى ، فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعمير عن الأمور للاستجابة بالمبارات الصريحة وأكثر ذلك يجرى في الألفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحشون عنها بل يكونون عنها ويدلون عليها بالروز فيذكرون ما يبارها ويتعاقبها ، وقال ابن عباس : إن الله حي كريم يفهم ويتكوى بالنس عن الجماع فالمسيس واللس والدخول والصعبة كناية عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستفهم ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أخف من بعض ، وربما اختلف ذلك بمادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يخص هذا الوقاع بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التنوط والحراء وغيرهما فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيا منه فلا ينبغي أن يذكر لفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الأولاد فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصرع فيها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيا منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجرى من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى الحديث وفيه إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلها كما يستل الرث ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مانع وأخلف في محبته فله كره أبو نعيم في الصحابة وذكره خ حب في التابعين (٢) حديث يا عاشقة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق وحسنه وك وصححه على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا التفحش الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله والطبراني من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش المتفحش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن سمرة إن الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح .

قال ثنا قتبية قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما عمل والدولد من نخلة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يعين اسمه ويعين موضعه ويعين أدبه » وقال أبو حنيفة في الدقاق العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى . قال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان

بحره فالصرح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال الملا بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت إبطه خراج فأقنانه نسأله لثري ما يقول قلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتقاد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عرك بشيء يملء فيك فلا تميره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسب شيئا قال فما سببت شيئا بعده (١) » وقال عياض بن حمار « قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنتصر منه فقال للستبان شيطانان يتماويان ويتهارجان (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سباب اللؤم فسوق وقتاله كفر (٣) » وقال صلى الله عليه عليه وسلم « السببان ماقالا فلي الباديء حتى يمتدى للظالم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ملعون من سب والديه (٥) » وفي رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه » .

### ( الآفة الثامنة اللعن )

إما الحيوان أو جاد أو إنسان وكل ذلك ملعون . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللؤم ليس بلعان (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتلاعنوا بلعنة الله ولا بضيه ولا بجهنم (٧) » وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلعننها فقال صلى الله عليه وسلم خلدوا ماعليها وأعروها فاتها ملعونة (٨) » قال فكانت أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس لا تمرض لها أحد . وقال أبو الدرداء : ما من أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصانه . وقالت عائشة رضي الله عنها « مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أب بكر وهو يلعب بعض رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصديقين ولعناين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا (٩) » فأعق أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عرك بشيء يملء فيك فلا تميره بشيء تعلمه فيه الحديث أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري المجيعي قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سالم بن جابر (٢) حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنتصر منه فقال للستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاجان د الطيالسي وأصله عند أحمد (٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث الستبان ماقالا فلي الباديء حتى يمتدى للظالم ، م من حديث أبي هريرة وقال المحدث (٥) حديث ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو بصير والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو

### ( الآفة الثامنة اللعن )

(٦) حديث اللؤم ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس اللؤم بالطعان ولا لعان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا ولترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون اللؤم لعانا (٧) حديث لاتلاعنوا بلعنة الله الحديث ت د من حديث مرة بن جندب قالت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلعننها الحديث رواه م (٩) حديث عائشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أب بكر رضي الله عنه وهو يلعب بعض رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبا بكر لعناين وصديقين الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضغفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الأستاذ أبو علي لا يستند إلى شيء فكان يوما في جمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهري لأن رأيت غير مستند فتبني عن الوسادة قليلا فتوجهت أنه توفي الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقه أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فقلت أنه لا يستند إلى شيء أبدا . وقال الجلال البصري التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له . وقال بعضهم الزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لأعود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن اللعائين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة (١) » وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلمن يبره فقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون (٢) » وقال ذلك إنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعد من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فإن في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد لللعن وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلع الله عليه والصفات للمتعضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر والبتدعين والفسقة. الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والنظلة وأكلى الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن أو صاف للبدعة خطر لأن معرفة البدعة طامسة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بثله ويشير نزاعا بين الناس وقسادا . الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجاوز لعنته كقولك فرعون لعنة الله وأبو جهل لعنة الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بينه في زماننا كقولك زيد لعنة الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا . فإن قلت يلحق لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبتته الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنة الله إن مات على الكفر ولا لعنة الله إن مات على الإسلام وذلك غيب لا يدري وللطلاق متردد بين الجبهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد البدع أولى فلن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تتقاف في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذا لك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة (٣) » وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيد رحى من لم يعلم عاقبته كان يلصقه قهري عنه إذ روى « أنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب بثر معونة في قوته شهرا أنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - أو شوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون (٤) » يعني أنهم يعذبون فمن أين تعلم أنهم ملعونون

ظاهرا وباطنا لما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا . قال بعضهم هو غلام الدقاق نظرت إلى غلام أمرد فنظر إلى الدقاق وأنا أنظر إليه فقال لتجدن فيها ولو بعد سنين قال فوجدت فيها بعد خمسين سنة أن أنسى القرآن . وقال مري صليت ووردى ليلة من الليالي ومددت رجلي في المهراب فتوديت يأسرى هكذا تجالس للولك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لامتدت رجلي أبدا وقال الجديدي فبقى ستين سنة مامد رجله ليلا ولا نهوا . قال عبد الله ابن المبارك من تهاون

(١) حديث إن اللعائين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة من حديث أبي الدرداء (٢) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلمن يبره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب بثر معونة في قوته شهرا أنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الشيطان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بثر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قنت شهرا يدعو على رجل وذكو ان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يغري من صلاة الفجر من القراءة ويكره ورفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن لحيان ورعلا الحديث



وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجر كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فضنب ابنه عمرو ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطمح للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة فقال أبو بكر يكلفني هذا يا رسول الله بتل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبي بكر فانصرف ثم أقبل على أبي بكر قال يا أبا بكر إذا ذكرتكم الكفار فضعوا لأنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء فكفف الناس عن ذلك (١)» وشرب نيمان الحجر فحدث مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (٢)» وفي رواية لا تغل هذا فانه يحب الله ورسوله فقامه عن ذلك وهذا يدل على أن لمن فاسق بينه غير جائز وعلى الجملة ففي لمن الأخصاص خطر فليجنب ولا خطر في السكوت عن لمن إبليس مثلاً فضلا عن غيره . فان قيل هل يجوز لعن زيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به . قلنا هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن الأمة لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ، نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنهما فان ذلك ثبت متواتراً فلا يجوز أن يرى مسلم بنفسه أو كافر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣)» وقال **عليه السلام** «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا ياب به أحدهما إن كان كافراً فهو كافراً وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفير إياه (٤)» وهذا معناه أن يكفره وهو مسلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر بدعة أو غيره كان عطفاً لا كافراً وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله سبحانه من الأمر شيء - لفظ (١) حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتياً على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فضنب ابنه الحديث وفيه للراشدين من رواية على بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فورهِ ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابن سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فإذا سبتم للشركين فسيوم جيما (٢) حديث شرب نيمان الحجر فحدث مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (٣) وفي رواية لا تغل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم ومرسلاً ومحمد هذا ولفي حياته صلى الله عليه وسلم وصحبه ومحمداً وكناه عبد الملك والبخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جله في الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجعل فقال رجل من القوم اللهم لعنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تنهوه فوافقه ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه لا تعينوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك (٤) حديث لا يرى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والباقي للبخاري من حديث أبي ذر مع تقدم ذكر الفسق (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا آتى أحدهما إن كان كافراً فهو كافراً وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفير إياه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف .

بالأدب عوقب بحرمان  
السنن ومن تهاون  
بالسنن عوقب بحرمان  
القرائن ومن تهاون  
بالقرائن عوقب  
بحرمان العرفه . وبتل  
السرى عن مسئلة  
في الصبر فجعل يتكلم  
فيها فذهب على رجله  
عقرب فبصلت فصره  
بأرتها فقبل له إلا  
تدفعا عن نفسك  
قال أمتحنى من الله  
أن أنكم في حال  
ثم أخالف ما أعلم فيه  
وقبل من أدب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال  
«زويت لى الأرض  
فأريت مشارقتها  
ومغارها» ولم يقل  
رأيت . وقال أنس  
ابن مالك الأدب  
فى العمل علامة قبول

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً والتمرض للاموات أشد» (١) قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال عليه السلام «لا تسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام «أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصحابي ولا تسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً» (٤) فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلحق والقتل كبيرة ولا تنهى إلى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس للمروفين بأوصافهم دون الأشخاص العيين فالاشتغال بذلك أولى فان لم يكن في السكوت سلامة قال يحيى بن إبراهيم كنا عند ابن عون قد كروا بلال بن أبي بردة فجلسوا يلحنونه ويقومون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون إنما نذكره لما ارتكب منك فقال إنما هما كلمتان فخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا إله إلا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله أحب إلى من أن يخرج منها لعن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال «أوصيك أن لا تكون لعاناً» (٥) وقال ابن عمر : إن أبغض الناس إلى الله كل طمان لعان . وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوقلت إنه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال «من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد نقل ذلك حديثاً برفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حق الدعاء على الظالم كنول الإنسان مثلاً لصاحب الله جسمه ولاسله الله وما يجري مجراه فان ذلك مذموم وفي الخبر «إن للظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه» ثم يبق للظالم عنده فضلة يوم القيامة (٧) .

العمل . وقال ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات قيل ما معناه قال أن تعامل الله سراً وعلماناً بالأدب فاذا كنت كذلك كنت أدياً وإن كنت أحميائهم أنشد : إذا نطقت جاءت بكل ملحمة وإن سكنت جاءت بكل ملبس وقال الجربري منذ عشرين سنة ما مددت رجلي في الحفوة فان حسن الأدب مع الله أحسن وأولى . وقال أبو علي ترك الأدب واجب للطرد في أساء الأدب على البساطرد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد

(١) حديث معاذ أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل (٢) حديث عائشة لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا وخ ذكر للصف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في الزهد والرقائق مع القصة (٣) حديث لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذي من حديث الثوري بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين النسبة وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم (٤) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصحابي ولا تسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصاري احفظوني في أصحابي وأصحابي وإسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لا تسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنسائي من حديث عائشة لا تذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لا تكون لعاناً أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الأحاد والثاني من حديث جرير بن الحارث وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم (٦) حديث لعن المؤمن كقتله متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن للظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبق للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أتف له على أصل والترمذي من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد أصبر .

## (الآفة التاسعة التناء والشعر)

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من التناء وما يحل فلا نعيد وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ «لأن يمتلىء جوف أحدكم قبحا حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعرا» (١) وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال أنا أكره أن يوجد في مصحف شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال أجل مكان هذا ذكرنا فان ذكر الله خير من الشعر . وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس محرما إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم «إن من الشعر لحكمة» (٢) نعم مقصود الشعر للدخ والنم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في اللدخ (٣) فانه وإن كان كذبا فانه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتيق الله ساعده

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يستمد صورته وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغصف نمله وكنت جالسة أغزل فظفرت إليه فجعل جبينه يبرق وجعل عرقه يتولد نوراً قالت فبغت فظفر إلى فقال مالك بهت فقلت يارسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يبرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير المذلي لعلم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير المذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرأ من كل غير حيلة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسر وري منك (٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم التناهم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعره وفي آخره :

وما مكان يدر ولا حائس يسودان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عن لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة

## (الآفة التاسعة التناء والشعر)

(١) حديث لأن يمتلىء جوف أحدكم قبحا حتى يريه خير من أن يمتلىء شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص وافق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه البخاري من حديث ابن عمر . ومسلم من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السماع (٣) حديث أمره حساناً أن يهجو للشركين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان اهجم وجبريل معاك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغصف نمله وكنت أغزل قالت فظفرت إليه فجعل جبينه يبرق وجعل عرقه يتولد نوراً الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير المذلي :

ومبرأ من كل غير حيلة وفساد مرضعة وداء مغيل

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

إلى آخر الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سياسة الدواب .

[ الباب الثاني

والثلاثون في آداب

الحضرة الالهية لأهل

القرب ]

كل الآداب تتلوا من

رسول الله صلى الله

عليه وسلم فانه عليه

السلام جمع الآداب

ظاهرا وباطنا وأخير

الله تعالى عن حسن

أدبه في الحضرة بقوله

تعالى - هازاغ البصر

وما طنى - وهذه

غامضة من غوامض

الآداب اختص بها

رسول الله صلى الله

عليه وسلم أخبر رفاقه

تعالى عن اعتدال

قلبه القدس في

الأعراض والاقبال

أعرض عما سوى الله

وتوجه إلى الله وترك

وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من أرضي الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أقول في الشعر فعمل يستدر إليه ويقول بأبي أنت وأمي إني لأجد للشعر دينيا على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين (١).

### (الآفة العاشرة للزاح)

وأصله مذموم منهي عنه إلا قدر إيسر استثنى منه قال صلى الله عليه وسلم «لأعسار أخاك ولا تمازحه» (٢) فان قلت المازحة فيها إبداء لأن فيها تكديلا للأخ والصديق أو تجهيلا له ، وأما المزاح فطباع وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهي عنه ؟ فاعلم أن للهي عنه الإفراط فيه أو الدوامه عليه أو اللدوامه فلائنه اشتغال باللعب والمزول فيه واللعب مباح ولكن للواظبة عليه مذمومة وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تيمت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط لها به الوقار فضايلها عن هذه الأمور فلا يدم كإروى النبي ﷺ أنه قال «إني لأمرح ولا أقول إلا حقا» (٣) إلا أن مثله يقدر أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا فصح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في النار أبعد من التريا (٤)» وقال عمر رضي الله عنه : من كثرت ضحكته قلت هيئته ومن منحه استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حيائه ومن قل حيائه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على التفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتكم قليلا» (٥) وقال رجل لأخيه يا أخى هل أذاك أنك وإردا النار قال نعم قال فهل أذاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك ؟ قيل فما روى ضاحكا حتى مات. وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب ابن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فضل الشاكرين وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فضل الخافضين . وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول أضحك ولعل أكفناك

والدار العاجلة يحفظونها  
والسموات والدار  
الآخرة يحفظونها فما  
التفت إلى ما عرض  
عنه ولا لحقه الأسف  
على الغائب في إعراضه  
قال الله تعالى - لكيلا  
تأسوا على ما فاتكم -  
فهذا الخطاب للعموم  
وما زلغ البصر اختيار  
عن حال التي عليه  
السلام بوصف خاص  
من معنى ما خاطب به  
العموم فكان ما زلغ  
البصر حاله في طرف  
الاعراض وفي طرف  
الاقبال تلقى ما ورد  
عليه في مقام قاب  
قوسين بالروح والقلب  
ثم فر من الله تعالى  
حياء منه وهيبة  
وإجلالا وطوى نفسه  
بقراره في مطاوى  
انفساره وانقاره

(١) حديث لما قسم الغنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفي آخره شعره :

وما سكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع  
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم أقطعوا عني لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجعل نهي ونهب العيب د بين عينة والأقرع  
وما سكان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في جمع  
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأنتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علةمة بن علةمة مائة وأما زيادة أقطعوا عني لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة .

### (الآفة العاشرة للزاح)

(٢) حديث لأعسار أخاك ولا تمازحه الترمذي وقد تقدم (٣) حديث إني أمرح ولا أقول إلا حقا تقدم (٤) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا تقدم . (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أمتق عليه من حديث أنس وعائشة .

قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك يدخل النار وهو يضحك وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلا يضحك فاستجب من بكائه ؟ قيل بلى قال فالتى يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أحب منه فبهذه آفة الضحك والدموم منه أن يستغرق ضحكك والمعمود منه التيسم الذى ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوب له صلب فسلم فقبل كمالا دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله ففر به فقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه فقبل ذلك مرار ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه وقدهلك فقال نعم وأقواهم ملائمتي منه (٢) وأما أداء الزناح إلى سقوط الوفاق فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن النكدر قال لى أبى يابن لعمانح الصبيان قهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يابن لعمانح الشريف فيجد عليك ولا بدنى فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اقنوا الله وإياكم والزناح فانه يورث الضغينة ويجر إلى الصبيح تحذوا بالقرآن وتجالسوا به فان تقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أتدرون لم ملى الزناح مزاحا ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شئ بذور وبذور العداوة الزناح ويقال للزناح سلبية فتنى مقطعة للأصدقاء . فان قلت قد قبل الزناح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه ربحول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن مزح ولا تقول إلا حقا ولا تؤذى قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحيانا على التدور فلا تخرج عليك فيه ولكن من اللطط العظيم أن يتخذ الانسان الزناح حرفة يواظب عليه ويحفظ فيه ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور نهارة مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقبتهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقبى الزنوج في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغار ما يصير كبيرة بالأصهار ومن اللبايات ما يصير صغيرة بالأصهار فلا ينبغي أن يفهل عن هذا (٣) ثم روى أبو هريرة أنهم قالوا « يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن دأبتكم لأقول إلا حقا (٤) » وقال عطاء ابن رجا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ فقال نعم قال فكان كان مزاحا ؟ قال كان مزاحا أنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا وساعا فقال لها البسيه واسمى وجرى منه ذبلا كذيل العروب (٥) وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه (٦) وروى أنه كان كثير التيسم (٧) وعن الحسن قال أتت هجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت لها صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة هجوز فبكت فقال إنك لست بهجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهم إنشاء فجعلناهم أبكارا - (٨) وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكك التيسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى مطوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوب له صلب فسلم فقبل كمالا دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله ففر به وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه فقبل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه فلهك قال نعم وأقواهمك ملائمتي منه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل (٣) حديث إذنه لعائشة في النظر إلى رقبى الزنوج في يوم عيد تقدم (٤) حديث أبي هريرة قالوا إنك تداعبنا قال إني وإن دأبتكم فلا أقول إلا حقا الترمذى وحسنه (٥) حديث عطاء ابن رجا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث فذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسيه واسمى وجرى منه ذبلا كذيل العروب لم أقف عليه (٦) حديث أنس قال من أفكه الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التيسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة هجوز

لكيلا تنبسط النفس  
تطغى فان الطغيان  
عند الاستغناء وصف  
النفس قال الله تعالى  
- كلا إن الانسان  
ليطغى أن رآه استغنى-  
والنفس عند المواهب  
الواردة على الروح  
والقلب تسترق السمع  
ومضى نالت قسطا من  
النعم استغنت وطفنت  
والطغيان يظهر منه  
فرط البسط والإفراط  
في البسط يسد باب  
للازدي وطفان النفس  
لنصفى وطها عن  
للوهاب فوسى عليه  
السلام صبح له في  
الحضرة أحد طرفي  
مازاح البصر وما ألقت  
إلى ملاقاته وما طغى  
متأسفا لحسن أدبه  
ولكن امتلا من النعم  
ولست تفت النفس السمع

أم أين جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم «قالت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بينه يياض قالت والله ما بينه يياض فقال لي إن بينه يياض قالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم : مامن أحد إلا وبينه يياض وأراد به البياض المحيط بالحدقة (١) » وجاءت امرأة أخرى فقالت «يا رسول الله احملني على بئر فقال لي نعملك على ابن البئر فقالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم : مامن بئر إلا وهو ابن بئر (٢) » فكان يمزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن بقاله أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتهم ويقول «يا أبا عمير ما فعل النغير (٣) » فنغير كان يلعب به وهو فرخ الصفور وقالت عائشة رضي الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسألك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا قمنا عليه واستبقينا فسبقني وقال هذه مكان ذى المجاز (٤) » وذلك أنه جاء يومًا ونحن بندي المجاز وأنا جارية قد بشني أبي بشي فقال أعطينيه فأبيت وسعيت وسعي في أثرى فلم يدركني وقالت أيضا «سأفني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سألني فسبقني وقال هذه بتلك (٥) » وقالت أيضا رضي الله عنها «كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فنصمت حريرة وجئت به فقلت لسودة تكلمى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك فقلت ما أنا بذاتقته فأخذت بيدي من الصفحة شيئا منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فغضض لها رسول الله ركبتي لتستقيد مني فتناولت من الصفحة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك (٦) » وروى «أن الضحاك بن سفيان الكلبي كان رجلا دميما قبيحا فلما يابسه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحمراء وذلك قبل أن أنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميما (٧) » . وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن ابن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيبش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن الترمذي في الشمال هكذا مرسلًا وأسند ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أين قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بينه يياض الحديث الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وللزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهري مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استعملته نعملك على ابن البئر الحديث أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولد الذاقة (٣) حديث أنس بأعمير ما فعل النغير متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مساقنته صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى المجاز لم أجده أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث عائشة سابقى فسبقته النساء وابن ماجه وقد تقدم في النكاح (٦) حديث عائشة في لطخ وجهه سودة بحريرة ولطخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلبي قال عندى امرأتان أحسن من هذه الحمراء أفلا أنزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلًا والمدار قطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حسن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

وتطاعت إلى القسط والخط فلما حظيت التمس استغنت وطفح عليها ما وصل إليها وصافى نطقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال أرني أنظر إليك فنع ولم يطلق في قضاء للزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لأرباب القرب والأحوال السنية فشكل قبض يوجب عقوبة لأن كل قبض سد في وجهه باب الفتوح والعقوبة بالقبض أوجبت الإفراط في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ماوجبت العقوبة بالقبض والاعتدال في البسط بايقاف النازل من النع على الروح

لى الابن قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم »<sup>(١)</sup> فأكثر هذه الطائيات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معاملة نصف قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصبيب وبه رمد وهو يأكل تمرًا «أنا تأكل التمر وأنت رمد فقال إنما أكل بالشق الآخر يارسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم »<sup>(٢)</sup> قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه . وروى « أن خوات بن جبير الأنصاري كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يغتلن صغيرًا لجللى شرود قال فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الرجل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أقهر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت للمدينة قال قرأت في للسجد يوما أصلى فجلس إلى فطول فقال لا تطول فاني أنتظرك فلما سلت قال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الرجل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أقهر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجله في علق واجد فقال يا عبد الله أمارك ذلك الرجل الشراد بعد فقلت والذي بئسك بالحق ما شرود منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهدنا يا عبد الله قال حسن إسلامه وهداه الله »<sup>(٣)</sup> وكان نعمان الأنصاري رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر في المدينة فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بعله ويأمر أصحابه فيضربونه بتعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى بها النبي ﷺ فيقول يارسول الله هذا قد اشترته لك وأهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالئن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أعطه ممن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يارسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأجيب أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بشئنه<sup>(٤)</sup> فهذه مطايات

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلح لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي لسانه فيرش إليه فقال عينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لى الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم أبو يعلى من هذا الوجه دون ما لى آخره من قول عينة ابن بدر وهو عينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب في اللبهات قولين في قائل ذلك أحدهما أنه عينة بن حصن والثاني أنه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم (٢) حديث قل لصبيب وبه رمد أنا تأكل التمر وأنت رمد فقال إنما أكل على الشق الآخر فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صبيب ورجاله ثقات (٣) حديث إن خوات بن جبير كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يغتلن صغيرًا لجللى شرود الحديث الطبراني فى الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات زيمة ابن عمرو (٤) حديث كان نعمان رجلا مزاحا وكان يشرب الخمر فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه الحديث وفيه أنه كان يشتري الشيء ويهديه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يعي صاحبها فيقول أعطه ممن متاعه الحديث الزبير بن بكار فى السكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا وقد تقدم أوله .

والقلب والإيقاف على  
الروح والقلب بما  
ذكرناه من حال النبي  
عليه السلام من تنبيب  
النفس فى مطاوى  
الانكسار فذلك القرار  
من الله إلى الله وهو غاية  
الأدب حظى به رسول  
الله عليه الصلاة  
والسلام لما قول  
بالقبض فدام مريده  
وكان قلب قوسين  
أو أدنى ويشاكل  
الشرح الذى شرحناه  
قول أبي العباس بن  
عطاة فى قوله تعالى  
- مازلغ البصر  
وما طغى - قال لم يره  
بطغيان عيل بل رآه على  
شرط اعتدال القوى  
وقال سهل بن عبد الله  
التستري لم يرجع  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إلى شاهد نفسه

يباح مثلها على التدور لاطى الدوام واللواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك للميت للقلب .

### ( الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء )

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبية على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالخفا كآلة في القتل والقول وقد يكون بالإشارة والإيعاء وإذا كان بحضرة السخرى به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى التينة قالت عائشة رضي الله عنها حاكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا »<sup>(١)</sup> وقال ابن عباس في قوله تعالى - يا أولئنا ما لهذا الكتاب لا يفاد صغرة ولا كبيرة إلا أحصاه - إن الصغرة التبسم بالاستهزاء والمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبد الله بن زعمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « إن السخرين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة يقال علم علم فيجيء بكره وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر يقال علم علم فيجيء بكره وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب يقال له علم علم فلا يأتيه »<sup>(٣)</sup> وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « من عبر أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله »<sup>(٤)</sup> وكل هذا يرجع إلى إسحاق التبر والضحك عليه استهانة به واستفصارة له وعليه نبه قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أي لا تستحقه استفصارة قلله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به فكانت السخرية في حقه من جملة الزواح وقد سبق ما يلزم منه وما يندح وإنما المحرم استفصارة يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخطى فيه ولم ينتظم أو على أقواله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطئه وعلى صنمته أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا أو ناقصا لميب من الميوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية انتهى عنها .

### ( الآفة الثانية عشرة إفشاء السر )

وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

### ( الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء )

(١) حديث عائشة حاكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرنى أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا أبو داود والترمذي وصححه (٢) حديث عبد الله بن زعمة وعظهم في الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث ابن السخريين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة يقال علم علم فيجيء بكره وغمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسل ورويناه في ثمانيات التجيب من رواية أبي هذبة أحد المالكيين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من عبر أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله الترمذي دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده بمتمصل قال الترمذي قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

### ( الآفة الثانية عشرة إفشاء السر )

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكنيته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المهل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز في ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصغار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خاف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن علي



« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة<sup>(١)</sup> » وقال مطلقا « الحديث بينكم أمانة<sup>(٢)</sup> » وقال الحسن إن من الحياة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسرى إلى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يا أبت إن أمير المؤمنين أسرى إلى حديثا وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك قال فلا تحدثني به فإن من كنتم سره كان الخبار إليه ومن أفشاء كان الخبار عليه قال قلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحدث السر قال فأنيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعطتك أبوك من رقى الخطأ فإفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار ، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار ، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصعجة فأغنى عن الإعادة .  
( الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب )

فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلقا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية<sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل<sup>(٤)</sup> » والوأي الوعد وقد أثبت الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز قال - إنه كان صادق الوعد قيل إنه وعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبقي اسمعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره . ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابني رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لألني الله بثلاث النفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن أبي الحنساء قال « بابت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يميت وبيت له بقية فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فسميت بوى والتد فأنيت اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني لقد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر<sup>(٥)</sup> » وقيل لإبراهيم : الرجل يواعد الرجل للبعاد فلا يجيء قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى<sup>(٦)</sup> وكان ابن مسعود لا يمد وعدا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولي ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فإن كان عندك عذر ما طي أن لا يفي فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان<sup>(٧)</sup> » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا

(١) حديث إذا حدث كرجل يحدث ثم التفت فهى أمانة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث

جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا .

( الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب )

(٣) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائط في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن أبي ليحة مرسلا وقال الوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمي في مستند القردوس من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنساء بابت النبي صلى الله عليه وسلم فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فسميت بوى والتد فأنيت اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني قد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر<sup>(٦)</sup> رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن وهدي ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه (٧) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجده أصلا (٧) حديث أبو هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا  
أبو الطيب السكي عن  
أبي محمد الجرجري قال  
التسرع إلى استمدراك  
علم الانتطاع وسيلة  
والوقوف على حد  
الانحسار نجاة والاباز  
بالحرب من علم الدولو  
وصلة واستقباح ترك  
الجواب ذخيرة  
والاعتصام من قبوله  
دواعي استماع الخطاب  
تكلف وخوف فوت  
علم ما انطوى من  
فصاحة الفهم في حيز  
الإقبال مسادة والإصغاء  
إلى تلقى ما يفصل عن  
معدته بمدو الاستسلام  
عند التلاقى جراءة  
والانبطاح في عمل  
الأنس غرة وهذه  
الكلمات كلها من  
آداب الحضرة لأربابها  
وفي قوله تعالى سمازغ

ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) » وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منه من الوفاء لم يكن مناقا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حازجة قد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السي فاعطى اثنين وبقي واحد فأنت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وشوق ألا ترى أثر الرحي يندى فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بوعدي لأبي الهيثم (٢) » فأثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدبر الرحي يدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن فبين فوقه عليه رجل من الناس فقال إن في عندك موعدا يارسول الله قال صدقت فاتحكم ما شئت فقال أحكم ثمانين ضائفة وراعيا قال هي لك وقال احتكمت بسرا (٣) ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام فقالت : حكى أن تردني شاة وأدخل ملك الجنة . قيل فكان الناس يصفون ما احتكم به حتى جعل مثاقيل أشع من صاحب الثمانين والراعى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) » وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يعد فلا إثم عليه ».

### ( الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين )

وهو من قبائح الذنوب وفواحش السيوب قال اسميل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه خطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا أيكم والكذب فإنه مع النجور وبها في النار (٥) » وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) » وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمداخل والخروج وإن الأصل الذي ينسب إليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن فيه كان مناقا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بوعدي لأبي الهيثم فأثره به على فاطمة فتدبذ كرهصة لأبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن فبين فوقه عليه رجل فقال إن في عندك موعدا قال صدقت فاتحكم ما شئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يعد فلا إثم عليه أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثاني إلا أنهما قالوا فلم يفي .

### ( الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين )

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا أيكم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإعما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط وإسناده حسن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البصر وما طغى -  
وجه آخر ألطف عما  
سبق : ما زلغ البصر  
حيث لم يتخلف عن  
البصيرة ولم يتقاصر  
وما طغى لم يسبق البصر  
البصيرة فيتجاوز حده  
ويتعدى مقامه بل  
استقام البصر مع  
البصيرة والظاهر  
مع الباطن والقلب مع  
القلب والنظر مع القدم  
ففي تقدم النظر على القدم  
طمان والعمى بالنظر  
علم بالقدم حال القلب  
فلم يتقدم النظر على  
القدم فيكون طمانا  
ولم يتخلف القدم عن  
النظر فيكون قصيرا  
فلما اعتدلت الأحوال  
وصار قلبه كذابه  
وقال به كقلبه وظاهره  
كباطنه وباطنه  
كظاهره وبصره  
كبصيرته وبصيرته

التفاق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب» (١) وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويحترى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (٢) . «ومرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أفكك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيك على كذا وكذا ثم بالشاة وقد اغترها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالائم والكفارة» (٣) وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق» (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم الفجار قيل يارسول الله أليس قد أحل الله البيع ؟ قال نعم ولكنكم يغلون فيأثمون ويعدون فيكذبون» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : اللان بعطيته ولانفق سلته بالخلف الفاجر وللبلب إزاره» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بهوضة إلا كانت نسكة في قلبه إلى يوم القيامة» (٧) وقال أبوذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يهجمهم الله رجل كان في فئة فصبغ نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جارسوه يؤذيه فصر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجزهم أن يمضوا الأرض فزولوا فتحنى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤم الله التاجر أو البائع الخلاف والفقر المحتال والبخل للنان» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقصت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يسد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدة الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله

الوجهي ضيف جدا ويضئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال في كل منهما وإذا حدث كذب وها في الصحيحين وقد تقدم في الآلة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له كاذب البخارى في كتاب الأدب للقرطبي وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضعفه ابن عدى ورواه أحمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان باسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه (٣) حديث مـرجلين يتبايعان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالائم والكفارة أبو الفتح الأزدى في كتاب الأسماء للفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناه في أمالي ابن ميمون وناسخ ذكره البخارى هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصهبانيين من حديث أبي هريرة ورويناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف (٥) حديث إن التجار هم الفجار الحديث وفيه ويعدون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم للنان بعطيته ولانفق سلته بالخلف الكاذب وللبلب إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بهوضة إلا كانت نسكة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذى والحاكم وصححه إسناده من حديث عبد الله بن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يهجمهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشنؤم الله التاجر أو البائع الخلاف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ آخر باسناد جيد والنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يفضهم الله البيع الخلاف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذى وحسنه والنسائي في السكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

كيسره حيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وأتى البراق ينتهي خطوه حيث ينتهي نظره لا يتخلل قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث العراج فكان البراق بقائه مشا كالمناه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار في حديث العراج إلى مقامات الأنبياء ورأى في كل سماء بعض الأنبياء إشارة إلى تمويقهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فن هو في بعض السموات يكون قوله أرأى أنظر إليك تجاوزا للنظر عن حد

ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيعده فإذا مده رجع الآخر كما كان قلت للذي أقامني ما هذا ؟ فقال هذا رجل كذاب يذب في قبره إلى يوم القيامة (١) وعن عبد الله بن جرادة قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله هل يزني المؤمن ؟ قال قد يكون ذلك قال يا بني الله هل يكذب المؤمن ؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى - إنما يغترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - (٢) وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فقول في دعائه اللهم طهر قلبي من التفاني وفرجي من الزنا ولساني من الكذب (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر (٤) » وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صغير فذهبت لألب فقال أمي يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال أما إنك لو لم تفعل لكنت عليك كذبة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نعمة عدد هذا الحصى قسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « وكان متكئا « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال : ألا وقول الزور (٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعه الملك عنه مسيرة ميل من ثن مناجاة به (٨) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى بست أقبيل لكم بالجنة فقالوا وما هن ؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا اتهم فلا يخن وعضوا إصباركم واحتفظوا فروجكم وكفوا أيديكم (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

القدم وتخافا للقدم  
عن النظر وهذا هو  
الاخلال بأحد الوصفين  
من قوله تعالى ساء ما  
البصر وما ظنى -  
فرسول الله حمل مقترنا  
قدمه ونظيره في مجال  
الحياة والتواضع ناظرا  
إلى قدمه قادما على  
نظيره ولو خرج عن  
مجال الحياة والتواضع  
وتناول بالنظر متمديا  
حد القدم تعوق في  
بعض السموات  
كتعوق غيره من  
الأنبياء فلم يزل صلى  
الله عليه وسلم متجلسا  
مجاله في خفارة أدب  
حاله حتى خرق حجب  
السموات فاصت إلى  
أقسام القرب انصبا  
واقشعت عنه  
سحائب الحجب حجابا  
حجابا حتى استقام على

(١) حديث رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقلت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس  
ييد القائم طلوب من حديد يلقيه في شدة الجالس الحديث البخاري من حديث حمزة بن جندب في  
حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جرادة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن قال  
قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي  
الدنيا في الصمت مقتصر على الكذب وجعل السائل أبا الرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي  
من التفاني وفرجي من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سعيد وعنه ما هو  
عن أم ميمونة كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجي من الزنا وزاد وعمل من الزنا وعين  
من الحياة وإسناده ضعيف (٤) حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إلى بيتنا وأنا صغير فذهبت لألب فقال أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن  
تعطيه قالت تعرا فقال إن لم تفعل لكنت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم  
إن عبد الله بن عامر وله في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه . قلت وله شاهد من حديث أبي  
هريرة وابن مسعود ورجلها ثقات إلا أن الهريرة لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على  
نعمة عدد هذا الحصى قسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا رواه مسلم وتقدم في  
أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من  
حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعه الملك عنه مسيرة ميل  
من ثن مناجاة به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بست أقبيل لكم بالجنة  
إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والحرالطى في مكارم الأخلاق وفيه سعد بن  
سنان منعه أحمد والنسائي ووجه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

« إن للشيطان كلا ولعوا ونشوقا أما لعوقه بالكذب وأما نشوقه فالتضبط وأما كله فالنوم <sup>(١)</sup> »  
 وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كشيء هذا فيكم فقال  
 « أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يغشوا الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف  
 ويشهد ولم يستشهد <sup>(٢)</sup> » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب  
 فهو أحد الكاذبين <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين لم يقطع بها مال امرئ  
 مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان <sup>(٤)</sup> » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه  
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها  
 للسلم إلا الحيانة والكذب <sup>(٦)</sup> » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أصحاب  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع على الرجل  
 من أصحابه على الكذب لما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث ثوبة لله عز وجل منها <sup>(٧)</sup> .  
 وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه  
 ولا يزني فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فإنه شئ كلهم الصغور عما قيل يتلاه  
 صاحبه ، وقال عليه السلام في منح الصدق « أربع إذا كن فيك لا يضرك ما فاتك من الدنيا  
 صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طمعه <sup>(٨)</sup> » وقال أبو بكر رضي الله عنى خطبة  
 بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله <sup>(٩)</sup> مثل مقامى هذا عالم أول ثم بكى  
 وقال « عليكم بالصدق فإنه مع البر وما في الجنة <sup>(١٠)</sup> » وقال معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهود وبالسلام وخفض الجناح <sup>(١١)</sup> »

صحيح الإسناد (١) حديث إن للشيطان كلا ولعوقا الحديث الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند  
 ضعيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجالية الحديث وفيه ثم يغشوا الكذب الترمذى وصححه  
 والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب  
 فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على  
 يمين مائمه ليقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه  
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة تمرسله موسى  
 روى معمر عنه من أكبر قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها للؤمن  
 إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في الصنف من حديث أبي أمامة ورواه ابن عدى في مقدمة الكامل  
 من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من  
 حديث سعد مرفوعا وموقوفًا وللوقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في اللؤلؤ (٧) حديث ما كان  
 من خلق الله شئ أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطبع على  
 الرجل من أصحابه على الكذب لما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث ثوبة له منها توبة أحمد بن  
 حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات  
 فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك  
 من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو  
 وفيه ابن لهيعة (٩) حديث أبي بكر عليكم بالصدق فإنه مع البر وما في الجنة ابن ماجه والنسائي في  
 اليوم والليلة وقد تقدم بضه في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق  
 الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط سمازغ البصر  
 وما طفى فمر كالبقر  
 الحافظ إلى عذع  
 الوصل واللطائف وهذا  
 غاية في الأدب ونهاية في  
 الأرب . قال أبو محمد  
 ابن رويم حين سئل  
 عن أدب للسافر فقال  
 لا يجاوز زعمه قدمه فيث  
 وقف قلبه يكون مقره  
 أخبرنا شيخنا ضياء  
 الدين أبو النجيب إجازة  
 قال أنا عمر بن أحمد قال  
 أنا أبو بكر بن خلف  
 قال أنا أبو عبد الرحمن  
 السلسي قال لنا القاضي  
 أبو محمد يحيى بن  
 منصور قال حدثنا  
 أبو عبد الله محمد بن  
 علي الترمذى قال حدثنا  
 محمد بن زمام الأيلي قال  
 حدثنا محمد بن عطاء  
 المجيعي قال حدثنا  
 محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كذبت كذبة منذ شهدت على إزارى ، وقال عمر رضي الله عنه : أجبك إلينا يا لم تركم أحسنكم إيمانا فاذا رأيناكم فأجكم إلينا أحسنكم خلقا فاذا اخترناكم فأجكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأتيت على حرف إن أنا كتبت زينة الكتاب وكنت قد كذبت فضمت على تركه فوديت من جانب البيت - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدرى أيهما أهد غورا في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السكك ما أرى أن أوجر على ترك الكذب لأنني إنما أدعه أفة ، وقيل لحالد بن صبيح أيسى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب مامن خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كما قرضتنا بنتنا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

### ( بيان ما رخص فيه من الكذب )

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن يعتمد الخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جمل فيه منفعة ومصلحة فالكذب يحصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض الواطن خير من الصدق أرايت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فأتى إليك فقال أرايت فلانا ما كنت قائلا أأست تقول لم أراه وما تصديق به وهذا الكذب واجب . فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصد مباحا وواجب إن كان للقصد واجبا كما أن عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استئالة قلوب الخبيث عليه إلا بالكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يمتزجه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخس في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث رآته والمرأة تحدث زوجها (١) وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بكذاب من أصدق بين اثنين فقال خيرا أو نهي خيرا (٢) وقالت أسماء بنت زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين يصلح بينهما (٣) وروى عن أبي كاهل قال : وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت مالك ولقائن قد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية سرب أرنى أنظر إليك - قال : قال ياموسى إنه لا يرانى حتى لا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا يفرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم . وروى آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يخص بعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالعدل وإنما الإمساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب الكارب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته برخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصدق بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت زيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد زيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه .

معته يحسن عليه الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلمته قلت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس (١) أي ولوليا الكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم « أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعددها وأقول لها قال لا جناح عليك (٢) » وروى أن ابن أبي عمرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدى بكرةها فلما علم بذلك أخذ يد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل بغضيتي قالت لا تشدني قال فاني أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أنسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخاھن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عمرة فجاءت هي وعصمها فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك بغضيتني قالت إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناهدني فخرجت أن أ كذب أفأ كذب يا أمير المؤمنين قال نعم فأ كذبي فان كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فان أقل البيوت التي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاضون بالاسلام والأحساب ، وعن النواس بن سمعان الكلبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالي أراكم تهاقون في الكذب تهاقت القراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لاجلها إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحنة فيصلح بينهما أو يحدث امرأته برضا (٣) » وقال ثوبان الكذبي كله إثم إلا ما تقع به مسلما أو دفع عنه ضرر أو قال حتى رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تن آخر من السماء أحب إلى من أن أ كذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالجرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ما له فثل أن يأخذه ظالم أو يسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زنت وما سرت ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله (٤) » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ ماله وما له الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعده لا بقدر عليه فيعدها في الحال تطيبا لقلبها أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحذيفة أن الكذب محذور ولو صدق في هذه للواضع تولد منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذي يحصل

(١) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعددها وأقول لها قال لا جناح عليك ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسل وهو في اللواط عن صفوان ابن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النواس بن سمعان مالي أراكم تهاقون في الكذب تهاقت القراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لاجلها إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحنة فيصلح بينهما أو يحدث امرأته برضا (٤) حديث ثوبان الكذبي كله إثم إلا ما تقع به مسلما أو دفع عنه ضرر أو قال حتى رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تن آخر من السماء أحب إلى من أن أ كذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالجرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ما له فثل أن يأخذه ظالم أو يسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زنت وما سرت ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله (٤) » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ ماله وما له الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعده لا بقدر عليه فيعدها في الحال تطيبا لقلبها أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحذيفة أن الكذب محذور ولو صدق في هذه للواضع تولد منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذي يحصل

والحاجات الدنيوية  
حتى رفعه الحق مقامه  
في القرب وأذن له في  
الانبساط وقال اطلب  
مني ولومعا لمعينك  
فلما بسط انبسط وقال  
- رب إني لما أئزات  
إلى من خير فقير -  
لأنه كان يسأل حوائج  
الآخرة ويستعظم  
الحضرة أن يسأل  
حوائج الدنيا لحقارتها  
وهو في حجاب الحشمة  
عن سؤال المحقرات  
ولهذا مثال في الشاهد  
فان للملك الأعظم يسأل  
العظومات ومحاشم في  
طلب المحقرات فدارفع  
بساط حجاب الحشمة  
صار في مقام خاص من  
القرب يسأل المحقر كما  
يسأل الخطير قال  
ذو النون المصري أدب  
العارف فوق كل أدب

بالصدق أشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك اليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب للقاصد ينبغي أن يحترز الانسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بمرض غيره فلا يجوز الساعة لحق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أغصهم ثم هو لزيادات للسال والجامول وأمور ليس فواتها عمنورا حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما فخر به وتكذب لأجل مراغمة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي ضرة فإني أنكسر من زوجي عالم بفعل أضرارها بذلك فهل على شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: لا تشبع عالم بعل كلابس ثوبي زور <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من طعم بما لا يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا ثوبى العالم بما لا يشققه <sup>(٢)</sup> » وروايته الحديث الذى لا يثبت له إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستكف من أن يقول لأذرى وبهذا أحرام وما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في الكذب إلا بوعده أو وعيد أو تخوفه كاذب كان ذلك مباحا ، نعم وروينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب الباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطلب بتصحيح قصده فيه ثم يفي عنه لأنه إنما أيسر بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فإنه قد يكون البائع له حظه وغرضه الذى هو مستغن عنه وإنسا يتعلل ظاهرا بالإصلاح فلذلك يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذى كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والخزم تركه إلا أن يصبر واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المماضى وزعموا أن القصد منه تصحيح وهو خطأ بعض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار <sup>(٣)</sup> » وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فبما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تسكرر على الأسباع وسقط وقصه وما هو جدي فوقعه أعظم فلهذا هو س إذ ليس هذا من الأغراض التى تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدى فتح باب إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا ثم أملاوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبار التى لا يقاومها شيء . نسال الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

( بيان الجلود من الكذب بالمريض )

قد قل عن السالف أن في للمريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضى الله عنه أما في الماريض ما يكتفى الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الانسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روى أن مطرفا دخل على زياد فانه تبطأه ففعل بمرض وقال ما رقت جني مذفارت

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإنى أنكسر من زوجي بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من طعم بما لا يطعم وقال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم .

لأن معروفه مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أئتمته القيام مع أسماى وصفانى أئتمته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذاتي أئتمته العطب . فاختار أيها شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى أن الأسماء والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحفظ النفس مع لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالثناء وفي ذلك العطب نهاية الأرب . وقال أبو على الدقاق في قوله تعالى - وأيوب



الأمر إلا مارفعني الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب قبل أن الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله محارف نفي عند السمع وعنده للإيهام. وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضى الله عنه فلما رجع قالت له امرأتها ما جئت به مما أتى به العمال إلى أهلهم وما كان قد أتاهما شيء فقال كان عندي ضاغطة قلت كنت أمتنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضى الله عنه فبثت عمر معك ضاغطة وقامت بذلك بين نساءها واشتكت عمر فلما بلغته ذلك دعا معاذًا وقال بشت معك ضاغطة قال لم أجد ما أعتذر به إلا أنها لا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه وأعطاه شيئًا فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطة يعنى رقبينا وأراد بالله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشترى لك سكرًا بل يقول أرايت لو اشتريت لك سكرًا فانه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولى له اطلبي له للسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية منى الأصبع فيها وقولى ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ألى على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فخرجت وعلى ثوب جعل الناس يقولون هذا كساه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لى أبي يافى اتقى الكذب وما أشبهه فتهاه عن ذلك لأن فيه تفريرا لهم على أن كاذب لأجل غرض الفاحزة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه . نعم للمريض تباح لفرض خفيف كتطبيب قلب الغير بالمزاج كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة عجوز <sup>(١)</sup> » وقوله للأخرى « الذى فى عين زوجك بياض <sup>(٢)</sup> » وللأخرى « نملك على ولد البعير <sup>(٣)</sup> » وما أشبهه وأما الكذب الصريح كإفشاء نعيان الأنصارى مع عثمان في قصة الضمر إذ قال له إنه نعيان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحق بتعريضهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدى إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطابته فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم « لا يكمل للمرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وحق يجنب الكذب في مزاحه <sup>(٤)</sup> » وأما قوله عليه السلام « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من الثريا <sup>(٥)</sup> » وأراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح . ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في البالغة كقوله طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فانه لا يريد به تفهيم الرات بددها بل تفهيم البالغة فان لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة لا يأثم وإن لم تبلغ مائة ويذهبها درجات يتعرض مطلق اللسان بالبالغة فيها لخطر الكذب وما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتيه وذلك منهى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس « كنت صاحبة عائشة في الليلة التى هياتها وأدخلتها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة عجوز وحديث في عين زوجك بياض وحديث نملك على ولد البعير  
تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه  
وحق يجنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة التمارى  
وقال فيه نظر ولاشيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وللدارقطنى  
في المؤلفات والخلاف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه  
قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها  
أبعد من الثريا تقدم في الآفة الثالثة .

إذ نادى ربه أنى  
منى الضر وأنت  
أرحم الراحمين لم يقل  
أرحمى لأنه حفظ أدب  
الخطاب وقال عيسى  
عليه السلام إن كنت  
قلته فقد علمته - ولم  
يقُلْ لم أقل رعاية لأدب  
الحضرة . وقال  
أبو نصر السراج أدب  
أهل الخصوصية من  
أهل الدين في طهارة  
القبول ومراعاة  
الأسرار والوفاء بالعهود  
وحفظ الوقت وقلة  
الانفتاح إلى الخواطر  
والعوارض والبوادر  
والعوائق واستواء  
السر والعلانية وحسن  
الأدب في مواقف  
الطلب ومقامات القرب  
وأوقات الحضور .  
والأدب أدبان أدب  
قول وأدب فعل فن

صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قري إلا أقدم من لبن فشرب ثم ناولوه ما أشبه قالت  
فاستجيت الجارية فقلت لا ترى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء  
فشربتم ثم قال ناولى صواحبك فقلن لا تشبهه لا تشبهه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله  
إن قالت إحدانا لشيء تشبهه لأشبهه أهد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب  
الكذبة كذبية (١) « وقد كان أهل الورع يحترزون عن التماثل بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد  
كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عيني فقل له لو مسحت عينيك فيقول  
وإن قول الطبيب لا تحس عينيك فأقول لأفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه الأسل لسانه في  
الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر . وعن خوات التبعي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة  
لابن له فأنكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضعتني قالت لا قال ما عليك لو قلت  
يا ابن أخى فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله قال لا يعلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند  
الله أن يقول البعد إن الله يعلم لما لا يعلم ورعا يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم إذ قال عليه السلام  
« إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عيني في المنام ما لم ير أو يقول على ما لم قل (٢) »  
وقال عليه السلام « من كذب في حلف كلف يوم القيامة أن يعذب بين شعيرتين وليس يعاقب بينهما بدأ (٣) » .

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة)

والنظر فيها طويل فلندكر أولا مذمة النية وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على مذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى - ولا يفتب بعضكم بعضاً يجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه - وقال عليه السلام «كل السُّلَم على السُّلَم حرام دمه وماله وعرضه»<sup>(٤)</sup> والنية تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو رزقة قال عليه السلام «لا تحادوا ولا تباغضوا ولا تتاجسوا ولا تدابروا ولا يفتب بعضكم بعضاً وكفوا عباد الله إخواناً»<sup>(٥)</sup> وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إياكم والنية فإن النية أشد من الزنا فإن الرجل قد زنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب النية لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه»<sup>(٦)</sup>

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كُتبت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ إلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجتمع جوعا وكذا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت زيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحرشة لكن في طبقات الأصمانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زفقتنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه الحديث فإذا كانت غير عائشة بمن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث إن من أعظم القرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه في المنام ما لم يأت أو يقول على ما لم يقل البخاري من حديث وائلة بن الأسقع وله من حديث ابن عمر من أفرى القرى أن يرى عينيه ما لم يأت (٣) حديث من كذب في حله كلف يوم القيامة أن يمشي بين شجرة البخاري من حديث ابن عباس .

(الألف الخامسة عشرة الفية)

(٤) حديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تحسدوا ولا تباغضوا ولا ينقب بعضهم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وأئس دون قوله ولا ينقب بعضهم بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة (٦) حديث جابر وأبي سعيد إياكم والنسبة فإن الغيبة أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وإن جبان في الضعاف وإن مردو في التفسير.

تغرب إلى الله تعالى  
بأدب فعل منحه عبة  
القلوب، قال ابن المبارك  
نحن إلى قليل من  
الأدب أحوج منا إلى  
كثير من العلم وقال  
أيضا الأدب للعارف  
بغنى التوبة للمستأنف  
وقال النوري من  
لم يتأدب لوقت وفاته  
مقت وقال ذو النون  
إذا خرج المريد عن  
حد استعمال الأدب  
فانه يرجع من حيث  
جاء وقال ابن المبارك  
أيضا قد أكثر الناس  
في الأدب ونحن نول  
هو معرفة النفس  
وهذه إشارة منه إلى  
أن النفس هي منبع  
الجهالات وترك الأدب  
من عمارة الجبل فإذا  
عرف النفس صادف  
نور الرفان في ماورد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مرت ليلة أسرى بي على أقوام يمشون وجوههم بأظفارهم قلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يتخابون الناس ويقعون في أعراضهم» (١) وقال سليم بن جابر «أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت على خير أنتفع به فقال لا تخزن من المعروف شيئا ولو أن تصب من ذلك في إناء للمسقى وأن تلقى أخاك يبشر حسن وإن أدبر فلا تشابه» (٢) وقال البراء «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواقي في بيوتهم فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه لا تشابهوا المسلمين ولا تتبعوا عورتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف يته» (٣) وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات نائبا من النبية فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فقام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يحصى فيقول يا رسول الله ظلمت صائما فاذن لي لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فنان من أهلك ظلمت صائمتين وإنيما يستحيان أن أتياك فاذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنيما يصوما وكيف يصوم من ظلم نهاره يأكل لحم الناس اذهب فرها إن كانتا صائمتين أن تستقيتا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاء فقادت كل واحدة منهما علقه من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار» (٤) وفي رواية «أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنيما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم اتوني بهما فجاءتا ففدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدره فقال لإحدهما قيتي فقادت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القديح وقال للأخرى قيتي فقادت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فجمعتا تأكلان لحوم الناس» (٥) وقال أنس «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زينة يزنها الرجل وأرى الربا عرض للسلم» (٦) وقال جابر «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يندب صاحبهما فقال إنيما يندبان وما يندبان في كبير أما أحدهما فكان يخطب الناس وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله فدا بجر يدرطية وأجر يدرتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود ومسندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت على خير أنتفع به الحديث أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يتأبه وفي إسنادهما ضعف (٣) حديث البراء يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه لا تشابهوا المسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فقام الناس الحديث في ذكر الرأتين اللتين اختلفتا في صيامهما فقادت كل واحدة منهما علقه من دم ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه ويزيد ضعيف (٥) حديث للرأتين اللذ كورتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو جلي في مسنده فأسقط منه ذكر رجل اللهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأرى الربا عرض الرجل السلم ابن أبي الدنيا يسنده ضعيف .

«من عرف نفسه قد عرف ربه» ولهذا النور لا تظهر النفس بجهالة إلا ويقمها بصريح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بأداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر .

[ الباب الثالث والثلاثون في آداب النظارة ومقدماتها ]

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب للطاهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والتنجسات بالماء . قال الكشي هو غسل الأدبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على

فكسرها ثم أمر بكل كسرة ففرست على قبر وقال أما إنه سهون من عذابها ما كانتا رطبتين أو مالم يبسا (١) . « ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقص كما يقص السكب فر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال اتهاشا منها فقالا يارسول الله نهش جيفة فقال ما أصبنا من أخيكنا أنن من هذه (٢) » وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يختابون عند التوبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافة عادة المنافقين وقال أبو هريرة:

من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لجه في الآخرة وقيل له كله ميتا كأكلته حيا فأكله فينج ويكفح (٣) وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدتين عند باب من أبواب المسجد فرهما رجل كان عثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيمنه شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا فصلى مع الناس خالف في أنفسهما ما قالأ فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعبد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل همزة لمزة - الهمزة الطعان في الناس والهمزة الذي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من القية وثلث من النجاسة وثلث من البول وقال الحسن والله للقيعة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يصير أحدكم القذى في عين أخيه ولا يصير الجذع في عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا يصيب الناس بيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب الباء إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ربح هذا السكب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أهدت ياضي أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهام عن غيبة السكب ونهيم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . ومع على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يفتاب آخر فقال له إياك والقيعة فاتها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

### ( بيان معنى التوبة وحدودها )

اعلم أن حد التوبة أن تذكر أخاك بما يكرهه ولو بلغه سوءا ذكرته بنقص في بدنه أو نسيه أو في خلقه أو في فضله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى يتوبه وداره ودينه . أما البدن فكذلك كرك المش والحول والقرع والقص والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان .

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباها فقال أما إنيهما ليمدبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يفتاب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو العباس المصغولى في كتاب الآداب بأسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه التهمة بدل التوبة . ولطائلى فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكرة نحوه بأسناد جيد (٢) حديث قوله له الرجل الذى قال لصاحبه في حق للرحوم هذا أقص كما يقص السكب فر بجيفة فقال اتهاشا منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه بأسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لجه في الآخرة فيقال له كله ميتا كأكلته حيا الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن إسحاق رواه بالضعفة .

الجناية . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أتى عليكم في الطهور فما هو ؟ قالوا إنا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار » وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى نزلت الآية في أهل قباء . قيل لسان قد علمتكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة فقال سلمان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بثائط أو بول أو نستنجي بالمجبن أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو

وأما النسب فبأن تقول أبوه بطني أو هندی أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كيفما كان . وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مرء شديد الضرب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجرى مجراه . وأما في أفعاله للثلاثة بالدين فسكفوك هوسارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يعتز من التجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والنية والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا فسكفوك أنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل ثوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه فسكفوك أنه واسع الكم طويل الدليل وسخ الثياب وقال قوم لأغنية في الدين لأنه ذم مآذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بما يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤدي جيرانها بلسانها فقال « هي في النار »<sup>(١)</sup> وذكرته عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فما خيرها إذن »<sup>(٢)</sup> فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك حاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا إحتجاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكره فهو مغتاب لأنه داخل فيها ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد النية وكل هذا وإن كان صادقاً فيه فهو به مغتاب حاص لربه وأكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما النية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكر أخاك بما يكرهه قبل أن رأيت إن كان في أخى ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته »<sup>(٣)</sup> وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أمجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبنتم أخاكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه »<sup>(٤)</sup> وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبنيها »<sup>(٥)</sup> وقال الحسن ذكر النير ثلاثة النية والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالنية أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما بملك وذكر ابن سيرين رجلاً فقال ذلك الرجل الأسود ثم قال استغفر الله إنى أراى قد اغتبته وذكر ابن سيرين لإبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل إلا عور وقالت عائشة لا يشتابن أبداً من أحد فأتى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه طلبة بالدليل قال « الفظي القظي فلفظت مضطحة لحم »<sup>(٦)</sup>

(١) حديث ذكره امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤدي جيرانها فقال هي في النار ابن جبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها إذن الخرائطي في مكالم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل ورويناه في أمالي ابن شمعون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما النية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكر أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أمجزه الحديث الطبراني بسند ضعيف (٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة قالت إنها قصيرة فقال ما أمجزه الحديث الطبراني بسند ضعيف بلفظ آخر ووقع عند المنصف عن حذيفة عن اغتبنيها رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر ووقع عند المنصف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصمت لابن أبي الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد أبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طوية الدليل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي فلفظت بضعة من لحم ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لا عرفها .

عظم . حدثنا شيخنا  
ضياء الدين أبو النجيب  
إسلاء قال أنا  
أبو منصور الحريري  
قال أنا أبو بكر الخطيب  
قال أنا أبو عمر والمهاشمي  
قال أنا أبو طي الأوثوي  
قال أنا أبو داود قال  
حدثنا عبد الله بن محمد  
قال حدثنا ابن المبارك  
عن ابن هبلان عن  
القضاع عن أبي صالح  
عن أبي هريرة رضي  
الله عنه أنه قال : قال  
صلى الله عليه وسلم  
« إنما أنا لكم بمنزلة  
الوالد أعلمكم فإذا  
أتى أحدكم المناط  
فلا يستقبل القبلة  
ولا يسلم برها ولا  
يستطبل يمينه » وكان  
يأمر بثلاثة أحجار  
وينهى عن الزوث  
والرمة . والقرض في

(بيان أن التوبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم أن الله ذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير قصصاً أخيك وتعرفه بما يكرهه فالتمريض به كالتمريض والقول فيه كالتقول والإشارة والإيماء والتميز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم للتقصود فهو داخل في التوبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما دلت أومأت يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام «اغتنبها»<sup>(١)</sup> ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعرجاً أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أهد من التوبة لأنه أعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاك امرأة قال «ما يسنني أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا»<sup>(٢)</sup> وكذلك التوبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر للصف شخصاً مميئاً وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقتصر به شيء من الأعداء المحوجة إلى ذكره كما سيأتي بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما التوبة الترضي لشخص معين إماحي وإماميت ومن التوبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيته إذا كان مخاطب بهم منه شخصاً معيناً لأن المخدور تفهيمه دون ما به التفهيم فأما إذا لم يفهم عنه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكره من إنسان شيئاً قال «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»<sup>(٣)</sup> فكان لا يمين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قريبة تفهم عين الشخص فهي غيبة وأخبت أنواع التوبة غيبة القراء للرائين فانهم يفهمون للتقصود على سبيل أهل الصلاح ليطهروا من أنفسهم الترفع عن التوبة ويفهمون للتقصود ولا يدرون يفهمهم أنهم جمعوا بين فاحشتين التوبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نموذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يصممنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وأبطل بما يعتنى به قلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذكر غيره فيضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بال صالحين بأن يمدح نفسه فيكون مغتاباً ومزكياً نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو جهله بظن أنه من الصالحين للتفهمين عن التوبة ولذلك يابى الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكائدهم وعملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصني إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آله في تخبيط خبثه وهو يتكلم على الله عز وجل يذكره جهلاً منه وغروراً وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذباً في دعوى الاقتحام وفي إظهار الدعاء له بل هو قصد الدعاء لأخفاه في خلوة تغيب صلاته ولو كان يفهم به لا غتم أيضاً باظهار ما يكره وكذلك يقول ذلك للسكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لعظم ما تعرض له الجهال إذا جاهرُوا . ومن ذلك الإصغاء إلى التوبة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط القلب

الاستنجاء شيئاً إلا الله الخبث وطهارة الزيل وهو أن لا يكون رجيماً وهو الروث ولا مستعملاً مرة أخرى ولا مرة وحى نظم للتبعية . ووتر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستمال الله بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية - يحبون أن يطهروا - لو سألوا عن ذلك قالوا كنا نتبع للآله الحجر والاستنجاء بالثلال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضاً طاهرة وتراباً طاهراً . وهكذا الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم الخرج قبل

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أي قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتنبها ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن غزاق عنها وحسان وثقه ابن حبان وبقاهم ثقات (٢) حديث ما يسنني أني حاكيت ولي كذا وكذا تقدم في الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا ذكره من إنسان شيئاً قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يمين ورجاله رجال الصحيح .

في التوبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج التوبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للمفتاب والتصديق بالتوبة غية بل الساكت شريك للكتاب قال صلى الله عليه وسلم «المتسمع أحد للتائبين» (١) وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لنثوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ لئلا يلا به الحيز فقال صلى الله عليه وسلم «قد اتدتمنا؟ قلنا ما نعلمه قال بل إنكما أكلتما من لحم أخيكما» (٢) فافطر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا وقال للرجلين الذين قال أحدهما أقصص الرجل كما يقصص الكلب «أنهشما من هذه الحيفة» (٣) فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من ثم التوبة إلا أن ينكر بلسانه أو قبله إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه أسكت وهو مفتة لذلك قبله فذلك تفاق ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه قبله ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أي أسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يحظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم «من أذلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق» (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ردَّ عن عرض أخيه بالتيب كان حقا على الله أن يردَّ عن عرضه يوم القيامة» (٥) وقال أيضا «من ذبَّ عن عرض أخيه بالتيب كان حقا على الله أن يمتنه من النار» (٦) وقد ورد في نصرة المسلم في التوبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصعبة وحقوق المسلمين فلا نطول بإعادتها.

### (بيان الأسباب الباعثة على التوبة)

اعلم أن البواعث على التوبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تخص بأهل الدين والخاصة. أما الثمانية : فالأول أن يشقى التقيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذلك مسواه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يتمتع تشقى التقيظ عند الغضب فيحتن الغضب في الباطن فيصير حقدًا ثابتا فيكون سببا داعما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على التوبة. الثاني موافقة الأقران ومحاملة الرقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استنقلوه وتفرغوا عنه فيساعدتهم ويرى ذلك من حسن العاشرة ويظن أنه

(١) حديث المستمع أحد للتائبين الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم عن التوبة وعن الاستماع إلى التوبة وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لنثوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتمنا؟ قلنا ما نعلمه قال بل ما أكلتما من لحم صاحبكما أبو العباس السبغوني في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلا نحوه (٣) حديث أنهشما من هذه الحيفة قاله للرجلين الذين قال أحدهما أقصص كما يقصص الكلب تقدم قبل هذا باثني عشر حديثا (٤) حديث من أذلَّ عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن أبي عمير (٥) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالتيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلقظ ردائه عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجابا من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذبَّ عن عرض أخيه بالتيب كان حقا على الله أن يمتنه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد.

ملاقة النجاسة وبجره بالمسح ويدبر الحجر في مره حتى لا يتقبل النجاسة من موضع إلى موضع يفعل ذلك إلى أن ينتهي إلى مؤخر المخرج ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمسح إلى المقدمة ويأخذ الثالث ويدبره حول للسربة وإن استجمر بمجر ذي ثلاث شعب جاز وأما الاستبراء إذا انقطع البول فيعد ذكره من أصله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق ثلاثا يتدقق بقية البول ثم ينثره ثلاثا ويحطأ في الاستبراء بالاستقاء وهو أن يلتحف ثلاثا لأن العروق تمتد من الحلق إلى الذكرك وبالتالي تنحج تتحرك

عملة في الصبغة وقد يضرب رقائده فيحتاج إلى أن يضرب أنفسهم إظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب وللداوي . الثالث أن يستشعر من إنسان أنه سيقصد ويطول لسانه عليه أو يفسح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يفسح هو حاله ويظن فيه ليستطأ أثر شهادته أو يتندى بذكر مافيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول لمن عادني الكذب فاني أخبركم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فريد أن يتراء منه فيذكر الذي فعله وكان من حقن أن يرى نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ليجد بذلك عند نفسه في فعله . الخامس إرادة التصنع واللباهة وهو أن يرفع نفسه بتقويض غيره فيقول فلان جاهل وفيه ركب وكلامه ضئيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وبرهيم أنه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالفتح فيه فريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جنابة من الغضب عليه والحسد قد يكون مع الصديق الحسن والرفيق الموافق . السابع اللعب والمزول والمطايبة وتركبة الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المذاكرة ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزاء به . وأما الأسباب الثلاثة التي هي الخاصة فهي أعمقها وأدقها لأنها شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تنبثق من الدين داعية التعجب في إنكار النكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من النكر ولكن كان حقا أن تعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يجب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا في دعوى الاعتناء وطلبه القم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والترحم والاعتناء يمكن دون ذكر اسمه فيجبه الشيطان على ذكر اسمه ليطول به ثواب اعتناهم ورحمهم . الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يضرب على منكر قارقه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغضب دركها على العلماء فضلا عن العوام فاتهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل للرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما نبأني ذكره . روي عن عامر بن واثله « أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاؤهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل الجلاس لبس ما قلت والله لنبتننه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدره وأخبره بما قال فأدره رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي له ما قال وسأله أن يدعو له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك

وتذلل ما في مجرى الرسول فان مضي خطوات وزاد في التذلل فلا بأس ولكن براعى حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالسوسمة فيضيع الوقت ثم يمسح الذكر ثلاث مسحات أو أكثر إلى أن لا يرى الرطوبة وشبه بعضهم الله كره بالضرع وقال لا يزال تظهر منسه الرطوبة مادام يجد براعى الحد في ذلك أيضا والمسحات تكون على الأرض الطاهرة أو حجر طاهر وإن احتاج إلى أخذ الحجر لصنعه فلأخذ الحجر باليمين والله كره اليسار ويمسح على الحجر وتكون الحركة



فقال صلى الله عليه وسلم لم تنفذه ؟ فقال أنا جاره وأنا به جابر والله مارأيت يصلي صلاة قط إلا هذ،  
للمكتوبة قل فأسأله يارسول الله هل رأيت آخرتها من وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركون أو السجود  
فيها فسأله قل لا فقال والله مارأيت يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فأسأله  
يارسول الله هل رأيت قط أفطرت فيه أو قصت من حقه شيئا فسأله عنه فقال والله مارأيت يعطى سائلا  
ولا مسكينا قط ولا رأيت ينفق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤدها البر والفاجر  
قال فأسأله يارسول الله هل رأيت قصت منها أو ما كنت فيها طالبا الذي يسأله فسأله فقال لا فقال  
صلى الله عليه وسلم للرجل قم فقله خير منك (١) .

### ( بيان الملاح الذي به يمنع اللسان عن التنية )

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما تعالج بمجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ،  
فلنفحص عن سببها . وعلاج كلف اللسان عن التنية على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل .  
أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسلط الله تعالى بغيره بهذه الأخبار القرونها وأن يعلم أنها عظمة  
لحسناته يوم القيامة فأنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرشه فإن  
لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه  
عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجع كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه  
سيئة واحدة بمن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل المبرجات أن تنقص من  
ثواب أعماله وذلك بعد المحاسبة وللطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار  
في اليأس بأسرع من التنية في حسنات العبد (٢) » وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تفتنني  
فقال ما يبلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي فهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في التنية  
لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفذه أيضا أن يتدبر في نفسه لأن وجد فيها عيبا اشتغل بهيب نفسه  
وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغل عيبه عن عيوب الناس (٣) » ومهما وجد عيبا  
فيذنب أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق أن هجر غيره عن نفسه  
في التزهر عن ذلك العيب كعجزه وهذا إن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا  
فالدائم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم بإقيح الوجه : قال ما كان  
خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم  
العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعل أن ظنه بنفسه أنه بري  
من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفذه أن يعلم أن تألم غيره بغيره كتألمه بغيره  
غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات  
جملة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على التنية فإن علاج العلة يقطع سببها . وقد  
قدمنا الأسباب . أما الضرب فمعالجه بما سأتى في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إنني إذا غضيت  
غضبي عليه فلعن الله تعالى يعض غضبه على بسبب التنية إذ نهاني عنها فاجترأت على نيه واستخففت

(١) حديث عامر بن وائلة أن رجلا من بني قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم عليهم  
فردوا عليه السلام فلما جاؤهم قال رجل منهم إنني لا أبغض هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم  
فقله خير منك أحمد باسناد صحيح (٢) حديث ما النار في اليأس بأسرع من التنية في حسنات  
العبد لم أجده أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغل عيبه عن عيوب الناس البرار من حديث أنس  
بسنده ضعيف .

باليسار لا باليمين فلا  
يكون مستنجيا باليمين  
وإذا أراد استعمال الماء  
انقل إلى موضع آخر  
ويقع الحجر ما ينتشر  
البول على الحشفة وفي  
ترك الاستنقاء في  
الاستبراء وعيد ورد  
فيما رواه عبد الله بن  
عباس رضي الله عنهما  
قال « مر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم على  
قبرين فقال إنهما  
يلعذان وما يلعذان في  
كبير أما هذان فكان  
لا يستبرئ أولًا ولا يستنزه  
من البول وأما هذا  
فكان يمشي بالنجاسة ثم  
دعا يصيب رطب فشقه  
اثنين ثم غرس على  
هذا واحدا وعلى هذا  
واحدا وقال لعله يخفف  
عنهما ما لم يبسا »  
والعيب الجريد وإذا

بجزءه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهم بابا لا يدخل منه إلا من شفى غيظه بمصيبة الله تعالى <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يفضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء <sup>(٣)</sup> » وفي بعض الكتب النزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرني حين تنضب أذكرك حين أغضب فلا أحملك فيمن أحق . وأما الواقعة فبان تعلم أن الله تعالى ينضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف رضى لنفسك أن توقر غيوك وتحقر مولاك فتترك رضا لرضام إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للتصوب عليه بسوء بل ينبغي أن تنضب لله أيضا على رفقاك إذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بألحش الذنوب وهي الغيبة . وأما تزبه النفس بنسبة الغير إلى الحياة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمت الخلق أشد من التعرض لمت المخلوقين وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى وقد امنتظر دفع ذم الخلق لسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان . وأما عندك كقولك إن أكلت الحرام فقلان يأكله وإن قبلت مال السلطان فقلان يقبله فهذا جهل لأنك تتعذر بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كالنا من كان ولودخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم تواقه ولو واقته لسفه عقلك قضيا ذكرته غيبة وزيادة مصيبة أضفتها إلى ما اعتذرت منه وسجلت مع الجمع بين المصيتين على جهلك وغبابتك وكنت كالشاة تنظر إلى العزى ترى نفسها من قلة الجبل فهي أيضا ترى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالمدح وصرحت بالمدح وقالت العزى أكره منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أقول لكنت تضحك من جهلك وحالك مثل حالنا ثم لا تهج ولا تضحك من نفسك . وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما قص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلث الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وما ولوحصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يفتنون عنك من الله شيئا . وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد لما قتعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديق وعدو نفسك إذ لا تقصره غيبتك وتضرك وتنعمه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تفنك وقد جمعت إلى حيث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقد حرك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حمود

وأما الاستهزاء فتعصودك منه إخوان غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند اللائكة

(١) حديث إن لجهم بابا لا يدخله إلا من شفى غيظه بمصيبة الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف وروناه في الأربعين البدائية للسلفي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان في الصحراء يمد من العيون . روى جابر رضى الله عنه « أن النبي عليه السلام كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد » وروى الثوري بن عتبة رضى الله عنه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأتى النبي عليه السلام حاجته فأبدى للذهب » وروى « أن النبي عليه السلام كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل للسرل ، وكان يستتر بمائط أو نثر من الأرض أو كوم من الحجارة » ويجوز أن يستتر الرجل راحلته في الصحراء أو يبدله إذا حفظ الثوب من الرشاش ويستحب البول في أرض دمنة أو على تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فإن تفكرت في حسرتك وجناتك وخجلك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخوان صاحبك ولوعرت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فأنك سخرت به عند قرق قليل وعرضت نفسك لأن تأخذ يوم القيامة يديك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كإساق الحمار إلى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إيمانه وحسن ولكن حسدك لإبليس فأنتك واستطقتك بما ينقل من حسناتك إليه ماهو أكثر من رحمتك فيكون جبراً لإثم اللوحوم فيخرج عن كونه مرحوماً وتقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب النية وإنما الشيطان جب إليك النية ليحبط أجر غضبك وتصير مراً لما لقت الله عز وجل بالنية . وأما التعجب إذا أخرجك إلى النية فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك ودين غيرك أو دينه وأنت مع ذلك لا تأمن بقوة الدنيا وهو أن يهلك الله سترك كما هتكك بالتعجب ستر أخيك فاذا علاج جميع ذلك للفرقة قط والتحقيق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن النية لاجالة .

### ( بيان محرم النية بالقلب )

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما حرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث نفسك ونسب الظن بأخيك ولست أعني به لإعقد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضاً معفو عنه ولكن للنفس عنه أن يظن والظن عبارة عما تركز إليه النفس ويميل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك بيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بينك ولم تسمعه أذنك ثم وقع في قلبك فاعلم الشيطان يلقى إليك فيذهي أن تكذبه فإنه أفسق الفاسق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة - فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم خيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استسكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحدّ إذ يقال يمكن أن يكون قد تخمض بالخمر وبها وما شربها أو حمل عليه قهراً فكل ذلك لاجالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من السلمه وماله وأن يظن به ظن السوء <sup>(١)</sup> » فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن ما رأيته منه محتمل الخير والشر . فان قلت فإذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث . فنقول : أمارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه كما كان فينفر عنه فوراً ما ويستقله ويفتر عن مراعاته وتفقد له كرامه والاعتظام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من السلمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

مهيل قال أبو موسى :  
« كنت مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فأرأه أن يقول فأتى  
دمثاً في أصل جدار  
فقال ثم قال : إذا أراد  
أحدكم أن يقول  
فليرتد لوله » وبنى  
أن لا يستقبل القبلة  
ولا يستدبرها ولا  
يستقبل الشمس والقمر  
ولا يكره استقبال القبلة  
في البنيان والأولى  
اجتنابه لذهاب بعض  
الفقهاء إلى كراهية  
ذلك في البنيان أيضاً  
ولا يرفع ثوبه حتى  
يدنو من الأرض  
ويجنب مهابة الريح  
احترازاً من الرشا  
قال رجس لبعض  
الصحابه من الأعراب  
وقد خاصه لأحسبك  
تحسن الحرأه فقال

صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فخرج منهن سوء الظن أن لا يحققه<sup>(١)</sup> أي لا يحققة في نفسه بقدر لافعل لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فيتفرغ إلى النفاق والكرامة، وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشیطان قد يجر على القلب بأدنى غيلة مساءة الناس ويلقى إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذلك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق لا يظن بضرورة الشيطان وظلمته، وأما إذا أخرجه به عدل فمال ظنك إلى صدقيه كنت معذوراً لأنك لو كذبت لكنت جانياً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضاً من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد توسى بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحامدة وتحت فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل لولده للتهمة ورد شهادة العدو<sup>(٢)</sup> فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلاً فلا تصدقه ولا تكذب به ولكن تقول في نفسك للذكر حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره عجوباً عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدل والقول بالحسنة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوئهم فهذا قد ينظرون أنه عدل وليس بعدل فإن الغتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر التوبة ولم يكتفوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوءه على مسلم فبني أن تزيد في مراعاته وتدعوه بالحجر فإن ذلك يضيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتراك بالدعاء والمراعاة ومنها عرفت هفوة مسلم بحجة فافصح في السر ولا تخدعك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تمطه وأنت مسرور بإطاعتك على قصصه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستحقار وترفع عليه بأبداء الوعظ وليكن قصدك غلبته من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك قصصان في دينك وبني أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر التهم بعصيته وأجر الاعانة له على دينه، ومن ثمرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يقع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منبئ عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالتبصير وسوء الظن والتجسس منبئ عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك السر حتى ينكشف له ما كان مستوراً عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته .

### ( بيان الأعداء للرخصة في التوبة )

اعلم أن الرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به في دفع ذلك ثم التيقن وهي ستة أمور : الأول التظلم فإن من ذكر قاضياً بالظلم والحياة وأخذ الرشوة كان متنبأً قاضياً إن لم يكن مظلوماً ، أما للمظلوم من جهة التقاضى فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن صاحب الحق مقالاً»<sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام

- (١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف
- (٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة، وضعفه لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذى غم لأخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا قرابة ولا ذى دود وابن ماجه باسناد جيد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رد شهادة الحائن والخائنة وذى الغم على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة .

بلى وأيمسك إلى بها  
لخائق قال فصفها لي  
قول أبعاد البشر وأعد  
المدرو استقبل الشيخ  
وأستدبر الرمح وأقوى  
إقواء الظبي وأجفل  
إجفاله النعام يعني  
أستقبل أصول الثبات  
من الشيخ وغيره  
وأستدبر الرمح احترازاً  
من الرشاوى والإقواء  
ههنا أن يستوفى على  
صدور قديمه والأجفاله  
أن يرفع مجزؤه ويقول  
عند الفراغ من  
الاستعجال : اللهم صل  
على محمد وعلى آل محمد  
وطهر قلبي من الرياء  
وحسن فرجى من  
البواشش ويكره أن  
يؤلف الرجل في التقتل  
روى عبد الله  
ابن مفل أن النبي  
عليه السلام : «نهى أن

«مطل الثغى ظلم» (١) وقال عليه السلام «لِيّ الواجد يحل عقوبته وعرضه» (٢) «الثاني الاستعانة على تفسير المذكور ورد العاصي إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مرّ على عثمان وقيل على طاحجة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبي بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا جندل قد عاقب الحمر بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم - حمّ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية كتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة إذ كان قصده أن ينسكرك عليه ذلك فينتقمه نصحه ما لا ينفعه نصحه غيره وإعماها باحتذاء بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو للقصد كان حراما - الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتى ظلفي أني أوزج وأخى فكيف طريق في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت لئن صلى الله عليه وسلم «إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي أفأخذ من غير علمه قال : خذ ما يكفيك ووليك بالمعروف» (٣) «فذكرت الشح والظلم لما ولولدها ولم زجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء - الرابع تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت قريبا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تعدى إليه بدعته وفسقه تلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سرية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الضرر إذ قد يكون الحسد هو الباعث ولبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت للملوك بالسرقة أو بالفسق أو بيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر للشترى وفي ذكره ضرر للعبد وللشترى أولى برعاية جانبه وكذلك للزكي إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطمئا وكذلك للشارف الزويج وإبداع الأمانة له أن يذكر ما يبره على قصد النصح للمستشير لاطمئنه القصد الوقيعة فإن علم أنه يترك الزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب وفيه السكافة وإن علم أنه لا يزجر إلا بالنصريح بعبه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أرعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس» (٤) «وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم : الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الانسان معروفا بقلب يبرم عن عبه كالأعرج والأعمش فلا ثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسلمان عن الأعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكره صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهورا به ، نعم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك قال للأعمى البصير عدولا عن اسم النفس - السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالخنث وصاحب الساور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يظهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يظهر به فلا ثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مطل الثغى ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث ليّ الواجد يحل عرضه وعقوبته أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد بإسناد صحيح (٣) حديث إن هذا قالت أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث أرعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في الصمت .

يول الرجل في مستحبه  
وقال : إن عامة الوسواس  
منه وقال ابن المبارك :  
يوسع في البول في  
الاستم إذا جرى فيه  
الساء وإذا كان في  
البنيان يقدم رجله  
اليسرى لدخول الخلاه  
ويقول قبل الدخول :  
باسم الله أعوذ بالله  
من الخبث والحباث .  
حدثنا شيخنا شيخ  
الاسلام أبو النجيب  
السهروردي قال أنا  
أبو منصور القرني قال أنا  
أنا أبو بكر الخطيب  
قال أنا أبو عمرو  
الهائمي قال أنا أبو طي  
القلوي قال أنا أبو داود  
قال حدثنا عمر وهو  
ابن مزروق البصري  
قال حدثنا شعبة عن  
قتادة عن النضر  
ابن أنس عن زيد

« من أتى جلباب الحياء عن وجهه فلا غية له » (١) وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به الجاهر بفسقه دون اللستر إذ اللستر لابد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف قلت لأبي الحسن الرجل القاسق اللعن بفجوره ذكرى له بما فيه غية له ؟ قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غية لهم صاحب الهوى والقاسق اللعن بفسقه والامام الجائر فهو لا الثلاثة يجمعهم أنهم ينظرون به وبورما يتفكرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، نعم لو ذكره بغير ما يظهرون به أنهم . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناوت عند الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج من اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وإنك إذا قتلت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصغرك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .

### ( بيان كفارة النية )

اعلم أن الواجب على اللتائب أن يتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل للتاب لبحة فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ للرأي قد يستحل ليظهر من فسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد بارق بمصيبة أخرى . وقال الحسن يكفي الاستغفار دون الاستحلال وربما استدلى بذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبت أن تستغفر » (٢) وقال مجاهد كفارة كلك لحم أخيك أن تنفي عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من النية قال أن تنفي إلى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فإن شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف الدال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت للطالبة به . بل في الحديث الصحيح ما روى أنه عليه السلام قال « من كانت لأخيه عنده مظنة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنسي أو خدم من حسنته فإن لم يكن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته » (٣) وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخري إنها طويلة الذيل قد اغتبت بها فاستحلها فاذن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فإن كان غائبا أو ميتا فبني أن يكره الاستغفار والله ما يكره من الحسنات . فإن قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل للمعتمد أن يبالغ في الثناء عليه والتودد إليه ويلزم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطيب قلبه كان اعتداده وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة النية في القيامة . وكان بعض السلف لا يحل . قال سعيد بن المسيب لا أحل من ظلفي وقال ابن سيرين إنني لم أحرمها عليه فأحلها له إن أقرم النية عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبدا . فإن قلت لما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فتقول للراد به العفو عن الظلمة لأن يتقلب الحرام خلا لا ما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل النية فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره النية . فإن قلت فامنع قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأي ضخم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنني قد تصدقت برضى على الناس » (٤) »

ابن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وإن هذه الحشوش محضرة فإذا أتى أحدكم الحلاء فليقل أعوذ بالله من الحيت والحبات » وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة التخل الكيف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيسوت وقوله محضرة أي يحضرها الشياطين وفي الجلس للعاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع يده ولا يغط في الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ولا يشككم فقد ورد أن رسول الله صلى الله

(١) حديث من أتى جلباب الحياء فلا غية له ابن عدى وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبت أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمت والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظنة من عرض أو مال فليستحلها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأي ضخم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنني تصدقت برضى على الناس البزار وابن السني في اليوم والليلة والعيل في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكروا

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تتصدق صدقة لما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلة في القيامة منه ولا احصاه ولا افلا تصير النجيلة حالاً به ولا تسقط للمظلة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا نحاصم فان رجح وخصم كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حق من حد القاذف ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن إذا جئت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة تودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا الصافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین - قال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك » (١) . وروى عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلانا قد اغتابك فبعت إليه ربطاً على طبق وقال قد بلغني أنك أهديت إلى من حسناتك فأردت أن أكفئك عليها فاعذرني فاني لا أقدر أن أكفئك على التمام .

### ( الآفة السادسة عشرة النجيلة )

قال الله تعالى - هاز مشاء بنميم - ثم قال - عتل بعد ذلك زنيه قال عبد الله بن المبارك الزنيه ولد الزنا الذي لا يكم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكم الحديث مشى بالنجيلة دل على أنه ولد زنا استبطأ من قوله عز وجل - عتل بعد ذلك زنيه - والزنيه هو الدمى ، وقال تعالى - ويل لكل همز قلز قيل الهمزة التمام وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت حمالة للحديث وقال تعالى - غلاتها فلم ينعيا عنهما من الله شيئاً - قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيغان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة تمام » (٢) وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة قتات » والقتات هو التمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطثون أكنفا الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله للشاؤون بالنجيلة للفرقون بين الإخوان للتمسسون للبراء الصترات » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال للشاؤون بالنجيلة للفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العيب » (٤) وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة » (٥) وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « يا أيها رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حطاً على الله أن يذنيه بها يوم القيامة في النار » (٦) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قلت وإسما هو رجل من كان قبلنا كما عند البزار والعملي (١) حديث زول - خذ العفو - الآية فقال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس .

### ( الآفة السادسة عشرة النجيلة )

(٢) حديث لا يدخل الجنة تمام وفي حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة وأحبهكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطثون أكنفا الطيراني في الأوسط الصغير وتقدم في آداب الصحبة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال للشاؤون بالنجيلة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطيراني في مكارم الأخلاق وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القذاح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء أعار رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حطاً على الله أن يذنيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوف على أبي الدرداء .

عليه وسلم قال « لا يخرج الرجلان يشربان الفاط كاشفين عورتاهما يتحدنان فان الله تعالى يمقت على ذلك » ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى على ما ينفعني ولا يستصحب معه شيئاً عليه اسم الله من ذهب وخاتم غيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضى الله عنها عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال: استحيوا من الله فاني لأدخل الصكيف فأزقي ظهري وأعطى رأسي استحياء من رب عز وجل .

[ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره ] إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار »<sup>(١)</sup> ويقال: إن ثلث عذاب القبر من الثيمة. وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها تسكني قالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس: لا يسكنك مدمن خمر ولا مصرطى الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطى ولا غث ولا رقيق ولا يهودي ولا نصراني ولا يقول على عهد الله إن لم أفل كذا وكذا ثم لم يف به »<sup>(٢)</sup> وروى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط فاستنق موسى عليه السلام مرات لما سبقوا فأوحى الله تعالى إليه: إنى لأنتجيب لك ولن ملك وفيكم نعمام قد أصر على الثيمة فقال موسى يارب من هو دلتى عليه حتى أخرجه من بيتنا يا موسى أنهاكم عن الثيمة وأكون نعماما قباوا جميعا فمقوا. ويقال اتبع رجل حكما سبعة فرسغ في سبع كرات فلما قدم عليه قال: إنى جئت لك الذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أهل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم: البهتان على البرى أهل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرم والحسد أحر من النار والحاجة إلى القرب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب السكاكر أقسى من الحجر والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم.

(يان حد الثيمة وما يجب في ردها)

اعلم أن اسم الثيمة إنما يطلق في الأكثر على من يتم قول الغير إلى القول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست الثيمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه للقول عنه أو للقول إليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإعاء وسواء كان للقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيا وقصا في القول عنه أو لم يكن بل حقيقة الثيمة إفشاء السر وهتك السر مما يكره كشفه بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فيلغى أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمصيبة كما إذا رأى من يتناول مال غيره فقلبه أن يشهد به مراعاة لحق الشهود له فأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نعمة وإفشاء للسر فإن كان ما ينم به قصا وعيا في المحكي عنه كان قد جمع بين النية والنية فالباعث على الثيمة إما إرادة السوء للمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث والحوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه الثيمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدري أن فلانا ذكرك أو في عمال أعدوك أو تبيع حالك أو ما يجري مجراه فليسته أمور: الأول أن لا يصدق لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيروا قومًا بمجالة الله - الثاني أن ينهض عن ذلك وينصح له ويصح عليه فله قال الله تعالى: وأمر بالمعروف وانه عن المنكر - الثالث أن ينفذه في الله تعالى فإنه يفيض عند الله تعالى ويجب بغض من يفيض الله تعالى. الرابع أن لا تنظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى: اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتحقيق اتباعا لقوله تعالى: ولا تجسسوا - السادس أن لا ترضى لنفسك ما تهيت النمام عنه ولا تحكي نيمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نعماما ومقتابا وقد تسكون

يبتدىء بالسؤال.

حدثنا شيخنا

أبو العتيق قال أنا

أبو عبد الله الطائي

قال أنا الحافظ القراء

قال أنا عبد الواحد بن

أحمد للبحر قال أنا

أبو منصور محمد بن

أحمد قال أنا أبو جعفر

محمد بن أحمد بن عبد

الجبار قال ثنا جريد بن

زنجويه قال ثنا يلى

ابن عبيد قال ثنا محمد

بن إسحق عن محمد بن

إبراهيم عن أبي سلمة

ابن عبد الرحمن عن

زيد بن خالد الجهني

قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم «لولا

أن أشق على أمتي

لأخترت العشاء إلى ثلث

الليل وأمرتهم بالسؤال

عند كل مكتوبة»

ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها تسكني



قد أثبت مانعاً نهيت . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءكم فاسق بلياً فتبينوا - وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية - هاهنا مشاء بنميم - وإن شئت عنونا عنك فقال الفو يا أمير المؤمنين لأعود إليه أبداً . وذكر أن حكيمان الحكاء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قد أبطأت في الزيارة وأثبتت ثلاث جنابات بنضت أخى إلى وشملت قباي الفارغ وانهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالساً وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني أنك وقعت في وقتك وكذا قال الرجل فامضت ولا قلت فقال سليمان إن الذي أخبرني صادق فقال له الزهري لا يكون النمام صادقاً فقال سليمان صدقت ثم قال الرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نِمَ إليك نِمَ عليك وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن ينعض ولا يوقى بقوله ولا يصدأته وكيف لا ينعض وهو لا ينفك عن الكذب والقيبة والفتنة والحيانة والفيل والحسد والنفاق ولا نساد بين الناس والحداثة وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغيثون في الأرض بغير الحق - والنمام منهم ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن من شرار الناس من اتهم الناس لشبهة » <sup>(١)</sup> والنمام منهم وقال « لا يدخل الجنة قاطع ، قيل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس » <sup>(٢)</sup> وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى عن علي رضي الله عنه أن رجلاً سعى إليه رجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقاً فمقتلك وإن كنت كاذباً عاقبتك وإن شئت أن تعليك أُنكك فقال ألقني يا أمير المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمنين أوضع له ؟ فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل له بداهة بن عامر وكان أميراً بالهني أن فلاناً أعلم الأمير أي ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتت نفسي بلساني وحسبي أي لم أصدقك فيما قال ولا أقطع عنك الوصال وذكر السعاية عند بعض الصالحين قال ما ظنكم يقوم محمد الصدوق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء فأخبر به كبن قبله وأجازه فاتقوا الساعى فلو كان صادقاً في قوله لكان ثلماً في صدقه حيث لم يحفظ الحرم ولم يستر العورة والسعاية هي التهمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبها سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى بالناس إلى الناس لغير رغبة » <sup>(٣)</sup>

قالت سعد من دخلني قال الجبار وعزى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية فذكر منها ولا تقات وهو النمام أمجد هكذا بتمه ولا محمد لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث ولا نسائي من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ولا شخبين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس ما خلق الله الجنة قال لها تسكني زنى فزيت فقالت طوبى لمن دخلني ورضى عنه إلهي فقال الله عز وجل لا تسكنك نحش ولا ناعمة <sup>(١)</sup> حديث إن من شر الناس من اتهم الناس لشبهة متفق عليه من حديث عائشة نحوه <sup>(٢)</sup> حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم <sup>(٣)</sup> حديث الساعى بالناس إلى الناس لغير رغبة الحاكم من حديث أبي موسى من سعى بالناس فهو لغير رغبة أو فيه شيء منها وقال له أسانيد هذا أمثالي قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبراني بلفظ لا يسعى على الناس إلا ولد بني - وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبي ردة بالولد القرشي .

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » والشوص : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكما تغبر الفم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت أزم لأن الأسنان تطبق وبذلك يغبر الفم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى

بني ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في السلام وقال إني مكلّمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه مأخوذ إن قبلته فقال قل فقال يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفتك رجال ابتاعوا دينك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما تمنى الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إياه فانهم لن يأثروا في الأمة خسفا وفي الأمانة تضديعا والأعراض قطعاً وانهاكاً أعلى قربهم البغي والخيمة وأجلّ وسألهم الغيبة والوقعة وأنت مشغول عما أجروا ولبسوا للثوالبين عما أجرت فلا تصلح دينهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غيباً من باع آخرته بدنيا غيره ، وسعى رجل بزياد الأعمى إلى سليمان بن عبد الملك فجفع بينهما للمواقة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما ائتمنتك خالياً نلت وإما قلت قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والائتم

وقال رجل لعمر بن عبيد بن الأسوارى ما يزال يدركك في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعت حق مجالسة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولأدت حق حين أعلتني عن أخى ما أكره ولكن أعله أن لوت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة به فيها على مال يقيم عمله على أخذه لكثرة وقوعه على ظهرها السعاية قيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجريتها بحري النصيح فخرناك فيها أفضل من الرغ ومعاذ الله أن قبل مهتوكا في مستور ولولا أنك في خفارة شيتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك فتوق يا ملعون العيب فان الله أعلم بالغب ، ليت رحمه الله واليتم جبهه الله والسال ثمره الله والساحى لئنه الله . وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلاف إن تمسكت بهن لم تزل سيداً أبسط خفك للقريب والجيد وأمسك جهلك عن الكريم والثلثم واحفظ إخوانك وصل أقرابك وآمنهم من قبول قول ساع وتسمع باغ يريد فسادك وروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعهم ولم يعيوك . وقال بعضهم الخيمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أوفى القل وقال بعضهم لو صح ما نقله الخيام إليك لكان هو المبهترى بالشم عليك والنقول عنه أولى بحملك لأنه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر الخيام عظيم ينبغي أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا الخيمة قال قد رضى فاشتره فكث الخيام أياماً ثم قال زوجة مولاه إن سيدى لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى اللوسى واحلقى من شعر ففاه عند نومهم شعرات حتى أسجره عليها فيجيب ثم قال لا زوج إن امرأتك اتخذت خيلاً وتريد أن تقبلك فتنام لها حتى تعرف ذلك فتنام لها فقامت المرأة باللوسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين التيلتين ، فسأل الله حسن التوفيق .

( الآفة السابعة عشرة )

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلماً يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من ثار يوم القيامة » (١) وقال أبو هريرة قال رسول الله

( الآفة السابعة عشرة : كلام ذى اللسانين )

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من ثار يوم القيامة ، البخارى في كتاب الأدب للفرد وأبو داود بإسناد حسن

السواك اليابس بالماء ويستارك عرضاً وطولاً فان اقتصر فمضاً فاذا فرغ من السواك يغسله ويجلس للوضوء والأولى أن يكون مستقبل القبلة ويبتدئ باسم الله الرحمن الرحيم ويقول سرب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ويقول عند غسل اليد : اللهم إني أسألك الجن والبركة وأعوذ بك من الشوم والهلكة ويقول عند الضمضة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ويقول عند الاستنشاق : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأرحمى راحة

صلى الله عليه وسلم «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بغير الهوى»<sup>(١)</sup> وفي لفظ آخر «الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» وقال أبو هريرة لا ينبغي للذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة يطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم «أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون ولستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فإذا قوم تعلقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء» وإذ ادعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا<sup>(٢)</sup> » وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمامة قالوا وما الإمامة ؟ قال الذي يجري مع كل ريح وانفقوا على أن ملاقة الاثنين بوجهين تفارق وتفارق علامات كثيرة وهذه من جهتها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يأمر المؤمنين إنه منهم فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ولا أو من منها أحدا بعدك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن مناققا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضمنية لا تنتهى إلى حد الأخوة إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معادة الأعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصبيحة والأخوة ، ثم لو نقل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من الخيعة إذ يصير غما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فإذا هل من الجانبين فهو شر من الخيام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من العادة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن يصره وكذلك إذا أتى على كل واحد منهما في معادته وكذلك إذا أتى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه ، قيل لابن عمر رضي الله عنهما : إننا ندخل على أمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نمد هذا نقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> وهذا اتفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو شاق لأنه الذي أخرج نفسه إلى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو وقع بالليل وترك الليل والجاء فدخل لضرورة الجاه والتقى وأثنى فهو مناقق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم «حب المال والجاه يبتنان النفاق في القلب كما يبت الساء البقل<sup>(٤)</sup>» لأنه يحوج إلى الأمر وإلى مراعاتهم ومراعاتهم فأما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو ممدور فان انقضاء الشر حائر قال أبو هريرة رضي الله عنه إنا لنكثير في وجوه أقوام وإن قولنا لنلزمهم

(١) حديث أبي هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخاري وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ الصنف (٢) حديث أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون ولستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فإذا قوم تعلقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا . فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نمد هذا نقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من طرق (٤) حديث حب الجاه والمال يبتنان النفاق في القلب كما يبت الساء البقل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب القضاء وقال العشب مكان البقل .

الجنة وأنت غي راض  
ويقول عند الاستشارة:  
اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد وأعوذ  
بك من روائح النار  
وسوء النار ، ويقول  
عند غسل الوجه: اللهم  
صل على محمد وعلى  
آل محمد ويصلي  
وجبه يوم تبيض  
وجوه أوليائك  
ولا تسود وجوهي يوم  
تسود وجوه أعدائك ،  
وعند غسل العين :  
اللهم صل على محمد وعلى  
آل محمد وآتي كتابي  
يسمى وحاسبي حسابا  
يسرا ، وعند غسل  
الجمال : اللهم إني أعوذ  
بك أن تؤتيني كتابي  
بشمال أو من وراء  
ظهري ، وعند مسح  
الرأس : اللهم صل على  
محمد وعلى آل محمد

وقالت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنيوا له فجلس رجل المشيرة هو ثم لما دخل أذن له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم إثماء شره <sup>(١)</sup> » ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكثر والتيسر فأما التناء فهو كذب صريح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه بإيعاز الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز التناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه ويستر قلبه.

### (الآفة الثامنة عشرة للدخ)

وهو منهى عنه في بعض المواضع ، أما التمدح فهو التنية والوقية وقد ذكرنا حكمها والمدح بدخله ست آفات أربع في السادح واثنتان في المدوح . فأما السادح : فالأولى أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رهوس الأَشهاد بئس الله يوم القيامة يتعر بلسانه . الثانية أنه قد بدخه الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرأيا منا قنا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : ويحك قطعت عنق صاحبك لو معها ما أفلح ثم قال إن كان أحدكم لا بد ما دحا أخاه لقليل أحسب فلا ناولا أركي على الله أحدا حسية الله إن كان يرى أنه كذلك <sup>(٢)</sup> » وهذه الآفة تنطبق على المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فأما إذا قال ربته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستقيمة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة . مع عمر رضي الله عنه رجلا يعني على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قال أخاطبك في المباية ولنامة قال لا ، قال فأنت جاره صباح ومساء قال لا ، قال والله الذي لا إله إلا هو لأراك تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح المدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يضبط إذا مدح الفاسق <sup>(٣)</sup> » وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليعلم ولا يمدح ليفرح . وأما للمدوح فيضه من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه : كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود ابن اللندر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله ومعهما الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يأمر المؤمنين قال مالي ولك أما قد معنتها قال معنتها قال خشيت أن يخاطب قلبك منها شيء فأجيب أن أخطيء منك . الثاني هو أنه إذا أتى عليه بالخير فرح به وفتروا رضي عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنيوا له فجلس رجل المشيرة فجلس المشيرة هو ثم لما دخل أذن له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم إثماء شره <sup>(١)</sup> » ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكثر والتيسر فأما التناء فهو كذب صريح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه بإيعاز الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز التناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه ويستر قلبه.

### (الآفة الثامنة عشرة للدخ)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بجره وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٣) حديث إن الله يضبط إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت واليهي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى اللوصلي وابن عدي بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهترأ العرش قال الذهبي في البرهان منكر وقد تقدم في آداب الكسب .

وغشني برحمتك وأزل على من بركاتك وأطاني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أجمعني منادى الجناتع الأبرار ويقول في مسج العنق : اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ، ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن نزل

ومن أوجب بنفسه قلت تشعره وإنما يتشعر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا (١) » وقال أيضا لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله (٢) » وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغر إلى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا ترامى إليه الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم « لو مشى رجل إلى رجل يسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه (٣) » وقال عمر رضي الله عنه للدح هو اللعج وذلك لأن للدبوح هو الذي يفتري عن العمل والدح يوجب الفتور أو لأن للدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كاللج فذلك شبهه به فإن سلم للدح من هذه الآفات في حق السادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجع (٤) » وقال في عمر « لو لم أبث لبثت يا عمر (٥) » وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبسيرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وقورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر (٦) » أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن اتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالتقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن للقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفخر بقبوله إليه وبفخر لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تهدر على الجمع بين ذم للدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « وجبت (٧) » لما أثنوا على بعض اللوث وقال مجاهد إن لبني آدم جلساء من للملائكة فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه للمسلم بخير قالت للملائكة ولك بمثلته وإذا ذكره بسوء قالت للملائكة يا ابن آدم المستور عورتك أربع على قصك واحمد الله الذي ستر عورتك فلهذه آفات للدح .

( بيان ما على الممدوح )

اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا يتجوز منه إلا بأن يصرّف نفسه ويتأمل ما في خطر الحائطة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه للسادح ولو انكشف له جميع أسرارهم وما يجري على خواطره لكف السادح من مدحه وعليه

(١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا بن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا لم أجده أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل يسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجع فخدم في السلم (٥) حديث لو لم أبث لبثت يا عمر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو مسكر والمعروف من حديث عتية بن عامر لو كان يمدني نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذي وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر ، الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وله من حديث عبادة بن الصامت : أنا سيد الناس يوم القيامة ولا غر ، ومسلم من حديث أبي هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله لما أثنوا على بعض اللوث متفق عليه من حديث أنس .

قديم عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين . وإذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه إلى السماء ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانه اللهم وبمحمد لا إله إلا أنت حملت سودا وظلت نفسي أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي وب علي إنك أنت التواب الرحيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني من التوابين واجعلني من المطهرين واجعلني صورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبغ بك بكرة وأصيلا . وفراقض الوضوء : التية عند غسل الوجه . وغسل الوجه

أن يظهر كراهة للدخ بالذلال للناصح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوهكم للمداخين <sup>(١)</sup> » وقال سفيان بن عيينة لا يضر للدخ من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء لا يضر فوني وأنت تعرفني ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا تهرب إلى عتقتك وأنا أشهدك على مقتك . وقال على رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه قال أنه لكانت في نفسك وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ماقلت وفوق ما في نفسك .

( الآفة التاسعة عشرة )

الفقه عن دقائق الخطأ في غوى الكلام لاسيا بما يتعلق بالله وصفاته وربطه بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر في علمه أو فصاح به غل كلامه عن الزوال لكن الله تعالى يغفر عنه لجهله ، مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت <sup>(٢)</sup> » وذلك لأن في العطف للطلق تشريكا وتسوية هو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة في بعض الأمور فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتي لله هدلا بل ماشاء الله وحده <sup>(٣)</sup> . » وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصبه ما فقد غوى فقال قل : ومن يصب الله ورسوله فقد غوى <sup>(٤)</sup> » فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصبه ما فقد غوى لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم بكراه أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعفنا من النار وكان يقول العتيق يكون بعد الورود وكانوا يستجرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعته محمد <sup>(٥)</sup> فقال حذيفة إن الله يضي للؤمنين عن شفاعته محمد وتكون شفاعته للمؤمنين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خير قيل له يوم القيامة حمارا رأيته خلقته ، خنزيرا رأيته خلقته وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم ليشرك حتى يشرك بكابه فيقول لولاه لسرقنا اللبلة ، وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت <sup>(٦)</sup> » قال عمر رضي الله عنه فو الله ما حلفت بها منذ صممتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاسموا العنب كرمنا عسا الكرم الرجل السلم <sup>(٧)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم عدي ولا أمق كلكم عبيد الله وكل نساكم إماء الله وليقل غلامي وجاريقي وفئاتي ولا يقول الملوك رب ولا ربقي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

(١) حديث احتوا في وجوه للمداخين التراب مسلم من حديث التعداد .

( الآفة التاسعة عشرة في الفقه عن دقائق الخطأ )

- (٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح  
(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الأمور فقال ماشاء الله وشئت فقال أجعلتي لله هدلا بل ماشاء الله وحده . النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصبه ما فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدي بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم متفق عليه (٦) حديث لاسموا العنب الكرم إساء الكرم الرجل السلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

وحد الوجه من مبتدأ  
تسطيح الوجه إلى  
منتهى الدفن وما ظهر  
من اللحية وما استرسل  
منها ومن الأذن إلى  
الأذن عرضا ويدخل في  
الفصل البياض الذي  
بين الأذنين واللحية  
وموضع الصلع  
وما انحسر عنه الشعر  
وهما النزعتان من الرأس  
ويستحب فضاهما مع  
الوجه ويوصل النساء  
إلى شعر التحذيف وهو  
القدر الذي يربطه النساء  
من الوجه ويوصل  
النساء إلى الضففة  
والشارب والحاجب  
والغذار وما عدا ذلك  
لا يجب ثم اللحية إن  
كانت خفيفة يجب  
إصلاحها إلى البشرة  
وحد الخفيف أن ترى  
البشرة من تحتها وإن

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقولوا للفساق سيدنا فانه إن يكن سيدكم فقد استختم ربكم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو ككافال وإن كان كاذبا فلن يرجع إلى الاسلام سالما» (٢) فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يعمن حصره ، ومن تأمل جميع «أوردته» من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم «من صمت نجما» (٣) لأن هذه الآفات كلها مالهك ومعاطب وهي على طريق التكلم فان سكت سلم من الكل وإن أطلق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يراققه لسان فصيح وعلم غزير ورور حافظ وسراقة لازمة ويقل من الكلام ففساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فقم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة إحدى الضيقتين .

### ( الآفة الثمرون )

كانت كشيقة فلا يجب  
ويجتهد في تنقية مجتمع  
السكحل من مقدم  
العين . الواجب الثالث :

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه عن الحروف وأنها قدمة أو محدثة ومن حقه الم اغتسل بالعلم بما في القرآن إلا أن ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعلمى يشرح بالحرف في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحجب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العلمى فهو أسلم له من أن يتكلم في العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاعتغال بالعبادات والايان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به اللعنة من الله عز وجل ويترصنون لخطر الكفر وهو كسؤال سامة الدواب عن أسرار اللوك وهو موجب للتعوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فيه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة إليه علمى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فاتمها هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» (٤) وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد للنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أنبى فقال أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبو بكر الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفى الجنة أنا أم فى النار فقال لا بل فى النار فصار رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام إليه عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر ورحمك الله إناك ما علمت لموتى» (٥) وفى الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المسال وكثرة السؤال» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تقولوا للمنافق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو ككافال والحديث للنسائي وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذى وقد تقدم فى أول آفات اللسان .

### ( الآفة الثمرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى )

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فاتمها هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحق كثر وأغضبوه فصعد للنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبدالله ابن حذافة وقول عمر ، وسلم من حديث أنس موسى فقام آخر فقال من أنبى فقال أبوك سالم مولى شعبة . (٦) حديث النهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث للثوري بن شعبة .

غسل اليدين إلى  
للرقين ويجب إدخال  
الرقين فى الفصل  
ويستحب غسلهما إلى  
أصناف المضدين ،  
وان طالت الأظفار حتى  
خرجت من ردوس  
الأصابع يجب غسل  
ما تحتها على الأصح .  
الواجب الرابع : مسح  
الرأس ويكفى ما يعلق  
عليه اسم المسح  
واستيعاب الرأس  
بالمسح سنة وهو أن  
يلصق رأس أصابع  
اليمنى باليسرى  
ويضهما على مقدم  
الرأس ويمد يدهما إلى القفا  
ثم يردهما إلى الوضع  
الذى بدأ منه ويصنف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك يقولوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم (١) وقال جابر: ما زلت آية التلاعين إلا لكثرة السؤال (٢). وفي قصة موسى والحضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أو أن استحقاقه إذ قال - فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تؤاخذني بمسانسيت ولا ترهقني من أمري عسرا - فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بيني وبينك - وفارقه فسؤال العولم عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من اللثرات الفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أمور فلم يشتغل بشيء منها وضع زمانه في أن قرطاس الكتاب عثيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضيق الهامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أمى قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

### (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع الهللكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون ، الذي استدرج عباده من حيث لا يملكون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظام القبط فيما يعضون ، ثم فهمهم بالمكاره والذلات وأمل لهم لينظر كيف يعملون ، وامتنح به جهيم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وغرّفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسيرون وما يعملون ، وحذرهم أن يأخذهم بفتقهم لا يشعرون ، فقال - ما ينظرون إلا الصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجون - والصلاة والسلام على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة للرزيين ، صلاة يوازي عددها عدما كان من خلق الله وما سيكون ، ويحظى بركتها الأوّلون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[ أما بعد ] فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله اللوقدة التي تطلع على الأثمة ، وإتها المستكنة في طي القواد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الجبر النار من الحديد ، وقد انكشف لناظرين بنور اليقين ، أن الانسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استقرته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقني من نار وخلقته من طين - فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضفة إذا صلت صلت معها حائر الحسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومسايه ليحذر ذلك وينتبه ، ويميطه عن القلب إن كان وفيه ، ويعالجه إن رسخ في قلبه ويدأويه ، فان

بلل الكفين مستقبلا ومستديرا . والواجب الخامس : غسل القدمين ويجب إدخال الكعبين في القفل ويستحب غسلهما إلى أنصاف الساقين ويقنع غسل القدمين من الكعبين ويجب تحليل الأصابع للشفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من طين القدم ويبدأ بخنصر زجله اليمنى ويغشم بخنصر اليسرى وإن كان في الرجل شقوق يجب إيصال الماء إلى باطنها وإن ترك فيها عجينا أو شحما يجب إزالة عين ذلك الشيء .  
الواجب السادس : الترتيب على النسق للذكور في كلام الله تعالى .  
الواجب السابع : التعانق في القول القديم

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الله الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما زلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال رواه الزاير باسناد جيد

(كتاب الغضب والحقد والحسد)



من لا يعرف الشر يقع فيه . ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه . ما لم يعرف الطريق القى به يدفع الشر ويقبضه . ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب وبمجمعيهما بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالته أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب للهجرة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة تكظم النياط ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد وتأشجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمتثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب وتأكدوه وقتلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

( بيان ذم الغضب )

قال الله تعالى - إذ جعل الدين كفروا في قلوبهم الحية حية الجاهلية فأزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين - الآية . ذم الكفار بما ظاهروا به من الحية الصادرة عن الغضب بالباطل ومنع المؤمنين بما أزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلاً قال « يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قل لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب فأعدت عليه مبرتين كل ذلك يرجع إلى لا تغضب (١) » وعن عبد الله بن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يتقذى من غضب الله قال لا تغضب (٢) » وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ « ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا نصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب (٣) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٤) » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كفف غضبه ستر الله عورته (٥) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى - وسيدوا حصورا - قال السيد الذي لا يقبله الغضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب (٦) » وقال يحيى لميسر عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال : لا تغضب (٧) » وقال يحيى لميسر عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال : لا تغضب (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أشتى على جهنم (٩) » وقال له رجل « أي شيء أشد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلاً قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلل الحديث نحوه أبو يعلى بإسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعدني من غضب الله قال لا تغضب الطبراني في معارج الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ما تعدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كفف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد إلا أشتى على جهنم البراز وابن عدي من حديث ابن عباس للتأري باب لا يدخله إلا من شفى غيظه بمصينة

عند الشافعي رحمه الله .  
تعالى وحد التفرق الذي  
يقطع التابع نشف  
المضو مع اعتدال  
الهواء .

[ وسن الوضوء ثلاثة  
عشر ]  
التسمية في أول  
الطهارة . وغسل  
اليد إلى الكوعين  
والضمضة والاستنشاق  
وبالباقة فيما فيغفر  
في للضمضة حتى يرد  
الباء إلى الفاصلة  
ويستغنى الاستنشاق  
للألف بالنفس إلى  
الحاشية ويرقى في  
ذلك إن كان صائماً  
وتخليل اللحية السكتة  
وتخليل الأصابع  
النفرجة والبداة  
باليامن وإطالة الغرة  
واستيعاب الرأس  
بالسبع ومسح الأذنين

قال غضب الله قال لما يمدنى عن غضب الله قال لا تنضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت وبوشك أن تثب وثبة تقطع في النار وعن ذى القرنين أنه لقي ملكا من اللاشكة فقال علمنى علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تنضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالثبوت وإياك والمجلة فانك إذا عجبت أخطأت حظك وكن سهلا لنا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن رابعا كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له أفتح فلم يجهبه فقال أفتح فأني ذهبت ندمت فلم يلفظ إليه فقال إني أنا المسيح قال الرهب وإن كنت المسيح فما أسنع بك أليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بشيء لم قبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أمثلك فلم أستطع فحسبك لتسأني عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولى مدبر فقال الرهاب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أى أخلاق بنى آدم أعونك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كقلب الصبيان الكرة وقال خيصة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقائمه الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن العلم والحلم زين ومنفع والمجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما عجيز بنو آدم فإن يسجرونى فى ثلاث : إذا سكر أحمدى أخذنا غزواته قد دناء حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يسمع وعمل بما يندم ونبله بما في يديه ونعنه بما لا يقدّر على وقيل لحكيم ما أملك فلا لنفسه قال إذا لاندله الشهوة ولا يصبره الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يقصد الإيمان كما يقصد الصبر العمل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تماحب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاجسه فإذا سكن غضبك فأخرجره فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال على بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستغفرني الشيطان بعن السلطان فأنا لك منك اليوم ماتتاه منى غدا وقال بعضهم لا يهني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحى في التناير للسجوة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكر وإن كان للأخرة كان حلما وعلم فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاده إلى النار وقال الحسن من علامات السلم قوة في دين وحزم في ليل وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتعمل في ذقة وإحسان في قدر وتعمل في رقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمع به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضح به بطنه ولا يستخفه حرمه ولا تقتصر به نيته فيصير للظلم ورحم الضعيف ولا يبخل ولا يندرو ولا يسرف ولا يقتصر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه من يشكفل لى أن لا يغضب فيكون

والثالث ، وفي القول الجديد التابع ويحتمل أن يزيد على الثلاث ولا ينقض اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا يطلع وجهه بالماء لطما ، ويجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء مائيس وإلا فبكره .

[ الباب الخامس الثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام أدبهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سميت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فدخلت

الله وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أى شيء أشد على قال غضب الله قال لما يمدنى من غضب الله قال لا تنضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشر الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

مى في درجتي ويكون بعدى خليفتي فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا وفي به  
فلسا مات كان في منزلته بعده وهو ذوالسكفل سمى به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن  
منه للسكفر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة ، والحرق ، والطمع .

### ( بيان حقيقة الغضب )

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان ممرضا للفساد والوثن بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه  
أنهم عليه بما يحويه من الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم مما في كتابه . أما السبب الداخل  
فهو أنه ركيه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة  
تخلل الرطوبة وتنفقها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلولم يتصل بالرطوبة مدمم  
الغذاء يجرما الخلل ويخرب من أجزاها لفسد الحيوان غلق الله الغذاء للوفاق ليدن الحيوان وخلق  
في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالمولك به في خير ما تكسر وسد ما لم يكن لكون ذلك حافظا له  
من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر  
المهلكات التي تقصد بها فانقرضت إلى قوة وحجة تخور من باطنه فتدفع للملكات عنه خلق الله طبيعة  
الغضب من النار وغرزها في الانسان وعينها بطيته فهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من  
مقاصده اشتملت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب ويتشر في العروق ويرفع إلى أعالي  
البدن كما ترفع النار وكما يرفع الماء الذي يغلي في القدر فذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه  
والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وإنما ينسبط  
الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه بأس  
من الانتقام تولد منه اقبياض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزنا ولذا يك يصفى اللون  
وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين اقبياض وانسباط فيحمر ويصفر ويضطرب  
وبالحيلة قوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإنما توجه هذه القوة عند  
ثوراتها إلى دفع الإذيات قبل وقوعها وإلى الثأني والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة  
وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من  
التفريط والإفراط والاعتدال . أما التفريط فيفقد هذه القوة أو يضعها وذلك مذموم وهو الذي قال  
فيه إنه لاحية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يضرب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحية  
أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه أصحاب النار الذين <sup>كانوا</sup> بالشدة والحية فقال أشداء على الكفار  
رحماء بينهم - وقال عليه صلى الله عليه وسلم - جاهدوا الكفار والنفاقين واغلظ عليهم - الآية وإنما اللفظة  
والشدة من آثار قوة الحية وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة  
العقل والدين وطاعته ولا يبق للبرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة الضطر  
وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية قرب الانسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان  
صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار <sup>(١)</sup> كما قال  
صلى الله عليه وسلم وإنما برودة الزاج تطفئه وتكسر صورته . وأما الأسباب الاعتيادية فهو  
أن يخاطب قوما يتبعون بتشفي التيط وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولة فيقول الواحد  
منهم أنا الذي لأمر على المسكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا ومعناه لا تخف في ولا حلم ثم يذكره

(١) حديث الغضب من النار الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف الغضب حمرة في قلب ابن  
آدم ولأبي داود من حديث عطية السعدي أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار .

الوسوسة في الصلاة  
ومن آدابهم استدامة  
الوضوء والوضوء سلاح  
للؤمن والجوارح إذا  
كانت في حماية الوضوء  
لقد هو أثر شري بقل  
طروق الشيطان عليها .  
قال غدي بن حاتم  
ما أقيمت صلاة منذ  
أسلمت إلا وأنا على  
وضوء . وقال أنس  
ابن مالك « قدم النبي  
عليه الصلاة والسلام  
المدينة وأنا يومئذ  
ابن ثمان سنين فقال  
لي : يا بني إن استطعت  
أن لا تزال على الطهارة  
فافعل فإنه من آتاه  
لثوث وهو على الوضوء  
أعطى الشهادة فشأن  
العالم أن يكون أبدا  
مستعدا للثوث ومن  
الاستعداد لزوم الطهارة  
وحكي عن الحضري

في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رشح في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطق بنور العقل وينبغي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان، ظلم إلى الدماغ يستولى على معدن الفكر وربما يمتد إلى معدن الحسن فتظلم عينه حتى لا يرى بينه وتعود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود وجوه وحى مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فامحى أو انطفأ نوره فلا تلبث فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لامن داخل ولا من خارج بل يغشى أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يغفل الغضب بالقلب والدماغ وربما يفتوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تنفخ النار في الكهف فينشق وتهدأ أعاليه على أسفله وذلك لا بظلال النار ما في جوانبه من القوة للسكة الجامعة لأجزائه فكذلك حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسفينية في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس للضطربة غيظا إذ في السفينة من يخال لتسكينها وتديرها وينظرها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذا عمه الغضب وأصمته ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وعدة الرعدة في الأطراف وخروج الأضال من الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأضداد وتغير الأحقاد وتقلب الناخر وتستحيل الخلفة ولورأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياه من قبح صورته واستحالة خلقته وتبع باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإنما تبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها إلى الظاهر فأيما تغير الظاهر ثمرة تغير الباطن نفس الثمرة بالثمره فهذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فالتألق بالشم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذوالعقل ويستحي منه قائله عند ثور الغضب وذلك مع تحيط النظم واضطراب اللفظ. وأما أثره على الأعضاء فالضرب والهجم والتزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المضروب عليه أوفاته بسبب وهجم عن التشنج رجح الغضب على صاحبه فزق ثوب نفسه وبلطم نفسه وقد يضرب يده على الأرض ويعود عدو الواله السكران والدهوش للتعب وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والهوش بسبب شدة الغضب ويعتبه مثل القشة وربما يضرب الجملات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض وقد يكسر السائدة إذا غضب عليها ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهجة والجملات ويحاطبها ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يحاطب عاقلا حتى ربما رفته دابة فيرفض الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في القلب مع التضروب عليه فالخقد والحسد وإضار السوء والشتمه بالمسآآت والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السروءهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبايح فلهذه ثمرة الغضب للفرط وأما ثمرت الحمية الضعيفة فتله الأثرة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتال الذل من الأخساء وصغر النفس والقناعة وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم القيرة على الحرم وهو خوثة قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا لصور وأنا أغير من سعد وإن الله أغير مني (١)» وإنما خلقت القيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت القيرة

أنه قال مهما ألقبته من الليل لا يحملني النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء للثلاث يمسود إلى النوم وأنا على غير طهارة وممعت من صاحب الشيخ بن أبي الهيثم أنه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول لا أكون أسأت الأدب فيقوم ويهدد الوضوء ويصلي ركعتين . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فاني سمعت دفء عليك بين يدي في الجنة» قال ما عملت عملا في الإسلام

(١) حديث إن سعدا لصور الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث القيرة بنحوه وتقدم في التسكح

في رجالها وضعت الصيانة في نساءها ومن ضعف الغضب الحور والسكوت عند مشاهدة للسكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها » (١) يعني في الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما أحقة في دين الله - بل من فقد الغضب هجز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الخسيسة تفقد الغضب مذموم وإنما المصمود غضب ينظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها » (٢) فمن مال غضبه إلى القتور حتى أحس من نفسه بضعف القوة وخسة النفس في احتال الدل والاضيم في غير عمله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الانراط حتى جره إلى التهور واحتدام القواض فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويوقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فان هجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى - ولئن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة - فليس كل من هجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

### ( بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا )

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكيفية وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإليه تقصد وظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالحق ولا يميل إلى التغير ولا إلى الأين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقى الإنسان يجب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من النيط والغضب ومادام يوافقه شيء ويغالبه آخر فلا بد من أن يجب ما يوافقه ويكره ما يغالبه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لاعتالة وإذا قصد بكمروه غضب لاعتالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ماهو ضرورة في حق السكافة كالقوت والسكن ولللبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجواهر والمال الكثير والنفان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويغضب على من يسرهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل النيط عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يجب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ماهو غير ضروري كالجواهر والصيت والتصدر في المجالس واللباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا مزاحم على التصدر في المجالس ومن لا يجب ذلك فلا يزال ولو جلس في صف التعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكراهه فأكثر غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بن سعيد ضعيف وزاد الدين إذا غضبوا رجعوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسل وقد تقدم.

أرجى عندي أني لم  
أظهر طهرها في ساعة ليل  
أنهار إلا صليت لربي  
عز وجل بذلك الطهور  
ما كتب لي أن أصلي  
ومن أدمهم في الطهارة  
ترك الاسراف في الساء  
والوقوف على حد العلم.  
أخبرنا الشيخ العالم

ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا أبو الفتح  
المروزي قال أنا أبو نصر  
الترقي قال أخبرنا  
أبو محمد الجراحي قال  
أنا أبو العباس الجعفي  
قال أنا أبو عيسى  
الترمذي قال حدثنا  
عبد بن بشر قال حدثنا  
أبو داود قال حدثنا  
خارجه بن مصعب  
عن يونس بن عبيد  
عن الحسن بن عبي  
ابن ضمرة السعدي عن  
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أخط رتبة وأقص لأن الحاجة سفة نقص فهمما كثرت كثير النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب التهم والحن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة وغالطة قراء السوء إلى أن يغضب لوقيل له إنك لأحسن اللب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الحجر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فيغضب على من يخرقه ويفرقة وكذلك أدوات الصناعات في حق للكاتب الذي لا يكتنه التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوها وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا في سربه معافي في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بهذا فيها » (١) ومن كان بصيرا بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثة تصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه ليندم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكليف الحلم والاحتياط مدة حتى يصير الحلم والاحتياط خلقا راسخا فأما في أصل النظيم من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سوره وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه الغيظ في الباطن وينتهي ضغفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من النظيم استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القاب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا مجرد عبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبالفي وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبا عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يحب لا يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت : الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته ثمان لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على القصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاة التي هي قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الذبح واللوت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يضر له إلا ما فيه الخير وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على القصاد والحجام لأنه يرى أن الخيرة في هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف قلب في أحول مختطفة ولا تدوم وبرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوما طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بهذا فيها الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن حصن دون قوله بهذا فيها قال الترمذي حسن غريب.

صلى الله عليه وسلم أنه قال « اللغو شيطان يقال له الوهان فاتقوا وسواس السوء » قال أبو عبد الله الروذباري إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالى أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به ويتقصوا عنه . وحكى عن ابن الكرخي أنه أصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة مخيطة غليظة فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فخرت نفسه عن الدخول في الساء لشدة البرد فطرح نفسه في الساء مع الرقعة ثم خرج من الماء وقال عدت أن لا أزعمها من بدني حتى نجف على فمكتت

فانه كان يغضب حتى تحمر وجهه (١) حتى قال «اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيسا مسلم بيته أولمته أو ضربته فاجعلها منى صلاة عليه وزكاة وقرية تقربه بها إليك يوم القيامة (٢)» وقال عبد الله بن عمرو بن العاص «يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال اكتب فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه إلا حق» وأشار إلى لسانه (٣) فلم يقل إنني لأغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أي لا أعمل بموجب الغضب «وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جارك شيطانك قتالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فلا يأمري إلا بالخير (٤)» ولم يقل لاشيطان لي وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحمنني على الشر ، وقال علي رضي الله عنه «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب لادنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى يتصرفه (٥)» فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه قد فهو النفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضروره قوته وحاجته التي لا بد له في دينه ما فائما غضب لله فلا يمكن الاشتكا عنه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغرق القلب ببعض للمهمات يمنع الاحساس بماعداه ، وهذا كما أن سألما لما شتم قال إن خفت موازيتي فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيتي لم يضرنني ما تقول قد كان همهم صروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضرنني ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ماستر الله عنك أكثر فسكاته كان مشغولا بالنظر في تصغير نفسه عن أن يثني الله حتى تفاته ويرفه حتى معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذا كان ينظر إلى نفسه بين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يامرائي فقال ما عرفني غيرك فسكاته كان مشغولا بأن يثني عن نفسه آفة الرياء ومنكرها على نفسه ما يليق الشيطان إليه فلم يغضب بالنسب إليه . وسب رجل الشعبي فقال إن كنت صادقا ففقر الله لي وإن كنت كاذبا ففقر الله لك فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند قوات بعض الحجاب فاذا يتصور قد القبط إماما اشتغال القلب بهم أو بغلبة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يعطى فيطفي شدة حبه لله فيظله وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجهه وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا خاطب أحرمت عيناه وعلل صوته واشتد غضبه وللحاكم كان إذا ذكر الساعة أحرمت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلده بدل ضربته وفي رواية اللهم أنا محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وقد مسلم من حديث أنس عينا ما بشر أرضي كما بشر البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد أضرته (٣) حديث عبد الله بن عمرو يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جارك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث على كان لا يغضب لله ذنبا الحديث الترمذي في النسيئة وقد تقدم.

عليه شهرا لثغاتها وغفلتها أدب بذلك نفسه لما حرفت عن الاتقار لأمر الله تعالى وقيل إن سهل بن عبد الله كان يحب أصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الأرض وكان يرى أن في الإكثار من شرب الماء ضعف النفس وإمالة الشهوات وكسر القوة ومن أفعال الصوفية الاحتياط في استبقاء الماء للوضوء قيل كان إبراهيم الخواص إذا دخل البادية لا يحمل معه إلا ركوة من الماء وربما كان لا يشرب منها إلا القليل يحفظ للماء للوضوء وقيل إنه كان يخرج من مكة إلى الكوفة ولا يحتاج إلى

محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب الزايعين القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب ومالا يمكن محوه يمكن كسره وتضعفه فيضف الغضب بسببه ويهون ذمها ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

### ( بيان الأسباب للهجة للغضب )

قد عرفت أن علاج كل علة جسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب ، وقد قال يحيى لميسى عليهما السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال لما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدى الغضب وما ينبت قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحيوة والأسباب للهجة للغضب هي الزهو والمحب والرزاق والمزول والمهزء والتعير والمعاودة والافتادة والفدر وشدة الحرص على فضول المال والجلاء وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع تمام هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها ، فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع وتقت المحب بمعرفة نفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أفتانا فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالأضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا تضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما الزاح قزيله بالتشاغل باللهامات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المهزل قزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة . وأما المهزء قزيله بالنكمر عن إيداء الناس وبضايعة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعير فالخذل عن القول القبيح ضياعة النفس عن مرد الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال القناعة بقدر الضرورة طلبا لمز الاستثناء وترضا عن ذلك الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتعمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائها والزرغب النفس عنها وتفرغ عن قبورها ثم اللواظبة على مباشرة أمدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفا هينة على النفس فإذا اتحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ور جولية وعزة نفس وكبرهية وتقريبه بالألقاب المحموده غباوة وجهلا حتى تبيل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكبر في معرض اللدح بالشجاعة والنفس مائلة إلى التشبه بالأكابر فينبج الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وقصان عقل وهو لصف النفس وقصانها وآية أنه لصف النفس أن للريض أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من السكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل غضب لشيئته إذا فاته اللقمة وبلخه إذا فاته الحبة حتى إنه يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » (١) بل ينبغي أن يصلح هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم القبط فان ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الأكراذ والأثراك والجهلة والأغبياء الذين لا يقول لهم ولا أفضل فيهم .

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

التيمم يحفظ الماء  
لوضوءه ويقنع بالقليل  
للشرب . وقيل إذا  
رأيت الصوفي ليس معه  
ركرة أو كوز فاعلم أنه  
قد عزم على ترك الصلاة  
شاه ثم أبى . وحكى عن  
بعضهم أنه أدب نفسه  
في الطهارة إلى حد أنه  
أقام بين ظهراني جماعة  
من التمسك وهم  
يجمعون في دار فزاره  
أحد منهم أنه دخل  
الحلأ لأنه كان يقضي  
حاجته إذا خلا للوضع  
في وقت يريد تأديب  
نفسه ، وقيل مات  
الخواص في جامع  
الري في وسط الماء  
وذلك أنه كان به علة  
البطن وكما قام دخل  
الماء وغسل نفسه  
فدخله مرة ومات فيه  
كل ذلك لحظه على



( بيان علاج الغضب بعد هيجانه )

ما ذكرناه هو جسم لواء الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه للدموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمحبون العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر في الأخبار التي سنورها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتفال فربغ في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التفتي والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الخديان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يأمر بالذين - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - فكان عمر يقول - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - فكان يتأمل في الآية وكان واقفا عند كتاب الله مهمات على كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلق الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ - فقال لعلمه خل عنه . الثاني أن يخوف نفسه بمقاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو أمدت غضبي عليه لم آمن أن يغضب الله غضبه على يوم القيامة أخرج ما أكون إلى العفو قد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أحقك فيمن أحق . ويثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك (١) » أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك الامومة حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم المسلمين واخش الوث واذا كرا الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشبهة صائبه وهو لا يغلو عن الصالح فيخوف نفسه بمواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تشوش عليه في الدنيا فراغته لاهل والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه . الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء وغيرهم من أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس ومن أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عاداتهم لتبيل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمتنع من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والدلة والمهانة وتصير حقيرا في أعين الناس فيقول لنفسه ما أعجبتك تأفنين من الاحتمال الآن ولاتأفنين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه وتخفدين من أن تصغري في أعين الناس ولا تخفدين من أن تصغري عند الله ولللائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ ينبغي أن يكظمه الله وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس وذلك من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغي أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تبعه من جريان النوى على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فإن تقول بلسانك

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف ;

الوضوء والطهارة وقول  
كان إبراهيم بن آدم به  
قيام قدام في ليلة  
واحدة نيفا وسبعين  
مرة كل مرة يسجد  
الوضوء ويسلم ركعتين  
وقيل إن بعضهم أدب  
نفسه حتى لا يخرج  
منه الريح إلا في وقت  
البراز يراعى الأدب  
في الحلاوات واتخاذ  
للتنديل بعد الوضوء  
كرهه قوم وقالوا إن  
الوضوء يوزن وأجازه  
بعضهم ودلهمهم  
ما أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا أبو القاسم  
الهروري قال أنا أبو نصر  
قال أنا أبو محمد قال  
أنا أبو العباس قال  
أنا أبو عيسى الترمذي  
قال حدثنا سفيان بن  
وكيع قال حدثنا عبد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ (١) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأثقابها وقالت يا عيش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (٢) » فيستحب أن تقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب حجرة توقد في القلب (٣) » ألم تروا إلى انتفاخ أو داجه وحمرة عينيه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليتم فإن لم يزل ذلك فليتنوضأ بالماء البارد أو يقتل النار لا يطفئها إلا بالساء فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتنوضأ بالماء فأما الغضب من النار (٤) » وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتنوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت (٥) » وقال أبو هريرة « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه (٦) » وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب حجرة في قلب ابن آدم (٧) » ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق خده بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل الواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الدل وتزایل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوماً فدها بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد استعملت على اليمن قال لي أبي أوليت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالفهما . وروى « أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

ابن وهب عن زيد  
ابن حجاب عن أبي  
معاذ عن الزهري  
عن عروة عن عائشة  
رضي الله عنها قالت  
كان لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم خرقه ينشف  
بها أعضاءه بماء  
الوضوء . وروى معاذ  
ابن جبل قال رأيت  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إذا تنوضأ مسح  
وجهه بطرف ثوبه  
واستقصاء الصوفية في  
تطهير البواطن من  
الصفات الرديئة  
والأخلاق الذمومة  
لا الاستقصاء في طهارة  
الظاهر إلى حد يخرج  
من حد العلم وتنوضأ عمر  
رضي الله عنه من حجرة  
نصرانية مع كون  
النصارى لا يجترزون  
عن الحرم وأجرى الأمر

(١) حديث الأمر بالتوضوء بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ متفق عليه من حديث صلحان بن صرد قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانفجحت أوداجه الحديث وفيه لوقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بأثقابها وقالت يا عيش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (٣) حديث إن الغضب حجرة توقد في القلب الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتنوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا غضبت فاسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لهما والبيهقي في شعب الإيمان وفيه لبث بن أبي سالم (٦) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولا أحد باسناد جيد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع وللرفع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب حجرة في قلب ابن آدم الحديث الترمذي وقال حسن .

صلى الله عليه وسلم فقال ياأباذر بلغني أنك اليوم عيرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا ذر ارفع ريسك فانظر ثم أعلم أنك لست بأفضل من أحر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائما فاقصد وإن كنت قاعدا فاتسكئ وإن كنت متسكئا فاضطجع (١) وقال للتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فيكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال الأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوما فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست إليه إنما أنت بشر يوهك أن يأكل بضعك بضا فمكن بعض غضبه فأعطى الثانية فإذا فيها أرحم من في الأرض يرحمك من السماء فأعطى الثالثة فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك أي لا تطل الحدود . وغضب الهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله .

### ( فضيلة كظم الغيظ )

قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - وذكر ذلك في معرض للدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتدل إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عوره » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملائكة قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية - ملائكة قلبه أمانة وإيمانا » (٤) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى » (٥) وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن لجبنم بابا لا يدخله إلا من شئى

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل ياأبا الحمراء في خصومة بينهما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال ياأبا ذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في الغفوذ من الغضب باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمة أعجمية فعيرته بأمة فشكنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا ذر إنك امرؤ فبك جاهلية ولا تحداه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ورجاله تهات.

### ( فضيلة كظم الغيظ )

(٢) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بسند ضعيف والبيهقي في الشعب بالشر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسل باسناد جيد وللبزار والطبراني في كرام الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملائكة قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمانة وإيمانا بن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكن بن أبي سراج تسكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه وزولها ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه .

على الظاهر وأصل  
الطمارة وقد كان  
أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يسألون على الأرض من  
غير سجادة ويمشون  
حفاة في الطريق وقد  
كانوا لا يحملون وقت  
النوم بينهم وبين التراب  
حائلا وقد كانوا  
يقصرون على الحجر  
في الاستنجاء في بعض  
الأوقات وكان أمرهم في  
الطهارة الظاهرة على  
الساهل واستصاؤم  
في الطهارة الباطنة  
وهكذا شغل الصوفية  
وقد يكون في بعض  
الأشخاص تشدد في  
الطهارة ويكون مستند  
ذلك رغبة النفس فلو  
استمع قومه تعرج ولا  
يأبى بما في باطنه من  
القل والمقد والكبر

غِيظُهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى (١) » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَادَن جُرْعَةٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُرْعَةٍ غِيظَ كَظْمُهَا عَبْدٌ وَمَا كَظْمُهَا عَبْدٌ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا (٢) » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رَدُّوسِ الْخَلَائِقِ وَيُغْيِرَهُ مِنْ أَى الْحَوَرِ شَاءَ (٣) » الْأَثَارُ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ عَنْهُ مِنَ اتَّقَى اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غِيظُهُ وَمَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَسَكَانٌ غَيْرُ مَاتَرُونَ . وَقَالَ لِقَامُ لَابَنَةُ : يَا بَنِي لَا تَلْهَبْ مَاءَ وَجْهِكَ بِالْمَاءِ لَوْلَا تَشْفِ غِيظُكَ بِفَضِيحَتِكَ وَاعْرِفْ قَدْرَكَ تَتَفَعَّلُ مَعِيشَتِكَ . وَقَالَ أَيُّوبُ حَلَمٌ سَاعَةً يَدْفَعُ شَرًّا كَثِيرًا ، وَاجْتَمَعَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَبُو خَزِيمَةَ الْيَرُبُوعِيُّ وَالتَّضَلُّ بْنُ عِيَاضٍ فَتَدَاكُرُوا الزَّهْدَ فَأَجْعَوْا عَلَى أَنْ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْجُرْعِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ مَا تَهَضَّى بِالْعَدْلِ وَلَا تَمْطِ الْجَزَلَ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَسْمَعُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ - خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ - فَمَهَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ فَقَالَ عُمَرُ صَدَقْتَ فَكَيْفَاً مَا كَانَتْ نَارًا فَأُطْفِئَتْ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ثَلَاثٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَكْمَلُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْهُ رِضَاؤُهُ الْبَاطِلُ وَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ وَإِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ لَا تَغْضَبْ قَالَ لَا أَقْدَرُ قَالَ فَإِنْ غَضِبْتَ فَأَمْسِكْ لِسَانَكَ وَبِدَكَ .

### ( بيان فضيلة الحلم )

اعلم أن الحلم أفضل من كظم النغيظ لأن كظم النغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم النغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج النغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تمب وهو الحلم الطبيعي وهو دالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداءه التحلم وكظم النغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا الْعَالِمُ بِالْعِلْمِ وَالْحَلِمُ بِالْحَلْمِ وَمَنْ تَخَيَّرَ الْحَبْرَ يَسْطُو وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يَوْفَهُ (٤) » وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ اكْتِسَابَ الْحِلْمِ طَرِيقُهُ أَوَّلًا وَتَكْلِفُهُ كَأَنَّ اكْتِسَابَ الْعِلْمِ طَرِيقُهُ التَّحَلُّمُ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحَلِمُ لَيْتُوا لِمَنْ تَعْلَمُونَ وَلِمَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جِبَابَةِ الْعُلَمَاءِ فَيَغْلِبَ جَهْلُكُمْ حِلْمُكُمْ (٥) » وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ التَّكْبِيرَ وَالتَّجَبُّرَ هُوَ الَّذِي يَهْجِغُ الْغَضَبَ وَيَمْنَعُ مِنَ الْحِلْمِ وَاللَّيْنِ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ ﷺ « اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزِينِ بِالْحَلْمِ وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى وَجَلِّنِي بِالْعَافِيَةِ (٦) » وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ابْتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا وَمَاهِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ تَصَلُّ مِنْ قَطْمُكَ وَتَمْطِ مِنْ حَرَمِكَ وَتَعْلَمَ عَنْ جَهْلٍ عَلَيْكَ (٧) »

(١) حديث ابن عباس إن لجهن بابا لا يدخل منه إلا من شفي غيظه بمعصية الله تقدم في آفات اللسان  
(٢) حديث مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غفظ كظمها عبدا وما كظمها عبدا لملا الله قلبه إيمانا ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلفق من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم (٣) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفعه دعاه الله على ردوس الخلائق حتى يغیره من أى الحور شاء تقدم في آفات اللسان .

### ( فضيلة الحلم )

(٤) حديث إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم الحديث الطبرانی والدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف  
(٥) حديث أبي هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السني في رياضة التلميذ بسند ضعيف  
(٦) حديث كان من دعائه اللهم اغني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجلني بالعافية لم أجده أصلا  
(٧) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وماهي ؟ قال تصل من قطمك الحديث الحاكم والبيهقي وقد تقدم .

والعجب والرياء والنفاق  
وأصله ينصكر على  
الشخص لو داس  
الأرض حافيا مع وجود  
رخصة الشرع ولا  
ينكره عليه أن يتكلم  
بكلمة غيبة يخرّب بها  
دينه وكل ذلك من قلة  
العلم وترك التأدب  
بصحة الصادقين من  
العلماء الراسخين وكانوا  
يكوهون كثرة ذلك  
في الاستبراء لأنه ربما  
يسترخى المروق ولا  
يمسك البول ويؤلف  
منه القطر للفرط .  
ومن حكايات التصوفة  
في الوضوء والطهارات  
أن أبا عمرو والنرجسي  
جاور بمكة ثلاثين سنة  
وكان لا ينفوط في الحرم  
ويخرج إلى الحل وأقل  
ذلك فرسخ . وقيل  
كان بعضهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم «خمس من سنن للرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتمطر<sup>(١)</sup>» وروى  
على كرم الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه  
ليكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته<sup>(٢)</sup>» وقال أبو هريرة «إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة  
أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال إن كان كما تقول فكأنما  
تسفههم للكل ولا يزال معك من الله ظهير مما دمت على ذلك<sup>(٣)</sup>» للذي يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين  
«اللهم ليس عندي صدقة أنصديق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى  
إلى النبي ﷺ «إني قد غفرت له<sup>(٤)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «أبجز أحدكم أن يكون كأي ضميم  
قالوا وما أبو ضميم قال رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على  
من ظفني<sup>(٥)</sup>» وقيل في قوله تعالى - ربانين - أي علماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى - وإذا خاطبهم  
الجاهلون قالوا سلاما - قال علماء إن جهل عليهم لم يجهلوا. وقال عطاء بن أبي رباح - يمشون على الأرض  
هونا - أي حلما وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل - وكلا - قال الكهل منهي الحلم. وروى الجاهد  
- وإذا صرخوا بالفرس صرخوا كراما - إذا صرخوا. وروى «أن ابن مسعود مر بلفو معرضا فالد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسي كريما<sup>(٦)</sup>» ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الروي قوله تعالى  
- وإذا صرخوا بالفرس صرخوا كراما - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان  
لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب السجم والستهم السنة للعرب<sup>(٧)</sup>» وقال  
صلى الله عليه وسلم «ليني منكم ذوو الأحلام والتهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا  
فتختلف قلوبكم وإياكم وهيئات الأسواق<sup>(٨)</sup>» وروى «أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشج فأناع  
راحته ثم عقلمها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من الحية ثوبين حنين فلبسهما وذلك بين

(١) حديث خمس من سنن للرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتمطر أبو بكر بن أبي ناصم  
في الثماني والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية ملبخ بن عبد الله الحطمي عن  
أبيه عن جده وللترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد التكاح  
(٢) حديث على بن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبراني الأوسط بسند  
ضعيف (٣) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن  
إليهم ويسئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٤) حديث قال رجل من المسلمين  
اللهم ليس عندي صدقة أنصديق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه الحديث  
أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد الحميد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده  
بإسناد ابن زاذ البهقي عن علي بن زيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر  
في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من  
المسلمين ولم يسمه وقال أظنه أبا ضميم قلت وليس بأبي ضميم إنما هو علي بن زيد وأبو ضميم  
ليس له محبة وإنما هو مقدم (٥) حديث أبجز أحدكم أن يكون كأي ضميم الحديث تقدم في  
آفات اللسان (٦) حديث إن ابن مسعود مر بلفو معرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود  
وأمسي كريما ابن المبارك في البر والصلة (٧) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه  
العلم ولا يستحيون فيه من الحليم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٨) حديث  
ليني منكم أولو الأحلام والنهي الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا فتختلف  
قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود.

قرح لم يشهد مثل اثني  
عشرة سنة لأن الماء  
كان بضره وكان مع  
ذلك لا يدع تحديد  
الوضوء عند كل  
فريضة وبضمهم نزل  
في عينه للساء لحملوا  
إليه اللدوى وبذلوا  
له مالا كثيرا ليدأويه  
فقال لللدوى يحتاج  
إلى ترك الوضوء أياما  
ويكون مستلقيا على  
فقه فلم يفعل ذلك  
واختار ذهاب بصره  
على ترك الوضوء .  
[الباب السادس  
والثلاثون في فضيلة  
الصلاة وكبر شأنها]  
روى عن عبد الله بن  
عباس رضي الله عنهما  
أنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
«لما خلق الله تعالى  
جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يمشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك بأشجع خاتمين يحبهما الله ورسوله قال ماها بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحلم والأناة قال خلقتان خلقتهما أو خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلت الله عليهما فقال الحمد لله الذي جاني على خاتمين يحبهما الله ورسوله <sup>(١)</sup> وقال <sup>(٢)</sup> «إن الله يحب الحلم الذي التفتت بالعباد التي ويفض الفاحش البذي السائل للملح التي <sup>(٣)</sup>» وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تندوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفه وخلق يعيش به في الناس <sup>(٤)</sup>» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخ دقي يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتأقلم لللائكة فيقولون لهم إننا راكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر الماعين <sup>(٥)</sup>» . والآثار - قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولده ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حملك وأن لا تباي الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزيووه بالوقار والحلم . وقال أكرم بن صبيح دامة العقل الحلم وجماع الأمور الصبر . وقال أبو البرداء أدركت الناس ورقا لأشوك فيه فأصبخوا شوكا لأورق فيه إن عرفتهم هذوك وإن تركتهم لم يتركوك قالوا كيف تصنع قال تعرضهم عن عرضك ليوم قهرك . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عوض الخليم من خلقه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى ينجب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمر بن الأهمش أي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل ديناه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا كفر الله لك وإن كنت صادقا كفر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فلم على فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لعرابة بن أسوس بدت قومك يا عرابة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى في حوائجهم فمن فعل فلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عمر هل للرجل حاجة فتعصيا فنكس الرجل رأسه واستحى . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرعى إليه خميسة كانت عليه وأمره بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة : الحلم وإدخال الأذى وتخليص الرجل مما يمس من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة

ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمي فقالت - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالصلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني جبرائيل لدلوك الشمس حين زالت وصلى في الظهر» واشتاق الصلاة قيل من الصل وهو النار والخشبة للهوجة إذا أراد أن يقرضها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج لوجود نفسه الأمانة بالسوء وسبحات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها

- (١) حديث ياشع إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الخ الحليم الذي التفتت بالعباد التي (٣) حديث ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تندوا بشيء من عمله أبو نعيم في كتاب الإيجاز بإسناد ضعيف والطبراني من حديث أم سلمة بإسناد لين وقد تقدم في آداب الصمحة (٤) حديث إذا جمع الخ الخائق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حملنا البهقي في شعب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف .

وجوعه إلى مدح بعد القدم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد إنه قد وقع بين وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه فأخشي أن يقال لي إن تركك له ذل قال جعفر إنما الذليل الظالم وقال الحليل بن أحمد: كان يقال من أساء فأحسن إليه فقد جعل له حازم من قلبه يردعه عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بعليم ولكنني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم رحم ومن يسمت يسلم ومن يجهل يثلب ومن يعمل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع للراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله ينج ومن لا يسأل الله يفقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعين بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار يا بني أنك ذكرتني يسوء قال أنت إذن أكرم علي من نفسي إنني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسنتي . وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأعنيك سببا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لامي ومرة السبع بن مريم عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقالوا له شرا قال لهم خيرا قيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفي مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحلم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه. ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكميم وكانت سيئة الخلق فرفضت للسائدة وأقيمت على شتم الحكميم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكميم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نظم ففقطت دجاجة على السائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فبرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صديق الحكميم الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك قال أقمته مقام حجر فتمرت به فذهبت الغضب وقال محمود الوراق:

سأزوم نفسي الصفع عن كل مذنب وإن حكمت منه على الجرائم  
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثلى مقام  
فأما الذي فوقني فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم  
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لأثم  
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا فضلت إن الفضل بالحلم حاكم

(بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله بمثله فلا يجوز مقابلة النية بالنية ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وإنما القصاص والتمرية على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه» (١) وقال «السببان ما قالوا فهو على البادي» ما لم يتعد للظالم» وقال «السببان شيطانان يتهاوران» (٢) «وشتم رجل أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قتلت قال لأن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان» (٣)

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم

(٢) حديث للسببان شيطانان يتهاوران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا

ومرسلا قال البخاري الرسل أصح .

الصلبي من وهج

السطوة الإلمية

والمظلة الربانية

ما يزول به اعوجاجه

بل يتحقق به مجارجه

فالمصلى كالصلى بالثار

ومن اصطفى بنار الصلاة

وزال بها اعوجاجه

لا يعرض على نار جهنم

إلا نخله القسم . أخبرنا

الشيخ العالم رضى

الدين أحمد بن إسماعيل

القزويني إجازة قال أنا

أبو سعيد محمد بن أبي

العباس بن محمد بن أبي

العباس الحليل قال أنا

أبو سعيد الفرخزاذي

قال أنا أبو إسحق أحمد

ابن محمد قال أنا

أبو القاسم الحسن بن

محمد بن الحسن قال أنا

أبو زكريا يحيى بن محمد

الضري قال ثنا جعفر

ابن أحمد بن الحافظ

وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعير بمثله  
نهى تنزيهه والأفضل تركه ولكنه لا يصح به والذي رخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت إلامن  
بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بني هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بني  
أمية ومثل قوله بإحقق قال مطرف كل الناس أحقق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة  
من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حتى في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله  
يا جاهل إذا من أحد إلا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله ياسي الخلق يا صفيق الوجه  
يا ثلأب لا أعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تكلمت وما أحقر لك في عيني بما  
فعلت وأخزأك الله وانتقم منك . فأما النقيصة والتقية والكذب وسب الوالد بن لحرام بالاتفاق لما روى  
أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام قد ذكر رجل حاله عند سعد فقال سعد له إن ما بيننا لم يبلغ  
ديننا يعني أن يأتيهم بسنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقول والدليل على جواز ما ليس  
بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها « أن أزواج النبي صلى  
الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألك العدل في  
أبنه أبي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نائم فقال يا بنية أتحيين ما أحب قالت نعم قال فأحي هذه فرجعت  
لإبن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغضبت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تسامرن  
في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر لما زالت تذكرني وأنا ساكتة أظن أن بأذن لي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فيسبها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه  
وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) » حتى أنك لا تقاومينها في الكلام فطوقوها مسبتها ليس المراد به الفحش  
بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « للسبتان ما قال لا فلي  
البادئ منها حتى يتعدى للظالم (٣) » فأثبت للمظلوم انتصار إلى أن يتعدى فهذا القدر هو الذي أحياه  
هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزء على إيذائه السابق ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل  
تركة فإنه يجره إلى ماوراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب له ليس  
من الشرع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه  
في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس  
في الغضب أربعة فبعضهم كالخلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالنضابطي الوقود بطيء الخمود  
وهذا هو بطيء الوقود سريع الخمود وهو الأحمد ما لم يتنه إلى تور الخمية والغيرة فبعضهم سريع الوقود  
بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه تلك (٤) » وقال  
الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال  
أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى  
فثمة بطيء الغضب سريع الرضى ومنهم سريع الغضب سريع الرضى فثمة بطيء الغضب سريع الرضى ومنهم سريع  
الغضب بطيء الرضى ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الرضى وشرهم السريع الغضب البطيء الرضى (٥) »

قال أنا أحمد بن حنبل  
قال ثنا آدم بن أبي  
إياس عن ابن مسعود  
عن الصادق بن  
عبد الرحمن عن أبيه  
عن أبي هريرة رضي  
الله عنه أن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال « يقول  
الله عز وجل قسمت  
الصلاة بيني وبين  
عبدى نصفين فإذا قال  
العبد بسم الله الرحمن  
الرحيم قال الله عز وجل  
مجدني عبدى فإذا  
قال الحمد لله رب العالمين  
قال الله تعالى حمدني  
عبدى فإذا قال  
الرحمن الرحيم قال الله  
تعالى أنى على عبدى  
فإذا قال مالك يوم  
الدين قال غفوس إلى  
عبدى فإذا قال إياك  
نعيد وإياك نستعين  
قال هذا بيني وبين

- (١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حتى في ذات الله تعالى
- (٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني أزواجك يسألك العدل في ابنة أبي قحافة الحديث رواه مسلم (٣) حديث للسبتان ما قال لا فلي البادئ الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فثمة بطيء الغضب سريع الرضى فثمة بطيء الغضب سريع الرضى ومنهم سريع الغضب سريع الرضى فثمة بطيء الغضب سريع الرضى ومنهم سريع الغضب بطيء الرضى ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الرضى وشرهم السريع الغضب البطيء الرضى (٥)
- (٥) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .



ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدا في حال غضبه لأنه ربما يتعدى الواجب ولأنه ربما يكون متغظا عليه فيكون متشفا لنيظه ومريحا نفسه. ثم لم الغبط فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويمزقه فشمته السكران فرجع عمر قهقهة لا يأمر المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عزرتك لكان ذلك لغضبتي لنفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لما كنت .

### ( القول في معنى الحقد وتأنيجه وفضيلة الغفو والرفق )

اعلم أن الغضب إذا لم كلفه لجزء من النفس في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استتقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بمحقد »<sup>(١)</sup> فالحقد ثمرة الغضب والحقد شعر عمانية أمور : الأول الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتغتم بعمه إن أصابها وتسرم بصمية إن زالت به وهذا من فعل المنافقين وسبأني ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن يزيد على إضرار الحسد في الباطن فتشتم بما أصابه من البلاد . الثالث أن تهجره وتصارمه وتقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغاره . الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إبداءه بالضرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترق من الآفات العمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تصلى الله به ولكن تستغله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على النعمة له أو ترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يعرضك لغضب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينطق على مسطح وكان قريبه لسكونه تتكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - قال أبو بكر نعم يحب ذلك وعاد إلى لا تهاق عليه<sup>(٢)</sup> والأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغاماً للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال القربين فلهم محقود ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة وقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالغفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة الغفو والاحسان .

### ( فضيلة الغفو والاحسان )

اعلم أن معنى الغفو أن يستحق حقا فيسقطه ويرى غيره من قصص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

### ( فضيلة الغفو )

(١) حديث المؤمن ليس بمحقد تقدم في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينطق على مسطح نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

الفيظ فلذلك أفردها قال الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقال الله تعالى - وأن تغفوا أقرب للتقوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلالاً لحلفت عليهن ما تمس مال من صدقة قصدوا ولا عفا رجل عن مظلة يبتغي بها وجه الله لإزاده الله بها عزاً يوم القيامة ولا تفتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد البعد إلا رافة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد البعد إلا عزاً فاعفوا يرفعكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة قصدوا رحمكم الله <sup>(٢)</sup> » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظلمها قط ما لم يتهكم من محارم الله فإذا اتهم من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضباً وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً <sup>(٣)</sup> » وقال عقبه « لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فابتدرته فأخذت بيده أوبرتي فأخذ يدي فقال : يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة فصل من قطعك وتمطى من حرملك وتغفو عمن ظلمك <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يارب أي عبادك أعزّ عليك قال الذي إذا قدر عفا <sup>(٥)</sup> » وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعزّ الناس قال الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يرفعكم الله <sup>(٦)</sup> » وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذه بمظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم : إن الظالمين هم للفالجون يوم القيامة <sup>(٧)</sup> » فأبى أن يأخذها حين جمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بث الله الخلاق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا معشر للوحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بضعكم عن بعض <sup>(٨)</sup> » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها النسيان قال الله تعالى - لا تنهوا عن الفساد ولا تنهوا عن الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلي وقد نهى الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا بحضور عقل والقال يصلي لا بحضور عقل فهو كالمسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى - فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى - قيل نعليك همك بأمرك أنك وغنمك فلا اهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون يمنة ويسرة فلا مزلة

(١) حديث ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت حلالاً لحلفت عليهن ما تمس صدقة من مال الحديث الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ومسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لا يزيد البعد إلا رافة فتواضعوا يرفعكم الله الأصنافي في الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمي في مستند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظلمها قط الحديث الترمذي في الشبائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبه بن عاصر يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة فصل من قطعك الحديث ابن أبي الدنيا والطبراني في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب بأسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أي عبادك أعزّ عليك قال الذي إذا قدر عفا الخرافط في معارج الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن لميعة (٦) حديث إن الظالمين هم للفالجون يوم القيامة وفي أوله قصة ابن أبي الدنيا في كتاب العفو من رواية أبي صالح الحنفي مسنداً (٧) حديث أنس إذا بث الله عز وجل الخلاق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر للوحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بضعكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم المقرئ في كتاب البصرة والذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يأمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم قد وهته لكم وقبعت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي وإسناده ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ نادى مناد يا أهل الجمع تاركوا للظالم بينكم وثوابكم على وله من حديث أم هانئ ينادى مناد يا أهل التوحيد ليعب بضعكم عن بعض وعلى الثواب .

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون وما تقولون فقالوا هولاء وأبى عن حمير حريم قالوا ذلك ههنا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) قال فخرجوا كأنهم نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام . وعن سهل بن عمرو قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا معشر قريص ما تقولون وما تظنون ؟ قال قلت يا رسول الله تقول خيرا ونظن خيرا أمع كرم وأبى عن حمير وقد قدمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف - لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم - (٢) » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قبل ومن ذا الذي لم على الله أجر ؟ قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلونها بشير حساب (٣) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بعد إلا أمانته والله عفو يحب العفو ثم قرأ - وليعفوا وليصْفَحُوا - الآية (٤) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أذى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وغفاعة قاله قال أبو بكر أو إحداهن يا رسول الله قال أو إحداهن (٥) » . الآثار : قال إبراهيم التيمي إن الرجل يظلمنى فأرحمه وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بترصده لمصيبة الله تعالى بالظلم وأنه يطلب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يخلف عبدا فيضله من يظلمه ويدخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه قتل له عمر إنك أن تاتى الله ومظالمك كماهى خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن مسيرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر بدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرت كما إلى يوم القيامة فيسمعك عفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظلمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دعاك عليه إلا أن يتداركه بهمل ونحن أن لا يعقل . وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن النضر رجلاين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما ففأعنه والآخر أذنب ذنبا خفيا ففأعنه وقال :

تَعَفُّوْا لِلْمَلِكِ عَنِ الْعِظَمِ مِنَ الذَّنُوبِ بِفَضْلِهَا

ولقد تعاقب في السير وليس ذلك لجهلها

(١) حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادتي الباب فقال ما تقولون الحديث رواه ابن الجوزي في الوفاء من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف (٢) حديث سهل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف البعاد نادى متدليهم أن أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي أجره على الله قال العافون عن الناس الحديث الطبري في كرام الأخلاق وفيه الفضل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بمحذ إلا أقامه والله عفو يحب العفو الحديث أحمد والحاكم وصححه وفتحهم في آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إسمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء الحديث الطبراني في الأوسط وفي الدعاء بسند ضعيف.

الذين هم في صلاتهم خاشعون - جماعوا وجوههم حيث يسجدون وما رؤى بعد ذلك أحد منهم ينظر إلا إلى الأرض وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين يدي الرحمن وذاتفت قال له الرب إلى من تلقت خير لك ممن تلقت إليه » وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم جلايئط بلحيته في الصلاة فقال لو خشع لقلب هذا خشعت له وراحه » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا خلعت

## إلا يعترف كلها ويخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وقد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال فكنت عنده إذ أتى رجل فأمر بقتله قتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقامت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو ؟ قلت سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعون الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن قتل والله سمعته منه فقال خلينا عنه . وروى معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنك الفرصة فإذا أمكنتكم فليحكم بالصفح والإضلال . وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أ رأيت ذال القرنين ؟ كان نبييا ؟ قال لا ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه : كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لقد . وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر أتمم ولكن الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا . وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة بنى الحقد والغضب . وأتى هشام رجل بلمعة عنه أمر فلما أقبل بين يديه جل يتكلم بحجته فقال له هشام وتكلم أيضا ؟ فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - أف تجادل الله تعالى ولا تتكلم بين يديك كلاما . قال هشام بلى ويحك تكلم . وروى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود في السوق ينتاع طلعاما فاتباع ثم طلب الدرهم وكانت في حمامته فوجدتها قد حلت فقال لقد جلبت وإني ألهي فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم إن كان حملي على أخذها حاجة فيبارك له فيها وإن كان حملته جرامة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل ما ريت أنهد من رجل من أهل خراسان جلس إلى في المسجد الحرام ثم قام فليطوف ففرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت ألى الدنانير تبكي ؟ فقال لا ولكن مثلتي وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف على في إحاض حجتة فيكأى رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم ابن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه لما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فدكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من يعمهم بإفراط وطردهم له في الحب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالقى من كيد النساء ومن الحبس ثم قال يا أيها الأمير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره وأمل كلمته وجعله على خزائن الأرض فسادا صنع حيناً كل له أمره وجمع له أهله - قال لا تريب عليكم اليوم يخبر الله لكم وهو أرحم الراحمين - بعرض للحكم بالعفو عن أصحابه قال الحكم فأنا أقول لا تريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا توبى هذا لو أريتكم تحته وكتب ابن القنقع إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه فلان هارب من زلته إلى عفوك لا أقد منك بك . وأعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد العفو فضلا . وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى ؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو فضا عنهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأقلت منه فأخذ أخا له فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أ رأيت إن جئت بك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلي قال نعم قال فأتنا أتيتك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا - أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أن لا تزورا زورا ولا تروا زورا - فقال زياد خلووا سبيله هذا رجل قد أقرن حجتة . وقيل مكتوب في الإنجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان .

فصل صلاة مودع  
فالمصل سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودينه وكل شيء سواه والصلاة في اللغة هي الدعاء فكان المصل يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها السنة يدعوها ظاهرها وباطنها ويشترك الظاهر الباطن بالضرع والتقلب والمحيات في تملقات متضرع سائل محتاج فإذا دعا بكيته أجابه مولاه لأنه وعده فقال - ادعوني استجب لكم - كان خالد الربي يقول هبت لهذه الآية - ادعوني استجب لكم - أمرم بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة

## ( فضيلة الرقي )

اعلم أن الرقي محمود ويضاد العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرقي واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكير وينتج من التثبت فالرقي في الأمور محرمة لا يشمرها إلا حسن الخلق ولا يهين الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرقي وبالله فيه فقال « يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرقي فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرقي فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة <sup>(١)</sup> » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرقي <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يعطي على الرقي ما لا يعطي على الحرق وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرقي وما من أهل بيت يحرمون الرقي إلا حرموا وعنه الله تعالى <sup>(٣)</sup> » وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله رفيق يحب الرقي ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف <sup>(٤)</sup> » وقال عليه السلام « يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرقي <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من حرم الرقي حرم الخير كله <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يا معاشر الرجال والى فرقي ولان رقي الله تعالى به يوم القيامة <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « تدررون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب <sup>(٨)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « الرقي بين والحرق شؤم <sup>(٩)</sup> » وقال عليه السلام « الثاني من الله والعجلة من الشيطان <sup>(١٠)</sup> » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله « إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوص مرتين أو ثلاثا قال نعم قال إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه وإن كان سوى ذلك فاتمه <sup>(١١)</sup> »

## ( فضيلة الرقي )

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرقي فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والعقيلي في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر اللبكي وضمنه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثهما يا عائشة إن الله يحب الرقي في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرقي أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله يعطي على الرقي ما لا يعطي على الحرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بسناد ضعيف (٤) حديث إن الله رفيق يحب الرقي الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة ارفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرقي أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود يا عائشة ارفقي (٦) حديث من حرم الرقي حرم الخير كله مسلم من حديث جرير بدون قوله كله فهي عند أبي داود (٧) حديث أمما وال ولى فلان ورفقي رقي الله به يوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولى من أمر أمي شيئا فرقي بهم فأرفقي به (٨) حديث تدررون على من حرم النار على كل هين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وقد تم في آداب الصلوة (٩) حديث الرقي بين والحرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف (١٠) حديث الثاني من الله والعجلة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد لم يلفظ إلا أن الله قد تهم (١١) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فإذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث أبي جعفر

هي قوود دعاء العبد  
فان الله اعلم بالصواب  
المعنى يدعو بنور  
يقينه فتعرق الحجب  
وتقف الدعوة بين  
يدى الله تعالى متقاضية  
للحاجة وخمس الله  
تعالى هذه الأمة بالزال  
فاتحة الكتاب وفيها  
تقديم الثناء على الدعاء  
ليكون أسرع إلى  
الاجابة وهي تعليم الله  
تعالى عباده كيفية  
الدعاء و فاتحة الكتاب

هي السبع للثاني  
والقرآن العظيم قيل  
سميت ثمانى لأنها زلت  
على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مرتين مرة  
بمكة ومرة بالمدينة  
وكان لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
بكل مرة زلت، نهافهم  
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضى الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه بيننا وهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا يتزعج من شيء إلا شانه (١) ». الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عمله فأمرهم أن يوافقوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالتيب وللمعونة على الخير ، أيها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعملوا أنه لا شيء أحب إلى الله ولأعز من حلم إمام ورفقه وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالمعاقبة فيمن بين ظهره يرزق المعاقبة من هودونه. وقال وهب بن منبه الرقيق ثلثي الحلم ، وفي الخبر موقوفا ومرفوعا « العلم خذل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده (٢) ». وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزينة العلم وما أحسن العلم بزينة العمل وما أحسن العمل بزينة الرقيق وما أضيق شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبدالله : ما للرفق ؟ قال أن تكون ذئبا أو قتيلا في الولاة . قال فما الحرق ؟ قال معادة إيمانك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدرون ما للرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تصنع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والوسط في موضعه ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج العظلة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل :

وضع الندى في موضع السيف بالهلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثرت الشرائع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في عمله حسنا كما أن الرفق في عمله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فتدوافق الحق الهوى وهو الدمن الزيد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روى أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاينه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التفهم في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن التثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل غلط . أو كاد أن يكون غلطاً وإن من لا ينفعه الرفق يضره الحرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك العلم ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتكم الناس بكلمة صعبة إلا إلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها . وقال أبو حمزة الكوفي لا تتخذ من الحدم إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن لأئمة وقاف متان وليس كطرب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور وإنما السكامل من غير مواقع الرفق عن مواقع العنف فيبقى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن التجسس معه في الأكثر .

الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرأها على الترداد مع طول الزمان فهم آخرو هكذا الصلوات المتهتوف من أمته ينكشف لهم عجائب أسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بمارها وقيل سميت مثنى لأنها استتيت من الرسل وهي سبع آيات وروى أم رومان قالت رأيت أبو بكر وأنا أميل في الصلاة فزجرني زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة لم يسكن طرفه لا يتميل عينه إلى ودان سكون الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

هو السمي عبدالله بن مسور الهاشمي ضيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجاس فتدبر عاقبته وإسناده ضيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة الحديث رواه مسلم (٢) حديث العلم خذل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائمه والرفق والده أبو الشيخ في كتاب الثواب وفوائد الأعمال ، ن حديث أنس بسند ضيف ورواه القاضي في مسند الشهاب . ن حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضيف .

(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع وانبثاق أصل أصله ثم إن للحسد من القروع التسمية ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» (١) وقال صلى الله عليه وسلم في التهي عن الحسد وأسبابه وعمراته «لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا يتباغضوا ولا تبادروا وكونوا عباد الله إخوانا» (٢) وقال أنس «كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيتهم وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الضد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال له إني لأحب أن أقيمت أن لأدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى غشى الثلاث فعلت فقال نعم فأت عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يرق حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني سمعته يقول لا أخيرا فلما مضت الثلاث وكردت أن أحقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملي فلم أرك تعمل عملا كثيرا فلما الذي بلغ بك ذلك فقال ما هو إلا مارأيت فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا مارأيت غير أني لأجد على أحد من المسلمين في نفس غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله قلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطق» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالخبر من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا طيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ» (٤) وفي رواية «ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن» فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم «دب إليكم داء الأم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحاكمة لا أقول حاكمة الشر ولكن حاكمة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما شئت ذلك لكم أنشوا السلام بينكم» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تبادروا ولا يتباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطلوه وفيه أن ذلك الرجل قال لأجد على أحد من المسلمين في نفس غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البراز ومضى الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن هبة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطعن والحسد الحديث وفي رواية وقل من ينجو منهن ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهرى وموسى بن يعقوب الزمعي ضعهما الجمهور والرواية الثانية قرواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف والطبراني من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (٥) حديث دب إليكم داء الأم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم «تعدوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن وفاق القلب» ، أما ميل اليهود قيل كان موسى يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور لئلا يظنوا بالباطن فكان يهيء الأمور وسخطها ولهذا للمنى أوحى الله تعالى إليه أن يحل التوراة بالذهب ، ووقع في والله اعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومحال مناجاته فيموج به بطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تتلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نسيم

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يخاب القدر <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه يصيب أمتي داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعدوا التحاسد حتى يكون البغي ثم المخرج <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تظهر الثمالة بأخيك فيعاقبه الله ويبتليك <sup>(٣)</sup> » وروى أن موسى عليه السلام لما تجل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلا فبطه بأكفانه فقال إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يغيره باسم فلم يغيره وقال أحذرك من عمله ثلاث : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يبق والده به ولا يثنى بالجمعة وقال ذكرنا عليه السلام قال الله تعالى : الحاسد عدو لعمق منسخط لقضائي غير راض قسمتي التي قسمت بين عبادي. وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فهم المال فيتحاسدون ويقتلون <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن نعم الله أعداء قليل ومن هم فقال الدين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجوهر والعرب بالصبيحة والبهاتين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجاهالة والعلماء بالحسد <sup>(٧)</sup> » الآثار : قال بعض السلف أول خطبة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على العصية . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل الملقب وكان يومئذ على واسط فقال لي أريد أن أعطيك بشيء فقال وما هو قال إياك والسكبر فانه أول ذنب عصي الله به ثم قرأ - وإذا قلنا فاعلم أنكم تسجدون لآدم فوجدوا إلا إبليس - الآية وإياك والعرض فانه أخرجه آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهى الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآية وإياك والحسد فانه أقتل

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يخاب القدر أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس وبزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه يصيب أمتي داء الأمم قبلكم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الثمالة بأخيك فيعاقبه الله ويبتليك الترمذي من حديث وثالة بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا فيرحمه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد عن عمار الخاف عليكم من بدى ما فتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البصري والحمد لله المحدثين وأحمدوا البزاز من عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو وإدافتكم عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتداربون الحديث وأحمدوا البزاز من حديث عمر لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم السداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بنسند ضعيف (٦) حديث إن نعم الله أعداء قليل ومن أولئك قال الدين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن لأهل السم حسادا فأحذروهم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله ومن هم ؟ قال الأمراء بالجوهر الحديث وفيه والعلماء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس أسند بن ضعيف .

الفضل وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الإلهية فتم بالاستعلاء ولقلب بها تشبيك وامتزاج فيضطرب القلب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فها يولأ من غير حظ لبواطهم من ذلك ولهذا للمنفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل النوسوسة « هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبداهم وغابت قلوبهم لا قبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لاهايا » واعلم أن الله تعالى



ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وأتلى عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فأسكت وإذا ذكرت النجوم فأسكت. وقال بكر بن عدي أنه كان رجل ينشئ بعض اللوك فيقوم بمخاء الملك فيقول أحسن إلى الحسن باحسانه فإن السوء سيكفيك إساءته فحسده رجل على ذلك التمام والكلام فسمى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بمخاءك ويقول ما يقول زعم أن الملك أجبر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا نامك وضع يده على أذنه ثلاثين مريح البحر فقال له انصرف حتى أنظر غفر من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بمخاء الملك على عادته فقال أحسن إلى الحسن باحسانه فإن السوء سيكفيك إساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه عفاة أن يشم الملك منه ريحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان للملك لا يكتب بخطه إلا بخاتمة أوصله فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذهب واسلمه واحش جلدته تبنا وإبش به إلى فأخذ الكتاب وخرج فأتاه الرجل الذي سمي به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصله فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذهبك وأسلمك قال إن الكتاب ليس هو لي فأخذه الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لك الكتاب الملك مراجعة فذهب به وسلمه وحشا جلدته تبنا وبش به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب للملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوجهه من قوبته له قال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أجبر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لأنه أطمعني طعاما فيه ثوم فسكرته أن تشمه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفى للسوء إساءته. وقال ابن سيرين رحمه الله ما حدثت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو بصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بن يعقوب نعم ولكن غم في صدرك فإنه لا يصرك ما لم تمد به يدا ولا لسانا. وقال أبو الدرداء ما أكثر عيذ ذكرا لوت الأقل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حامد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل المداوات قد ترجى إمانتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يليق. وقال أعرابي ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حامد إنه يرى النعمة عليك نعمة عليه. وقال الحسن يابن آدم لم تحسد أحداً فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار. وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا مئمة وذلا ولا ينال من اللاتكة إلا لئمة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزوا وغما ولا ينال عند التزع إلا شدة وهولا ولا ينال عند اللوقف إلا فضيحة ونكالا.

( بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراحبه )

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أتم الله على أخيك نعمة فلك فيها حالتان : إحداها أن تسكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا قال حسد حده كراهة النعمة وتوحيب جزائها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تسكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تفتخ باسم المنافسة وقد تسمى للنافسة حسدا والحسد منافسة في موضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حرج في الأسماء بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن يغبط

( بيان حقيقة الحسد وحكمه )

والنافق يحسد (١) « فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصحابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضر كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آفة الفساد ولو أمنت فسادك لم ينعكس بغيره وبدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عدل فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسكتم حسنة نسوّم وإن تصبوا سيئة فلنحاسبها - وهذا القرع شامة والحسد والثمالة يتلازمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن جهنم زوال لعمدة الإيمان حسداً وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفرون سواء - وذ كراهة تعالى حسداً إخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين - اقلوا يوسف وأولاد حوّه أرضاً يغفل لكم وجه أياكم - فلما كرهوا حب أبيهم له وساءم ذلك وأحبوا زواله عنه فضيروه عنه وقال تعالى - ولا يجدفون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا يضيق صدورهم به ولا ينتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الإنكار - أم يحسدون الناس على ما أوتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمة واحدة - إلى قوله - إلا الذين آمنوا من بعد ما جاءتهم البينات بنيائهم - قيل في التفسير حسداً وقال تعالى - وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بنيائهم - فأزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نسأك بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله وبالكتاب الذي تنزله الامانصرتا (٢) - فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما أنزل الله بنيا - أى حسداً - وقالت صفية بنت حيى للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبى وعمى من عندك يوماً فقال أبى لعمى ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة (٣) فهذا حكم الحسد في التحريم - وأما للنافسة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل للنافسة وللنافسة بدل الحسد

ذلك لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها وقد ورد في الأخبار « إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامته لللائكة من لدن منسكية إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن الصلي ليشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم الصلي من يناجي ما التفت » أو ما اقتتل وقد جمع الله تعالى للمصائب في كل ركعة ما فرق على أهل السموات فله للائكة في الركوع منذ خلقهم الله لا يرفسون من

(١) حديث للؤمن يبط والنافق يحسد لم أجده أصلاً مرفوعاً وإنما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نسأك بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله الحديث في نزول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن اسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيى للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبى وعمى من عندك يوماً فقال أبى لعمى ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن اسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً

قال قثم بن العباس لما أراد هو والنضل أن يأثرا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قال لا لى حين قال لهما لا تنهبا إليه فانه لا يؤمر كما عليا فقالا له ماهذا منك إلا نفاسة وآفه لقد زوجك ابنته لما تقصنا ذلك عليك (١) بئى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة والنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة النافسة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وإعمال السابقة عند خوف القوت وهو كالمبدن يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس (٢)» ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأعمري قال «مثل هذه الأمة مثل أر يترجل آتاه مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء» وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال «ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أفقه في مثل ما أفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء (٣)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تنبيه المصيبة لأن جهة المحبة أن يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لاجرج على من يضبط غيره في نعمة ويشهى نفسه بثلمها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دواها له ، ثم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه النافسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمصيبة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كإتقائ الأموال في السكائر والصدقات فالنافسة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة ينتم بها على وجه مباح فالنافسة فيها مباحة ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والأحقق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة النعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ومحبة مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانه في الباحات ، نعم ذلك يقتض من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن اللقائات الرفيعة ولكنه لا يوجب الصيانة. وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وإعمايزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فاذا انسأ أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دواها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو ألقى الأمر إليه وورد

(١) حديث قال قثم بن العباس لما أراد هو والنضل أن يأثرا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قال لا لى الحديث هكذا وقع المصنف أنه تهم والنضل وإعماها الفضل والطلب ابن ربيعة كما رواه مسلم من حديث للطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبيد للطلب قالوا والله لو بعثنا هذين الثلأمين قالى للفضل بن عباس اثنتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلهما فذكر الحديث (٢) حديث لاحسد إلا في اثنين الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم (٣) حديث أبي كبشة مثل هذه الأمة مثل أر يترجل آتاه الله مالا الحديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح

الركوع إلى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والتمود والعباد للنيقظ يتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفي غير الترضية يفتنى المصل أن يمشى في ركوعه متلذا بالركوع غير مهم بالرفع منه فان طرقة سامة بحكم الجيلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يلوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يتراءى للراكع الحق أنه إن سبق همد في حال الركوع أو السجود إلى

إلى اختياره لسمي في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيعفى عما يجده من طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهها ذلك من نفسه بقلبه ودينه وله للمنى بقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينفك اللؤم عنهن: الحسد والظن والطيرة» (١) ثم قال «وله منهن مخرج إذا حدثت فلا تبغ» أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعبداً يكون الإنسان مريداً للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لها محالة ترجيحاً له على دوامها فهذا الحد من النافسة يراحم الحسد الحرام فينبغي أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر ومامن إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوى الإيمان رزين التقوى ومهما كان عمره خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد للذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لا يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لارخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعني عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه. وأما إتيه فأربع: الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينقل إليه وهذا غاية الحبث. الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولادة نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه ومكرهه فقد النعمة لاتنعم. غيره بها. الثالثة: أن لا يشتهي عنها لنفسه بل يشتهي مثلها فان هجر عن مثلها أحب وزوالها كإلا يظهر التفاوت بينهما. الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب وزوالها عنه وهذا الأخير هو المعطوف عنه إن كان في الدنيا والندوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسداً فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى - ولا تلمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ستمين لكل ذلك غير مذموم وأما غنية عين ذلك فهو مذموم.

### (بيان أسباب الحسد والنافسة)

أما للنافسة فسيبها حب ما فيه للنافسة فان كان ذلك أمراً دنيئاً فسيبه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيئاً فديبه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد للذموم ومدخله كثيرة جداً ولكن محصر جملة سبعة أبواب: العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من قوت المقاصد المحبوبة وحب الرئاسة وحب النفس وبخلها فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يخفى بالأمثال بل يحسد الحسيس للالك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه أو أولى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطبق احتمال كبره وتخاخره لمرته نفسه وهو المراد بالتعزز وإما أن يكون في طبعه أن يستكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنصب عظيم فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من قوت مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرئاسة التي تنبئ على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها وإما أن لا يكون يسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب. الذنب الأول: العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفي المنة  
سببها فيكون همه  
الهيئة مستغرقة فيها  
مشغولاً بها عن غيرها  
من الحيات في ذلك  
يتوفر حظ من بركة  
كل هيئة فان السرعة  
التي يتقاضى بها الطبع  
تسد باب الفتوح ويقف  
في مهاب النعمات  
الإلهية حتى يتكامل  
حظ البعد فتدعى  
آثاره بحسن الاسترسال  
ويستقر في مقعد  
الوصال. وقيل في  
السلافة أربع هيأت  
وسنة أذكار فالهيأت  
الأربع القيام والقعود  
والركوع والسجود  
والأذكار الستة التلاوة  
والتسبيح والحمد  
والاستغفار والدعاء  
والصلاة على النبي عليه  
الصلاة والسلام فصارت

(١) حديث ثلاث لا ينفك اللؤم عنهن: الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة.

(بيان أسباب الحسد والنافسة)

٢٤٨ من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أن يضنه قلبه وغضب عليه  
 ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضى التشفي والانتقام فإن عجز البغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن  
 يتشفى منه الزمان وربما يجزل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بلية فرح بها  
 وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساء ذلك لأنه ضمر دمه وربما  
 يحطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنتم عليه. وبالجملة فالحسد يلزم  
 البغض والعداوة ولا يفارقهما وإنما غاية التقى أن لا ينفى وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن ينفى إنساناً ثم  
 يستوى عنده مسرته ومساوئه فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى السكفار به أعني الحسد بالعداوة  
 إذ قال الله تعالى - وإذا لقوكم فقولوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيط ظلوا وتوايفظكم إن  
 الله عليهم بذات الصدور - إن تمسكتم حسنة نسوّم - الآية ، وكذلك قال تعالى - واما عنتم قد بدت  
 البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر - والحسد بسبب البغض ربما يفضى إلى التنازع والتقاتل  
 واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك السر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التعزّز  
 وهو أن يشغل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالا فإن يتكبر  
 عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل  
 غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضى بمساوئه مثلاً ولكن لا رضى بالترفع عليه. السبب الثالث: الكبر  
 وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستغفره ويستخدمه ويتوقع منه الاتقياء وللناجعة في  
 أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يشغل تكبره ويترفع عن متابعتها أو ربما يقشوف إلى مساوئه  
 أو إلى أن يترفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه ومن التكبر والتعزّز كان حسداً أكثر  
 السكفار رسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتهم وكيف نطأ على مرد وسناقنا الواسلوا لازل هذا  
 القرآن على رجل من القريتين عظيم - (١) أى كان لا يشغل علينا أن تواضع له وتبته إذا كان عظيماً وقال  
 تعالى يصف قول قريش - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - كالأستحقار لهم والأفئة منهم. السبب الرابع:  
 التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا لما أتت إلّا بشر مثنا - وقالوا - أنؤمن لبشر ين مثنا -  
 ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون - فتمجّبوا من أن يفوز بربة الرسالة والوحي والقرب من  
 الله تعالى بشر مثلهم لحسدوم وأجوا زوال النبوة عنهم جزعاً أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الحلقة  
 لاعتقادهم قصد تكبر وطلب رئاسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متعجبين -  
 أبش الله بشرا رسولا - وقالوا - لولا أنزل علينا اللاتكة - وقال تعالى ساو محببتهم أن جاءكم ذكر  
 من ربكم على رجل منكم - الآية . السبب الخامس : الخوف من فوت اللقاصد وذلك يخص  
 بمترحمين على مقصود واحد فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الأفراد  
 بمقصودهم من هذا الجنس تحاسد الضرائف في الزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الإخوة في الزاحم على نيل  
 المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والسالك كذلك تحاسد التفيذين لأستاد واحد  
 على نيل المرتبة من قلب الأستاذ وتحاسد تلميذ للشيخ وخواصه في نيل المرتبة من قلبه للتوصل به إلى السال

(١١) حديث سبب نزول قوله تعالى - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن قال ذلك الوليد بن النيرة قال أبو نيزل على محمد وأركبنا كبر قريش وسببها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمر الثقفي سيد حنيف فنحن عظاما القريتين فأُنزل الله فيها بلنفي هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا أنها قال مسعود بن عمرو وفي رواية لأن مردويه حبيب بن عمر الثقفي وهو صحف .

عشرة كاملة تفرق  
هذه العشرة على عشرة  
صفوف من الملائكة  
كل صف عشرة آلاف  
فيجتمع في الركنتين  
ما يفرق على مائة ألف  
من الملائكة .

[ السبب السابع  
واللائون في وصف  
صلاة أهل القرب ]  
ونذكر في هذا الفصل  
كيفية الصلاة بهايتها  
وشروطها وآدابها  
الظاهرة والباطنة على  
الكامل بأقصى ما انتهى  
إليه فهمنا وعلمنا على  
الوجه مع الاعراض  
عن نقل الأقوال في  
كل شيء من ذلك إذ في  
ذلك كثرة ويخرج  
عن حد الاختصار  
والإيجاز المتصووف يقولون  
وبالله التوفيق : ينبغي  
للمريد أن يستعمل الصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين المتزامين على أهل بلعة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول  
عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزامين على طائفة من التفتة محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة  
في قلوبهم لتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير  
توصل به إلى القصد وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب  
عليه حب الشئ واستغزوه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير  
له فإنه لو جمع نظيره في أقصى العالم لساء ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه  
في اللذة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد به ويفرح  
بسبب تفردة وليس السبب في هذا عداوة ولا تمززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوف من فوات القصد  
سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه وللزلة في قلوب  
الناس لتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ولا يؤمنون به خفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مما نسخ عليهم . السبب السابع :  
خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فأنك تجد من لا يشغل برئاسة وتكبر ولا طلب مال إذا  
وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له  
اضطراب أمور الناس وإدبارهم وقوات مقاصدهم وتنقص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الإدبار لغيره  
ويشغل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يشغل بمال  
نفسه والشحيح هو الذي يشغل بمال غيره فهذا يشغل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه  
وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت  
الجبلة ومما لجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابا عارضة يتصور زوالها فيقطع في  
إزالتها وهذا خبث في الجبلة لأن سبب عارض تقصر إزالته إذ يستحيل في العادة إزالته فهذه هي  
أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد  
بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة بل ينتكح حجاب المجاملة وتظهر العداوة  
بالمكشفة وأكثر الممانعات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلما يتعذر سبب واحد منها .

( يان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقربان والإخوة وبنى الم والأقارب

وتأكله وقتله في غيرهم وضحه )

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها وإنما قوى بين قوم تجتمع  
جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يتنوع عن قبول  
التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجتمعهم  
روابط يجتمعون بسببها في مجالس المحادثات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه  
في فرض من الأغراض فمر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقه  
ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لفرسه ويكره تمسكه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف  
جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين متناهيين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك  
في محلاتين ، ثم إذا تجاوزا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد توارد على مقاصد تتنافس فيها أغراضها  
فيثور من التنافس التنافر والتباغص ومنه ثور به أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم  
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد  
البراز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة وحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب

تيسل دخول وقتها  
بالوضوء ولا يوقع  
الوضوء في وقت الصلاة  
فذلك من المحافظة  
عليها ويحتاج في معرفة  
الوقت إلى معرفة الزوال  
وتفاوت الأندام لطول  
النهار وقصره . ويتر  
الزوال بأن الظل مادام  
في الانقصاص فهو  
النصف الأول من النهار  
فاذا أخذ الظل في  
الازدياد فهو النصف  
الأخر وقد زالت الشمس  
وإذا عرف الزوال وأن  
الشمس على كم قدم  
تزل يعرف أول الوقت  
وأخره . وقت العصر  
ويحتاج إلى معرفة  
النازل ليعلم طلوع القمر  
ويسلم وأوقات الليل  
وشرح ذلك يطول  
ويحتاج أن يفرد له باب  
فاذا دخل وقت الصلاة

والرأى تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البرزخ غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البراز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الربون وإنما ينافعه فيه بزاز آخر إذ حريف البراز لا يطبله الاسكاف بل البراز ثم مزاحمة البراز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجبار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتربها ويفرد بهذه الحسنة ولا يزاحمه العالم على هذا النرض وكذلك يحسد العالم والعالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التزام بينهما على مقصود واحد أحسن فأصل هذه المحاسنات العداوة وأصل العداوة التزام بينهما على غرض واحد والنرض الواحد لا يجمع متبايعين بل متساوين فلذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن يمد من يساهم في الحسنة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا هي التي تضيق على التزامين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوته ومواعظ الله عليه يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين بل للعلوم الواحد يعلمه أنفأ لقل عالم ويفرح بمعرفته ويثله ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأُنس وثمره الاستفادة والأفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تضيق فيه وغرضهم التزلة عند الله ولا تضيق أيضا فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعم لذة لقائه وليس فيها محاسنة ومزاحمة ولا تضيق بض الناظرين على بعض بل يزيد الأُنس بكثرته ، نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن للمال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو قل من له أهلية فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يهل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فن عود نفسه الفسك في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسأله صار ذلك الله عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحمة فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذة بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب اللكوته على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجته معرفته التي هي صفاته بآمن زوالها وهو أبدا يعني ثمارها فهو بروحه وقلبه مقتد بما كفه عليه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطفوها حانية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا تروى في جنة عالية ورياض زاهرة فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعا ما في صدورهم من غل - إخوانا على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا لماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في الضي فاذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة لأن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضاعفة فيها ولا مزاحمة ولاتزال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدم السنة الراتبه في ذلك سر وحكمة وذلك والله أعلم أن العبد تشعث بطنه وتفرق همه لما يلي به من الخاططة من الناس وقيامه بهام الناس أوسو جرى بوضع الجلبة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة ينجذب بطنه إلى الصلاة ويتهيأ للمناجاة وينهب بالسنة الزاوية أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدا للفرصة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجدد الثوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب غامة وخاصة فالعامة الكبار

صفات البعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتناب ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وعمرّد وعصى فقد عرفت أنه لاحد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالسلك ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأنظار وافية بجميع الأبعاد فلم يكن فيها نزاحم ولا تحاسد أصلاً فليكن إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لازمة فيها ولنة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه العروة أيضاً فإن كنت لا تشفق إلى معرفة الله تعالى ولم تجهد لذتها وقر عينك رأيك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذا العيون لا يشفق إلى لذة الواقع والعيني لا يشفق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يختص بأدراكها الرجال دون الصبيان والحشيش فكذلك لذة العروة يختص بأدراكها الرجال - رجال لا تاهبهم تجارة ولا يسع عن ذكر الله - ولا يشفق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذوق لم يسرف ومن لم يعرف لم يشفق ومن لم يشفق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين - ومن يسعى عن ذكر الرحمن يقيض له شيطاناً فهو له قريب - .

( بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب )

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة لا يوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم الذي دفع لمرض الحسد هو أن تعرف حقيقة أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيها وما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فأرقت الحسد لاجتماعه أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بحسن حكيم فاستكرت ذلك واستبشمته وهذه جناية على حقدة التوحيد وقضى في عين الإيمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انفرد إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبه الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبايا في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يحو الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تنال بحسدك في الدنيا أو تمتدب به ولا تزال في كد وغم إذا أعداؤك لا يلجم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها وتأمل بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشبه الأعداء لك وتشبه الأعداء لك قد كنت تريد الهنة لعدوك فتجزت في الحال عحتك وعجمك قدما ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من أذى القلب وساءت مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة لما عجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير شعور به بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فبذلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم قد ربه الله سبحانه فلاحية في دفعه بل كل شيء عند مقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكنا في من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فآوحى الله إليهم من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الأزل

والصغار مما أوما إليه الشرع ونطسق به الكتاب والسنة والخاصة ذنوب حال الشخص فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويغفرها صاحبها وقيل حسنات الأبرار سيئات البقربين ثم لا يصل إلا جملة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضل صلاة الجماعة صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » ثم يستقبل القبلة بظاهره والخفيرة الإلحائية ياطنه ويقرأ - قل أعوذ برب الناس - ويقرأ في نفسه آية التوجه وهذا التوجه قبل الصلاة والاستفتاح قبل الصلاة لوجه الظاهر بانصرافه إلى القبلة وتخصيص



لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضى الليلة التي سبق القضاء بدوام إقباله فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي ، وهذا غاية الجهل فانه بلاه تشتيه أولا لنفسك فانك أيضا لاتخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يسبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - إذ ما يريد الحسود لا يكون ، نعم هو يضل بأراده الضلال لغيره فان إرادة الكفر كفر ، فمن انتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتمت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والباطل فان كل واحد من حمقى الحساد أيضا يشتهي أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها . وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالنسبة والتمسح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فلهذه هدايا تهديها إليه ، أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . نعم كان لله عليه نعمة إذ وقتك للحسنات فقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغهم وشقاوتهم وكونهم معذيين مغموين ولا عذاب أهدما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمانى أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد تنتظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسدا ، ولذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكبد

لأزلت محسودا على نعمة فأنسا الكامل من محسد

ففرح عدوك بغيرك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وهذا به لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده لما أنت فيها تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهي عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا طامعت ما تضرت به في الدنيا والآخرة وانفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخالق شقيا في الحال والآخر ونعمة المحسود دأمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إفساد أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رأى أنك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والنال الذي اختص به عدوك هناك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته الحاق بدرجة الأكار في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مما أحب ذلك غف لبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتعوز بثواب الحب فحضره إليك حتى لاتلحقه بحبك كما لم تلحقه ببعثك . وقد قال أعرابي لابي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : للرمع من أحب <sup>(١)</sup> » وقال أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال « يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها ؟

(١) حديث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو ممن أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ثم يرفع يديه حدو منكبيه بحيث تكون كفاه حدو منكبيه وإيماءه عند شحمة أذنيه ورعوس الأصابع مع الأذن ويضم الأصابع وإن نشرها جازواضم أولى فانه قيل النشر نشر الكف ويكبر ولا يدخل بين ياء أكبر ورائه ألفا ويحزم أكبر ويجعل البد في الله ولا يرفع في ضم الهاء من الله ولا يتسدى بالتصغير إلا إذا استقرت اليدان حدو المنكبين ويرسلهما مع التكبير من غير نقض فالوقر إذا سكن القلب تشككت به الجوارح وتأيست بالاولى

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أتى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت (١) قال أنس لما فرح المسلمون بحد إسلامهم كفرهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر بينهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت « يا رسول الله الرجل يحب للصليين ولا يصلي ويحب للصوام ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) » وقال رجل لأمير بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فإن لم تستطع أن تكون متعلما فأجبههم فإن لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحانه الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك إبليس قوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بنض إليك أخاك وحملك على السكراة حتى أتت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب أن تخطي في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يعرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأى إثم يزيد على ذلك فليكن إذ فاتك الحاق به ثم اغتمعت بسببه سلمت من الآثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والكفاف عنه (٣) » أى من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والسكراة فانظر كيف أجهدك إبليس عن جميع الدواخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألينة فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بهالك في بقعة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرى سها إلى عدوه ليصيب مقفه فلا يصيبه بل يرجع إلى حديقته البقي فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فبرئى أعد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيصمها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجبه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال المحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الزمة العائدة لمفوت إلى العيين ولو بقيتا لقاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالآثم والآثم لا يموت بالموت وله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عنه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها الحبيب النار فانظر كيف اتهم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلهاعنه ثم أزالها عن الحاسد إذ أسلمة من الآثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة فنزالنا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحق للمكر السبي إلا بأهله - وربما يتلى بين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت بشامت بساءة إلا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضى الله عنها : ما تحببت لمثان شيئا إلا نزل لي حتى لو تحببت له القتل لقاتلت ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجز إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالقواش في التشنى من الأعداء وهو الداء الذى فيه هلاك الأمم السالفة ، فهذه هى الأدوية العلية فما تنفسر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطقت نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومفرج عدوه ومسخط ربه ومنص عيشه . وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلفه نفسه فيضه فان بشه الحسد على القدر في محسوده كلف لسانه اللدح له والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه أثم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن بشه على كفى الإتمام

والأصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير أنه صلى الصلاة بعينها . وحكى عن الجليل أنه قال لكل شئ صفوة وصفوة الصلاة التصكية الأولى وإنما كانت التكبية صفوة لأنها موضع النية وأول الصلاة . قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول النية بالله لله ومن الله والآفات التى تدخل فى صلاة العبد بعد النية من العدو وأصيب العدو وإن كثر لا يوزن بالنية التى هى لله بالله وإن قل . وسئل أبو سعيد الخراز كيف الدخول فى الصلاة ؟ فقال هو أن تحبلى على الله تعالى

- (١) حديث سؤال الأعرابي حتى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس
- (٢) حديث أبى موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب للصليين ولا يصلى الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلقيش آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قاله للرمع من أحب .
- (٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والكفاف عنه لم أجده له أصلا .

عليه ألزم نفسه الزيادة في الانعام عليه فلهذا عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتوله من ذلك للواقعة التي تقطع مادقة الحسد لأن التواضع والتنازل والذل وإظهار السور بالنعمة يستجلب قلب النعم عليه ويسترقه ويستطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيق قلبه ويصير ما تكلفه أولا طيبا آخره ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأنتيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة وهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل الهامة تكلفا كانت أو طيبا تسكر سورة العدو من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباعد فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جدا إلا إنها مرة على القلوب جد ولكن النفع في الدواء للرفق لم يصبر على مرارة الدواء لم يزل حلالة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أخفى التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والتثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترضاها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد ما لا يكون إلا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات الراد والذلة وخسة ولا طريق إلى التخلص من هذا الدل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السلي فاما الدواء الفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يخفى وسيأتى تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فانها مواد هذا الرض ولا يتقنع الرض إلا بتقنع السادة لأن لم تقنع السادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع ما هو واده فانه مادام محبا للجهاد فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والرزقة في قلوب الناس دونه وبهذه ذلك لعمالة وإنما غاية أن يهون النعم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الوفي.

( بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب )

اعلم أن المؤذى ممقوت بالطبع فمن أذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبا فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تسكرها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وبسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى يتشكك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حסود عاص بحسبك وإن كفت ظاهرك بالسكينة إلا أنك يباطلك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضا حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لصفة الفعل قال الله تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء - وقال - إن تمسكت حسنة نسؤم - أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل عمل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلة يجب الاستحلال منها بل هو مصيبة يبتلى الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كفت ظاهرك وأثر مت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على نافي طبيعتك تكون تلك الكراهة من جهة النقل في مقابلة الليل من جهة الطبع فقد أدبت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تمييز الطبع ليستوى عند المؤذى والحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم  
القيامة ووقوفك بين  
يدي الله ليس بينك  
وبينه ترجمان وهو  
مقبل عليك وأنت  
تتأجبه وتعلم بين يدي  
من أنت واقف فانه  
للك العظيم . وقيل  
لبعض العارفين كيف  
تكبر التكبير الأولى  
فقال ينبغي إذا قلت  
الله أكبر أن يكون  
مصحوبك في الله  
التعظيم مع الألف  
والهيكلة مع اللام  
وللراية والقرب مع  
الحاء . واعلم أن من  
الناس من إذا قال الله  
أكبر غاب في مطالعة  
العظمة . والبكرباء  
وامتلاء بطنه نورا  
وصار الكون بأمره  
في فضاء شرح صدره  
تكررة بأرض فلاة

ملتنا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى ، مثل السكران الواله قد يتهنى أمره إلى أن لا يفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بمن واحدة وهي عين الرحمن ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعاله ويراهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويسود العدو إلى منازعته أعنى الشيطان فانه ينازع بالسوسة فمهما قابل ذلك بكرهته وألزم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأتهم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثلاثة لا يخولونهم المؤمن وله منهم خرج فخرجهم من الحسد أن لا يفتي » والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تنم عن البغي والإيذاء فان جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يجب إساءة مسلم فهو حاسد فاذا نكته آثم بما يجرد حسد القلب من غير فعله في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى إذ يعد أن يعنى عن العبدى إرادته إساءة مسلم واشتباة بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم بطبعك وتكره حبه لك ذلك وميل قلبك إليه بتعلقه وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك وهذا مغو عنه قطعاً لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثاني أن تحب ذلك وتظهر القبح بساوءه إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعاً . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير تمقت نفسك على حسدك من غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن آثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

### ( كتاب ذم الدنيا )

( وهو الكتاب السادس من ربيع التهذبات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظر وافي شواهدا وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فقلوا أنه يزيد منسكها على معروفها ولا يفي مرجوها بحقوقها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورتها راقية مليحة تستميل الناس بجملها ولها أسرار سوء تباعج تهلك الراغبين في صلاحها ثم هي فرارة عن طلابها شجيعة بإقبالها وإذأقبلت لم يؤمن شرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة فيها خاسرة بأثرة وآفاتنا على التوالي لصدور طلابها رافقة عوجا . أي أحوالها بدل طالبها ناطقة فكل مغرور بها إلى الدل مصيره وكل متكبر بها إلى التجسر مسيره فانها المغرب من طالبها والطلب لما ربه ومن خدمها فاته ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن للنصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق إلى الهرم ونعيمها لا يشر إلا الحسرة والندم فهي خداعة مكاراة طيارة فرارة لا تزال تزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كثرت لهم عن آياتها وشوشت عليهم منازم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجايبها فأذاقتهم قوائم سامها

( كتاب ذم الدنيا )

ثم تأتي الخردة في يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخيل في الباطن من الكون الذي صار بمثابة الخردة فألقت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تراحم مطالعة العظمة والنيوبة في ذلك كون النية غير أنه لقاية لطف الحال يختص الروح بطالمة العظمة والقلب يتميز بالنية فتكون النية موجودة باللفظ صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده اليمنى يده اليسرى ويجعلها بين السرة والصدر واليمنى

ورسختهم بصواب سوامها بينا أصحابها منها في سرور وإنعام إذولت عنهم كآها أضغاث أحلام ثم عكرت عليهم بدواها فطعنهم طعن الحصيد ووارزهم في أكفانهم تحت الصمد إن ملكت واحدا منهم جميع ماطلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم يشن بالأس مخ أصحابها سرورا وتقدم غرورا حتى يأملون كثيرا وينتوون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجهنم بورا وسعيرم بهاء مشورا ودعاؤهم ثورا هذه صفاتها وكان أمر الله قدرا مقدورا والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله للرب إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهير وعلو الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله وعدوة لأعداء الله أبعادها لله فانها قطعت الطنق على حق عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأبعادها لأوليائه الله عز وجل فانها تزينت لهم زينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوامرارة الصبر في مقاطعتها، وأبعادها لأعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقنصتهم بشبكها حتى وقفوا بها وعوتوا عليها فغذلتهم أحوج ماكانوا إليها فاجتنتوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبدأباد فهم في فراقها يتحسرون ومن مكيدها يستغيثون ولا يغيثون بل يقال لهم - اخسأوا فيها ولا تذكروا - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشروها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهى وماالحكمة في خلقها مع عداوتها ومامدخل غرورها وشروها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويهلك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أسوها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو اللعين على مايرضيه .

### ( بيان ذم الدنيا )

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلها كثيرة وأكث القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يشعوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها قد دروي «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : آترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا من هوانها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسق كافرا منها شربة ماء <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر <sup>(٢)</sup> » وقال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيها <sup>(٣)</sup> » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فآثروا مايتقى على مايتقى <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة <sup>(٥)</sup> »

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال آترون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث لستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وماوالاوعالم ومنع (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخرته الحديث أحمد واليزار والطبرانى وابن حبان والحاكم ومجمعه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقى في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسل .

لكرامتها تجعل فوق اليسرى وبعد السبعة والوسطى على الساعد ويقيض بالسلالة البواق اليسرى من الطرفين وقد فرأى المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى - فصل لربك وأعرض - قال إنه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك أن تحت الصدر عرفا يقال له الناحر أى ضلع يذلى الناحر وقال بعضهم وأخرى استقبل القبلة بنحرك وفى ذلك سر خفى يكشف به من وراء أستار القيب وذلك أن الله تعالى بلطف حكمته خلق الأذى وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد حبه ونجته ما فى أرضه

وقال زيد بن أرقم: كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأبى بماء وعسل فلما دنا منه فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدر على من مسأته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده عن نفسه شيئا ولم أرعه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا » ثلث لي قتل لها إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أفلت مني لم يفلت مني من بعدك <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يا عجبا كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار القرور <sup>(٢)</sup> » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قال « هلوا إلى الدنيا وأخذوا خذوها قد بليت على تلك الزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا <sup>(٣)</sup> » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا مستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها تستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلبة والنساء والطيب والثياب <sup>(٤)</sup> » وقال عيسى عليه السلام: لا تخذوا الدنيا بما فيها فتخذكم عبيدا اكثروا كثركم عند من لا يرضيه فإن صاحب كثر الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كثر الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يا معشر الحواريين إنني قد كذبت لكم الدنيا على وجعها فلا تمسوها يبدى فإن من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أو رثت أهاها حزنا طويلا وقال أيضا: بطعت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تزعجكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعهم الدنيا فاتهم لن يرضوا لكم ما تركتموهم ودينهم وأما النساء فانهن « هن بالوصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ ببقته . وقاله موسى بن يسار قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها <sup>(٥)</sup> » وروى أن سليمان بن داود عليها السلام مر في موكبها والطير تطله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال فرعباد من بني إسرائيل قال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم « لهما كتم اتكأ يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت <sup>(٦)</sup> »

وممثلة روحانيا  
وجسمانيا أرضيا وماديا  
منتصب القامة مرتفع  
الهيئة نصفه الأعلى  
من حد القواعد متودع  
أسرار السموات ونصفه  
الأنفس متودع  
أسرار الأرض فجعل  
نفسه وركزها نصف  
الأسفل وجعل روحه  
الروحاني والقلب  
النصف الأعلى لجواذب  
الروح مع جواذب  
النفس يتطاردان  
ويتحاربان واعتبار  
تطاردهما وشالهما  
تكون لمة الملك ولمة  
الشیطان ووقت الصلاة  
يكثر التطارد لوجود  
التجاذب بين الإيمان  
والطبع فيكشف  
الحلى الذي صار قلبه  
مماويا مترددا بين  
الفناء والبقاء لجواذب

(١) حديث زيد بن أرقم كما مع أبي بكر فدعا بشراب فأبى بماء وعسل فلما أدنا منه فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده عن نفسه شيئا الحديث البراز بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصححه إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه (٢) حديث يا عجبا كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار القرور ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مرسل (٣) حديث إنه وقف على مزبلة فقال هلوا إلى الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميجون الحمصي مرسل وفيه بقية بن الوليد وقد عننه وهو مدلس (٤) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله إن بني إسرائيل الخ والشطر الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسل بالزيادة التي في آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلافا والبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل (٦) حديث لهما كتم

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها جمع من لاعقل له وعليها  
يمادى من لاعمل له وعليها يحسد من لاقه له ولها يسعى من لا يقين له (١) » وقال صلى الله عليه وسلم  
« من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأثم الله قلبه أربع خصال: هـما لا يقطع عنها أبدا  
وشغلا لا يفرغ منه أبدا وقررا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منه أبدا (٢) » وقال أبو هريرة قال  
لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله  
فأخذ يدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة فيها رموس أناس وغدرات وخزق وعظام ثم قال  
يا أبا هريرة هذه الرموس كانت تحرس حرمكم وتأمل كأمسكتم هي اليوم عظام بلا جدتم هي صائرة  
رمادا وهذه العدرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم  
فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الجرق البالية كانت ريشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها  
وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يتنجسون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيًا على الدنيا فليكن  
قال فما رحنا حتى اشتد بكأؤنا (٣) » وروى أن الله عز وجل لما هبط آدم إلى الأرض قال له ابن الخراب  
ولد للفناء . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين  
نصنت وتزينت لهم إني قذفت في قلوبهم بضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك  
كل شأنك صير إلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدوى لأحد ولا يدوم لك أحد  
وإن بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطمعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم  
على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا التوريسى  
أمامهم ولللائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني  
لأدنى أولئك اليوم نصيبا فيقول اسكني يا لائى إني لم أركك لهم في الدنيا ألا أركك لهم اليوم (٤) » وروى  
في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحرك معدته فخرج التفل ولم يكن ذلك جمولا  
في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نها عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر  
الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أى شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أصنع ما بطنى من الأذى  
ف قيل للملك قل له في أى مكان تريد أن تضعه أعلى القرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال  
الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ اهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليجنات أنوار يوم

---

التسكارت يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير (١) حديث الدنيا  
دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله ولها جمع من لاعقل  
له دون بقية وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد  
(٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأثم الله قلبه أربع خصال الحديث  
الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وأثم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي  
الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة  
صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٣) حديث أبى هريرة ألا أريك الدنيا  
جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة فيها رموس  
لم أجدها أصلا (٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث  
تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار مرسلًا ولم أجده باقية

النفس متعاعدة من  
مركزها واللبوارح  
وتصرفها وحركتها  
مع معاني الباطن  
ارتباط وموازنة  
فيوضع البنى على الشمال  
حصر النفس ومنع  
من صعود جوارحها  
وأثر ذلك يظهر بدفع  
الوسوسة وزوال  
حديث النفس في  
الصلاة ثم إذا استولت  
جوارح الروح  
وتملك من الفرق  
إلى القدم عند كمال  
الأنس وتحقق قرة  
العين واستبلاء سلطان  
للاشهادة تصير النفس  
مقهورة ذليلة ويستدير  
مركزها بنور الروح  
وتتقطع حينئذ جوارح  
النفس وعلى قدر  
استنارة مركز النفس  
يزول كل العبادة





فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتمضوا له فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حين  
راحم ثم قال أظنكم معتم أن أبا عبيدة قدم بشيء قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا  
مايسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت  
على من كان قبلكم فتنافسوها ففلسوها ففلسكم كما أهلكنهم <sup>(١)</sup> » وقال أبو سعيد الخدري قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض  
فقل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا <sup>(٢)</sup> ». وقال <sup>(٣)</sup> « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا <sup>(٤)</sup> » فبقي عن  
ذكرها فضلا عن إصابه عنها . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى  
في الأنفة والطرق فقال يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ولو ماتوا عن غير ذلك  
لندفنوا فقالوا بل يروح الله ودنا أن لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادم  
يحييوك فلما كان الليل أشرف على نثر ثم نادى يا أهل القرية فأجابهم عيب لبيك يا روح الله فقال  
ما حالكم وما قصتكم قال بقنا في عافية وأصبحنا في المساوية قال وكيف ذاك ؟ قال بحبنا الدنيا  
وطاعتنا أهل العاصي قال وكيف كان حيكم للدنيا ؟ قال حب السي لأنه إذا أقيمت فرحنا بها وإذا  
أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يحييوني قال لأنهم ملجئون بأهم من نار بأبدى  
ملائكة غلاظ شديد قال فكيف أجبتى أنت من بينهم قال لأنى كنت قيمهم ولم أكن منهم فلما  
نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنما ملقى على شفير جهنم لأدرى أنجو منها أم أكبكب فيها فقال  
السيح للحواريين لأكل خبز الشعير للملح الجريش وليس للسوح والنوم على الزايل كثير مع  
عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاتبقي فجاء  
أعرابي بناق له فسبها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع  
شيئا من الدنيا إلا وضعه <sup>(٥)</sup> » وقال عيسى عليه السلام من أدى يتي على موج البحر دار تملك  
الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علما واحدا بحبنا الله عليه قال أنفضوا  
الدنيا بحكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله <sup>(٦)</sup> « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم  
كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولأترتم الآخرة <sup>(٧)</sup> » ثم قال أبو الدنيا من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم  
لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركت أموالكم لا حرس لها ولا راجع إليها  
إلا ما لا بد لكم منه ولكن خيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك  
بأعمالكم وصرت كالدين لا يملكون فيخضعكم شر من البهائم التي لاتدع هواها عفاقة بما في عاقبتها مالكم  
لأتأبون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله مافرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ولو اجتمعتم

(١) حديث بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدمون إلى عبيدة متفق  
عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (٢) حديث أبي سعيد إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله  
لصم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البقي في  
الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثى مرسل (٤) حديث أنس كانت  
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاتبقي فجاء أعرابي بناق له فسبها فشق ذلك على المسلمين  
الدنيا إلا وضعه البخارى (٥) حديث أبي الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا  
ولهانت عليكم الدنيا ولأترتم الآخرة الطبراني دون قوله ولهانت الخ وذا لخرجتم إلى الصعدات  
الحديث وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبي ذر وما تلذذتم بالنساء على الفراش وأول الحديث  
متفق عليه من حديث أنس وفي أفراد البخارى من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لا يهدى  
لأحسنها إلا أنت  
واصرف عني سيئها  
فانه لا يصرف عني  
سيئها إلا أنت لبيك  
وسميدك فالخير  
كله يديك تباركت  
ولمات استغفر  
وأوب إليك ويطرق  
رأسه في قيامه ويكون  
نظيره إلى موضع  
السجود ويكمل القيام  
باتصاب القامة ونزع  
يسير الانطواء عن  
الركبتين والخواصر  
ومعاطف البدن  
ويقف كأنه ناظر  
بجميع جسده إلى  
الأرض فهذا من  
خشوع سائر الأجزاء  
ويتكوّن الجسد  
بتكون القلب من  
الخشوع وبروح بين  
القدمين بمقدار أربع  
أصابع فان ضم الكعبين

على البر لتجابتكم مالمكن تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توفقون بغير الآخرة وشهرها كما توفقون بالدنيا لأترستم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم . فان قلتم حب العاجلة غالب فاننا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققت إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فاقفوا ثلثين لعلكم وليرى من النور ما تظنون إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فقلدكم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وأخذون بالحزم في أموركم مالمكن تفرحون باليسر من الدنيا تصيدونه وتحزنون على اليسر منها يغوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسومونها الصواب وتهميهم فيها للآثم وعامتهم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إنني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بضعكم بعضا بالسرور وكلكم بكراهة أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بثله فاصطحبتم على الغل ونبئت مراعيكم على الدمن وتضافتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألفني بمن أحب رقيته ولو كان حيا لم يصبركم فان كان فيكم خير فقد أسعيتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله أسعيتكم على شئني وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجلا بأدنى الدين قد تقنعا وما أرام رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى للوك بدنيهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر ترك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « ولأننا نيكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب » (١) « وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى لا تركزن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أمد منها ، ومرو موسى عليه السلام رجلا وهو ينيك ويرجع وهو ينيك فقال موسى يارب عبدك ينيك من عافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم أعفرك له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فصاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرضاها وعرف الآخرة فظلمها وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم ودية فأدوها إلى من اتهمهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينةك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تتجو وما نراك ناجيا ، وقال الفضيل طالعت ففكرت في هذه الآية - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صيدا جزا - وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبح في شئ من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداة يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأقطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يخافني الأبدان ويجدد الآمال ويقرب النية ويبعد الأمنية : قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب ، وفي ذلك قيل :

هو الصدف انتهى عنه ولا يرفع إحداى الرجلين فانه الصدف انتهى عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدف والصدف وإذا كان الصدف منيا عنه ففي زيادة الاعتقاد على إحدى الرجلين دون الأخرى معنى من الصدف فالأولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا ، ويكره اشتغال السماء وهو أن يخرج يده من قبل صدره ويحبب السدل وهو أن يرخى أطراف الثوب إلى الأرض فنيه معنى الخلاء وقيل هو الذى يلتصق بالثوب ويعمل يديه من داخل فيركم ويسجد كذلك وفي معناه ما إذا جعل

(١) حديث لنا نيكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجد له أصلا .

ومن يحمى الدنيا يعيش يسره  
فصوف لعمرى عن قليل يلوها  
إذا أدبرت كانت على للرء حسرة وإن أقبلت كانت كثير اهوها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إلا بها فان عيشها نكد وصرفها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بليّة نازلة أو بنية قاضية . وقال بعضهم : من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص . وقال السفيان أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على الحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على الحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حق ولا يضر كحب الدنيا وإنما قال هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يترحم بالدنيا ويطلب الخروج منها . وقال يحيى بن معاذ : الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء في طلبه فيأخذك . وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب ينفى والآخرة من خزف يبق لكأن يبنى لنا أن نختر خزفا يبق على ذهب ينفى فكيف وقد اخترنا خزفا ينفى على ذهب يبقى . وقال أبو حازم إياكم والدنيا فإنه يلقى أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حتره الله . وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الدس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرهّل والعارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما للالك والأهلون إلا وادائع ولا بد يوما أن تردّ الوادائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها قالت استكثروا عن ذكرها فلا موقع من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها إلا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لأبراهيم بن آدم كيف أنت فقال :

ترقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

فطوبى لبيد أثر الله ربه وجاد بدنياء لما يتسوق

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعمها

كعبان ينى بغيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناء تهما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل فيه أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابن : بع دنياك بآخرتك ترجعها جميعا ولا تبغ آخرتك بدنياك تحسرها جميعا . وقال ، طرف بن الشيخ لا تنظر إلى خفض عيش اللوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظنهم وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للؤمن وجزء للنافق وجزء للكافر فالؤمن يتزود والنافق يتزنى والكافر يستمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاينة الكلاب ، وفي ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تتع عن خطبتها تسلم

إن التي تخطب غدارة قرية العرس من اللأثم

وقال أبو الدرداء من هو ان الدنيا على الله أنه لا يصح إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها ، وفي ذلك قيل :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

يديه داخل القميص  
ويجتنب الكف وهو  
أن يرفع ثيابه يديه  
عند السجود ويكره  
الاختصار وهو أن  
يجعل يده على الخاصرة  
ويكره الصلب وهو  
وضع اليدين جميعا على  
الحصرين وتجياني  
الضغدين فاذا وقف في  
الصلاة على الهيئة التي  
ذكرناها محتثا للسكره  
قدّمهم القيام وكله  
فيقرأ آية التوجه  
والدهاء كما ذكرنا ثم  
يقول أعوذ بالله من  
الشیطان الرجيم ويقولها  
في كل ركعة أمام  
القراءة ويقرأ الفاتحة  
وما بعدها حضور قلب  
وجمع هم ومواظاة بين  
القلب واللسان بحفظ  
وافر من الوصلة والدنو  
والهنية والخشوع

وقيل أيضا : يراقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا  
أفنى القرون التي كانت منعمة كرم الجديدين إقبالا وإدارا  
كم قد أبدت صروف الدهر من ملك قد كان في الدهر نقاها وضرا  
يأمن بمناقب دنيا لا يقاء لها بمسح ويصبح في دنياه سفارا  
هلا تركت من الدنيا معاجة حتى تعاقب في الفردوس أباكارا  
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها فيبغى لك أن لاتأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لما ثبت محمد صلى الله عليه وسلم أتت إبليس جنوده فقالوا قد ثبت  
نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم قال لأن كانوا يحبون الدنيا ما بالي أن لا يبدوا الأوثان  
وإنما أعبدو عليهم وأرواح ثلاث أخذ السال من غير حقه وإفاته في غير حقه وإمساكه عن  
حقه والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعل كرم الله وجهه بأيامير المؤمنين صف لنا الدنيا قال :  
وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن اقتر فيها حزن ومن استغنى فيها افتقار  
في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابهها العتاب ، وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم  
أقصر فقبل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر  
قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاها فإذا  
كانت الدنيا في القلب لم تزاها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لثيمة ، وهذا تشديد عظيم ورجو  
أن يكون ما ذكره سيارب الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان  
الآخر تبعاً له ، وقال مالك بن دينار بقدر ما تهزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك بقدر ما تهزن  
للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا  
والآخرة ضربان فبقدر ما ترضى إحداها تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما  
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت  
إلى ذا أودھت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه  
أيعسن له أن يتعيش فيه ؟ يعني يتهم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف وقد تم  
ذلك ليوم فقره ، وقال الفضيل لو أن الدنيا بعد أفرها عرضت لي حلالا لا أحاسب عليها في الآخرة لكننت  
أنتذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام  
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقه عظومة مجبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم يرفه إلا سفيما وترسه  
ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو أخذت متاعا فقال بأيامير المؤمنين إن هذا يلبسنا للقليل وقال سفيان  
خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عديت بنو إسرائيل الأصنام بعد  
عبادتهم الرحمن بمجهم للدنيا ، وقال وهب قرأتني بعض السكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغلبة الجهال  
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابن أبيه إنك استدبرت الدنيا  
من يوم زلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود  
إذا رأيت البعد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك للتبوء الذي ياب بوجهه وهو لا يشعر  
وقال عمرو بن العاص على للبر : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذئ علىه أكثر من الذي له (١)

والخشية والتعظيم  
والوقار والشاهدة  
والناجاة وإن قرأين  
المعاجة وما يقرأ بعدها  
إذا كان إماما في  
السكنة الثانية : اللهم  
باعديني وبين خطيأي  
كما باعدت بين للشرقي  
والغرب وشرقي من  
الخطايا كما ينفق الثوب  
الأبيض من الدنس  
اللهم اغسل خطيأي  
بالماء والتابع والبرد  
لحسن ، وإن قلها في  
السكنة الأولى لحسن  
روى عن النبي عليه  
الصلاة والسلام أنه قال  
ذلك وإن كان منفردا  
يقولها قبل القراءة  
ويعلم العبد أن تلاوته  
نطق اللسان ومعناها  
نطق القلب وكل  
محاطب للشخص  
بتكلم بلسانه ولسانه

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يزهد فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تفرسكم الحياة الدنيا - من قال ذا قاله من خلفها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتش رجل على شبه باب شغل إلا واهك ذلك الباب أن يفتش عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله فخرج بمصيته في دينه ويخرج من مصيته في دنياه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه اللوت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم هيبا لمن يعرف أن اللوت حق كيف فرح وهيبا لمن عرف أن النار حق كيف يضحك وهيبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمان إليها وهيبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة قليلا يولد ولديولك هالك فلولوا المولود لباد الخلق ولولا الهلاك صانقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى قرده أو أجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لأجاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت بياوخ أملك وإنما بلغت باهضاء أجلك ثم سوفت بملك كأن منفعة لنيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فأعسا يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مافى الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألقى الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بمحيرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض الباطنية قلت التفتي فقال إنما نال التفتي من عتق من رقى الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطالحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بضأ ولا ينهى بعضنا بضأ ولا يدعنا الله على هذا قلب شعري أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم يسر الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها بل أهايتها . وقال أيضا إذا أراد الله ببعد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يسك فإذا أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا مسك السماء أن تقع على الأرض إلا بذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن النكدر أرايت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله واجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غيظ أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ماضره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عند منع ما اقرنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اعتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فأنك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فأنك لا تضرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كاللبن البالى تتادى ربهها منذ خلقها إلى يوم ينفها يارب يارب لم تبغنى فيقول لها اسكتي يا لثمي . وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته لثي وصل الحير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغالب ويقول لبشر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة متبع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبو بكر بن البرق قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض إلينا تقسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحكيم الديناني هو قال لمن تركها قيل الآخرة فإن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرى

يعبر عسا في قلبه ونو  
أمكن للتكلم إهام  
من يكلمه من غير  
لسان قل ولكن  
حيث تصدر الافهام  
إلا بالكلام جعل اللسان  
ترجمانا إذا قال باللسان  
من غير موافاة القلب  
فما اللسان ترجمانا ولا  
انقارى منكلمة أصدا  
إسماع الله حاجته  
ولا مستعنا إلى الله  
فما عسسه سبحانه .  
ما يغاطبه وما عنده غير  
حركة اللسان بقاب  
فائب عن قصد  
ما يقول فيبغى أن  
يكون متكلمنا مناجيا  
أو مستمعنا راعيا فقل  
مراتب أهل الخصوص  
في الصلاة المجمع بين  
القلب واللسان في  
التلاوة ورواء ذلك  
أحوال للخواص يطول

منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيذ كان الشافعي رحمه الله من الرديين الناطقين بلسان الحق الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخي إن الدنيا حوض مزلة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على القرفة مقوف وغناها إلى الفقر مصروف إلا كثار فيها إحصار والإعصار فيها يسار فأفرغ إلى الله وأرض برزق الله لتسلف من دار فتأثك إلى دار فتأثك فإن عيشك في زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملاك. وقال إبراهيم بن أدهم لرجل أدهم في التمام أحب إليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في التمام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة. وعن إسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خزيرة فيقولون إليك عنا يا خزيرة فلو وجدوا لها اسمًا أقبح من هذا لسموها به. وقال كعب لتجيبن إليك الدنيا حتى تبسودوا وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن يدخله وأرضى خالفه قبل أن يلقاه. وقال أيضا الدنيا باغ من شوها أن تمنحك لما يهلكك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كقطي النار بالبن وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقتها نيرانها بنى الحرس حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقتها نيران التوحيد فصار جوهرا لاحت قيمته. وقال علي كرم الله وجهه إنما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشعوم فأشرف للطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف للمشروبات النساء ويستوى فيه البر والقاجر وأشرف للملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف للمركوبات القرس وعليه يقتل الرجال وأشرف للسكوحات المرأة وهي مبال في مبال وإن المرأة لزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها وأشرف المشغومات للسك وهو دم.

( بيان للواعظ في ذم الدنيا وصفها )

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تقفروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركنوا إلى الدنيا فاتها غداة خداعة قد تزخرت لكم بضرورها وفقتكم بأمانها وتزينت لحظاتها فأصبحت كالمرس الحجلة العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتل ومطمئن إليها خلدت فانظروا إليها بعين الحقيقة فاتها دار كثير بوأتها وذمها خالقها جديدها بئى وملكيها بئى وعزها يذل وكثيرها يذل ودها يموت وخيرها ينفوت فاستبقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدفق ثقيل فهل على الدواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد تهل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جينك وتابع أنينك وثبت يقينك وطمعت جفونك وصدقت ظنونك وتلجج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانتزعت تسكك من الأعضاء ثم عرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكفانك ففصلوك وكفنوك فاقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتها بأعمالك. وقال بعضهم لبعض الملوك إن أحق الناس بدم الدنيا وقلاها من بسط لها فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو

شرحها. قال : بعضهم  
مأذلت في صلاة قط  
فأهني فيها غير ما أقول  
وقيل لأمير بن  
عبد الله هل تجدي في  
الصلاة شيئا من أمور  
الدنيا فقال لأن تغتاف  
على الأسته أحب إلى  
من أن أجدي الصلاة ما  
تجدون. وقيل لبعضهم  
هل تحدث نفسك في  
الصلاة بشيء من أمور  
الدنيا فقال لا في الصلاة  
ولا في غيرها ومن الناس  
من إذا أقبل على الله  
في صلاته يتحقق بمعنى  
الإجابة لأن الله تعالى  
قدم الإجابة وقال -  
مبين إليه واتقوه  
وأقيموا الصلاة -  
فينيب إلى الله تعالى  
ويتق الله تعالى بالتبصر  
عما سواه ويقوم الصلاة  
بصدور مشرحة

على ماله فتبتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب إلى جسمه فتقسمه أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه فالله أعلم هي الأخذ ما تطغى الراجحة فيها تهب بيناهي تصحك صاحبا إذا أضحكته منه غيره وينها هي تبكي له إذا أبكت عليه وينتهي بسقط كفتها بالأعطاء إذ يسقطها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتغفره بالتراب غددا وسواء عليها ذهاب ماذهب وبقاء مابقى تجدد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد : فإن الدنيا دار ظنن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فأحذرهما يأمر المؤمنين فإن الزناد منها تركها والفتى منها أقرها لما في كل حين قيل تدل من أعزها وتوفر من جمها هي كالسبأ كلمة من لا يعرفه وفيه حشمة فكن فيها كالمدوى جراحه يختمى قليلا عذابة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء عذابة طول الداء فأحذر هذه الدار القدرارة احتالة الحداغة التي قد تزيت بخدعها وقننت بفرورها وحلت بأمالها وسوفت غطائها فأصبحت كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والنفوس لها عاشقة توهي لأزواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخرة بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنهما ذكر فاشق لما قد ظفر منها بحاجته فافتقر وطنى ونسى للماد ففشل فيها ليه حق زلت به قدمه فغطمت زمامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات اللوت وتأله وحسرات القوت بقصته ورأغب فيها لم يدرك منها ماطلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم في غير مهاد فأحذر هيا أمير المؤمنين وكن أسير ماتكون فيها أحذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمان منها إلى سرور أشتخته إلى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء فسروورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ماولى وأدبر ولا يدري ما هوأت فينتظر أمانها كاذبة وأمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها تشكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الحائق لم يغير عنها خيرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فها لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم عن أتباعها وخزائنها لا ينقص ذلك عند الله جناح بعوضة فأنى أن يقبلها (١) إذ ذكره أن يخالف على الله أمره أو يحجب ما أبضه خالقه أو يرفع ما وضعه عليك فزوها عن الصالحين اختاروا وبسطوا لأعدائه اغترارا فيظنن القصور بها لا تقتدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن زيه عز وجل أنه قال لوسى عليه السلام : إذا رأيت النقي مقبلا قتل ذنب محجلت عقوبته أو رأيت الفقرة مقبلا قتل مرقبها بشعار الصالحين وإن شئت اتقديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول إداى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودائق رجلاى

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمقاتيلها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورواه أحد الطبراني متصلًا حديث أبي موهبة في أثناء حديث فيه إلى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد الجنة الحديث وسنده صحيح وللمزمذى من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليحبل لى بطعاه مكة ذهب الحديث (٢) حديث الحسن مرسلًا في شد الحجر على بطنه ابن أبي الدنيا أيضًا هكذا وللبخارى من حديث أنس رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرتين وقال حديث غريب .

بالإسلام وقلب مفتوح  
بنور الإنعام فتخرج  
السكامة من القرآن  
من لسانه ويسمعا  
بقليه قطع السكامة  
في فضاء قلب ليس فيه  
غيرها فيتملكها القلب  
بحسن الفهم والذيد  
لعممة الإصغاء  
ويتشربها بحلاوة  
الاستماع وكمال لوعى  
ويدرك لطيف معناها  
وشريف خواها معاني  
تلطف عن تفصيل  
الذكر وتشكل مخفى  
السكر ويصير الظاهر  
من معاني القرآن قوت  
النفس فالنفس للظلمة  
متروكة معاني القرآن  
عن حشدتها لكونها  
معاني ظاهرة متوجهة  
إلى عالم الحكمة  
والشهادة تشرب  
مناسبتها من النفس

وطماي وفاكهي ما أنبت الأرض أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض  
أحد أغني مني. وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون  
قال لا يروعنكما لبسه الذي لبس من الدنيا فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يظرف ولا يتنفس  
إلا بأذني ولا يجنكما ما تنعم به منها فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة الترفين فلو شئت أن أزيك  
بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تسعز عما أوتيتا لعلت ولكني أرغب سكا  
عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أهل بأوليائي إلى لأودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق  
غنمه عن مراعات الملركة وإلى لأجنهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن منازل الغرة وما ذاك  
لهوائهم على ولكن ليستكوا نصيبهم من كرامتي سالما مؤفرا إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخوف  
والخضوع والتقوى تثبيت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون  
وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي يهايمون ورجاؤهم الذي يباهون ومجدهم الذي يفتخرون  
وسهامهم التي بها يعرفون فإذا لقيتهم فأنخفض لهم جناحك وذلك لهم قلبك ولسانك واعلم أن من أخافني  
ولما قد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة. وخطب علي كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها:  
انلوا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت ووقوفون على أعمالكم وعجز يون بها فلا تترسكم  
الحياة الدنيا فإنها بالبالء محفوفة وبالبناء معروفة. وبالقدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين  
أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسم من شرها زلزالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور وإدام  
منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مدموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما  
أهلها فيها أغراض مستهدة ترميهم بسهامها وتقصيهم بهامها وكل حقه فيها مقدور وحظه فيها  
موفور. واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى بمن كان أطول  
منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأمر ديارا وأبدا ثارا فأصبحت أوصانهم هامة خادمة من به طول  
تقاهم وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالنصور للشبدة والسرور  
والتمارق للمهدة الصغور والأحجار للسند في القبور اللاتلة للمهدة فحلهم مقرب وساكنهم مقرب  
بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران  
والإخوان على ما بينهم من قرب للسكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طعنهم  
بكل سكة البلاء وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحو بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجعلهم  
الأحباب وسكنوا تحت التراب وظنوا فليس لهم إياب هيات هيات - كلا إنها كلمة هو قائلها ومن  
وراثهم يرزخ إلى يوم يعثون - فكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة في دار للثوى  
وارتهنت في ذلك التجمع وضمتكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عايتكم الأمور وبشرت القبور وحصل  
مائي الصدور وأوقفتم لتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب  
وهنكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما  
كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى -  
وقال تعالى - ووضعت الكتاب قري المجريين مشفقين مما فيه - الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه  
متبعين لأوليائه حتى جعلنا وإياكم دار القامة من فضله إنه حميد مجيد. وقال بعض الحكماء: الأيام  
سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع  
أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في يدك لو كشف لك عما أحدثت  
الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم بأن عليك واستقلت بحر الساعة بك ولكن تدير الله

المسكونه لاقامة رسم  
الحكمة ووه في القرآن  
الباطنة التي يكشفها  
من الملكوت قوت  
القلب وتخلص الروح  
القدس إلى أول  
سراقات الجبروت  
بطلانة عظيمة للتكلم  
وبمثل هذه اللطافة  
يكون كمال الاستغراق  
في طبع الأشواق كما  
قل عن مسلم بن يسار  
أنه صلى ذات يوم في  
مسجد البصرة فوقعت  
أسطوانة تسامع  
بسقوطها أهل السوق  
وهو واقف في الصلاة  
يعلم بذلك ثم إذا أراد  
الركوع بفصل بين  
الفراة والركوع ثم  
يركع متطوى القامة  
والنصف الأسفل بحاله  
في القيام من غير انطواء  
الركبتين ويجاني



فوق تدبير الاعتبار وبالسوا عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من الملتزم إذ انجذبها الحكيم وقد أعيت الواصف لميوبها بظاهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال: الدنيا وذكك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك قد فاتك إدراكه وما لم يأت فلاعلم لك به والدهر يوم مقبل تنهه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالنسيان والقصور والدهر موكل بقتلته بالجماعات وأنغرام الشمل وتقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور . وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتُم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حق وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكي إنما خلقتُم للأبد ولكنكم من دار إلى دار ترقلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شرابكم شرقي لاتصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تسكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل . وقال على كرم الله وجهه في خطبته : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لاتحبون تركها للبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وأضوا إلى علم فكنهم بلغوه وكم عسى أن يجرى المجرى حق ينتهي إلى الفايضة وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حق يفارقه فلا يجزعو البؤساء وضرا فإنها إلى الانقطاع ولا تفرحوا بتناعها ونعماتها فانه إلى زوال هيجت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفل عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والملم والعرفه والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأولياته وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بين أيها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب غفروا الدنيا وعمرها بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقاؤهم فعلوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقاؤهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تهبوا قليلا وتمتعوا طويلا كل ذلك بتوفيق مولايم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكروه ما كره لهم .

( بيان صفة الدنيا بالأمثلة )

اعلم أن الدنيا سرية الفناء قرية الأعضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة شيرا عنيقا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لاندرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظلل زائل إن اليبس بمثلها لا يندفع

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يشتمل كثيرا ويقول :

يا أهل قلات دنيا لبقاء لها إن اضرارا بطل زائل حق

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أعرايا نزل يقوم قدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلوا الخيمة فأصابته الشمس فاتتبه فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظل ثنية ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل : وإن امرا دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

مرقبه عن جنبيه  
وبعد عنقه مع ظهره  
ويضع راحته على  
رصعته منشورة  
الأصابع . روى مصعب  
ابن سعد قال صليت إلى  
جنب سعد بن مالك  
فجلست يدي بين ركبتي  
وبين غلذي وطبقتهما  
فضرب يدي وقال  
اضرب بكفك على  
ركبتك وقال يا بني إنا  
كنا نعمل ذلك فأمرنا  
أن نضرب بالكف  
على الركب ، ويقول :  
سبحان ربي العظيم  
ثلاثا وهو أدنى السكال  
والسكال أن يقول  
إحدى عشرة وما يأتي  
به من العدد يكون بعد  
التسكن من الركوع  
ومن غير أن يخرج آخر  
ذلك بالرفع ويرفع يديه  
للكوع والرفع . من

[ مثال آخر للدنيا من حيث التفرير بخيالاتهم في الإفلاس منها بعد إفلاتها ] تشبه خيالات المنام وأمنات الأحلام قال رسول الله ﷺ « الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون <sup>(١)</sup> » وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فينبأها وكذلك إذا انتبه فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم شيء مما ركضوا إليه وفروا به . وقيل لبعض الحكماء شيء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم [ مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها ] اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخرها وهي كاسرة تنزين للخطباء حتى إذا نكحتهم بذمتهم وقدرى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة مجزوءة عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لأحبيهم قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك قالت بل كلمهم قلت فقال عيسى عليه السلام يؤسأ لأزواجك الباقين كيف لا يشترن بأزواجك السابقين كيف تهلكنهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك لي حذر [ مثال آخر للدنيا في غفلة ظاهرها لباطنها ] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرار وهي شبه مجزوءة مزينة تخدع الناس بظاهرها فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا النفاق عن وجهها تمثل لهم قبائحها فقدموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاعتراض بظاهرها وقال العلماء ابن زياد رأيت في المنام مجزوءة كبيرة متعصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها لجنت ونظرت وتمجبت من نظرم إليها وإقبالها عليها قلت لها وبلك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت إن أحببت أن تعاذ من شرى فأبضض الدم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم مجزوءة مشوهة متعصبة تصفق يديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بعداني أقبل على فقالت لو ظفرت بك لفصمت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة مجزوءة فطماء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الحلائق فيقال لهم أنعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تاحرتم عليها بها تهاطم الأرحام وبها تحاسدن وتباغضتم واغترتم ثم يقدف بها في جهنم فتنادى أي رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله عز وجل : ألأتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا خرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب وإذا لأمير بها أحد إلا جرحته فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس مجزوءة فطماء زرقاء عشاء قال فقالت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيدك الله منى حتى تبغض الدم قال قلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [ مثال آخر للدنيا وعصور الانسان بها ] اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تسكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزلة قصير في سفر يسير ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفقت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها <sup>(٢)</sup> » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركت ولك خضعت وبك آمنت ولك أسلمت خضع لك سمعى وبصرى وعظمى وبغى وعصبى ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا . مع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فإذا استوى قائما يحمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون لم أجده أصلا (٢) حديث مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفقت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها . ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها بنعوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

ولم يال كيف انتضت أيامه في ضر وصيق أوفى سعة ورفاهية بل لا يبين لبنة على لبنة «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة (١)» ورأى بعض الصحابة بيني بيتان من جنس قمل : «أرى الأمر أعجل من هذا وأسكر ذلك (٢)» وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قطرة ذُبروها ولا تمروها وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا مبر إلى الآخرة والدهوليل الأول على رأس القطرة والاحد هو الليل الآخر وبينهما سافة معدودة فمن الناس من قطع نصف القطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفا كان فلا بد من العبور والبناء على القطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخلدان [مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها] أعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لبنة يظن الخوض فيها أن حلاوة خففتها كحلاوة الخوض فيها وهيئات فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سلمان الفارسي بمثلها قال مثل الدنيا لبن ساهو يفتل ساهو ويقتل ساهو فأعرض عما يعجبك منها فإله ما يصحبك منها وضع عنك همومها بما أبقيت من فراقها وكن أصر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فإن صاحبها كلما أطمأن منها إلى سرور أو خصنه عن مكرهه والسلام [مثال آخر للدنيا في تعدد الخلاص من تيمتها بعد الخوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالماشى في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا يتبل قدماه (٣)» وهذا يبرك في جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطمئن وعلاقتها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتعجبين برفاهتها فكأن الذي على الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملاسة الدنيا تقتضي علاوة وظلمة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يتذيق منه شاة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوته مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تركب وتمتن تصعب وتضيق خلقها كذلك القلوب إذا لم تفرق بذكر الموت وتصعب العبادة تقسو وتقلظ وبحق أقول لكم إن الرق مالم يخرق أو يجلد يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات أو يندسها الطعم أو يفسد بها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنه وإنما مثل عمل أحدكم كشل الوعاء إذا طاب أعلام طاب أسفله وإذا خبت أعلاه خبت أسفله (٤)» [مثال آخر لما بقي من الدنيا وقتله بالإضافة إلى ما سبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع (٥)»

(١) حديث ما وضع لبنة على لبنة الحديث ابن جبان في الثقات والطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عن أوسره أن ينظر إلى فلينظر إلى أمعت شاحب مشعر لم يضع لبنة على لبنة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه بيني بيتا من جنس قمل قال أرى الأمر أعجل من هذا أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كشل للماشي في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنه الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كشل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن جبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من شيء بعد شيء يقول  
أهل الثناء والمجد  
أحق ما قال العبد وكلنا  
لك عبد لا مانع لما  
أعطيت ولا معطي  
لما مننت ولا ينفع  
ذا الجدم منك الجدم فان  
أطال في النافلة القيام  
بعد الرفع من الركوع  
فليقل لربي الجسد  
مكررا ذلك منه أشاء  
فأما في العرض فلا  
يطول فطويلا يزيد  
على الحد زيادة ينشأ  
ويشع في الرفع : من  
الركوع تمام الاعتدال  
بالقامة الصواب : ورد  
عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنه قال  
«لا ينظر الله إلى من  
لا يقيم صلبه بين  
الركوع والسجود  
ثم يهوى ساجدا  
ويكون في هويته مكبرا

[ مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك ] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله [ مثال آخر لخالفه آخر الدنيا أولها ولنضارة أولها وخيب عواقبها ] أعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذينة كشهوات الأطعمة في المعدة وسيجد البعد عند اللوث لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والتأن والتبجح ما يجده للأطعمة اللذينة إذا بلغت في المعدة فأيتها وكان الطعام كلما كان أقد طعاما أكثر دسا وظهر حلاوة كان رجيحه أقدر وأشد تنبأ فكذا كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى فتنتها وكرهتها والتأذي بها عند اللوث أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فإن من نهيت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبتهم والموت تفضحه في كل ما قد قدر لذته به وجهه له وحرمه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده والأفوه عند القدر أدهى وأمر ولا مضي للوث إلا فقد ما في الدنيا وقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلاني : ألست تؤذي بطعامك وقد ملع وقزح ثم تحرب عليه اللبن والنساء قال بلى قال فإلام يصير قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم <sup>(١)</sup> » وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قدسه وملحه لإلام يصير <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثالا وإن قرحه وملحه <sup>(٣)</sup> » وقال الحسن قد رأيتهم يطيبونه بالأفوايه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتهم وقد قال الله عز وجل فلينظر الإنسان إلى طعامه قال ابن عباس إلى رجيحه وقال رجل لابن عمر إن أريد أن أسلك وأستحي قال فلا تستحي وإساء قال إذا قضى أحدنا حاجته قمام ينظر إلى ذلك قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما غفلت به انظر إلى ما ذابا . وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول انظروا إلى مزارعهم ودجاجهم وعسلهم ومنهم [ مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة ] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم يرجع إليه <sup>(٤)</sup> » [ مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها ] أعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهى بهم إلى جزيرة فأمرهم للإبحار بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القيام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها ففرقوا في نواحي الجزيرة فمضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف للكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألينا وأوقتها لمراده وبضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وبياضها للثقة ونعمات طيورها الطيبة وألحائها اللوزية الفرية وصار يلحظ من ربها أجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة للنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحاك بن سفيان الكلاني ألست تؤذي بطعامك وقد ملع وقزح حديث الحديث وفيه فإن الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه على بن زيد بن جهمان عتلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن حبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ جعل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان إن الله ضرب ما يخرج من بني آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يرجع إليه مسلم من حديث السطور بن شداد .

مستقيظا حاضرا خاشعا  
عالما بما يهوى فيه  
وإليه وله من  
الساجدين من يكاشف  
أنه يهوى إلى تخوم  
الأرضين متبئيا في  
أجزاء الملك لا متلام  
قلبه من الحياء  
واستشعار روحه عظيم  
الكبرياء كما ورد أن  
جبرائيل عليه السلام  
تستر بخافيه من جناحه  
حياء من الله تعالى .  
ومن الساجدين من  
يكاشف أنه يطوى  
بسجوده بساط  
العكون واللكان  
ويسرح قلبه في فضاء  
الكشف والبيان  
قهوى دون هوى  
أطباق السموات  
وتنمحي لقوة شهوده  
تسائيل الكائنات  
ويسجد على طرف

بحسن ذيرجدها وهجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا  
 حرجا فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باعمالها  
 فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ماحله من الحجارة ضيقا وصار هتلا عليه  
 ووبالا فندم على أخذه ولم يقدر على رمية ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عتقه وهو متأسف على  
 أخذه وليس ينفعه التأسف وبعضهم توجع الفياض ونسى للركب وبعد في متفرجه ومتزجره منه حتى  
 لم ييلفه نداء اللامع لاشتغاله بأكل تلك الحجار واستنشام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأعجار وهو  
 مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا يفتك عن شوكه ينشب بياها  
 وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يزعج منه وعوسج يفرق ثيابه ويهتك  
 عورته ويمنع عن الانصراف لو أراد فها بلغم نداء أهل السفينة انصرف متحلا بما معه ولم يجد في  
 الركب موضعا بقي في الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم ييلفه النداء وسارت السفينة خلفهم من اقترسته  
 السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات  
 فخرقوا كالجليف المنتهية، وأما من وصل إلى الركب يتقل ما أخذه من الأزهار والأحجار قد استقرته  
 وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكدت  
 تلك الألوان والأحجار فظهرت راحتها فصار مع كونها مضيقا عليه مؤذنا به بتنها وحشتها فاجتهد  
 حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فبنته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه  
 الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيا مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته إلا سعة المثل فتأذى بضيق المكان مدة  
 ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا  
 مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحفظ ظواهر العاجلة ونسيانهم مواردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم  
 وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تفره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبات وهي زينة  
 الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن  
 والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [مثال آخر لا غتر الخلق بالدنيا ووضف  
 إليهم] قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه [إنما مثل ومثلكم  
 ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مغارة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها كثيرا وما بقي أشدوا الزاد  
 وخسروا الظهر وبقوا بين ظهري الغزاة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك إذ خرج  
 عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد برف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى  
 إليهم قال بإيهاؤهم فقالوا بإيهاذا فقال علام أنتم فقالوا على ما ترى فقال أرأيتم إن هديتكم إلى ماء رواء  
 ورياض خضر ما تملكون ؟ قالوا لا نصيبك شيئا قال عهودكم وموائيقكم بالله فأعطوه عهودهم وموائيقهم  
 بالله لا يصونه شيئا قال فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فكشك فيهم ما شاء الله ثم قال بإيهاؤهم قالوا  
 بإيهاذا قالوا الرحيل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كالنكس وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكرههم  
 والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أننا لن نجد وما نصنع جيش خير من هذا وقوات طاعتهم أقتلهم أم نعطوا  
 هذا الرجل عهودكم وموائيقكم بالله أن لا تصبوه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوالله لا يصدقكم  
 في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أمير وقتيل<sup>(١)</sup> [مثال آخر تنتم

رداء العظيمة وذلك  
 أقصى ما يتهيأ إليه  
 طائر الهمة البشرية  
 وتلقى بالوصول إليه  
 القوى الانسانية  
 وتفاوت الأنبياء  
 والأولياء في مراتب  
 العظمة واستشمار  
 كتبها لكل منهم على  
 قدره حفظ من ذلك  
 وفوق كل ذي علم عليم  
 ومن الساجدين من  
 يتسع عاؤه وينتشر  
 ضياؤه ويعطى  
 بالصنفين ويبسط  
 الجناحين فيتواضع  
 بقلبه لإجلال ويرفع  
 بروحه لكراماد فضلا  
 فيجتمع له الأنس  
 والهنية والحضور  
 والنية والقرار والقرار  
 والإسمرار والجهار  
 فيكون في سجوده  
 ساجعا في بحر شهوده

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه [إنما مثل ومثلكم ومثل  
 الدنيا كمثل قوم سلكوا مغارة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد الزارو الطبراني من  
 حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء فيما يرى الناس مكان الحديث وفيه فقال

الناس بالدنيا ثم تفجهم على فراقها [ اعلم أن مثل الناس فيها أعطوا من الدنيا مثل رجل هياً داراً وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً واحداً بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويترك لمن يلحقه لا يملكه ويأخذه فجعل رحمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتضجع ومن كان عالماً برحمته انتفع به وشكره ورده بطيب قاب وانخراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة سببت على المجتازين لاهل القيمين ليزودوا منها وينفعوا بما فيها كما ينتفع السافرون بالواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآلاتها وغوايتها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحله .

### ( بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق البعد )

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تنكشف لك ما لم تعرف الدنيا للذمومة ما هي ؟ وما الذي ينبغي أن يحتجب منها وما الذي لا يحتجب فلا بد وأن تبين الدنيا للذمومة للأموار واجتنابها لكونها عذوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دينك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك بالقرب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت وللتراخي للتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حثك إلا أن جميع مالك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرة بعد الموت وهو شيثان العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأضالته وملائكته وكتبه ورسوله وملكوته أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأس العالم بالعلم حتى يصير ذلك آلة الأشياء عنده فيجره في النوم والطعم والنكاح في لذته لأنه أنهى عنه من جميع ذلك فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا ولكننا إذا ذكرنا الدنيا للذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلاً بل إننا إنما نذكر الآخرة وكذلك العابد قد يأس بعبادته فيستلها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخره يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لساناً بالدنيا للذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حبيب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة » (١) نجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والشهادة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فذلك أضافها إلى الدنيا إلا أن السانق في هذا الكتاب تعرض لإلا الدنيا للذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والتمتع بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الفانية والرعوات كالتمتع بالقناطر القنطرة من الذهب والفضة والخيل للسومة والأغنام والحراث والغلمان والجوارى والخيول واللواشي والقصور والدور ورفيع الثياب وقلائد الأطعمة حفظ البعد من هذا كله هي الدنيا للذمومة وفيها يعدفون أو في عمل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدداء على حصن فاخذ كنيفاً فشق

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال منيد البشر في سجوده مسجد لك سوادى وخیالی - وقه يسجد من فی السموات والأرض طوعاً وكراهة الطوع للروح والقلب لمسا فيها من الأهلية والكسرة من النفس لمسا فيها من الأجنبية ويؤلف في سجوده : سبحان ربی الأعلی ثلاثاً إلى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفي الموى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأشفه ويكون ناظراً نحو أربعة أشفه في السجود فهو أبلغ في الخشوع للساجد ويأشرك بكنية الصلي

أى أحد للمكئين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انهبوا إلى مفازة قد كر نخوه أخصر منه وإسناده حسن (١) حديث حبيب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة النساءى والحاكم من حديث أنس قوله ثلاث وتقدم في النكاح .

عليه درهمين فكتب إليه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكفي به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا فقسر تلك إلى دمشق وأنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فمما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصبر به من أبناء الدنيا وإن كان باعتة الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أبقى طهارته عن الأدناس وأنسه بذكر الله تعالى وحببه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والواظبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي للنجيات المسعدين بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من النجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار «إن أعمال العبد تنازل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه» (١) الحديث. وأما الأنس والحب فهما من للسعدين وهما موصلا للعبد إلى لغة القاء وللشاهدة وهذه السعادة تتجلى عقب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق توقعه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالبة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سلبا من اللوانع آتيا من العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت مغدبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقد يوم على الله تعالى فإذا سالك طريق الآخرة هو الواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدنيا ويغيب إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتأتى إلا بقوت وملبس ومسكن ومحتاج كل واحد إلى أسباب فاقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس على قصد التمتع صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يمرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يجوز بينه وبين الدرجات العلا ويمرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب (٢) إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب» (٣)

(١) حديث مناقلة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن مرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزرجي ضعفه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحزبه عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

ولا يلفهما في الثوب ويكون رأسه بين كفيه ويدها حذو منكبيه غير متباعد ومتباعد بهما ويقول بسم التسبيح: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. وروى أمير المؤمنين على رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك» وإن قال سبح قدوس رب الملكة والروح حسن روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك ويحافى مرقبيه عن

وقد قال أيضا: حلالها عذاب، إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات الملا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيصة لا يباه لها هو أيضا عذاب وقس به حاله في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف ينقطع قلبك عليها حسرات مع علك بأنها سعادات منصرمة لا يباه لها ومنصة بكدورات لاصفاء لها فإحالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بظلمتها وتنقطع البهور دون غايتها فكل من تتم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أضاعفه وهو للفقير بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه «هذا من النعيم الذي تسئل عنه» (١) أشار به إلى الساء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه اعزلوا عني حسابي حين كان يعطش ففرض عليه ماء بارد بسبله فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ما أمان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأقن كان حذر من نعيم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم زماه إذ تمثله إبليس وقال رغب في الدنيا وحتى إن ساجان عليه السلام في ملكه كان يعظم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتنا فأنشدته قال الصبر عن لذائذ الأطعمة مع القدرة عليها ووجودها أعد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما» (٢) «وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع» (٣) ولهذا سلط الله البلاد والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل للأئمة كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفروا من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذات الوالد كما ينهى المفسد والحجامه شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو الله. فأقول الأشياء ثلاثة أقسام: متم لا يتصور أن يكون لله وهو الذي عبر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التمتع في الباحات وهي الدنيا المحضة للمؤمن فهي الدنيا صورية ومعنى ومنها ماصورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة الفسك والذكرو والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وإن كان الغرض من الفسك طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ السال وألحجية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بلاني وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ماصورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالأكل والنسكاح وكل ما يرتبط به بقاءه وبقاء ولده فان كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «من طاب الدنيا حاللا مكثرا مفاخرنا لى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغفنا عن المسألة موقوفا على علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا (١) حديث هذا من النعيم الذي تسئل عنه تقدم في الأطعمة (٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عجباً لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق اسحاق معننا وللترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي للتباعدة طاويا وأهله الحديث قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم.

جنبيه ويوجه أصابعه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإبهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويحس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجهة بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكاف ضمهما وتفرجهما ويقول: رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني وعاف عني ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس معها أطال قال الرب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الإقفاة في التمود وهو ههنا أن يضع



وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر <sup>(١)</sup> فانظر كيف اختلف ذلك بالتصديقاذا  
الدنيا حظ نفسك الماثل الذي لاجاة إليه لأمر الآخرة ويعبر عنه بالمهوى وإليه الإشارة بقوله  
تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي للآوى - وجماع المهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله  
تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد -  
والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء  
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل السومة والأفنام والحراث ذلك تنافع الحياة الدنيا -  
فقد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا يد منه من مسكن وملبس  
هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو لغير الله وبين التتم والضرورة درجة يعبر عنها  
بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فإن الاقتصاد على حد الضرورة غير  
يمكن وطرف يزاحم جانب التتم ويقرب منه وينبغي أن يبعد عنه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام  
حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما يمكن اقتداء  
بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أويسا القرنى كان  
يظن أهله أنه مجنون لشدة تشبيعه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنو الستة  
والثلاث لا يرون له وجهه وكان يخرج أول الأذنل ويأتي إلى منزله بعد العشاء الأخيرة وكان طعامه أن  
يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى  
بشمنه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من للزابل من قطع الأكسية فيفضلها في الفرات ويلتقط بعضها  
إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان رجسا من الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول  
لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صغار فاني أخاف أن تدموا عني فيحضر  
وقت الصلاة ولا أصيب للساء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال  
« إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن <sup>(٢)</sup> » إشارة إليه رحمه الله ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا إلا من كان  
من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من  
قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت؟ فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرنى  
فوصفه له؟ فقال نعم وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما بينا أحق منه ولا أجن منه ولا وحش  
منه ولا أدنى منه فبكي عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول « يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر <sup>(٣)</sup> » فقال هرم بن حبان لما سمعت هذا القول من  
عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسا القرنى وأسأل عنه حتى سمعت  
عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوسأ ويضل ثوبه قال ففرقت بالتمت الذي نمت لي  
فاذا رجل لحيم شديد الأدمة محروق الرأس كثر اللحية متغير جدا كره الوجه متعيب النظر قال

(١) حديث من طلب الدنيا حللا مكثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم  
في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن  
من جانب اليمن أشار به إلى أويس القرنى تقدم في قواعد العقائد لم أجده أصلا (٣) حديث عمر يدخل  
الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا ورونيه في جزء ابن السكيت من حديث أبي أمامة  
يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر  
لأويس بل في آخره فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

إليه على عقيقه ثم  
إذا أراد التوضؤ إلى  
الركعة الثانية يجلس  
جلسة خفيفة للاستراحة  
ويجعل في بقية الركعات  
هكذا ثم يقشده وفي  
الصلاة سر للمراح وهو  
معراج القلوب والتشديد  
مقر الوصول بهد قطع  
مسافات الهيات على  
تدرج طبقات  
السموات والتجليات  
سلام على رب البريات  
فلينهن لما يقول  
ويتأذب مع من يقول  
ويدر كيف يقول  
ويسلم على النبي صلى الله  
عليه وسلم ويثله بين  
عيني قلبه ويسلم على  
عباد الله الصالحين  
ولا يثق عبد في السماء  
ولا في الأرض من عباد  
الله إلا ويسلم عليه  
بالنسبة الروحية

فسلمت عليه فرد عليّ السلام ونظر إلى قلعت حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافه فأبى أن يصافني فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خففتي العبرة من حي إياه ورفقي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت حياك الله ياهر بن حيان كيف أنت يا أخى ومن ذلك عليّ قال قلت الله فقال لا إله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا - قال فضجيت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأيي قلت من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ - قال نبأني المعلم الخبير - وعرفت روعي روحك حين كلفت نفسي نفسك إن الأرواح لها أنفاس كأنفس الأجساد وإن للؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحدث أصمعه منك قال إنى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى معه محبة أبى وأخى رسول الله ولكن رأيت رجلا قد محبوبه وبلغنى من حديثه كإبلفك ولست أحب أن أفصح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا فى نفسى شغل عن الناس ياهر بن حيان فقلت يا أخى اقرأ على آية من القرآن أصمعا منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوضعية أحفظها عنك فإني أحبك فى الله حبا شديدا قال فقام وأخذ يدي على شاطئى للفرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربى والحق قول ربى وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين. ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - حتى انتهى إلى قوله إنه هو العزيز الرحيم - فشيق شيقه ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان ويوهك أن تموت فلما إلى الجنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة للمسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفي ثم قال يا عمره يا عمره قال قلت رحمك الله إن عمر لم يمض قال قد نفاه إلى ربى ونفى إلى نفسي ثم قال أنا وأنت فى اللوتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتى إليك ياهر بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين للمؤمنين قد نفيت إلى نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لاتعلم فدخل النار يوم القيامة ادع لى ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يعزى إليك وزارنى من أجلك فصرفنى وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسيره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الثنائى كرين واجزه عنى خير الجزاء ثم قال استودعك الله ياهر بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبنى فإنى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى إنى كثير اللهم شديدا التمع هؤلاء الناس ما ممت حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبنى واعلم أنك مئى على بال وإنى لم أرك ولم ترى فاذا كرتى وادع لى فإنى سأذكر لك وأدعوك إن شاء الله انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فخرصت أن أمشى معه ساعة فأبى على وفارقه فبكى وأبكاني وجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل بعض السلك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرنى عنه بشئ رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة العرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أظننه الحضر أو أظننه القبراء

والخاصية القطرية ويضع يده اليمنى على غفده اليمنى مقبوضة الأصابع إلا السبحة ويرفع السبحة فى الشهادة فى الإله لا فى كلمة النفى ولا يرفعهما منتصبه بل مائلة رأسها إلى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع السبحة ودليل سرية خشوع القلب إليها ويدعو فى آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وإن كان إماما ينبغي أن لا يتفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه وللمؤمنين ووراءه فإن الإمام المتعقل فى الصلاة كما يجب دخل على سلطان ووراءه أصحاب الخواص يسأل لهم ويعرض حاجتهم والمؤمنون كالنيران يشد بعضهم بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى فى

إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وصعد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى بما يؤخذ بقدر  
الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويثبت هذا بثبوت وهو أن الحاج  
إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اغتسل بحفظ الزاد وعلف الجمل  
وخز الرأوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في بيته ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن  
مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتشهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالملم والعمل  
هو من الآخرة لا من الدنيا ، نعم إذا قصد تلبذ البدن وتمتعه بشيء من هذه الأسباب كان منحرفا عن  
الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنفاي : كنت على باب بني شيبه في للسجد الحرام سبعة أيام  
طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج  
إليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقا فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .

( بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقتهم الخلق حتى أنسهم أنفسهم

وخالقهم ومصدرهم وموردهم )

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها عقل فلهذه ثلاث أمور  
قد يظن أن الدنيا عبارة عن أحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها  
فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى : إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبايهم أيهم أحسن عملا .  
فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنسكح  
ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام : للعادن والنبات والحياوان . أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات  
والتداوي وأما للعادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والرصاص وللتقذ كالثياب والفضة ولغير  
ذلك من اللقاصد وأما الحياوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للأككل  
وظهورها للتركيب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم  
ويستخرجهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليلبسها بأن يفرس  
فيها التعظيم والأكرام وهو الذي يجبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان  
التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين . وهذا  
من الإنس . والقناطير للقنطرة من الذهب والفضة . وهذا من الجواهر والعادن وفيه تنبيه على غيرها  
من الآليات واليوافيت وغيرها . والخيل السومة والالعام . وهي البهائم والحياوانات تسوا الحارث وسواها النبات  
والزروع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو جبه لها وحظه  
منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب للشيء بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع  
صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمة وسوء الظن والداهنة وحب النساء  
وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها . العلاقة  
الثانية مع البدن وهو اشتغاله بأصالح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة  
الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم وما بهم ومقلهم بالدنيا لما تبين  
العلاقتين علاقة القلب بالحلب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا  
وسرها علم أن هذه الأعيان التي ممينها دنيا لم تخلق إلا لقلب الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأعلى  
بالدابة بالبدن فإنه لا يبقى إلا عظم ومشرب وملبس ومسكن كالآبقي الجمل في طريق الحج إلا بلف وماء وجلال  
ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يلف  
الثاقة ويتعمدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويعمل إليها أنواع الحشيش ويردها لها لئلا يفتقد حق

كلامه بقوله سبحانه .

كانهم بيان مرصوم .

وفي وصف هذه الأمة

في الكتب السابقة

صفهم في صلاتهم

كفهم في قتالهم .

حدثنا بذلك شيخنا

ضياء الدين أبو النجيب

السهرودي بإملاؤه

أنا أبو عبد الرحمن محمد

ابن عيسى بن شعيب

للأبني قال أنا أبو الحسن

عبد الرحمن بن محمد

الظفر الواعظ قال

أنا أبو محمد عبد الله

ابن أحمد السرخسي

قال أنا أبو عمران

عيسى بن عمر بن

العباس السمرقندي

قال أنا أبو محمد عبد الله

ابن عبد الرحمن

الدائري قال أنا مجاهد

ابن موسى قال ثمامن

هو ابن عيسى أنه سأل

تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هواناته والحاج البصير لايجه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على الشئ فيتمده وقلبه إلى الحكمة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الساء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همت ما يدخل بطنه فقيته ما خرج منها وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فان القوت ضروري وأمر للسكن ولللبس أمون ولوعرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتابست أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتأهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها ونحن ندكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنسهم عاقبة أمورهم . فقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الانسان مضطر إلى ثلاث القوت ولللسكن ولللبس فالقوت للبقاء ولللبس لدفع الحر والبرد والسكن لدفع أسباب الهلاك عن الأهل واللسك ولم يخلق الله القوت ولللسكن ولللبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه ، ثم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقتنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فقتغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي القلاحة والرعاية والاقتناس والحياكة والبناء . أما البناء فللمسكن ، والحياكة وما يكتفينا من أمر القزل والحياطة فللملبس ، والفلاحة للمطعم ، والرعاية للواشي والحيل أيضا للمطعم وللركب ، والاقتناس نفى به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو وحشيش أو حطب فالقلاحة لحصول النباتات والرعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، وللقتنس يحصل ما نبت وتنتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونفى بالاقتناس ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تنقصر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناس والآلات وإنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والبرصا وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات التجارة والحدادة والحز وهو لاهم عمال الآلات ونفى بالتجار كل عامل في الحطب كفيما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الحزاز فنحن به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذي ذكره الأثنى وعشرتهما . والثاني التعاون على تهية أسباب الطعام واللبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي إلى الولد لعمالة الواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهية أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد في اللزول بل لا يمكنه أن يعيش كذلك مالم يجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلتها ويحتاج الآلة إلى حداد ونجار ومحتاج الطعام إلى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل اللبس وهو يقتصر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والحياطة

كعب الأبحار كيف  
تجد نعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في  
التوراة قال نبي محمد  
ابن عبد الله يولد بمكة  
ويهاجر لطيبة ويكون  
ملكه بالشام وليس  
بفاحش ولا صحابي  
الأسواق ولا يكافئ  
بالسيئة السيئة ولكن  
يعفو ويغفر ، أمته  
الجادون يمدون الله  
في كل سراء ويكبرون  
الله على كل عجز  
يوشنون أطرافهم  
ويأزرون في أوساطهم  
يصفون في صلاتهم كما  
يصفون في قتالهم  
دوهم في مساجد  
كدوى النحل يسمع  
مناديه في جو السماء  
فالإمام في الصلاة مقدمة  
الصف في عاربة  
الشیطان فهو أولى

وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لواجتمعوا في صحراء مكتوفة لتأذوا بالحر والبرد وللطر والصوص فافقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبمعامه من الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والطر وتدفع أذى الجيران من الصوصية وغيرها لكن المنازل قد قصدها جماعة من الصوص خارج المنازل فافقر أهل المنازل إلى التناسل والتماون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم معها اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتماولوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدث راسة وولاية الزوج على الزوج وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج إلى قوام بهمومها حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فأما المرأة فخاصم الزوج والولد خاصم الأبوين هذا في التزلز ، وأما أهل البلد أيضا فيتماولون في الحاجات ويتنازعون فيها ولوركو كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراحي والأراضي والبياد وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لاحتالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة يسمى أمرض وأهرم وتعرض عوارض غشافة ولور ترك ضامًا هلك ولو وكل قصده إلى الجمع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب خصه لكان لا يدعن له فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فيها صناعة للساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع الصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لقصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي يذني أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في العائلات وشروطها فهذه أمور سياسية لا بد منها ولا يشغل بها إلا خصوصون بصفتها خصوصية من العلم والتجريب والمهابة وإذا اشتغلوا بهام ينفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى العاش ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلاً تعطلت الصناعات ولواقتتل أهل الحرب والسلاح الصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد من الحراس واستغنى الناس فست الحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت المداوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال الصالحين أو أرادوا التوسع فتمس الحاجة لاحتالة إلى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليجدوم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفي منهم بالرق وهم الجباة وللفرجون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزائن وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للمساكر وهذه الأعمال لو تولها عدد لا يحصى رابطة أنحرمت النظام فتحدثت منه الحاجة إلى ملك يدرهم وأمير مطاع يبين لكل عمل شخصًا ويختار لكل واحد ما يليق به ويرعى النصف في أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالدين الكاثلة ويديرهم الحاجة إلى السكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو السمي فرع الخراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمهترفون والثانية الجندية الحماة بالسيف ، والثالثة المترددون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والملبس

المسلمين بالخشوع  
والإيمان بوظائف  
الأدب ظاهرا وباطنا  
والصاؤون التيقظون كما  
اجتمعت ظواهرهم  
تجتمع بوطنهم  
وتتناصروا وتماضد  
وتسرى من البعض  
إلى البعض أنوار  
وبركات بل جميع  
المسلمين المسلمين في  
أقطار الأرض بينهم  
تماضد وتماضد بحسب  
القلوب ونسب الاسلام  
ورابطة الايمان بل  
يدعم الله تعالى بالملائكة  
السكرام كما أمروا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
بالملائكة السوميين  
فحاجاتهم إلى محاربة  
الشیطان أمس من  
حاجاتهم إلى محاربة  
الكفار ولهذا كان  
يقول رسول الله صلى

والسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنهاى إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الأرض وماعليها مما ينفع به وأعلها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوى الإنسان إليها وهي الدور ثم الأمكنة التي يسمى فيها لتعيش كالحوانيت والأسواق وللزراع ثم الكسوة ثم أثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ماهو حيوان كالكلب آلة الصيد والبرق آلة الحراثة والفرس آلة الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحديد والتجار يسكنون قرية لا يمكن فيها الزراعة فالضرورة محتاج الفلاح إليها ويحتاجان إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يملك ماعنه للآخر حتى يأخذ منه فرضه وذلك بطريق الماوضة إلا أن التجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بأكثره ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آتة فلا يبيعه والفلاح إذ طالب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتوق إلى الأغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليرصد بها صاحبها أبواب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الآيات ليرصد به أبواب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا باعها بضمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أبواب الحاجات طعاما في الربيع وكذلك في جميع الأمتعة والأموال ثم يحدث للمحالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشتررون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنظيم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيجوز إلى البعض فيحدث التجار للتكفلون بالنقل وبأشهر عليه حرص جمع السال للمحالة فيتمبون طول الليل والتهار في الأسفار لترض غيرهم ونصيبهم منها جمع السال الذي يأكله للمحالة غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالتفلة وخسة المله ولو عطل الناس وارتفعت همهم زهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعاش ولو بطلت لها كواؤها لهلك الرهاد أيضا. ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فيحتاج إلى دواب تحملها وصاحب السال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة وبصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب اليباع الحاجات إلى التصدق فان من يريد أن يشتري طعاما يشوب لمن أين يدرى المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كإياع ثوب بطعام وحيوان يشوب وهذه أمور لا تناسب فلاد من حاكم عدل يتوسط بين التباين يبدل أحدها بالآخر فيطلب ذلك المال من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاءه لأن الحاجة إليه تدوم أبقى الأموال المعادن فأخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصارفة وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه فبهذه أشغال الخلق وهي معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرة إلا بشئ من قلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يشغل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يئس عنه ما غلب فيقضي عاجزا عن الاكتساب لمجزء عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره فحدث منه حرفتان خبيستان القوصة والكداية إذ يجمعهما أنهما يأكلان من سمي غيرهما ثم الناس يهتزرون من القوصة والكداية ويحفظون عنهم أموالهم فاشتروا إلى صرف عقوقهم في استنباط

الله عليه وسلم ورجعنا  
من الجهاد الأصغر إلى  
الجهاد الأكبر  
فتداركهم الأملاك  
بل بأنفسهم الصادقة  
تتماسك الأفلاك فإذا  
أراد الخروج من  
الصلاة يسلم على يمينه  
ويبنى مع التسليم  
الخروج من الصلاة  
والسلام على لائكة  
والحاضرين من المؤمنين  
ومؤمني الجن ويجعل  
خذه مبينا لمن على يمينه  
بالواء عنقه ويفصل  
بين هذا السلام  
والسلام عن يساره  
قد ورد النبي عن  
للواصله ، وللواصله  
خمس اثنتان تخص  
بالامام وهوان لا يوصل  
القراءة بالتصكير  
والركوع بالسرادة  
واثنتان على المأموم وهو

الحيل والتدابير . أما اللصوص : فهم من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالقب أو التسلق عند انتهاز فرصة التفتة وإما بأن يكون طراراً أو سلالاً إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتج الأفكار المصروفة إلى استنباطها . وأما السكدي فانه إذا طلب ماسعى فيه فغير موقبله القرب والمحمل كما عمل غيرك فمالك والبطالة فلا يحطى شيئاً فافتقر إلى حيلة في استخراج الأموال وتمديد العذر لأنفسهم في البطالة فاحتالوا التملل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يحمون أولادهم وأصهارهم بالحيلة ليعمدوا بالعمى فيمطون وإما بالتعاطى والتضاليع والتجائن والتمارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك حيلة أصابت من غير امتحان فيكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتصمون بقول الأولاد فلا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخطوا برغب اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد ينم بعد زوال التعجب ولا ينفخ الندم وذلك قد يكون بالتعسر والمها كاذب والشعبدة والأفصال الضحكة وقد يكون بالأشعار القريبة والكلام للثور للسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون أشد تأثيراً في النفس لاسيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذي يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين في الأسواق وصنعة مياشبه العوض وليس بموضع كبيع التوبيذات والخشيش الذي يخيّل بائمة أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والفأل من النجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ وللكدون على رؤس الناس إذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استئالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأتواعها تزيد على ألف نوع والذين وكل ذلك استنبط بديق الفكرة لأجل اللبشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها وجرم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوة والكسوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومقيلهم ومآبهم فذاهاوا وضلوا وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فاهست مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه : فطائفة غلبهم الجهل والفتنة فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا للتصود أن نبقى أياماً في الدنيا فنجنده حتى نكسب القوة ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمهترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعبد نهاراً ليأكل ليلاً ويأكل ليلاً ليتعب نهاراً وذلك كبير السوانى فهو سفر لا يتقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم يخطئون لأمر وهو أنه ليس المقصود أن يبقى الإنسان بالعمل ولا يقتم في الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهى شهوة البطن والفرج فهو لا ينسأ أنفسهم وصرفوا مهمهم إلى اتباع النسوان وجمع لذائذ الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدرکوا غاية السعادة فغشاهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستثناء بكثرة الكنوز فأسهروا ليلهم وأصبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الأسفار طول الليل والتهار ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحاً وبخلها عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفى ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعب ووباله ولا يأكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يبترون . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والبلح والتجمل والرودة فهو لا يتعبون في كسب العايش ويضيعون على أنفسهم في الطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيرة  
الاحرام بتكبيرة  
الامام ولا تسليحه  
بتسليحه وواحدة على  
الامام والمأمومين وهو  
أن لا يوصل تسليم  
القرض بتسليم النفل  
ويهمز التسليم ولا يمد  
مدا ثم يدعو بعد  
التسليم بما يشاء من  
أمر دينه ودنياه  
ويدعو قبل التسليم  
أيضاً في صلب الصلاة  
فانه يستجاب ومن  
أقام الصوت الحسن  
في جماعة قد ملأ  
البر والبحر عبادة  
وكل المقامات والأحوال  
زبدتها الصلوات  
الحسن في جماعة وهى  
سرّ الدين وكفارة  
المؤمن وتمحيص  
للخطايا على ما أخبرنا  
شيخنا شيخ الاسلام

النفية ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال إنه غنى وإنه ذروة ويطنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في صمد موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرخوا بهم إلى استجراح الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وشغل الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويرون أنهم إذا اتست ولا يتم واقادتهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية للطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس ف هؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على ثيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرحهم إلى جميع ذلك حاجة اللطم والملبس والسكن ونسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاول يمكنهم الرقي منها فن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرقة وعمل إلا هو عا لم يقصوده وعالم يحفظه ونصبيه منه وأن غاية مقصوده تعبد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له وإن تعدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية فتنشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالى الله أى وأدأ هلك منها فمذاشأن للتمكين في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدتم الشيطان ولم يتركهم وأصلهم في الأعراض أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد فأروا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل المهند فهم يتجهمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويطنون أن ذلك خلاص لهم من محنة الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بدأولاً من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالسكينة وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وعقدوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالسكينة فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيد عبادة متعبد فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل البعد بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت العرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والرحلة فتركوا السعى والعبادة وزعموا أنه ارضع علمهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتنعوا بالتكاليف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يباغ نبغا وسبعين فرقة وإعما الناجى منها فرقة واحدة وهي السالكه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالسكينة ولا يجمع الشهوات بالسكينة أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة

ضياء الدين أبو النجيب  
السهر وردي رحمه الله  
إجازة قال أنا أبو منصور  
محمد بن عبد الملك بن  
خيرون قال أنا أبو محمد  
الحسن بن علي  
الجوهري إجازة قال  
أنا أبو عمر محمد بن  
العباس بن زكريا قال  
ثنا أبو محمد يحيى بن  
محمد بن صاعد قال  
ثنا الحسين بن الحسن  
المروزي قال أنا عبد الله  
ابن المبارك قال أنا يحيى  
ابن عبد الله قال سمعت  
أبي يقول سمعت أبا  
هريرة رضي الله عنه  
يقول قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« الصلوات الخمس  
كفارات لأخطايا وارتدوا  
إن شئتم - إن الحسنات  
يذهبن السيئات ذلك  
ذكرى للذاكرين » .



ومن الممكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكله همه واشتغل بالله كره والسكر طول العمر وبق ملازم السياسة شهوات ومراقب لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالابتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام لما قال «التأجى منها واحدة قالوا يارسول الله ومن هم؟ قال أهل السنة والجماعة قليل ومن أهل السنة والجماعة؟ قال ما أنا عليه وأصحابه» (١) وقد كانوا على الترح القصد وعلى السبل الواضح الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدنيا وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالسكينة وما كان لهم فى الأمور تفریط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كجس قد ذكره فى مواضع والله أعلم .

تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا . صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

### كتاب ذم البخل وذم حب المال

( وهو الكتاب السابع من ربيع للمساكنات من كتاب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله مستوجب الحمد بركة البسوط ، وكشف الضر ببد الفنوط ، الذى خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العالمين أصناف الأموال ، واستلهم فيها بقلب الأحوال . ورددهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطعم واليأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والقرح بالموجود والأسف على اللقود والإيثار والإفراق والتوسع والإملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستمطار الكثير كل ذلك ليلوهم أبهم أحسن عملا وينظر أبهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتنى عن الآخرة عدولا وحولا وأخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذى نسخ بامته مللا وطوى بشرمته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم تسليما كثيرا .

[ أما بعد ] فان فتن الدنيا كثيرة الشغب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وألمم عنها وأعظم فتنة فيها أنه لا فنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد للمال حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه الطغيان الذى لا يتكون عاقبة أمره إلا خسرا . وبالجملة فهم لا تخلو من القوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وأقاتها من اللامساكنات وتميز خيرها عن شرها من الموصات التى لا تقوى عليها إلا ذوو البصائر فى الدين من العلماء الراشحين دون المترشحين المقترين وشرح ذلك مهم على الاشراف أن ما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشتى القبط بحكم الغضب والحسد

(١) حديث اتراق الأمة وفيه التأجى منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفرق أمق على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى ولأبى داود بن حديث معلومة وإن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهى الجماعة وأسانيدها جيد .

( كتاب ذم البخل وحب المال )

[ الباب الثامن ]  
والثلاثون فى ذكر  
آداب الصلاة  
وأسرارها ]

أحسن آداب المصل  
أن لا يكون مشغول  
القلب بشئ قلى أو كثر  
لأن الأكلان لم يرضوا  
الدنيا إلا ليتيسروا  
الصلاة كما أمروا لأن  
الدنيا وأغفلها لما  
كانت شاغلة للقلب  
رفضوها غيرة على  
عمل المناجاة ورغبة  
فى أوطان القربات  
وإذعاناً بالباطن لرب  
البريات لأن حضور  
الصلاة بالظاهر إذعان  
نظاها وفراغ القلب  
فى الصلاة عماسوى  
الله تعالى إذعان الباطن  
فلم يروا حضور الظاهر  
وتخلف الباطن حتى  
لا يغفل إذعائهم فتتخرم  
عبوديتهم فيجتنب أن

بعضها والكبر وطلب المال بعضها ولها أضرار كثيرة وبجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقدته صفة الفقر ومن وجوده وصف الثنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان . ثم للفاقد حالتان: القناعة والحرص وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللحرص حالتان طمع فيها في أيدي الناس وتشمير للحرف والصناعات مع اليأس عن الحاقق والطمع شر الحالتين وللاواجد حالتان إمساك بحكم البخل والشح وإتفاق وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف النطاء عن النמוש فيها مهم . ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخل ثم الايثار فضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الثنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

### ( بيان ذم المال وكراهة حبه )

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وخسرنا عظيما ، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وقال تعالى - إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى - فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - ألمأكم التكاثر - . وقال رسول الله ﷺ «حب للمال والشرف يبتنان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما ذنبا من ذنبي أن أرسلا في زرية غم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «هلك السكرون لإمن قال به في عباد الله هكذا وهكذا أو قليل مالم» (٣) وقيل «يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألواتها ويركبون

يكون باطنه مرتهنا بشيء ويدخل الصلاة وقيل من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا ورد «إذا حضر العشاء والمشاء قدموا العشاء على العشاء» ولا يصلي وهو حاقق يطالبه البول ولا حاقق يطالبه اللفظ والخرق أيضا ضيق الخلف ولا يصلي أيضا وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لأرى لحاقي قيل الذي يكون معه ضيق وفي الجملة ليس من الأدب أن يصلي وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كنهه الأشياء التي ذكرناها وإهام للفرط والغضب . وفي الخبر «لا يدخل أحدكم في الصلاة وهو مقطب ولا يصلي أحدكم وهو

(١) حديث حب المال والشرف يبتنان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذنبا من ذنبي أن أرسلا في زرية غم بأكثر إفسادا لها من حب للمال والجاه في دين الرجل المسلم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا جاثمان مكان ضاريان ولم يقلوا في زرية وقالوا الشرف بدل الجاه قال الترمذي حسن صحيح للطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذنبا من ذنبي أن أرسلا في زرية غم الحديث وللإمام من حديث أبي هريرة ضاريان جاثمان واستاد الطبراني فيها ضعيف (٣) حديث هلك الأثرون لإمن قال به في عباد الله هكذا وهكذا الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي بلفظ السكرون ولم يقل في عباد الله ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ السكرون وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ هم الأثرون فقال أبوذر من هم فقال هم الأثرون أموالا إلا من قال هكذا الحديث (٤) حديث قيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبيد الله بن جعفر شرار أمي الدين ولدوا في النعم وغذوا به يأكلون من الطعم ألوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السري في الزهد من رواية عروة بن رويم من سلا وللإمام من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمي الدين غلوا بالنعيم وثبت عليه أجسامهم .

فره الخيل وألوانها وينسكون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لم يطون من القليل لاتشبع وأنفس بالكثير لاتنقع عا كفون على الدنيا يندون وروحوون إليها اتخذوها أهلاً من دون لهمج وربا دون ربهم إلى أمرها يتنون ولهاوم يتعنون فزعرة من عهد بن عبد الله بن أدرکه ذلك الزمان من عقب عقيبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنازهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام (١) وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنقه وهو لا يشعر (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «يؤولان بن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأنتيت أو لبست فألبيت أو صدقت فأمنيت (٣)» وقال رجل «يا رسول الله مالى لأحب للوت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى حمرة فالتى يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله والذي يتبعه إلى حمرة فهو عمله (٥)» وقال الحواريون ليس عليه السلام : مالك تمشى على الماء ولا تقدر على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما واللبر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أدبت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله وملك ألا أدبت حق الله في فما زال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور (٦)» وكل ما أوردهنا في كتاب الزهد والفقر في ذم التقى ومدح الفقر يرجع جرمه إلى ذم اللال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم اللال بحكم العموم لأن اللال أعظم أركان الدنيا وإيماننا كرا الآن ماورد في اللال خاصة قال صلى الله عليه وسلم «إذا مات البدقالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف (٧)»

- (١) حديث سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينسكون أجمل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة سيكون رجال من أمى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشدقون في الكلام أولئك شرار أمى وسنده ضعيف ولم أجده لباقيه أصلاً (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنقه وهو لا يشعر الزوار من حديث أنس وفيه هاتى بن التوكل ضعفه ابن حبان (٣) حديث يقول العبد مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالى لأحب للوت الحديث لم أقف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره الحديث أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث الثعمان بن بشير بإسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضاً وفي الكبير من حديث حمزة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبي الدرداء وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا اللال وهو منقطع (٧) حديث إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة

غضبان «فلا ينبغي للعبد أن يتلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الهيئة وأحسن لينة المصل سيكون الأطراف وعظم الالتفات والإطراق ووضع اليدين على الشمال لما أحسها من هيئة هيبه ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة اشروع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب المراجعة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة وعندى شخص من الضالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عنده إن العبد إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جماداً محمداً لا يتحرك منه شئ . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا الضعة فتحبوا الدنيا (١) ». الآثار : روى أن رجلا نال من أبي البرداء وأراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاد مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لا بد وأن يفضى إلى الطغيان. ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفني. وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بطائنها قالت ما هذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم سلت سرا كان لها قطعته وجعلته سررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأبتامها ثم رقت يديها وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد ماى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحواظ به وقال الحسن وإله ما أعز الدرهم أحد إلا أذهله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال مسيب بن عميلان إن الدرهم والدنانير أزمة للناقضين يقادون بها إلى النار. وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيقته فلا تأخذه فإنه إن لدغك قتلك معه قيل وما رقيقته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقال الملا بن زياد تمتلئ لى الدنيا وعليها من كل زينة قتلت أعوذ بالله من شرك فقالت إن شرك أن يبيدك الله ملى فأبض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيره أن التورع عند هذا الدرهم  
فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن هناك هوى للسلم

وفي ذلك قيل أيضا :

لا ينسرك من للرء قميص رقه أو إزار فوق عظم الساق منه رقه  
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه أزه الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يأمر المؤمنين صنعت صنما لم يصمه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقصدوني فأقصدوه فقال أما قولك لم أعط لهم دينارا ولا درهما فاني لم أنعمهم حقهم ولم أعطيهم حقا لتيرهم وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فله كافيه والله يتولى الصالحين وإما عاص لله فلا أبالي على ما وقع. وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقبل له لو أدرته لمولده من بسدك قال لا ولكن أدره لنفى عند ربى وأدره لى ولدى. ويروى أن رجلا قال لى عبد ربى يا أخى لا تعقب بشر وترك أولادك غير فأخرج أبو عبد ربهم ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرين بمثلهما للبعد فى ماله عند موته قيل وما ما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله.

( بيان مدح المال والجمع بينه وبين القم )

اعلم أن الله تعالى قد سمى للمال خيرا فى مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز - إن ترك خيرا - إلا بقول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل ما جاء فى ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال إذ لا يمكن الوصول إليها إلا به وقال تعالى - ويستخرجنا كنزها رحمة من ربك - وقال تعالى محنتا على عباده - ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم

يلغ به وقد تقدم فى آداب الصحبة (١) حديث لا تتخذوا الضعة فتحبوا الدنيا الترمذى والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ قرعوا (٢) حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ نعموا ولا المراء.

فى الخبر « سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان : الرعاف والنماس والوسوسة والتأقّب والحناك والالتفات » والبث بالشيء من الشيطان أيضا وقيل السهو والشك ، وقد روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال إن الخشوع فى الصلاة أن لا يعرف المصل من على يمينه وشماله ، وقيل عن سفيان أنه قال : من لم يخضع قدس صلواته ، وروى عن معاذ ابن جبل أشد من ذلك قال : من عرف من عن يمينه وشماله فى الصلاة متعذرا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة فى حائط أو

أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا»<sup>(١)</sup> وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بعد الدم والمدح إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى تكشف لك أنخير من وجهه وشر من وجهه وأنه محمود من حيث هو خير ومنموم من حيث هو شر فإنه ليس بغير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للأخمين جميعا وما هذا وصفه في حلاله تارة وبذمه أخرى ولكن البصر المميز يدر أن المحمود منه غير للمنوم ويانه بالاستعداد بما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدرة للفتح فيه هو أن مقصد الأكرام وأبواب البصائر وسعادة الآخرة التي هي النعم الدائم والملك القيم والقصد إلى هذاب الكرام والأكرام إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم الناس وأكيسهم؟» قال: «أكثرهم للموت ذكرًا وأشدّهم لاستعدادًا»<sup>(٢)</sup> وهذه السعادة لاتزال لإثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجية عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية فأخرجها أحسنها والمال من جملة الخارجية وأدناها الدرام والنانيير فإنها خادمان ولا خادم لهما مردان ليرها ولا يرادان لداتهما إذ النفس هي الجوهر الفيس للطوبى سعادتها وأنها تخدم العلم وللمعرفة وما كرم الأخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود من للطعام إبقاء البدن ومن للتأكل إبقاء النسل ومن للبدن تسهيل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال وجهه شرفه وأنه من حيث هو ضرورة الطعام والملابس التي هي ضرورة بقا البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصوده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ما حصل له النرض محمودا في حقه فاذن المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي للقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسديس العمل والمال والعمل فهو إذا محمود مذموم محمود بالإضافة إلى القصد المحمود ومذموم بالإضافة إلى القصد المذموم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حقه وهو لا يشتر<sup>(٣)</sup> كأورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسيل الله وكان المال مسهلها وآلة إليها عظم الخطر فإن يزيد على قدر الكفاية فاستعاض الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا»<sup>(٤)</sup> فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتحصن خيره وقال «اللهم أحيى مسكينا وأميت مسكينا واحضرني في زمرة الساكين»<sup>(٥)</sup> واستعاض إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجنبي وبني أن تعبد الأصنام وعني بها هذين الحجرين الذهب والفضة إذ تربة النبوة أجل من يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة إذ فقد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتها حبها والاعتراض بها والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس وقد تقدم في كتاب ذم الغضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكيسهم قال أكثرهم للموت ذكرًا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكيس ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حقه وهو لا يشتر تقدم قبله بتسعة أحاديث وهو بنية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحيى مسكينا وأميت مسكينا الترمذي من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلواته فصلاته باطلة قال بعضهم لأن ذلك عدوه عملا، وقيل في تفسير قوله تعالى - والذين هم على صلاتهم دائمون - قيل هو سكون الأطراف والطمأنينة . قال بعضهم إذا سكبت التكسيرة الأولى فاعلم أن الله ناظر إلى شخصك عالم بما في ضميرك ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك وال نار عن شمالك وإنما ذكرنا أن تمثل الجنة والنار لأن القلب إذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تدابيرا للقلب لدفع الوسوسة . أخبرنا شيوخنا ضياء الدين أبو النجيب السمرودي بإجازة قال

إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم «تمس عبد الدينار وتمس عبد الدرهم تمس ولا تمش وإذا شيك فلا تمش» (١) فبين أن محبهما عابدهما ومن عبد حرجا فهو عابدهم بل كل من كان عبدا للرب الله فهو عابدهم أي من قطعته ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كما بدصم وهو شرك لأن الشرك شرك كان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقفا ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من ديب الخلق وشرك جلي يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع .

### (بيان تفصيل آفات اللال وفوائده)

اعلم أن اللال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائه سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستند من خيره . أما القوائد : فهي تنقسم إلى دنيوية ودنيوية : أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها وأما الدينية فتتخصر جميعها في ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن ينفعه على نفسه إما في عبادة أوفى الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليه إلا بالمال وهما من أهيات القربات والفقير محروم من فضلها وأما في بقويه على العبادة فذلك هو للطعم والملبس والسكن والتكسح وضرورات للعيشة فإن هذه الحاجات إذ لم تيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من القوائد الدينية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يغني ثوابها وإنها لتطفي غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فعنى بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فإن هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من القوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزرمة الأسخياء فلا يوصف بالجلود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والقنوة وهذا أيضا يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض فعنى به بئس المال لدفع هجو الشرهاء وثلث السفهاء وقطع آلتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تجوز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما وقي به المرء عرضه كتب له به صدقة» (٢) وكيف لا وفيه منع للفتاب عن مصيبة النية واحتراز عما يشور من كلامه من الدواوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتيسر أسبابه كثيرة ولولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسار

أنا عمر بن أحمد  
الصغار قال أنا أبو بكر  
ابن خلف قال أنا  
أبو عبد الرحمن قال  
سمعت أبا الحسين  
الفارسي يقول سمعت  
محمد بن الحسين يقول  
قال سهل من خلأ قلبه  
عن ذكر الآخرة  
تعرض لوباسوس  
الشیطان فأما من باشر  
باطنه صفو اليقين  
ونور المعرفة فيستغني  
بشاهده عن تمثيل  
مشاهدة قال أبو سعيد  
الحراز إذا ركع لأدب  
في ركوعه أن ينتصب  
ويدنو ويتسلى في  
ركوعه حتى لا يبقى  
منه مفصل إلا وهو  
منتصب نحو العرش  
العظيم ثم يعظم الله  
تعالى حتى لا يسكرن  
في قلبه شيء أعظم

(١) حديث تمس عبد الدينار تمس عبد الدرهم الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل وانتش وإنما علق آخره بلفظ تمس وانتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وقي المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقنابر والرباطات ودور المرضى ونصب الجباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف للرصدة للخيرات وهي من الخيرات للزبدة الدائرة بعد الموت للمستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات مناهية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائده اللال في الدين سوى ما يتعلق بالحفظ العاجلة من الخلال من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه اللال من الحفظ الدنيوية . وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية ثلاث . الأولى : أن تجر إلى المعاصي فان الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين الرء والمصيبة ومن المصمة أن لا يجد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المصية لم تحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبثت داعيته واللال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اتحم ما اشتاء هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أهذو فتنة السراء أعظم من فتنة الضراء . الثانية : أنه يجر إلى التتم في اللباحات وهذا أول الدرجات التي يقدر صاحب اللال على أن يتناول خبز الشعر ولبس الثوب الخشن ويترك لذاته الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليها الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتم بالدنيا ويعرن عليها نفسه فيصير التتم مأثوما عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فاذا اشتد أنه بهر بما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيفتحهم الشبهات ويغوض في المراءة والدهانة والكذب والفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنمعه فان من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن يناقهم ويعسى الله في طلب رضام فان سلم الانسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحفظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق ثور العداوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيرة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخفى عن التمدي أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا يفك عنها أحد وهو أنه يلزمه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذ من غير حله ، قليل إن أخذ من حله ؟ فقال يضمه في غير حقه قليل إن ضمته في حقه فقال يشغله إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء الضال فان أصل العبادات ونهيا وسرها ذكر الله والتفكير في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يسمى ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسنته وفي خصومة الثركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبغدها عن كثرة الشغل النقد المكتوز تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يشر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها والتي مع قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسمها أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والتهم والهم والتب في دفع الحساد وتحشم المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذا نرى المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك مسموم وآفات نسال الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصرف في نفسه حتى يكون أقل من المباء وإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون معه من الخشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في الصلاة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أدبهم قبل الصلاة المراجعة القلب من الخواطر والعوارض ونفي كل شيء غير الله تعالى فاذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(١) بيان ذم الحرص والطمع ومدهج القناعة واليأس مما في أيدي الناس

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر. ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً بمنطق الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمتكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من الطعام واللبس والسكن ويقتصر على أقله قدره وأخسه نوعاً ويرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمه فانه عز القناعة وتدني للاحالة بالطمع، وذلك الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الحارقة للمروآت وقد جبل الأدهى على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (١) «وعن أبي واقد الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيناها يملئنا بما أوحى إليه فجئته ذات يوم فقال: إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأجب أن يكون له ثمان ولو كان له الثاني لأجب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٢) وقال أبو موسى الأشعري زلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لفتى وادي ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٣). وقال صلى الله عليه وسلم «منومان لا يشبعان منهنوم العلم ومنهنوم المال» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب للمال أو كما قال» (٥) ولما كانت هذه جيلة للأدهى مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم «طوب لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد فقير ولا غني إلا ود يوم القيامة أنه كان لوني قوتا في الدنيا» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس» (٨) ونهى عن شدة الحرص والبالغة في الطلب فقال «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعب إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيها ما كتب له من الدنيا وهي راحة» (٩)

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى زلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه على بن زيد متكلم فيه (٤) حديث منومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلع من أسلم وورق كفافاً وقنع الله بما آتاه (٧) حديث ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان لوني قوتا في الدنيا قوتا ابن ماجه من رواية قبيع بن الحارث عن أنس وقبيع ضعيف (٨) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعب إلا ما كتب له الخاكم من حديث جابر بنحوه. وصححه إسناده وقد تقدم في آداب الكسب والعاشي.

والعمل للذين دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فتكأنهم أبدأ في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يبرأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحداً من أصحابه يعدد عليه كم ركة صلى.. وقيل: للصلاة أربع شعب حضور القلب في الهرب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخشوع الأركان بلا ارتياب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس قنع الأبواب وعند خضوع



وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغني؟ قال أنعمهم بما أعطيتهم قال فأبهم أمدا؟ قال من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فقوا الله وأجملوا في الطلب» (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا باهريرة إذا اشتد بك الجوع فخلبك رغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار» وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قتما تكن أشكر الناس وأحب للناس ما هبب لنفسك تكن مؤمنا» (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري «أن أغرايا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظمي وأوجز فقال: إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن حديثا تعتذر منه غدا وأجمع اليأس عما في أيدي الناس» (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله قلنا لا وليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا تبايعنا؟ قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كل خفية ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) قال فلقد كان بعض أولئك الذين يستقسط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه. الآثار: قال عمر رضى الله عنه: «إن الطمع قور وإن اليأس غنى وإنه من يئس عما في أيدي الناس استغنى عنهم. وقيل لبعض الحكماء: مالمغنى؟ قال قلة نبيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل:

المعيش ساعات قمر  
الغيب طوب ألام تحسّر  
اقنع ببشك رضى  
وارك هواك تعيش حر  
فلرب حنف ساقه ذهب  
وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يعل الحزن اليأس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم محتج إلى أحد. وقال سفيان: خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم. وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا وملك ينادى يا ابن آدم قليل بكفك خير من كثير بطنيك. وقال سميط بن مجلان: إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار. وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في أيدي الناس. ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجلت حسابها على غيرك فانا إليك محسن. وقال ابن مسعود: إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فاتما بأية ما قسم له من الرزق أو مازق. وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه ألا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رقت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت

(١) حديث ابن مسعود إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن حديثا تعتذر منه وأجمع اليأس عما في أيدي الناس ابن ماجه وقد تقدم في الصلاة وللحكمة نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاسناد (٤) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو تسعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس. مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدهم وهى عند أبي داود وابن ماجه كاذر كرها للصف

الأركان وجود الثواب  
فن آي الصلاة بلا  
حضور القلب فهو  
مصل لا ومن أتاها  
بلا شهود العقل فهو  
مصل ساء ومن أتاها  
بلا خضوع النفس فهو  
مصل خاطئ ومن  
أتاها بلا خشوع  
الأركان فهو مصل  
جاف ومن أتاها كما  
وصف فهو مصل واف.  
وقد ورد عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
«إذا قام البد إلى  
الصلاة المكتوبة مقبلا  
على الله بقلبه وصممه  
وبصره انصرف من  
صلاته وقد خرج من  
ذنوبه كيوم ولدته أمه  
وإن الله يغفر بغسل الوجه  
خطيئة أصابها وبغسل  
يديه خطيئة أصابها  
وبغسل رجليه خطيئة

وما أمسك عني قنعت . وقيل لبعض الحكماء : أي شيء أسر للعاقل وأبما شيء أعون على دفع الحزن ؟  
 فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء . وقال بعض  
 الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحرص إذا  
 طمع وأخضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم للفرط وفي ذلك قيل :  
 أرفه يال فني أسمى على ثقة إن الذي قسم الأرزاق يرزقه  
 فالعرض منه مصون لا يذنبه والوجه منه جديد ليس يحلقه  
 إن القناعة من يجل بساحتها لم يبق في دهره شيئا يؤرقه  
 وقد قيل أيضا :

حق متى أنا في حل وترحال وطول سمي وإدبار وإقبال  
 ونازح الدار لا أشك مقربا حين الأجرة لا يدرون ماحالي  
 بشرق الأرض طوراً ثم مغربها لا يخطر اللوت من حرص على بالي  
 ولو قنعت أناني الرزق في دعة إن القنوع النقي لا كثرة السال

وقال عمر رضي الله عنه : ألا أخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لثنائي وقبضي وما يسقي  
 من الظاهر لحبي ومهرق وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفهم ولا بأوضعهم  
 فوالله ما أدري أجيل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تحب  
 القناعة بها . وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته  
 وتطلب أنت ما قد كفيته وكان مغاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد قلت عنه كأنك يا أخي  
 لم تر حرصاً محروماً وزاهداً مريضاً وفي ذلك قيل :

أراك يزيدك الإراء حرصاً على الدنيا كأنك لا تموت  
 فهل لك غاية إن صرت يوماً إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلاً صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع في ؟ قال أدعك وآكلك قالت والله  
 ما أشقى من قوم ولا أشبع من جوع ولكن أملكك ثلاث خصال هي خير لك من أكلتي ، أما واحدة  
 فأعلمك وأنا في يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات  
 الأولى قالت : لا تلهن على ما فاتك غلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدف  
 مما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذهبتني لأخرجت من حوصلي  
 درتين زنة كل درة عشرون مثقالاً قال ففض على شفته وتلف وقال هات الثالثة قالت أنت  
 قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهن على ما فاتك ولا تصدف بما لا يكون  
 أنا لحى ودي ورشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلي درتان كل واحدة عشرون  
 مثقالاً ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فإنه يبيع عن ذلك الحق حتى يقدر  
 ما لا يكون أنه يكون . وقال ابن السكك : إن الرجاء جبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء  
 من قلبك يخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد اليزيدي : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في  
 ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رأى تبسم فقالت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم ووجدت هذين  
 البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أخضت إليهما ثالثاً وأنشدني :

إذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى يفتح لك بابها  
 فإن قراب البطن يكفيك ملؤه وكيفيك سوات الأمور اجتنابها

أصابها حق يدخل في  
 صلاته وليس عليه  
 وزر وذكرت السرعة  
 عند رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 فقال أي السرعة أبيع  
 فقالوا الله ورسوله أعلم  
 فقال إن أبيع السرعة  
 أن يسرق الرجل من  
 صلاته قالوا كيف يسرق  
 الرجل من صلاته ؟  
 قال لا يتم ركوعها ولا  
 سجودها ولا خشوعها  
 ولا القراءة فيها .  
 وروى عن أبي عمرو بن  
 العلاء أنه قدم للإمامة  
 فقال لا أصالح فلما ألحوا  
 عليه كبر فنفى عليه  
 فقد موأماما آخر فلما  
 أفاق سئل فقال لما  
 قلت استوا هتف بي  
 هاتف هل استويت  
 أنت مع الله قط . وقال  
 عليه السلام إن العبد

ولا تملك ميذالا لمرئك واجتنب ركوب الداعي يفتيك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعارها قال الطمع وشبه النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرى قول كعب قال يطعم الرجل في الشيء يطليه فيذهب عليه دينه وأما الشراء فشره النفس في هذا وفي هذا حق لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاه لك خزم أنك وقدك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حيك الدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه ثم عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت براهب قبلت له من أين تأكل ؟ قال من يدير المظيف الخبير الذي خلق الرجا بآتيها بالطين وأوماً بيده إلى رجا أضراره فسبحان القدير الخبير .

( بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة )

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في العيشة والرفق في الإنفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يفتح ثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية والقصد في الثنى والفق والعدل في الرضا والغضب » (٣) وروى أن رجلاً أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من قهقهة رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة » (٤) وفي الخبر « التدبير نصف للمعيشة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بتر أقره الله ومن ذكر أهله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث ما عال من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الثنى والفق والعدل في الغضب البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمات الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف للمعيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خالد بن عيسى جهله العقيلي ووثقه ابن معين

إذا أحسن الوضوء  
وصلى الصلاة لوقتها  
وحافظ على ركوعها  
وسجودها ومواقيتها  
قلت حفظك الله كما  
حفظتني ثم صعدت ولها  
نور حتى تنتهي إلى  
الماء حتى تصل إلى  
الله فشفع لصاحبها  
وإذا أضعافها قالت  
ضيحك الله كما ضيقتني  
ثم صعدت ولها ظلمة  
حتى تنتهي إلى أبواب  
الماء فتخلق دونها ثم  
تلف كما يلف الثوب  
الحلق فيشرب بها  
وجه صاحبها « وقال  
أبو سليمان الداراني إذا  
وقف البد في الصلاة  
يقول الله تعالى ارفعوا  
الحجب فيا بيني وبين  
عبدي فإذا انفتحت  
يقول الله أخرجوها فيا  
بينى وبينه وخلوا

أحبه الله (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا (٢) » والتؤدة في الاتفاق من أهم الأمور . الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لابد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فأن شدته الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واتقا بوعده الله تعالى إذ قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على إغزها - وذلك لأن الشيطان يدهم الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تعرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الدل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتاله التعب قد دامع النفقة عن الله لنوم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون . وفي مثله قيل :

ومن ينق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالتى فعل الفقر

وقد دخل ابنه خاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما « لا تيأسا من الرزق ما تهزرت رءوسكما فإن الإنسان قلده أمه أحر ليس عليه قسرم رزقه الله تعالى (٣) » ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له « لا تنكسر همك ما قدر يركن وما ترق يأتك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فإنه ليس لبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة (٥) » ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن تقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لأعماله مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر له الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم « أبي الله أن يرزق عبده المؤمن لإمن حيث لا يحتسب (٦) » وقال سفيان ألق الله فما رأيت تقيا محتاجا أبى لا يترك التقى قد اضر ضرورته بل يلقي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه ، وقال الفضل الضبي قلت لأعرابي من أين ما شئت قال نذر الحاج قلت فاذا صدر وانسبك وقال لو لم نمش لإمن حيث ندرى لم نمش . وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لي فلن أحمله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والأرض وشيئا منهما هو لغيري فلذلك لم أنه فيا مضى فلا أرجوه فيما بقي بمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي أي هذين أفي عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لابد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر . الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستثناء وما في الحرص والطمع من الدل فاذا تحقق عنده ذلك انبثرت رغبته إلى القناعة لأنه

(١) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصري قال التميمي شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكرو أي هذا الحديث ولأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله . (٢) حديث إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تيأسا من الرزق ما تهزرت رءوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابني خاله وقد تقدم (٤) حديث لا تنكسر همك ما قدر يركن وما ترق يأتك قاله ابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحبته ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو اللخافري مرسل (٥) حديث ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب الحديث تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبي الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن حبان في الضعفاء من حديث على بن اسناد واه ورواه ابن الجوزي في الموضوعات .

عبدى وما اختار لنفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فألصرف منهما وأنا استحي من الله حياء رجل ألصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الأدب عنده ومعرفة كل إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بعمركم بين يديك قال إن الذى أصلى له أقرب إلى من الذى يمشى بين يدي وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تقبلونه فإل له في ذلك فيقول أتندرون بين يدي

في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ظمأ وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الويل واللائم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداينة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ريكك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استغناؤه عن الناس » (١) في القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تسكن نظيره واحتج إلى من شئت تسكن أسيره وأحسن إلى من شئت تسكن أميره . الرابع أن يكثر تأمله في تتم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياد وإلى سمات الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمتع بأحاديثهم ويطلع أحوالهم ويغير عقده بين أن يكون على مشابة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة بالسيرة فإنه إن تتم في البطن فالحار كرا كرا

منه وإن تتم في الواقع فالحزير أحمى رديته منه وإن ترين في اللبس والحيل في اليهود من هو أحمى رديته منه وإن قطع بالقليل ورضى به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياد الخافضون أن يفهم ما في جمع السال من الخطر كما ذكرنا في آفات السال وما فيه من خوف السرعة والنهب والضياع وما في خلواي الدين الأمن والفرار ويتألم ما ذكرناه في آفات السال مع ما يفوته من للدافعة من باب الجنة إلى حسيب القمام فإنه إذا لم يتنع عما يكرهه أطلق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تتقدم من الطلب وأرباب الأموال يتمتعون في الطعام واللباس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتعمير تريد أن تتميز عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوق (٢) أي في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه من فضل الله عليه » (٣) فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وحماد الأمر الصبر وقصر الأمل . وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل لتتبعه دهر طويلا فيكون كالمرضى الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

( بيان فضيلة السخاء )

اعلم أن السال إن كان مفقودا فينبغي أن يكون حاله البعد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بفصل منها قاده ذلك

(١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصححه إسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قال لله صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن سلمان عن محمد بن عيينة وكلاهما مختلف في وجوهه القضاء في مسند الشهاب من قوله النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوق أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه من فضل الله عليه متفق عليه وقد تقدم .

من أريد أن أتق .  
وروى عمار بن ياسر  
عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنه قال  
« لا يكتب للعبد من  
صلاته إلا ما عقل » وقد  
ورد في لفظ آخر  
« منكم من يصلي  
الصلاة كاملة ومنكم  
من يصلي النصف  
والثالث والرابع والخم  
حتى يبلغ العشر » قال  
الحقوقي ينبغي للرجل  
أن ينسوي ثوابه  
لنقص فرائضه فان  
لم ينوها لم يحسب له  
منها شيء . بلقنا أن الله  
لا يقبل ناقلة حتى  
تؤدى فريضة يقول  
الله تعالى : مثلكم كمثل  
البعد السوء بدأ  
بالهدية قبل قضاء  
الدين ، وقال أيضا  
اشطع الخلق عن الله

النفس إلى الجنة (١) « وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بهما ما استطعتم (٢) وفي رواية « فأكرموا بهما ما يحببهم » وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جبل الله تعالى وليا له إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) » وعن جابر قال « قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والسباحة (٤) » وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى حسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس (٥) » وروى للقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يا رسول الله دنى على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سعيها أخذ بفضن منها فلم يترك ذلك النفس حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيها أخذ بفضن من أغصانها فلم يترك ذلك النفس حتى يدخله النار (٧) » وقال أبو سعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحمان من عبادى تمسحوا فى أكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطى (٨) »

(١) حديث السخاء شجرة فى الجنة الحديث ابن حبان فى الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطنى فى المستجاد من حديث أبي هريرة وسأبى بنه وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى فى اللوئحات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبى سعيد (٢) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الدارقطنى فى المستجاد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جعل الله وليا له إلا على حسن الخلق الدارقطنى فى المستجاد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى اللوئحات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بنية عن يوسف بن أبى السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والسباحة أبو يعلى وابن حبان فى الضعفاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمر بن عتبة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والسباحة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والسباحة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قول فى آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بذل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذبه أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووقع الخطيب وروى الأصفهاني جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث للقدم بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبرانى بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفى رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبي هريرة السخاء شجرة فى الجنة الحديث وفيه والشح شجرة فى النار الحديث الدارقطنى فى المستجاد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهرى ضعيف جدا (٨) حديث أبى سعيد يهول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحمان من عبادى تمسحوا فى أكنافهم الحديث ابن حبان فى الضعفاء والحرائلى فى مكارم الأخلاق والطبرانى

تعالى بخصائتين  
إحداها أنهم طلبوا  
الزواجر وضيقوا  
الزواجر والثانية  
أنهم عملوا أعمالا  
بالظواهر ولم يأخذوا  
أنفسهم بالصدق فيها  
والنصح لها وأبى الله  
تعالى أن يقبل من عامل  
عملا إلا بالصدق وإصابة  
الحق وقبح العين فى  
الصلاة أولى من  
بعض العين إلا أن  
يتشتت همه بتفريق  
النظر فيغضب العين  
للاستعانة على الحشوع  
وإن تنادى فى الصلاة  
يضم شفطيه بقدر  
الامكان ولا يلقى ذهنه  
بصدرة ولا يزاحم فى  
الصلاة غيره قيل ذهب  
للزحوم بصلاة للزاحم  
وقيل من ترك الصف  
الأول عاقبة أن يضيق

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلها عثر<sup>(١)</sup>» وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعر وإن الله تعالى ليأيهي بمطعم الطعام للامثلة عليهم السلام<sup>(٢)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها<sup>(٣)</sup>» وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمره له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يقوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة<sup>(٤)</sup>» وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن لله عبادا يختصهم بالنفع العباد فمن أجل تلك النافع على العباد قلها الله تعالى عنه وحوطها إلى غيره<sup>(٥)</sup>» وعن الهلال قال «آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر يقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فإل هذا من بينهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وارك هذا فان الله تعالى شكره سخاؤه<sup>(٦)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمرته للبروف تسجيل السراح<sup>(٧)</sup>» وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء<sup>(٨)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف ورواه القتيبي في الضعفاء فعله عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمز ابن القطان وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لأبى جديته وتكلم فيه الجوزجاني والأزدى ورواه الحاكم من حديث علي وقال إنه صحيح الإسناد ليس قال<sup>(٩)</sup> حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فان الله أخذ بيده كلها عثر الطبراني في الأوسط والحرالي في مكارم الأخلاق . وقال الحرالي أقيوا السخي زلته وفيه ليث بن أبي سلم مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الهار نطفي<sup>(١٠)</sup> حديث ابن مسعود الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعر الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخبر أسرع إلى البيت الذي ينشئ وفي حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعر ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة<sup>(١١)</sup> حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها الحرالي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كزيب وهذا مرسل وللطبراني في الكبير والأوسط والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور وفي الكبير والبيهقي معالي الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة<sup>(١٢)</sup> حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأتاه رجل فسأله فأمره له بشاء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة<sup>(١٣)</sup> حديث ابن عمر إن لله عبادا يختصهم بالنفع العباد الحديث الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السقي وفيه لين ووجه ابن معين يرويه عن أبي عثمان عبد الله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدى<sup>(١٤)</sup> حديث الهلال آتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر يقتلهم وأفرد منهم رجلا الحديث وفيه فان الله شكره سخاء فيه لم أجده أصلا<sup>(١٥)</sup> حديث إن لكل شيء ثمرة وثمرته البروف تسجيل السراح لم أقف له على أصل<sup>(١٦)</sup> حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك وأبو علي الصديقي في غريبه وقال رجاله

على أهله قوام في الثاني  
أعطاه الله مثل ثواب  
الصف الأول من غير  
أن ينقص من أجورهم  
شيء وقيل إن إبراهيم  
الحليل عليه السلام  
كان إذا قام إلى الصلاة  
يسمع خفقان قلبه  
من ميل . وروى  
طائفة رضى الله عنها  
أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كان يسمع  
من صدره أزيز كأزيز  
للرجل حق كان يسمع  
في بعض سكك المدينة.  
وسئل الجنيب ما فرضة  
الصلاة ؟ قال قطع  
العلاق وجمع المهم  
والحضور بين يدي الله  
وقال الحسن ماذا عز  
عليك من أمر دينك  
إذا هانت عليك  
صلاتك . وقيل وأوحى  
الله تعالى إلى بعض

« من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه <sup>(١)</sup> » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة الزوال . وقال عيسى عليه السلام : استكثرنا من شيء لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف . وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « الجنة دار الأسخياء <sup>(٢)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي أحب إلى الله من عالم خيل وأدوأ الداء البخل <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فإن أصبت أهله قد أصبت أهلها وإن لم تصب أهله فأت من أهله <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأتس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين <sup>(٥)</sup> » وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل جعل للعروف وجوها من خلقه حبيب إليهم المعروف وحبيب إليهم ففعله ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر القيث إلى البلدة الجدة فيحبها ويحبها أهلها <sup>(٦)</sup> » وقال ﷺ « كل معروف صدقة وكل ما أتق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما أوى به الرجل غرضه فهو له صدقة وما أتق الرجل من نفقة فلي الله خلفها <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إفاضة اللهبان <sup>(٨)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم

الأنبياء فقال إذا دخلت الصلاة فهبلى من قلبك الخسوع ومن يدلك الخسوع ومن عينك الدموع فاني قريب . وقال أبو الخير الأقطع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله أوصني فقال « يا أبا الخير عليك بالصلاة فاني استوصيت ربي فأوصاني بالصلاة وقال لي إن أقرب ما أكون منك وأنت تهي » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركنان في تفكير خير من قيام ليلة . وقيل إن محمد ابن يوسف العرغاني رأى حاتم الأصم واقفا يظن الناس فقال له يا حاتم أراك تعظ

تقات أمة قال ابن النطان وإنهم لمشاهير تقات إلا مقدم بن داود فإن أهل مصر تسكلموا فيه . (١) حديث من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه ابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بلفظ ما عظمت نعمة الله على عبد إلا ذكره وفيه أحمد بن مهران قال أبو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر بن أسامة بن قيس ابن محمد أحد للتروكين ورواه العقيلي من حديث ابن عباس قال ابن عدى يروى من وجوه كلام غير محفوظة (٢) حديث عائشة الجنة دار الأسخياء ابن عدى والدار قطني في الاستجداء والخراطي قال الدار قطني لا يصح ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات . وقال الذهبي حديث منسك ما أتته سوى جعفر . قلت رواه الدار قطني فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد اللوقري وهو ضعيف جدا (٣) حديث أبي هريرة إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة الحديث الترمذي وقال غريب ولم يذكر فيه وأدوأ الداء البخل ورواه بهذه الزيادة الدار قطني فيه (٤) حديث اصنع المعروف إلى أهله وإلى من ليس من أهله الدار قطني في الاستجداء من رواية جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده مرسلًا وتقدم في آداب العيشة (٥) حديث إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأتس الحديث الدار قطني في الاستجداء وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس وفيه محمد بن عبد العزيز المبارك الدينوري أورد ابن عدى له مناكير وفيه ليزان إنه ضعيف منسك الحديث ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد نحوه وفيه صالح للرى متكلم فيه (٦) حديث أبي سعيد إن الله جعل للعروف وجوها من خلقه حبيب إليهم المعروف الحديث الدار قطني في الاستجداء من رواية أبي هريرة عن أبي هريرة عن جده مرسلًا وفيه ضعف (٧) حديث كل معروف صدقة وكل ما أتق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة الحديث ابن عدى والدار قطني في الاستجداء والخراطي والبيهقي في الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالي وثقه ابن معين وضمناه في المجلد الأول منه عند البخاري من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة (٨) حديث كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله



« كل معروف فله إلى غنى أو فقير صدقة (١) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخي وقال جابر « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت (٢) ». الآثار : قال طي الكرم الله وجهه إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فانها لا تنفي وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فانها لا تبتقي وأنشد :

لا تبتخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التذير والسرف  
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالجود منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن طي رضي الله عنهم عن الرودة والتجدة والكرم فقال أما الرودة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيقة وحسن للنازعة والاقدام في الكراهية . وأما التجدة فالب عن الجار والصبر في اللوطين وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في أهل والرفق بالساأل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن طي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية قليل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقتي ثم رددت الجواب طي قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقتي . وقال ابن السكك عجت لمن يشتري المالك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه . وسئل بعض الأعراب من سيدهم قال من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا . وقال طي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يذلل ماله للطلاب لم يكن سخيًا وإنما السخي من يتبدى بمقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازع نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه جواب الله تاما . وقيل لأحسن البصري ما السخاء ؟ فقال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الأسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة إلا وإن الله عز وجل يقول : إن جواد كريم لا يجاورني لثم والأثم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضي الله عنه رب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بساخته . وروى أن الأحنف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل : أنت للسائل إذا أمسكته فإذا أشفتته فالسائل لك

وسمى واصل بن عطاء الغزال لأنه كان يجلس إلى الغزالين فإذا رأى امرأة ضعيفة أعطاهما شيئا . وقال الأصمعي كتب الحسن بن طي إلى الحسين بن طي رضوان الله عليهم بطلب عليه في إعطاء الشعراء فكتب إليه خير السال ما وقى به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمبال . قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله يحب إفانة اللفهان الدار قطني في السجود من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الأولى تخدمت قبله والجملة الثانية تخدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفيها زياد بخير ضعيف

(١) حديث كل معروف فله إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطني فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحرطاني كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر بإسنادين ضعيفين (٢) حديث جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا فنحر لهم الحديث وفيه فقال إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت الدار قطني فيه من رواية أبي حمزة الحبري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

الناس أتفهم أن  
تسلي ؟ قال نعم قال كيف  
تسلي ؟ قال أقوم بالأمر  
وأمشي بالشعبة  
وأدخل بالحنية وأكبر  
بالظمة وأقرأ بالتزليل  
وأركب بالحسوع  
وأسجد بالتواضع  
وأقعد للشهد بالتمام  
وأسلم على السنة  
وأسلها إلى ربي  
وأحفظها أيام حياتي  
وأرجع بالوم طي نفسي  
وأخاف أن لا تقبل  
مني وأرجو أن تقبل  
مني وأنا بين الخوف  
والرجاء وأشكر من  
عليه وأعلمها من  
سألني وأحمد ربي إذ  
هداني فقال محمد بن  
يوسف مثلك يصلح  
أن يكون واعظا وقوله  
تسلي - لا تقربوا  
الصلاة وأتم سكرى -

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى لِأَخَوَاتِي الْجَنَّةَ فِي صَلَاتِي فَأُغْلِظُ عَلَيْهِمُ الْمَالَ . وَقَالَ الْحَسَنُ بَذَلُ الْمُجْهُودِ فِي بَذَلِ الْوُجُودِ مَنَتهَى الْجُودِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدِي قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدَهُ . وَقَالَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ إِذَا الرَّجُلُ أَمَكَّنِي مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى أَمْنَعَ مَعْرُوفِي عِنْدَهُ فَيَدِي عِنْدِي مِثْلُ يَدِي عِنْدَهُ وَقَالَ الْهَدْيِيُّ لِشَيْبِ بْنِ شَبَّةٍ كَيْفَ رَأَيْتَ النَّاسَ فِي دَارِي فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَدْخُلَ رَاجِعًا وَيَخْرُجَ رَاضِيًا وَيَمُتِلَّ مِمَّا تَمَلَّ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَقَالَ :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَصْكَوُنُ صَنِيعَةً حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقُ لِلصَّنْعِ  
فَإِذَا اسْتَطَعْتَ صَنِيعَةً فَأَعْمِدْ بِهَا اللَّهُ أَوْ لَدَوِي الْقَرَابَةَ أَوْدَعْ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِيُخْلِلَنَّ النَّاسَ وَلَكِنْ أَمُطَرُ لِلْمَعْرُوفِ مَطَرًا فَإِنْ أَصَابَ الْكِرَامَ كَانُوا لَهُ أَهْلًا وَإِنْ أَصَابَ الْثَمَامَ كُنْتُ لَهُ أَهْلًا .

### (حكايات الأسخياء)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّكْدَرِ عَنْ أُمِّ دُرَّةٍ وَكَانَتْ تَخْدُمُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ مَعَاوِيَةَ بَشَّ إِلَيْهَا بِمَالٍ فِي غَرَارَتَيْنِ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ فَدَعَتْ بِهَبِيقٍ فَجَلَسَتْ تَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا أَسْمَتْ قَالَتْ يَا جَارِيَّةُ هَلُمِّي فَطُورِي فَجَاءَتْهَا بِخَبْزٍ وَزَيْتٍ فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ دُرَّةٍ مَا اسْتَطَعْتَ فَمَا تَقْسِمُتِ الْيَوْمَ أَنْ أَشْتَرِيَ لَنَا بِدَرَاهِمِ لَحْمًا فَتَطْرُقَ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَيْنِ لَفَعَلْتُ . وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يُضَارَّ عِيْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَتَى وَجْهَ قَرِيْبِي فَقَالَ يَقُولُ لَكُمْ عِيْدُ اللَّهِ تَقْدُوا عِنْدِي الْيَوْمَ فَأَتَوْهُ حَتَّى مَلُّوا عَلَيْهِ الدَّارَ فَقَالَ مَا هَذَا فَأَجْبَرَ الْحَبْرَ فَأَمَرَ عِيْدَ اللَّهِ بِشِرَاءِ فَاكِهِةٍ وَأَمَرَ قَوْمًا فَطَبَخُوا وَخَبَزُوا وَقَدَّمَتْ الْبَاكِيَّةُ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْهَا حَتَّى وَضَعَتْ الْوَلَدَ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا فَقَالَ عِيْدُ اللَّهِ لَوْ كَلَّاهُ أَوْ مَوْجُودَ لَنَا هَذَا كُلُّ يَوْمٍ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَايْتَدِعْ عِنْدَنَا هَؤُلَاءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَقَالَ مَصْبُوبُ بْنُ الزَّيْرِ حُجَّ مَعَاوِيَةَ فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَخِيهِ الْحَسَنِ لَا تَلْتَقِهِ وَلَا تَسْلَمْ عَلَيْهِ فَلَمَّا خَرَجَ مَعَاوِيَةَ قَالَ الْحَسَنُ إِنْ عَلَيْنَا دِينًا فَلَا بَدَ لَنَا مِنْ إِيْتَانِهِ فَرَكِبَ فِي أَرْمَلَةٍ وَلَحِقَهُ فَلَمَّ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِدِينِهِ فَهَرَوْا عَلَيْهِ يَبْخِي عَلَيْهِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَقَدْ أَعْيَا وَتَخَلَّفَ عَنِ الْإِبِلِ وَتَقَوَّمَ بِسَوْقُونِهِ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ مَا هَذَا فَذَكَرَ لَهُ فَقَالَ اصْرَفُوهُ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ . وَعَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَاقِدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ رَفَعَ رَقْعَةً إِلَى الْأُمَوِيَّةِ يَذْكُرُ فِيهَا كَثْرَةَ الدِّينِ وَقَوْلَهُ صَبْرَهُ عَلَيْهِ فَوْقَ الْأُمَوِيَّةِ عَلَى ظَهْرِ رَقْعَتِهِ إِنَّكَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ فِيكَ خَصْلَتَانِ السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ فَأَمَّا السَّخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ مَا فِي يَدَيْكَ وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي يَنْعَمُ عَنْ تَبْلِيغِنَا مَا أَتَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَصَبْتُ فَازِدَ فِي بَسْطِ يَدِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ أَصَبْتُ فَجَنَابَتِكَ عَلَى تَقْسِمِكَ وَأَنْتَ حَدَّثْتَنِي وَكُنْتُ عَلَى قَضَاءِ الرَّشِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلزَّيْرِ بْنِ الْعَوَامِ يَا زَيْرُ اعْلَمْ أَنَّ مَفَاتِيحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ يَبِيتُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عِيْدٍ بِقَدْرِ نَفَقَتِهِ فَمَنْ كَثُرَ كَثْرُهُ وَمَنْ قَلَّ قَلَلُهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ <sup>(١)</sup> » قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَوَاللَّهِ لِمَا ذَكَرَ الْأُمَوِيَّةُ إِلَيَّ بِالْحَدِيثِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجَارِثَةِ وَهِيَ مِائَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاجَةً فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا حَقُّ سؤَالِكَ يَايُ عِظَمُ لَدِي وَمَعْرِقُ عِمَّا يَجِبُ لَكَ تَكْبِيرُ عَلَى وَيَدِي تَعْجُزُ عَنْ ثِيَابِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَالْكَثِيرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ وَمَا فِي مَلِكِي وَفَاءٌ لِمَلِكِكَ فَإِنْ قَبِلْتَ لِلْيَسُورِ وَرَفِضْتَ

قِيلَ مَنْ حَبَّ الدُّنْيَا وَقِيلَ مَنْ الْإِهْتِمَامُ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا خَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَنْبِهِ » وَقَالَ يَحْيَى بْنُ الصَّلَاةِ تَسْكُنُ وَتَوَاضِعُ وَتَقَرُّعُ وَتَتَادَمُ وَتَرْفَعُ يَدَيْكَ وَتَقُولُ : اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ فَمَنْ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ فَهُوَ خِدَاجٌ أَيُّ نَاقِصَةٍ وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا نَوَسًا لِلصَّلَاةِ تَبَاعَدَ عَنْهُ الشَّيْطَانُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ خَوْفَانِهِ لِأَنَّهُ تَأْهَبُ لِلدَّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ فَإِذَا كَبَّرَ حَجَبَ عَنْهُ إِبْلِيسُ قِيلَ يَضْرِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سَرَادِقٌ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَوَاجِهُهُ الْجِبَارُ يُوْجِهُهُ فَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرًا طَلَعَ الْمَلِكُ فِي قَلْبِهِ فَإِذَا لَمْ

(١) حَدَّثَ أَنَسُ يَزِيدَ اعْلَمْ أَنَّ مَفَاتِيحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ الْحَدِيثُ وَفِي أَوَّلِهِ تَقْسِمُ لِلْمُؤْمِنِ الدَّارَ قَطْنِي فِيهِ وَفِي إِسْنَادِهِ الْوَاقِدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ الزُّهْرِيِّ بِالْمَعْنَةِ وَلَا يَصِحُّ .

عنى مؤنة الاحتياط والاهتمام لما أنكلفه من واجب حقه فقلت قتال يا ابن رسول الله أقبل وأهكر  
الطية وأعذر على اللع ففدا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على تقاته حتى استقمها قال هات الفضل من  
الثمانية ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال فما قلت يا حسنة دينار قال هي عندي قال أحضرها  
فأحضرها فدفعت الدنانير والدرهم إلى الرجل وقال هات من يحملها لك فأنا بهما لي فدفعت إليه الحسن  
رداه لكرء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال أروا أن يكون لي عندنا أجر عظيم.

واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لتجار صولم قوام يمتنى كل واحدنا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهز به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقاً فأخرج منه ست بدر فقال احموا غداوا فقال ابن عباس ما أنصفنا أعطيناه ما يشفقه عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكنن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمناً عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخمد أولياء الله تعالى فضل وفعلوا . وحكى أنه لما أعجب الناس بعصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعلن الشيطان أنى عدوه فقال عما يصحهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حتى نساؤه وقيمتها خمسمائة ألف فلما تضرعوا عليه أرجعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفائض منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته . وكان أبو طاهر بن كثير شيعياً فقال له رجل بحق على بن طالب لما وهبت لى نعلتك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحقه لأعطيك ما يابها وكان ذلك أضعاف ماطلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء قد حده بعض الشعراء فقال للشاعر : والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمي إلى القاضي وأدع على بشرة ألف درهم حتى أفرلک بها ثم احبسني فإن أهلى لا يتركوني محبوساً ففعل ذلك فلم يسحق دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس . وكان معن بن زائدة عاملاً على العراقيين بالبصرة فخص به شاعر فأقامه مدة وأراد الخروج على معن فلم يتيسر له فقال يوماً لبعض خدام معن إذا دخل الأمير البستان فزفنى فلما دخل الأمير البستان أعلاه فكتب الشاعر بيتاً على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصير بالحشبة أخذها وقرأها فإذا مكتوب عليها :

أيا جود معن ناج معنأ حاجتی فحالی إلى معن سواك شفیع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال له فأمره بشرب دواء أخذها ووضع الأمير الحشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفق إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق لي أن أعطيه حق لياقي في بيت مالي درهم ولادينار . وقال أبو الحسن للداني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجاً فأتتهم أنهارهم فجاءوا وعطشوا فثروا بسجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب ؟ فقالت نعم فأتواها إليها وليس لها إلا شوية في كسر الخيعة فقالت احببوها وامتنقوا لبها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذهبها أحدكم حتى أهني لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا وأثاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نقر من قريش تريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمى بنا فأتا صانعون بك خيراً ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال وياك تدعين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نقر من قريش قال ثم بعد مدة ألتأتها الحاجة إلى دخول المدينة فدخلها وجعلتا يتقلان البحر إليها وبيعانها ويتبعان شتمته

يَكُنْ فِي قَلْبِهِ أَكْبَرُ  
 مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ :  
 صَدَقَ اللَّهُ فِي قَلْبِكَ  
 كَمَا تَقُولُ وَتَشْتَعْنُ مِنْ  
 قَلْبِهِ نُورٌ يَلْحَقُ  
 بِمَلَكُوتِ الْعَرْشِ  
 وَيَكْشِفُ بِذَلِكَ النُّورِ  
 مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَيَكْتُبُ لَهُ  
 حُشُودَ ذَلِكَ النُّورِ  
 حَسَنَاتٍ وَإِنْ الْجَاهِلُ  
 الْعَاقِلُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ  
 احْتَرَسَتْهُ الشَّيَاطِينُ كَمَا  
 يَحْتَرِسُ الذَّبَابُ عَلَى  
 قُطْعَةِ الْعَسَلِ فَإِذَا  
 اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ إِذَا  
 كَانَ شَيْءٌ فِي قَلْبِهِ أَكْبَرُ

من الله تعالى عنده  
يقول له كذبت ليس  
الله تعالى أكبر في  
قلبك كما تقول فيشور  
من قلبه دخان يلحق  
بمنان السماء فيكون  
حجاباً لقائمه من

فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فإذا الحسن بن طي جالس على باب داره ففرغ العجوز وهي له منكسة فبعت غلامه فقام بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفني؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبي أنت وأمي أنت هو؟ قال نعم نعم ثم أمر الحسن فاشترى لها من شياء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بك وصلك أخي؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بثل ذلك ثم بعت بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها بك وصلك الحسن والحسين؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها عبد الله بألف شاة وألف دينار وقال لها لو بددت في لأنتيهما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عامر بن كرز من للسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من تيفت فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام؟ قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحده قلت أتيتك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بهناحك مكروه فأخذ عبد الله يده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفنها إلى الغلام وقال استنفق هذه فتم ما أدبك أهلك . وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بغيرك بنجبي وكان السخى الليث قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بغير معين فقال له في النوم نعم فباعه في النوم بغيره بنجبه فلما وقع بينهما العقد حمد هذا الرجل إلى بغيره فنحره في النوم فأنقذه الرجل من نومه فإذا السم يشج من نحر بغيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال له بعت من فلان بن فلان شيئا وذكرك الليث صاحب القبر قال نعم بعت منه بغيري بنجبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبى وقد رأيت في النوم وهو يقول إن كنت أبى فادفع نجيبى إلى فلان بن فلان وسماه . وقدم رجل من قريش من السفر فرجى رجل من الأعراب على قارة الطريق قد أقصده الدهر وأضر به للرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لئلا مابقى معك من النفقة فادفعه إليه فصب النعام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب ليضف فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما بيكيك لعلك استملت ما أعطيتك؟ قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عتبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله ما هؤلاء؟ قالوا يكون لدرهم فقال يا غلام اتهم فأعلمهم أن اللال والذار لهم جميعا . وقيل بعت هرون الرشيدى إلى مالك بن أنس رحمه الله خمسين دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيت خمسينا وتعطيه ألفا وأنت من رعيته فقال يا أمير المؤمنين إن لي من غلق كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم . وحكى أنه لم يحب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمه الله عليه شيئا من عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له إنها كانت تقنع بدون هذا؟ فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطها على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يشكم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا . وقال الأعشى اشكتك شاة عندي فسكن خيشمة بن عبد الرحمن يمودها بالنداء والشئ ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ قدوا لبنا وكان نحى لبد أجلس عليه فإذا خرج قال خذ ما هكت اللبد حتى وصل إلى في علة الشاة أكثر من ثلثائة

للمسكوت فيزداد ذلك الحجاب صلاة وملتئم الشيطان قلبه فلا يزال ينفع فيه وينفث وبوسوس إليه ويزين حتى يصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه . وفي الخبر «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء والقابض الصافية التي كل أدبها الكمال أدب قوالها تصير سبابة تدخل بالعبير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السبابة لا سبيل للشيطان إليه فبقى هو اجس فسانية عند ذلك لا تنقطع بالتحصن بالياء كانه قطع تصرف

دينار من بره حتى تخميت أن الشاة لم تبرا . وقال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة بلفي عنك خصال لحدثني بها ، فقال هي من غيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك إلا حدثتني بها فقال يأمر المؤمنين مامدت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما إلا كانوا أمن على مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكرت شيئا أعطيته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاءه فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال :

إنى صممت مع الصباح مناديا بأمن بيني على الفقى للسوان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال ديني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله . وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبأ إخوانه فقيل له إنهم يستحيون من مالك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيادة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه قيس بن سعد حتى فهو منه برى . قال فاستكرت درجته بالشيء لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت الفجر في مسجد الأعمش بالكوفة أطلب غربا لي فلما صليت وضع بين يدي حلة وعلنان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا إن الأعمش بن قيس الكندي قدم البصرة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة وعلنان . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى النيسابورى رحمه الله : سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعى المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئا فولد بعضهم مولود قال فجئت إليه وقلت له ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تضلل وتمنع وإنى درت اليوم على جماعة فكشفهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين ونادى نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشيء قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلى وقل لأولادى يغفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمائة دينار فاحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الندم تقدم إلى منزل الليث وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا للوضوء وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضوها بين يديه فقال هذا المال ليس لرؤيى حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا يتسخى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب اللولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدري أى هؤلاء أسخى . وروى أن الشافعى رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يسلمنى فلما توفى بلفه خبر وفاته فغفر وقال اتئوتى بتذكرته فأبى بها فنظر فيها فإذا على الشافعى سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غشلى إياه أى أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلونى عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سبا الخيرو آثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى - وكان أبوها صالحا - وقال الشافعى رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلفى عنه أنه كان ذات يوم راكبا سمارة فحركه فاقطع زره فلم يخطأ فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الحياط والله لا نزلت فقام الحياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الحياط واعتذر إليه من قتلها وأنشد الشافعى رحمه الله نفسه :

الشیطان والقاصوب  
للراة بالقرب تدرج  
بالقريب ولعرج فى  
طبقات السموات وفى  
كل طبقة من أطباق  
السما يتخلف شىء من  
ظلمة النفس ويقتدر  
ذلك على المجاس إلى  
أن يتجاوز السموات  
ويقف أمام العرش  
فصند ذلك يذهب  
بالكلية هاجس النفس  
بساطع نور العرش  
وتدرج ظلمات النفس  
فى نور القلب اندراج  
الليل فى النهار وتتأذى  
حينئذ حقوق الآداب  
على وجه الصواب .  
وما ذكرنا من أدب  
الصلاة يسير من كثير  
وشأن الصلاة أكبر  
من وصفنا وأكمل من  
ذكرنا وقد غلط  
أقسام وظنوا أن

يألف قلي على مال أجود به على للقلين من أهل للروآت  
إن اعتدأرى إلى من جاء يسألني ما ليس عندي لمن إحدى للصيات

وعن الريع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال ياربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني . وقال الريع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بشرة آلاف دينار فضرب خبائه في موضع خارج عن مكة وشراها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر وتفض الثوب وليس عليه شيء . وعن أبي ثور قال أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يسك شيئا من ماله قتلته له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فأسأله عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكن أن أشتريها لمرفق بأصلها وقد وقف أكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا ليكون لأصحابنا إذا حجوا أن يزلوا فيه وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول :

أرى نفسي تنوق إلى أمور يقصر دون مبلغها مالي  
فنفسى لا تطاوعنى يخلل ومالى لا يلفنى فمالي

وقال محمد بن عباد للهلي دخل أنى على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين: منع الوجود، سوء ظن بالمسود ، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبيك ؟ قال أبكى على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى . ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلًا قبل منه لللدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول اللقائم فكتب إليه يقول :

إن حراما قبول مدحتنا وترك ما يرجى من الصفد  
كما التزم والدناير في البيع حرام إلا يدا يد

فلما وصل البيتاني إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا وجئت بدواة فكتب إليه :

أعجلتنا فأناك عاجل برنا قلا ولو أمهلنا لم تقل  
نخذ القليل وكن كأنك لم تقل وتقول نحن كأننا لم نعمل

وروى أنه كان لعثمان على طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد فقال له طلحة قد تبوأ مالك فأقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . وقالت سمدي بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه قتلًا قتلته له مالك ؟ فقال اجتمع عندي مال وقد غنى فقلت وما يشعك ادع قومك فقال بإغلام على بقوى قسمه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربع مائة ألف . وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتغرب إليه برحم فقال إن هذه الرحم مأسأى بها أحد قبلك إن لى أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فأقبضها وإن شئت بنها من عثمان ودفعت إليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن . وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبيك فقال لم يأتني ضرب منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهاننى . وآتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ماجاء بك ؟ قال على أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجها إليه وعاد يسأل فقالت امرأته لم أعطيه إذ شق عليك فقال إنبا أبكى لأنى لم أفتقد حاله حتى احتاج إلى مفاتيحي فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

للقصود من الصلاة  
ذكر الله تعالى وإذا  
حصل الذكر فأى  
حاجة إلى الصلاة  
وسلكوا طرقا من  
الضلال وركنوا إلى  
أباطيل الخيال وهو  
الرسوم والأحكام  
ورفضوا الحلال  
والحرام وقوم آخرون  
سلكوا في ذلك طريقا  
أدتهم إلى قصان الحال  
حيث سلموا من  
الضلال لأنهم اعترفوا  
بالفرائض وأنكروا  
فضل النوافل واغترخوا  
يسير روح الحال  
وأهلوا فضل الأعمال  
ولم يعلموا أن الله في  
كل هيئة من الهيئات  
وكل حركة من  
الحركات أسرارها  
وحكما لا توجد في شيء  
من الأدكار والأحوال

## (بيان ذم البخل)

قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وقال تعالى ولا يحسن الدين يخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما جئوا به يوم القيامة وقال تعالى - الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودماءهم فاستحلوا محارمهم ودماءهم قطعوا أرحامهم» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة غيل ولا خب ولا خائن ولا سيء المسكة» (٣) وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منافق وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يفضي ثلاثة الشيخ الزاني والبخل اللان والليل الختال» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل للنفق والبخل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن تديهما إلى تراقيهما فأما للنفق فلا ينفق شيئا إلا سيفت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنيانه وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قلعته ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت تراقيه فهو يوسمها ولا تتسع» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش إن الله لا يحب الفاحش ولا للتفحش وإياكم والشح فأما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة قطعوا» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ وأما الشح فإن الشح الحديث ولأبي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح فأما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة قطعوا وأمرهم بالهجر فهجروا (٢) حديث إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودماءهم فاستحلوا محارمهم ودماءهم قطعوا أرحامهم الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ حرمتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة غيل ولا خب ولا خائن ولا سيء المسكة وفي رواية ولا منافق أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا منافق في عند الترمذي وله ولا بن ماجه لا يدخل الجنة سيء المسكة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث إن الله يفضي ثلاثة الشيخ الزاني والبخل اللان والفحش الختال الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله البخل اللان وقال فيه الغنى الظالم وقد تقدم للطبراني الأوسط من حديث علي بن أبي حمزة ليغض الغنى الظالم والشيخ الجهور والمائل الختال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل النفق والبخل كمثل رجلين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخاري من حديث سعد وتقدم في الأذكار (٩) حديث إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنها وأما بالبخل فبخلوا وبالفحش فهجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرا على ذكر الشح

والأعمال بروح وجسمان وما دام البعد في دار الدنيا إعراضه عن الأعمال عين الطين فالأعمال تركو بالأحوال والأحوال تنمو بالأعمال .

[ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره ]  
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر » وقيل ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويندب برد الظالم إلا الصوم فإنه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لي فلا يتقص أحد منه شيئا . وفي الخبر « الصوم لي وأنا أجزى به » قيل أضافه إلى

« شرماني الرجل شح هالـع وجبن خالـع <sup>(١)</sup> » وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت : واشهدها فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فقله كان يتكلم فيما يبعثه أو يبخل بما لا ينقصه <sup>(٢)</sup> » وقال جبير بن مطعم « بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقلعة من خير إذ علقت رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى حمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه الضياء لعماء لقمته بينكم ثم لا تجدونني غيلا ولا كذبا ولا جبانا <sup>(٣)</sup> » وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال انهم يخبروني بين أن يسألوني بالفحش أو يخلفوني ولست ياخذ <sup>(٤)</sup> » وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بئر فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه قانثيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قالا فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيت ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألني فينطلق في مسأله متأبطا وهي نار فقال عمر فلم تطعمهما هواري فقال يابون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل <sup>(٥)</sup> » وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجوّدوا بحمد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة طوبى وهما أغصانها بأغصان سدره للنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بنصن منها أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقتله وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بنصن منها أدخله النار <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخل <sup>(٧)</sup> »

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش <sup>(١)</sup> حديث شرماني الرجل شح هالـع وجبن خالـع أبو داود من حديث جابر بسند جيد <sup>(٢)</sup> حديث وما يدريك أنه شهيد فقله كان يتكلم فيما لا يبعثه أو يبخل بما لا ينقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وللبيهقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت لهنك الشهادة وهو عند الترمذي إلا أن رجلا قال له أبشر بالجنة <sup>(٣)</sup> حديث جبير بن مطعم بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقلعة من حنين علقت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة <sup>(٤)</sup> حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقلت وفيه ولست ياخذ <sup>(٥)</sup> حديث أبي سعيد في الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر قانثيا وقالا معروفا الحديث وفيه ويأبى الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبراء بنحوه ولم يقل أحمد إنهما سألاه ثمن بئر ورواه البراء من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم فقالت <sup>(٦)</sup> حديث ابن عباس الجود من جود الله فجدوا بحمد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له وله في مسنده ولم أنف له على إسناد <sup>(٧)</sup> حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرج له وله في مسنده .

نفسه لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية وأيضا لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى - الصالحون - أنهم ساءحوا إلى الله تعالى بمجوعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - هم الصالحون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم إفراغا ويجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم الصوم . وقال



وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فد بن حليان من سيدكم يا بني حليان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح <sup>(١)</sup> وفي رواية أنهم قالوا « سيدنا جد بن قيس » فقال بهم تسودونه ؟ قالوا إنه أكثر مالا وإنا على ذلك نرى منه البخل فقال عليه السلام : وأى داء أدوا من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يفض البخل في حياته السخى عند موته <sup>(٢)</sup> وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل <sup>(٣)</sup> وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد <sup>(٤)</sup> » وقال أيضا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم عند الله من الشح حلف الله تعالى بزمته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل <sup>(٧)</sup> » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك نصف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني فكلما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لا تحرقني ببارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو كنت بين الركن والقمام ثم صليت ألقي ألف عام ثم بكيت حتى تهز من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت تسمي لأبيك الله في النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يخل فاعلم يخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - <sup>(٨)</sup> » الآثار ، قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله

(١) حديث أبي هريرة من سيدكم يا بني حليان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يا بني سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التي قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن (٢) حديث علي إن الله يفض البخل في حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أجده إلا إسنادا (٣) حديث أبي هريرة السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل الترمذي بافظ ولجاهل سخي وهو بنية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبي هريرة لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد النساء وفي إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا ينبغي لمؤمن أن يكون جبانا ولا بخيلا لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأي ظلم أعظم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بشماهه وللترمذي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقوم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي الحديث في ذم البخل وفيه قال إليك عني لا تحرقني ببارك الحديث بطوله وهو باطل لأصل له .

يحيى بن معاذ إذا ابتلى للريد بكثرة الأكل بكت عليه اللانكسة رحمة له ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرق بآثار الشهوة وفي قس ابن آدم ألف ضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فإذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه يس كل عضوا واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله وإذا أبعج بطنه وترك حلقه في لذات الشهوات قد رطب أعضائه وأمكن الشيطان ، والشح نهر في النفس ترويه الشياطين والجوع نهر في الروح ترويه اللانكسة . وينهزم الشيطان من جائع نائم فكيف إذا كان

جنة عدن قال لها تزيى قزيت ، ثم قال لها أظهرى أنهارك فأظهرت عين السلسيل وعين الكافور وعين التسنيم فتضرع منها في الجنان أنهار الحمر وأنهار العسل والبن ثم قال لها أظهرى سرورك وحبائك وكراسيك وحليك وحورك عينك فأظهرت فطر إليها قال تسكلى قالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزني لأسكك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أف للبخيل لو كان البخل قريبا مالبسته ولو كان طريقا ماسلكته ، وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نصبر ، وقال محمد بن النكدر كان يقال : إذا أراد الله ب قوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان عضوض بعض اللوسر على مافي يدمو لم يؤمر بذلك قال الله تعالى - ولا تنسوا الفضل بينكم - وقال عبدالله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذى يشع على مافي يد غيره حتى بأخذه ويشع بمافي يده فيحبسه والبخل هو الذى يبخل بمافي يده . وقال الشعبي لأدري أيهما أهد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تسكلم فقال خير الناس من ألقى سخييا وعند الغضب وقورا وفى القول متأنيا وفى الرقة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا ، وقام الرومى فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم يزل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النجعة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك فى قوله تعالى - إنا جعلنا فى أعناقهم أغلا لا قال البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة فى سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : مامن صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لمسك تلقا وعجل لمنفق خلفا . وقال الأصمعي صمت أعرايا وقد وصف رجلا فقال لقد صفر فلان فى عيني لعظم الدنيا فى عينه وكأما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى أن أعدل بخيلا لأن البخل يجعله على الاستئصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يبين فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : والله ما استقى كريم قط حقه . قال الله تعالى - عرف بضه وأعرض عن بعض - وقال الجاحظ مابق من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل التديد وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البخيل لا غية له قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخيل <sup>(١)</sup> » . وودعت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوماة قومة إلا أن فيها بخلا قال لها خيرا إذا <sup>(٢)</sup> » وقال بشر : النظر إلى البخيل يفسى القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : مافي القلب للأسحاء إلا حب ولو كانوا أفاعرا أو للبخلاء إلا بغض ولو كانوا أبرارا . وقال ابن السزى أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه . ولحق يحيى بن زكريا عليها السلام إبليس فى صورته فقال له يا إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلى المؤمن البخيل وأبغض الناس إلى الفاسق السخي قال له لم أقال لأن البخل قد كفاني بخله والفاسق السخي أخوف أن يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

### (حكايات البخلاء)

قيل كان بالصرة رجل موسر بخيل فدماه بعض جيرانه وقدم إليه طباهجة بيض فأكل منه فأكثر <sup>(١)</sup> حدث أنك لبخيل [١] (٢) حدث امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوماة قومة إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم فى آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخيل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره ولم يخرجه الشارح أيضا فلينظر اه .

قائما ويماق الشيطان  
شما نا قائما فكيف  
إذا كان نائما قلب  
الريد الصادق يصرخ  
إلى الله تعالى من طلب  
النفس الطعام والشراب  
دخل رجل إلى  
الطيلسى وهو يأكل  
خبزا يابس قد به بالماء  
مع ملح جريش فقال  
له كيف تشتهي هذا  
قال أدعه حق أشتيه  
وقيل من أسرف فى  
مطعمه ومشربه يعجل  
الصنار والدل إليه فى  
دينه قبل آخرته وقال  
بعضهم الباب العظيم  
الذى يدخل منه إلى  
الله تعالى قطع الغذاء  
وقال بشر إن الجوع  
يصفى القواد ويميت  
الهوى ويورث العلم  
الذيق وقال ذوالنون  
ما أكلت حتى شبع

وجعل يشرب الماء فاتنخ بطنه ونزل به الكرب واللوث فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لأبأس عليك : ثمياً ما أكلت فقال هاه أقمياً طباهجة يريض اللوث ولا ذلك، وقيل أنبل أعرابي يطلب رجلاً وبين يديه تين قطي التين بكسائه جلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن من الفرن شيئا قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال واين التين قالهوتحت كسانك ، ودعا بعضهم أخاه ولم يطعمه شيئا فحبسه إلى الصبح حتى اشتد جوعه وأخذته مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بجيأت أي صوت تشتهي أن أسمحك قال صوت للقل ، وبكى أن محمد بن يحيى ابن خاله بن برمك كان بخيلا قبيح البخل ففشل نسيب له كان يرفقه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي قتر في قتر ومحفاه منقورة من حب الحشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فلما يأكل معه أحد قال بلى اللهاب فقال سواتك بدت وأنت خاص بهو ثوبك عقرق قال والله ما أقدر على إبرة أخبطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد إلى النوبة لمولوا إبراهيم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما ياقوت النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخط بها قميص يوسف الذي قد من دير مافعل . ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له نراك لاتأكل إلا الرؤس في الصيف والشتاء فمخار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فأمّن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يضيئ فيه وليس يلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إن مس عينا أو أذن أو أخدا وقتت على ذلك وأكل منه ألوانا عينه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وغلصته لونا ودماغه لونا وأكفى مؤنة طبخه قد اجتمعت لي فيه مرافق وأخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله مالي عليك إن رجعت بالجائزة فقال إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفا فأعطاه أربعة دنانق واشترى مرة لحما بدرهم فدهاه صديق له فرد اللحم إلى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان لا يزال يمرض عليه للزلزل ويقول : لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً فيأبى عليه الأعمش فمرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سربنا فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد عليه النسيئة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والإله أخرجت إليك بالصا قال فناداه الأعمش وقال اذهب وبورك فلا والله ما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فوافقه ما زادني عليهما .

(بيان الإِشَارَة وَفَضْلُهُ)

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإثاره وأن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإنما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه المحتاج أو لتفريق محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكان السخاوة قد تنهى إلى أن يسخر الإنسان طى غيره مع الحاجة فالبخل قد ينهى إلى أن يخل طى نفسه مع الحاجة فكمن يخل بمسك للال ويعرض فلا يتداوى. ويشهى الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لأكلها ، فهذا يخل طى نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر طى نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فان الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإثار درجة فى السخاء ، وقد أثنى الله طى الصحابة رضى الله عنهم به فقال – ويؤثرون طى أنفسهم ولو كان بهم خصاصة – وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أما امرئ اغتشى شهوة فردّ شهوة وأثر طى نفسه غفر له (١)» وقالت عائشة رضى الله عنها «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

(١) حديث أيماء رجل انتهى شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه غفر له ابن جبان في الضعفاء وأبو الشيخ

ولا شربت حقى رويت

إِلَّا عَصَيْتَ اللَّهَ وَحُمُتَ

بعضية. وروى القاسم

ابن محمد عن عائشة

رضی اللہ عنہا قالت :

كان يأتي علينا الشهر

و نصف شهر مائتدخل

يَمِينًا نَارُ لَالِصَبِيح

ولألفيه قال قلت

سُبْحَانَ اللَّهِ فَبِأَيِّ

شیء کنتم تعیشون

قالت بالتمر والماء وكان

لنا جيران من الأنصار

جزا ہم اللہ خیرا کانت

لهم منافع فرجا واسونا

بشی، و روی آن

حفصة بنت عمر رضی

الله عنهما قالت لا يها

إِنَّ اللَّهَ قَدِ ابْتَدَعَ الرِّزْقَ

فلو اكلت طعاما

أكثر من طعامك

ولم يستجيبوا اليها من

فِيَا بَيْتَ قَهَالٍ إِنِّي

حاصلت إلى نفس

حق فارق الدنيا ولوشئنا لشبعنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا (١) « ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حق أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من ضيفكم الليلة إلى ضيفكم ونزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) « فالسقاء خلق من أخلاق الله تعالى والإشارة أعلى درجات السقاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حق سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى - وإنك لى خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليله عظيمة فضله بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فظهر لى منزلة كادت تطفئ نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به لى هذه الكرامة قال خلقى اختصاصه به من بينهم وهو الإشارة ، يا موسى لا يأتى أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسنه وبوأته من جنى حيث يشاء . وقيل خرج عبد الله ابن جعفر لى ضيعة له فقتل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يحمل فيه إذ أتى السلام بقوة فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثانى والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم أترت به هذا الكلب قال ماهى بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جامعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال لما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السقاء إن هذا الغلام لأمنى منى فاسترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعق الغلام وهو به منه ، وقال عمر رضى الله عنه : أهدى لى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخى كان أحوج منى إليه فبعت به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به لى آخر حتى تداوله سبعة آيات ورجع الى الأول ، وبات على كرم الله وجهه لى فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام : انى أخيت يينكما وجعلت عمر أحكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأجابها ، فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتم مثلى على بن أبى طالب أخيت يينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا لى الأرض فاحفظاه من عدوة فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول حج بمنى مثلك يا ابن أبى طالب والله تعالى يباهى بك الملائكة فأقر الله تعالى - ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبى الحسن الأنطاكى أنه اجتمع

فى الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولوشئنا لشبعنا ولكننا نؤثر على أنفسنا البيهقى فى الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبر برحق مضى لسبيله وللتحسين ماشيع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٢) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به الى أهله الحديث فى نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله الى جبريل وميكائيل انى أخيت يينكما وجعلت عمر أحكما أطول من الآخر

ألم يمكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لأعاريكه فى عيشه الشديد لى أصيب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما غفلت لعمر دقيقا إلا وأنا له عاض . وقالت عائشة رضى الله عنها : ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبر برحق مضى لسبيله . وقالت عائشة رضى الله عنها : أديموا قراع باب لللكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والبطش والظلم . وقيل ظهر لى لى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق قال ما هذه قال

عنده نيف وثلاثون تسعا وكانوا في قرية بقرب اليرموك أرغفة ممدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا إشارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فنزع خبثه من سقف بيته فأعطاه ثم اعترد إليه . وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي ومضى شيء من مادي وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به قتلته أسيتك فأغار إلى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي إلى أن اطلق به إليه فقتله فاذا هو هشام بن العاص قتلته أسيتك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام اطلق به إليه فقتله فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا لآخر بن الحرث فاته أمه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوباً فلبس فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بداية ميتة فضعنا إلى موضع حال وقعدنا فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة لما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقى العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلاً ثم انصرف ، وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب القفر والزهدي فلا حاجة إلى الإعادة هنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

### ( بيان حد السخاء والبخل وحقيقتها )

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وماذا يصير الإنسان بخيلاً ؟ وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخياً وباراه غيره بخيلاً وقد يصدرفعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخيل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويجد من نفسه حياء للسال ولأجله يحفظ السال ويسكنه فان كان يصير بمساك السال بخيلاً فاذا لا ينفك أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقاً لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الامساك لما الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به البعد صفة السخاوة وثوابها فنقول : قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخل وهذا غير كاف فان من رد اللحم مثلاً إلى القصاب والخبز للخباز بقصان حبة أو نصف حبة فانه يحد بخيلاً بالاشفاق وكذلك من يسلّم إلى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضيقهم في لقمة ازادوها عليه أو غرة أكلوها من ماله يحد بخيلاً ومن كان بين يديه رغيف لحضر من يظن أنه يأكل معه فأخذه عنه عديلاً وقال قائلون : البخل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضاً قاصر فانه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا لما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو السال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من وإسعاف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الحديث في نزول قوله تعالى - ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله - أحد مختصراً من حديث ابن عباس شري على نفسه فليس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم فلم مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أتف لهذه الزيادة على أصل ، وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر .

الشهوات التي أصيب

بها ابن آدم قال هل

تجد لي فيها شهوة قال

لا غير أنك شبعت ليلة

فقتلتك عن الصلاة

والذكر فقال لا جرم

إني لا أضيع أبداً قال

إلى ليس لا جرم إني

لأنصح أحداً أبداً .

وقال شقيق العباد

سرفوقا حوانتها الحلوة

وآلها الجوع . وقال

لقمان لابنه إذا ملئت

للعة نامت الفكرة

وخرست المحسنة

وقعدت الأعضاء عن

العبادة . وقال الحسن

لا تجمعوا بين الأدمين

فانه من طعام للناقين

وقال بعضهم أعود بالله

من زاهد قد أفسدت

معدته ألوان الأغذية

فيكره للريد أن

يولى في الإفطار أكلة

من غير مسألة على رؤية التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعيد لله عز وجل فعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل أكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وأكثر غيره باللفة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل، وبوجهة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول : المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله للصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الإمساك تذيير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا تبخل يدك منقولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً - فالجود وسط بين الاسراف والاعتار وبين البسط والتبسط وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكتفى أن يفعل ذلك بجوارحه مما يمكن قلبه طيباً به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل وتسه تازعه وهو يصارها فهو متسخر وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقوفاً على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله . فأقول : إن الواجب قسبان واجب بالشرع واجب بالمرودة والهدة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع واجب أداء الزكاة وينع عياله وأهله النفقة أو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أجعل كالذي يمنع أداء الزكاة وينع عياله وأهله النفقة أو يؤدبها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وإنما يتسخر بالتسكف أو الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل . وأما واجب المرودة فهو ترك الضيقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقيم واستنباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن أكثر ماله استقص منه ما لا يستقيم من الفقير من الضيقة ويستقيم من الرجل الضيقة مع أهله وأقاربه ومالكه مالا يستقيم مع الأجانب ويستقيم من الجار مالا يستقيم مع البعيد ويستقيم في الضيقة من الضيقة مالا يستقيم في المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من الضيقة في ضيقة أو معاملة وبما به الضيقة من طعم أو ثوب إذ يستقيم في الأطعمة مالا يستقيم في غيرها ويستقيم في شراء الكفن مثلاً وشراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقيم في غيره من الضيقة وكذلك بمن معه الضيقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وعن منه للضيقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المرودة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك القرض هو أم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فشاغ الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المرودة أهم من حفظ المال والضائق في الدقائق مع من لا تحسن الضيقة معه هاتك ستر المرودة حب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل بمن يؤدي الواجب ويحفظ المرودة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافداً لدرجاته في الآخرة وإمساك المال عن هذا القرض بخل عند الأكياس وليس يمتثل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضاً

من أربعة أليم فان النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتنسج بالسهوة . وقيل الدنيا بطناك فلي قدر زهدك في بطناك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « ماملأ آدمي وعاء شراً من بطن حسب ابن آدم قنات يقمن عليه فان كان لا هالة خلت لطماعه وثلاث لشرا به وثلاث لنفسه » وقال تميم الموصلي : صحبت ثلاثين شيخاً كل يوصيني عند مفارقتي بإياه ترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار ]  
جمع من الشاغل

سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج لثمنه وقال قد أدبت الزكاة الواجبة وليس على غيرها اختلاف استعجاب ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه لمن أدى واجب الشرع وواجب الروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل ، نعم لا يتصف بسفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطالب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتصفت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه اللامعة في العادة فهو جواد يقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاضطاع للعروف وراء ما توجه العادة والروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو يبيع وليس بجواد فانه يشتري للدخ بماله وللدخ لثمنه وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الأدمى فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لفرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهباء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يشوقه من تهنئته من التمس عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض معجلة له عليه فهو محتاض لأجواد كما روى عن بعض التبعيدات أنها وقت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أماله عن مسألة فقالوا لها سلى حمائث وأغاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والأيثار قالت هذا السخاء في الدنيا لما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سعية بها أنفسنا غير مكروهة قالت تريدون على ذلك أجرا ؟ قالوا نعم قالت وإلّا قالوا لأن الله تعالى وعدنا بالحسنه عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتهم عليه قالوا لها في السخاء عندكم يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متتبعين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشيء ؟ إن هذا في الدنيا قبسح وقالت بعض المتبعيدات أن محسوبون أن السخاء في الدرهم والدinar فقط قيل فقيم قالت السخاء عندي في اللهب وقال الهامسي السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك يبذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بساحا من غير إكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا أجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن بغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك.

### ( بيان علاج البخل )

اعلم أن البخل سببه حب للمال ولحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فان الانسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربحا أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة مجنة مجنة » (١) فاذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجي الرزق قوى البخل لعمالة. السبب الثاني : أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بعداواة نفسه عند

(١) حديث الولد مبخلة زاد في رواية حمزة ابن ماجة من حديث يعلى بن مرة دون قوله حمزة نترواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبراز من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح.

الصوفية كاتوا بدمعون

الصوم في السفر والحضر

على الصوم حتى لحقوا

بأهل تعالى . وكان

أبو عبد الله بن جابر

قد صام ثيفا وخسين

سنة لا يضطر في السفر

والحضر فجهده به

أصحابه يوما فأفطر

فاعتل من ذلك أياما

فاذا رأى المريد صلاح

قلبه في دوام الصوم

فليصم دائما ويدع

للإفطار جانبا فهو

عون حسن له على

ما يريد . روى

أبو موسى الأشعري قال

قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « من

صام الدهر ضيق

عليه جهنم هكذا وقد

تسعين » أي لم يكن له

فيها موضع وكره قوم

صوم الدهر وقد وزد

للرض بل صار حبا للذنانير عشقا لما يلتذ بوجودها في يده وقدرته عليها فيسكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت ففضيع أوبأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمع نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض القلب عسير العلاج لا سيما في كبار السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب ونسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الذنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الوصول إلى اللذيذ لا يذمهم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقافهوا جاهل بالإمان حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير والبصبر وتعالج طول الأمل بكثير ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تمهيم في جمع المال وضياعه بصدقه وتعالج النفقات القلب إلى الولد بأن خافه خلق معه رزقه وكمن ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن بمن ورث وبأن يعلم أنه يجمع للمال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شروان ولده إن كان تقيا صالحا فانه كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على اللصية وترجع مظلمته إليه ويصلح أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ووفرة الطبع عنهم واستباحتهم له فانه ما من بخل فيلاويستحب البخل من غيره ويستقل كل بخل من أصحابه فيعلم أنه مستقل ومستقدر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويصلح أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لما دأب خلق ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة حاجت رغبته في البذل إن كان حاقلا فان تحركت الشهوة فينبغي أن يحب الحائط الأول ولا يتوقف فان الشيطان يمدد الفقر ويغويه ويصد عنه . حتى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذه له وقال انزع عن القميص وادفنه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم أتمن على نفسي أن تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كالأبوزول العشق إلا بمغارقة للمشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تحمل عنه قلبه فسد ذلك الذي يريد علاج البخل فينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لورماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينهطف بعد ذلك على الرياء ويؤذبه بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسليية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالصافير وغيرها لا يبخل واللعب ولكن لينفك عن الثدي إلى شيء ثم ينقل عنه إلى غيره فسد ذلك هذه الصفات الخبيثة فينبغي أن يسلط بعضها على بعض كالتسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورتها بها ويسيء الغضب على الشهوة وتكسر رعوها بها إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع من علة ويزيد في أخرى مثله إلا أن علامة ذلك أن لا يقل عليه البذل لأجل الرياء فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن اللبث تسحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الدبدبان البعض حتى يقل عددها

في ذلك ما رواه أبو قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال «لا صام ولا أفطر» وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر الميدين وأيام التشريق فهو الذي يكره وإذا أفطره هذه الأيام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد «أفضل الصيام صوم أخي داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما» واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر . ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم



ثم يأكل بعضها بضاحتي ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداهما  
الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبق جائمة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الحسية  
يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يجمعها ويحمل الأضعف قوتا للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة  
ثم تقع العناية بمحوها وإزالتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل  
بغضاضها فانها تقتضي لأعماله أعمالا وإذا خولفت خدمت الصفات وامتنعت البخل فانه يقتضي إمساك  
المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل بطنا وسقط  
التعب فيه فان علاج البخل يعلم وعمل قائم يرجع إلى معرفة آفة البخل وقائلة الجود والعمل يرجع  
إلى الجود والبذل على سبيل التكليف ولكن قد يقوى البخل بحيث يصعب ويصعب فيمنع تحقيق المعرفة  
فيه وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة ممتنة كالمرض الذي يمنع معرفة  
الدواء وإمكان استماله فانه لأجله فيه لا يصبر إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية  
في معالجة علة البخل في الريدين أن يمنهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توم في مريد فرحه  
بزايته وما فيها فله إلى زاوية غيرها وقيل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مملكته وإذا رآه  
يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره ببيعها إلى غيره ويلبسه ثوبا خفيا لا يعلم  
إليه قلبه فهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن يسلط هذا السيل أنس بالدنيا وأحبها فان كان له  
ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد من ألف مصيبة بقدر حبه فاذا مات نزل  
به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يجب السكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر الهية بالفقد  
والهلاك . حمل إلى بعض المالك قدح من قير وزج مرصع بالجواهر لم يره نظير قدح الملك بذلك فرحا  
شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو قبرا قال كيف قال إن كسر كان  
مصيبة لأجيرها وإن سرق صرت قبرا إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن تعمل إليك في من المصيبة  
والفقير ثم اتفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكماء لته لم يحمل  
إلينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لأعداء الله وتسوقهم إلى الدار وعدوة أولياء الله  
إذ تمنهم بالصبر عنها وعدوة الله إذا قطع طريقه على عباده وعدوة قسما فانها تأكل نفسها فان المال  
لا يحفظ إلا بالجزأئ والحراس والجزأئ والحراس لا يمكن تحصيها إلا بالمال وهو بذل الدرهم والدنانير  
فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه  
إلا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا ييخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ييخل ولا يحتاج إليه فلا  
يتعب نفسه بحفظه فيناله بل كالماء على شط الدجلة إذ لا يسلط به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة.

( بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله )

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الرافق ويستخرج منها  
الترافي ويأخذها الغافل فيقتله معها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سمل إلى إلا بالهافظة على  
خمس وظائف : الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لما ذاق خلق وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتب ولا يحفظ  
إلا قدر الحاجة ولا يعطيه من ماله فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى جهة دخل المال فيجنب الجرام  
المحض وما الغالب عليه الحرام كال السلطان ويحتجب الجهات السكرورة الهادحة في الروعة كالهدايا  
التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه القلة وهناك الروعة وما يجري مجرله . الثالثة : في التقدير  
الذي يكتبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعاره الحاجة والحاجة لميلس وممكن  
ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام ما نال إلى جانب القلة ومتقربا من حد

يوما ويفطر يومين  
ومنهم من كان يصوم  
يوم الاثنين والخميس  
والجمعة . وقيل : كان  
سبل بن عبد الله يأكل  
في كل خمسة عشر يوما  
مرة وفي رمضان يأكل  
أكلة واحدة وكان  
يفطر بالماء القراح  
للسنة . وحكى عن  
الجنيد أنه كان يصوم  
على الدوام فإذا دخل  
عليه إخوانه أفطر معهم  
ويقول ليس فضل  
للمساعدة مع الإخوان  
بأقل من فضل الصوم  
غير أن هذا الاقطار  
يحتاج إلى علم فقد  
يكون الباعى إلى ذلك  
شبه النفس لانيئة  
للوافة وتخلص النية  
لخص الوافقة مع  
وجود شره النفس  
صعب ، وصحت شيئا

الضرورة كان حقا ويحيى من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاربة لا آخر لعمقها وقد ذكرنا  
تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن يراعى جهة الخرج ويقتصد في الاتفاق غير  
مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فإن الأثم في  
الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك  
والاتفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ويستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقار له  
إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع مافي الأرض  
وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتسكن  
جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ميامين على العبادة فإن أبعد الحركات عن  
العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما ميمان على العبادة فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة  
في حقك وكذلك ينبغي أن تسكن نيتك في كل ما يحفظك من قبض وإزار وفرش وآنية لأن  
كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن يتفنع به عبد من  
عباد الله ولا يغنه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وزيادتها  
واقى معها فلا تنصره كثرة المال ولكن لا يتأق ذلك إلا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه  
والعامي إذا تشبه بالعامي في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي  
يرى للزعم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ريقا فيقتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا  
صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به تقتله في الحال إلا أن تقتل الحية يدرى أنه  
قتيل وقتيل السال قد لا يعرف وقد شهت الدنيا بالحية قتيل :

هي دنيا كحمة تنفق السهم وإن كانت الحمة لانت

وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحر والطرق المشوكة لضعف  
أن يتشبه العامي بالعامي الكامل في تناول المال .

( بيان ثم التفتي ومدح الفقر )

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل التفتي الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر  
والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكننا في هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأعلى من التفتي  
على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال وتقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي  
رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصعابة وبكثرة  
مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم للماملة وله السبق على جميع  
الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال  
بعد كلام له في الرد على علماء السوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون  
وتصلون وتصدقون ولا تملكون مؤتمرون وتدرسون ولا تعلمون فيا سوء ما تحمكون تتوبون بالقول  
والأمانى وتصلون بالهوى وما ينهى عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تسكنوا  
كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أنفواهم  
ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقض من الدنيا شهوته ولا تنقطع  
منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل  
تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى  
الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للدينين وتقيمون في محل التبحر بن

يقول لى سنين ما أكلت  
شيئا بشهوة نفس ابتداء  
واستدما . بل يقدم إلى  
الشيء فأراه من فضل  
الله ونعمته وفصله  
فأوافق الحق في فعله .  
وذكر أنه في ذات يوم  
اشتهى الطعام ولم يحضر  
من عادته تقديم الطعام  
إليه قال . ففتحت باب  
البيت الذى فيه الطعام  
وأخذت رمانة لأكلها  
فدخلت السنسور  
وأخذت دجاجة كانت  
هناك فقلت هذا عقوبة  
لى على تصرفى فى أخذ  
الرمانة . ورأيت الشيخ  
أبا السعود رحمه الله  
يقول الطعام فى اليوم  
مرات أى وقت أحضر  
الطعام أكل منه  
ويرى أن تناوله للطعام  
مواقة الحق لأن حاله  
مع الله كان ترك الاختيار  
فى ما كوله وملبوسه

كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركبوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا ينفي عن البيت المظلم أن يوضع  
 السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا ينفي عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم  
 منه وحشة متعطلة يابيد الدنيا لا كسيد أضياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تغلظكم عن  
 أصولكم فتلقكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تدفعكم  
 من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سواكم ثم يمجزيكم بسوء  
 أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله إخواني فلو شاء علماء السوء شياطين الإنس وقتة على الناس رغبوا  
 في عرض الدنيا ورفضها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في المأجل عاج وشين وفي الآخرة  
 هم الخاسرون أو يصفو الكريم بفضل [ويبد] فأنير آيات الهالك المؤثر للدنياسوره مجزوع بالتنصيص  
 فيتبع عن أنواع المهوم وفنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح الهالك بمراته فلم يتبق له  
 ديناه ولم يسلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين - فيالهم من مصيبة ما ألقطها  
 ورزية ما أجلسها لأفراقوا الله إخواني ولا يفرتكم الشيطان وأولياؤه الأسنين بالحجج الداحضة  
 عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأخسهم الماذير والحجج ويزعمون أن أصحاب  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيترين المترورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على  
 جمع المال ولقد هاهم الشيطان وما يصرعون ويحك أيها المفتون إن احتججك بما لعبد الرحمن  
 ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك قهلك لأنك متى زعمت أن أخبار الصحابة  
 أرادوا المال للتكاثر والشرف والريثة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن  
 جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهدة  
 في هذا الخير الذي رغب في أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال  
 كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال (١) وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم زعمك  
 حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة  
 ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر  
 لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم الفضل  
 في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت علم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغب في الاستكثار كأنك  
 أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بقلبك مادهاك به الشيطان  
 حين زين لك الاحتجاج بماله الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بماله عبد الرحمن بن عوف وقد  
 ودَّ عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يوت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن  
 ابن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نضاهى على عبد الرحمن  
 فيما ترك فقال كعب سبحانه الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأتقى طيبا وترك طيبا  
 فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا ثم يعظم لحى يعير فأخذه يده ثم انطلق يريد كعبا قيل  
 لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر  
 بقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فمادخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث التهي عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع  
 المال وأكون من التاجرين الحديث ولأبي نعيم والخطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث  
 الحارث بن سويد في أثناء الحديث لا تجمعوا مالا تأكلون وكلامها ضعيف .

وجميع تصاريفه وكان  
 حاله الوقوف مع فعل  
 الحق وقد كان له في  
 ذلك بداية يمز مثلها  
 حتى قل أنه كان يبق  
 أياما لا يأكل ولا يعلم  
 أحدهما ولا يتصرف  
 هو لنفسه ولا ينسب  
 إلى تناول شيء وينظر  
 فعل الحق لسياقه الرزق  
 إليه ولم يشعر أحد  
 بحالهم مدة من الزمان ثم  
 إن الله تعالى أظهر حاله  
 وأقام له الأصحاب  
 والسلامة وكانوا  
 يتكفون الأطعمة  
 ويأتون بها إليه وهو  
 يرى في ذلك فضل الحق  
 والواقفة - سمته يقول  
 أصبح كل يوم وأحب  
 ما إلى الصوم وينقض  
 الحق على محبة الصوم  
 بفعله فأوافق الحق في  
 فعله - وحكى عن بعض

أبي ذر قال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال « يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله فقال : الأكثرون هم الأقليون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدمه وخلفه وقيل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بآي أنت وأمي ، قال ما يسترني أنى مثل أحد أنفقته في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل (١) » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه غير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قيل غير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قبل بلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والسلميين يدخلون سعيًا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم جوا (٢) » فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاها أحررا لعل أن أدخلها معهم سعيًا وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا جوا (٣) » وبحك أيها القتون فما احتججك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وحقه وصنائه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره بالجنة (٤) أيضا يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأتقى منه قصدا وأعطى في سبيل الله ممحا منح من السعي إلى الجنة مع الفقراء للمهاجرين وصار يجو في آثامهم جوا . فساظنك بأماننا الترقى في فن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تحاليل الشبهات والسعت وتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزينة واللباهة وتقلب في فن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم

(١) حديث أبي ذر الأكثرون هم الأقليون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وتركه طيبا وإنكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد الحماسي بلقي كاذكره للصنف وقد رواها أحمد وأبو يعلى وأخضر من هذا لفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرغ أبو ذر صاه فضر كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ذهبا الحديث وفيه ابن لهيعة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والسلميين شحا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة جوا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل جوا دون ذكر فقراء المهاجرين والسلميين وفيه عماره بن زاذان يخالف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا جوا البراز من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولني تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف فيه خاله بن أبي مالك ضعه الجمهور (٤) حديث بشر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان. وقال أبو نصر السراج أنكر قوم هذه الخالفة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والأليق بمواقفة العلم بمضاء الصوم قال الله تعالى - ولا تبطلوا أعمالكم - ولكن أهل الصدق لهم نيات فما يعملون فلا يمارضون والصدق

أنتك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وقطعهم ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن قتيابه لأوليائه وأسأف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف ضائعك وفضل الصحابة ولمعري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتخفيف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأشفقوا قصدا وقد ماضوا فضلا ولم يمنوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبأنه أكد ذلك أنت والله إنك لعبد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أخيار الصحابة كانوا للسكنة عبيد ومن خوف الفقر آثمين وبالله في أرزاقهم واتقين وبقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا إلا للباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبأنه أكد ذلك أنت . وقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب جعلت عقوبته من الله وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشمار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كشيئا حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا مسرورا قليل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرجوا وأنت لست كذلك قال إنى إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا مالنا والدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تماهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونتمهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبأنه أكد ذلك أنت إنك لعبد الشبه بالقوم وأسأف لك أحوالك أيها اللغتون ضدا لأحوالهم وذلك أنك تطحن عند الثقي وتطير عند الرخاء وتخرج عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتغفل عند اللزراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأف من للسكنة وذلك غر للرسلين وأنت تأف من غرم وأنت تدخر المال وتجمع خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكثي به إغما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم فربت عليهم أجسامهم <sup>(١)</sup> » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال لبيد يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فبأنها حصرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك للسك في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تكره لقاء الله والله للقاتك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنياه فاتته اقرب من النار مسيرة شهر وقيل سنة » وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها . وقد بلغنا أن رسول الله

(١) حديث شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم الحديث تقدم ذكره في أوائل كتاب ذم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنياه فاتته اقرب من النار مسيرة سنة .

محمود لعينه كيف كان والصادق في خفارة صدقه كيف قلب وقال بعضهم إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتمه فانه قد اجتمع معه شيء من الدنيا . وقيل إذا كان جماعة متواقفين أشكالا وفيهم حميد يحشونه على الصيام فإن لم يساعدهو يهتجوا لافطاره ويتكلفوا له رقباه ولا يمحوا حاله على حالهم وإن كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لافطاره إلا من يأمره الشيخ بغير ذلك . وقيل إن بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب إليه فيتأدب به .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه»<sup>(١)</sup> وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفركك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تضي بأمر دينك أضاع ماتني بأمر آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دينك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضى المخاويين مساخطا لله تعالى كما تحرمك وتمظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إليك وهساك تخفى من المخاويين مساويك ولا تكرت بإطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكان العبيد أظى عندك قدرا من الله ، تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه الثابت فيك أف لك متلوا بالأقدار وتعتج بحال الأبرار هيهات هيهات ما أبعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهذ منكم فيما حرم عليكم إن الذى لا بأس به عندكم كان من اللوقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لسبائر المعاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شهاب أموالهم وليتك أشفت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إفطارهم وليت اجتهدك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسيحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أويغوا الله الكريم فضله [وبعد] فأنك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتخلف والبذل في سبيل الله قدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا . لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام أقطع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشهات للمزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجتأ على الشهات أوشك أن يقع في الحرام»<sup>(٢)</sup> أيها اللغور أماعلت أن خوفك من اقتحام الشهات أظى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبه لا قدرى أيجل لك أم لا فان زعمت أنك أتقى وأورع من أن تلبس بالشهات وإجماع السال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالقاء في الورع فلا تعرض لحساب فان خيار الصحابة خافوا للسألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأتقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله ؟ قال لأنى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول

وحكى عن أبي الحسن  
للكى أنه كان يصوم  
الدهر وكان مقيا  
بالبرعة وكان لا يأكل  
الحبز إلا ليلة الجمعة  
وكان قوته في كل شهر  
أربع دوايق يعمل  
يسده حبال الليف  
وبيعهما وكان الشيخ  
أبو الحسن بن سالم  
يقول لا أسلم عليه  
إلا أن يفطر ويأكل  
وكان ابن سالم اتهمه  
بشهوة خفية في ذلك  
لأنه كان مشهورا  
بسبب الناس وقال  
بعضهم ما أخلص لله  
عبد قط إلا أحب أن  
يكون في جب لا يعرف  
ومن أكل فضلا من  
الطعام أخرج فضلا  
من الكلام وقيل أقام  
أبو الحسن التيسى

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلاغا للحارث بن أسد المحاسي كما ذكره الصنف عنه (٢) حديث من اجتأ على الشهات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

عبدى من أين اكتسبت وفى أى شيء أنفتحت ف هؤلاء للتقوى كانوا فى جدة الاسلام والحلال موجود  
لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير لئلا يشره وأنت خاية الأمن والحلال فى دهره  
مفقود تتكالب على الأوساخ ثم زعم أنك تجمع المال من الحلال ويحك أين الحلال تجتمع [وبعد]  
فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند التنى قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث  
المال الحلال فتركه مخافة أن يفسد قلبه أنقطع أن يكون قلبك أنتى من قلوب الصحابة لا يزول عن  
شيء من الخلق فى أمره وأحواله لكن ظننت ذلك قد أحسنت الظن بنفسك الأمارة بالسوء ويحك  
إنى لك ناصح أرى لك أن تنزع بالبلغة ولا تجمع للمال لأعمال البر ولا تعرض للحساب فإنه بلغنا عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نوقض الحساب عذب »<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام « يؤذى رجل  
يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأفقته فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤذى رجل قد جمع مالا  
من حلال وأفقته فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤذى رجل قد جمع مالا من حرام وأفقته فى حلال  
فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤذى رجل قد جمع مالا من حلال وأفقته فى حلال فيقال هتف لملك قصرت  
فى طلب هذا شيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت فى شيء من ركوعها وسجودها  
ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأفقته فى حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت على فيقال لملك  
اختلت فى هذا المال فى شيء من مركب أو ثوب باهت به فيقول لا يارب لم أخل ولم أباه فى شيء فيقال  
لملك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى واليتامى والسالكين وابن السبيل فيقول لا  
يارب كسبت من حلال وأفقته فى حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت على ولم أخل ولم أباه ولم أضيع حق  
أحد أمرتني أن أعطيه قال فينبئ أهلك فيخامسونه فيقولون يارب أعطيتهم وأغنيته وجعلته بين  
أظهرنا وأمرته أن يعطينا فان كان أعطاهم وما ضيع من ذلك شيئا من الفرائض ولم يخل فى شيء فيقال قف  
الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لبة فلا يزال يستل<sup>(٢)</sup> ويحك فمن ذا  
الذى يتعرض لهذه المسألة التى كانت لهذا الرجل الذى تغلب فى الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى  
الفرائض بمجدودها وحوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الذين فى نكث الدنيا وتخالطها  
وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لأجل هذه للسائل مخاف للتقوى أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف  
منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الأخيار أسوة فان أبيت ذلك وزعمت أنك  
بالغ فى الورع والتقوى ولم تجمع للمال إلا من حلال بزعمك للتعفف والبذل فى سبيل الله ولم تنفق شيئا  
من الحلال إلا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله فى شيء من سر أرك وعلايتك  
ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد بينفى لك أن رضى بالبلغة وتعتزل ذوى الأموال إذا  
وقفوا للسؤال وتسق مع الرعي الأول فى زمرة للصطفى لا تحس عليك للمسألة والحساب فإسلامة  
وإما عطب ، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل صمالك للهاجرين قبل  
أغنيائهم الجنة بخمسةائة عام »<sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم

(١) حديث من نوقض الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤذى  
بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأفقته فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار الحديث بطوله  
لم أقف له على أصل (٣) حديث يدخل صمالك للهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسةائة عام الترمذى  
وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد بلطف فقراء صمالك ولهمنا وللنساء فى الكبرى  
من حديث أبى هريرة يدخل الفقراء الجنة الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر إن فقراء  
الهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفا .

بالحرم مع أصحابه سبعة  
أيام لم يأكلوا فخرج  
بعض أصحابه لينظروا  
فراهم فصر بطيخ  
فأخذوه وأكلوه فراه  
إنسان فاتباع أثره وجاء  
برفق فوضه بين يدي  
القوم فقال الشيخ من  
جنى منكم هذه الجناية  
فقال الرجل أنا وجدت  
فصر بطيخ فأكلته  
فقال كن أنت مع  
جنايتك ورفقك فقال  
أنا تألب من جنايتي  
فقال لا كلام بعد التوبة  
وكانوا يستحبون  
صيام أيام البيض وهى  
الثالث عشر والرابع  
عشر والخامس عشر  
روى أن آدم عليه  
السلام لما أهبط إلى  
الأرض أسود جسده  
من أثر العصاة فلما  
تاب الله عليه أمره أن

فيا كلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قيسكم طبق أتم حكام الناس وملاكهم فأروني ماذا صنعتكم فيها أعطيتمكم (١) « وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرفى أنى حرانتم ولا أكون فى الرعي الأول مع محمد عليه السلام وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع الخفين فى زمرة الرسلين عليهم السلام وكونوا وجليين من التخلف والالتقاط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين لقد بلغنى أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فأتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خففته العبوة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد فى البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وماعمة إحدى البيت غيرة فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قففت له فذاك أبى وأمى ما أرى بين يديك أعدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تقاتل إلى بئتها ورأسها قتالت فى يا محمد خذنى إليك عنى قتالت إن تتج منى يا محمد فإنه لا ينجو منى من بعدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتى فتقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال ويحك أنت فى أنواع من النعم والشهوات من مكاسب المحت والشبهات لا تخشى الاقطاع أفالك ما أعظم جهلك ويحك فان تخلفت فى القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد الصلطفى لتنتظر إلى أهوال جزعت منها للملائكة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطوئ عليك اللحاق ولئن أردت الكثرة تصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل تصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأهوال التخلفين لتقطعن عن أصحاب العيين وعن رسول رب العالمين وتبطلن عن نعيم التتممين ولئن خالفت أحوال التتممين لتكونن من المهتمين فى أهوال يوم الدين فتدبرون ويحك ما سمعت [وبعد] فان زعمت أنك فى مثال خيار السلف فتح بالقليل زاهد فى الحلال بذول المسالك مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لندك مريض للتسكار والغنى راض بالفقر والبلا فرح بالقلية والمسكنة مسرور بالذل والفضة كاره للعوا والرفعة قوى فى أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد صاحب نفسك فى الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولئن توقفت فى المسالك ولئن محاسب مثلك من التتممين وإنما تجمع المال الحلال للبدل فى سبيل الله ويحك أيها الغرور تدبر الأمر وأمعن النظر أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكروا والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وأمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافا بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا فى حجره دنانير يسطها والآخري يذكر الله لكان الذاك أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبأننا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حاللا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بيد الله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك فى عاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتبك وأنتم ليشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك فاعذرك فى جمع المال وإن كنت ترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر نعم وعظلك يذكر الله أفضل من بذل المال فى سبيل الله

يصنوم أيام البيض  
فايض ثلث جسده  
بكل يوم صامه حتى  
ايض جميع جسده  
بصيام أيام البيض  
ويستحبون الصوم  
النصف الأول من  
شعبان وإفطار نصفه  
الأخير وإن واصل بين  
شعبان ورمضان فلا  
بأس به ولكن إن  
لم يكن صام فلا يستقبل  
رمضان يسموم أو  
يوميئ وكان يكره  
بعضهم أن يصام رجب  
جمعه كراهة المضاهاة  
برمضان ويستحب  
صوم العشر من ذى  
الحجة والعشر من  
المحرم ويستحب الحنيس  
والخمسة والسبت أن  
يصام من الأشهر الحرام  
وورد فى الخبر « من صام  
ثلاثة أيام من شهر

(١) حديث يدخل قراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون الحديث لم أر له أصلا  
(٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بشربة ماء وعسل الحديث فى دفع النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبى بكر فذا شرب فأتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الاسناد قلت بل ضعيف



فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل . [ وبعد ] فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك إذ هداك الله به وترضى ما خاخره لنفسه من مجانبة الدنيا وبحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والنور في مجانبة الدنيا فسرهم لواء الصلطي سابقا إلى جنة المأوى فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين في الجنة من إذا نفدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة إلا ما يراه ولم يقدر على أن يكتب ما يفضيه يمسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من الذين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا <sup>(١)</sup> » ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بهذه البيان فانك تبطل فيها ادعيت أنك للبر والفضل تجعده لاولئك خوفا من الفقر تجعده وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والمال والرياء والسمة والتعظم والتكرمة تجعده ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال وبحك راقب الله واستنحى من دعواك أيها النور وبحك إن كنت مفتونا بحب المال والدينا فكأن مقرأ أن الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول ، نعم وكن عند جمع المال مزرا على نفسك معترا بالسيادة وتك وجلا من الحساب فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجاج لجمع المال . إخواني اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال ، يبلغ القوت وستر المورة فأما جمع المال في دهرنا فأعذنا الله وإياكم منه [ وبعد ] فإن لنا بمثل تهوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل خاتمهم وحسن نياتهم دهننا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورد وفي مساعدة الخفين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وقتنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إطار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة أملك في أسوء أمارضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسى بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا ونفضة لسارت قال والذي بثلثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه وألفظن ولأنتم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ فنيا فمت كما ينمو الدود فضاعت عليه المدينة فتحتى عنها قتل واديا من أوديت حتى جعل يسلى الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهم ثم تمت وكثرت فتحتى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تمتو كما ينمو الدود حتى ترك الجماعة وطلق الركباني يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في اللدنة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ قيل يا رسول الله أخذ فنيا فضاعت عليه اللدنة وأجبر بأمره كله فقال يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة قال وأزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم - وأزل الله تعالى فرائض الصدقة في رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجوا فيأخذوا الصدقة من المسلمين وقال مرأيا بشيلة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما

وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا نفدى لم يجد عشاء الحديث عزاه صاحب مسند الفردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء في الجنة الحديث ولم أره في مجامع الطبراني

حرام الخمس والجمعة  
والسبب بعد من النار  
سبعائة عام .

[ الباب الحادى  
والأربعون في آداب  
الصوم ومهامه ]

آداب الصوفية في  
الصوم ضبط الظاهر  
والباطن وكفى  
الجوارح عن الآثام  
كتم النفس عن الطعام  
ثم كفى النفس عن  
الآثام بالأقسام صحت  
أن بعض الصالحين  
بالعراق كان طريقه  
وطريق أصحابهم  
كانوا يصومون وكلما  
فتح عليهم قيل وقت  
الافطار يخرجونه ولا  
يفطرون إلا على ما فتح  
لهم وقت الافطار  
وليس من الأدب أن  
يمسك للريد عن  
الباح ويفطر بحرام

غفر جاحق أنيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الإجازة  
ماهذه الإجازة ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى خرجا ثم تعودا إلى فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما  
قيام إلى خيار أسنان إليه فزها للصدقة ثم استقبلها بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك ومتريد  
نأخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسي بها طيبة وإنما هي لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى  
مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيت  
فانطلقا حتى أنيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأها قال يابوع ثعلبة قبل أن يكلمها ودعا للسلمي فأخبراه  
بالذي صنع ثعلبة وبالقى صنع السلمي فأئزل الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من  
فضله لصدقن ولتكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بغلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا  
في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله  
عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لآم لك يا ثعلبة  
قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته  
فقال إن الله منعتني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبي أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى  
الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن  
الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان (١) فهذا طغيان المال  
وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله  
منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقت معي حتى وقفت بباب منزل فاطمة  
فقرع الباب وقال السلام عليكم أدخل قالت أدخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك  
يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي بشك بالحق نبيا ما علي إلا عيادة فقال اصنعي بها هكذا  
وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسد قد واريته فكيف برأسي فأتيت إليهم كانت عليه خلفة  
فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت  
والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أج دني الجوع فبكى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك  
ولو سألت ربي لأطعمني ولكني أثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشري  
فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة  
نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنك في بيوت من  
قصب لا أدنى فيها ولا صاحب ثم قال لها اقنعي بأبن عمك فوالله لقد زوتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة (٢)

الآكام قال أبو الدرداء  
يا حبذا نوم الأكياس  
وفطرم كيف يفتنون  
قيام الحق وسيامهم  
والدرة من ذي يقين  
وتقوى أفضل من  
أمثال الجبال من  
أعمال القترين ومن  
فضيلة الصوم وأدبه أن  
يقل الطعام عن الحد  
الذي كان يأكله  
وهو مفطر وإلا فاذن  
جمع الأكلات بأكلة  
واحدة قد أدرك بها  
ما فوت وتصود القوم  
من الصوم قهر النفس  
ومنعها عن الاتساع  
وأخذهم من الطعام قدر  
الضرورة لهم أن  
الاتساع على الضرورة  
يجذب النفس من  
سائر الأفعال والأقوال  
إلى الضرورة والنفس  
من طبعها أنها إذا

(١) حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب نال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل  
تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن  
حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال فهل لك في عيادة فاطمة بنت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد زوتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة لم أجده  
من حديث عمران ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وصأت النبي صلى الله عليه وسلم ذات  
يوم فقال هل لك في فاطمة تعودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمق سداوأ كثرهم

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أثرت الفقر وتركزت المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أكل ما به من أداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغالهم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير بن ليث قال سمعت رجلا عيسى بن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فاتيا إلى شط نهر جلسا يتعلمان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فغرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدري قال فانطلق معه صاحبه فرأى ظبية ومعهما خشفان لما قال فدعا أحدهما فأتاه فدفعه فاعتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فذهب فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري ثم اتها إلى وادى ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري فاتيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبيا باذن الله تعالى فصار ذهبيا قسمه ثلاثة أثلاث ثم قال لثالثي وثالثك وثالث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فأتته إلى رجلان فى المفازة ومعه المال فأراد أن يأخذه منه ويقتله فقال هو يبيتنا أثلاثا فابشوا أحدهم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فيشوا أحدهم فقال الذى يبت لأى شيء أقسم هؤلاء هذا للمال لستى أنضع في هذا الطعام مما فأقلتهما وأخذ المال وحده قال فقتل وقال ذاك الرجلان لى شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا للمال يبيتنا قال فلما رجع إليهما قتلاهما كلا الطعام لما أتى ذلك للمال فى المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فرمهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تهنأوا تلك القبور وكنسوها واصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم فى ذلك ما يشي من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتينى فأيتت بها أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك حاجة لأيتتكم فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أراكم من الأمم عليها قال وماذا قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا أخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا نعم أكرهنا لمألأنا أحدا لم يسطم بها شيئا إلا تأتت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرت قبورا فاذا أصبحتم تعاهدونها فككنسوها واصلتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل . قال وأراكم لأطعم لكم إلا البقل من الأرض أفلا أخذتم البهائم من الأنعام فاحتابتوها وركبتوها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الأرض بلاغا وناسبا بكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأيعا ما جاوز الحنك من الطعام لم نجده طعاما كأننا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول حجمة فقال إذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فقتلهم وظلمهم واعتاقهم رأى الله سبحانه ذلك منه حسما بالوت فصار كالبحر اللقي وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم تناول

علما وأعظمهم علما وإسناده صحيح .

أفهرت الله تعالى فى  
شيء واحد على  
الضرورة تأدى ذلك  
إلى سائر أحوالها فيصير  
بالأكل النوم ضرورة  
والقول والتعل ضرورة  
وهذا باب كبير من  
أبواب الخير لأهل  
الله تعالى يجب رعايته  
والاحتشاد ولا يخص بعلم  
الضرورة وفائدتها  
وطلبها الإعتدال يريد الله  
تعالى أن يقر به  
ويدينه ويصطفيه  
وبريه ويمتنع فى  
صومه من ملاعبة  
الأهل وللأمة فإن  
ذلك أزه للصوم  
ويتسحر استعمالا  
للسنة وهو أدعى إلى  
إضفاء الصوم لمخين  
أحدها عود بركة  
السنة عليه والثاني  
التقوية بالطعام على

جمجمة أخرى بالية فقال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لأدري ومن هو قال هذا ملك ملك الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالذم من النشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع فاعز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم أهوى إلى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر إذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فأخذك أخا ووزيرا وشريكا فيا آتاني الله من هذا لئال قال ما أملك أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم ؟ قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولدي صديق قال ولم قال يامدونك لما في يديك من الملك واللال والدنيا ولا أجد أحدا ينادي برفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فبهذه الحكايات تدل على آفات التفتي مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق .

(تم كتاب ذم اللال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ، وبالله كتاب ذم الجاه والرياء .)

### (كتاب ذم الجاه والرياء)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع اللسلكت من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الغيوب ، الطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كباير الذنوب ، العالم بما يحنه الضماير من خفايا الغيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كل ووفي وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فإنه للفرد بالمسكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ، والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه البرئين من الحيانة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية التي هي أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء » (١) ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها مسامرة العلماء فضلا عن عامة العباد والأقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وإنما يتبلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجمل لسلك سبيل الآخرة فانهم هم القهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى النظاهة بالخير وإظهار العمل والعلم فوجدت غصا من مشقة المجاهدة إلى لغة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بين الوقار والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تنقنع بإطلاع الخلق وفرحت بحمد الناس ولم تنقنع بحمد الله وحده وعلمت أنهم إذ عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقرير والإطراء ونظروا إليه بين التوقير والاحترام وثيركوا بمشاهدته وقائمه ورغبوا في ركعة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحه بالخدمة والسلام وأكرموا في الحافل غاية الإكرام وسامحوا في البيع والعمالات وقدموا في المجالس وآثروا بالمطاعم والملابس وتفاخروا به متواضعين واتقادوا له في أغراضه موقرين فأصاب النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والمفريات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

الصيام ، وروى أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تسحروا فإني في المسحور بركة » ويسجل الفطر عملا بالسنة فإن لم يرد تناول الطعام إلا بعد العشاء ويريد إحياء ما بين العشاءين يفسد بالمساء أو على أصداد من الزبيب أو التمر أو يأكل لقيات إن كانت النفس تنزع ليصفوه الوقت بين العشاءين فإحياء ذلك له فضل كثير وإلا فيقتصر على الماء لأجل السنة أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الحروري قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد

### (كتاب ذم الجاه والرياء)

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية ابن ماجه والحاكم من حديث شداد ابن أوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضيفه وهو عند ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بلفظ المصنف .

في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تمنى عن دركها المقول النافذة القوية ويرى أنه غمّاس في طاعة الله ومجنب لحارم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعاً للخلق وفرحاً بما نالت من التزلف والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة الناقلين وهو يظن أنه عند الله من المقربين وهفهه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لا يرقى منها إلا القربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من ردوس الصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو الداء الذي يفتن الله به أعظم شبكة للشياطين وجب شرب القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحد من شأنه وينضغ القرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوا أهله من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكامل حقيقي وبيان ما يعمد من حب الجاه وما يندم وبيان السبب في حب للدخ والثناء وكراهية الدم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب للدخ وبيان علاج كراهية الدم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم ففى اثنا عشر فصلاً منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تهذيبها والله الوفي للصواب بطهفه ومنه وكرمه .

### ( بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت )

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مضموم بل المهود الخمول إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودينه إلا من عصمه الله » (١) وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودينه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٢) ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلًا ولا بأس به إذ روى هذا الحديث قبله يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يكن هذا أول ما أعني به المتدع في دينه والفاقد في دينه . وقال علي كرم الله وجهه تبدل ولا تشهر ولا ترض شخصك لتذكر وتعلم ولا تكم واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخيتاني والله ما صدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة . وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام . ورأى طلحة قومًا يمشون معه نحوًا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار . وقال سليم بن حنظلة يفتننا نحن حول أبي ابن كعب غشى خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالردة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال إن ههنا ذلة تتابع وقتنة للمتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يومًا من منزله فأتته ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه الله أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودينه أبيهته في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرًا على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفى بالمرء إثمًا ورواه ابن يونس في تاريخ التبراه من حديث ابن عمر بلفظ هلاك الرجل وفسر دينه بالبدعة ودينه بالتسبيح وإسنادهما ضعيف .

الجرأحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا اسحق بن موسى الأنصاري قال ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن قرعة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل « أحب عبادي إليّ أحملهم فطرًا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس غير ما عملوا الفطر » والأفطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن

فواته لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلا . وقال الحسن إن خفي النعال حول الرجال فلما تلبث عليه قلوب الحق . وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فلما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمنين . وروى أن رجلا صاحب ابن عير بن في سفر فلما فارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا تمشي إليك وتسال ولا تسأل فافعل . وخرج أيوب في سفر فبعثه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لحشيت لقت من الله عز وجل . وقال معمر ماتت أيوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طول وهوى اليوم في تشميره . وقال بضمم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكرسية فقال يا كم وهذا الحمار الناقح يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأصباء تمتد إليهم جميعا . وقال رجل بشرن في الحرث أوصني فقال أحمل ذكرك وطيب طعمك وكان حوشب يسكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلاذهب دينه وانضع وقال أيضا لا يجد سلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

### ( بيان فضيلة الجوع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك <sup>(١)</sup> » . وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر مستكبر جواظ <sup>(٣)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينسكوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم يتخلل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو قسمهم <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أمي من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه إياه ولو سأله درهما لم يعطه إياه ولو سأله فلسا لم يعطه إياه . ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ولو سأل الله الدنيا لم يعطه إياها وما منعنا إياه إلا هو أنها عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره <sup>(٥)</sup> » وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يسكي عند

أو تمرات . وفي الخبر « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والمطس » قيل هو الذي يجوع بالآبار ويفطر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالنية . قال سفيان من اغتاب فسد صومه وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم النية والكذب قال الشيخ أبو طالب السكي قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالاثم بأكل الحرام فقال - صامعون للكذب أحكالون للسمت - . وورد في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ولحاكم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأبي نعم في الحلية من حديث أنس بسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب (٤) حديث أبي هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [١] (٥) حديث إن من أمي من لو أتى أحدكم فسأله دينارا لم يعطه إياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله ولو سأل الله الدنيا لم يعطه إياها وما منعنا إياه وأنه عليه .

[١] قول العراقي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير رواة وقال الشارح يعني له العراقي فليعلم .

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأخياء الأخفاء الذين إن غابوا لم يقتدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصايح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة (١) » وقال محمد بن سويد سقط أهل الدين وكان بهار جل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم في قبة فيهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصل ركعتين أوجز فجمعا ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك ألا مطرت علينا الساعة فمرد يديه ولم يقطع دعاه حتى تشقت السماء بالغمم وأمطروا حتى صالح أهل المدينة من تخافة الترقى فقال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكفوا فارفع عنهم وسكن وبيع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخشى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتساألني أن أخضعك بدعوة ثم قال مالي بملك ما رأيت قال أطعت الله فم أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا يتابع الصلح مصايح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ فو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم هز رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال عجلت منيته وقل تراه وقلت بوا كيه (٢) » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله التبرأ قيل ومن التبرأ ؟ قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما عن به على عبده ألم أنهم عليك ألم أتركك أم أخل ذكرك . وكان الحليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلمي يصلح بمكة وللمدينة مع قوم غبراء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن آدم ما قرئت عيني يوما في الدنيا قط إلا ممة بت ليلتي بعض مساجد قرى الشام وكان في البطن جفري المؤذن برجلي حتى أخرجني من المسجد . وقال الفضل إن قدرت على أن لا تعرف فاعمل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يلقى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة فضيلة الخمول وإعمال الطلب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه وللزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأي شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول . فاعلم أن المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من المبدق ليس بمذموم ، نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالنريق الضعيف إذا كان معه جماعة من النريق فلا يؤلى به أن لا يعرفه أحد منهم فاتهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوي فلا يؤلى أن يعرفه النريق ليتعلقوا به فينجبهم ويثاب على ذلك .

### ( بيان فم حب الجاه )

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً إلى الأرض ولا فساداً - جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخالق عن الإرادتين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأخياء الأخفاء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرق متروك (٢) حديث أبي أمامة إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذي وابن ماجه بإسنادين ضعيفين .

والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلكا فيشتبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تساذنانه في الإفطار فأرسل إليهما قدحاً وقال قولوا لهما قيثا فيه ما أكلتا فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطاً ولما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأته فغضب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شتمه فليقل إني صائم » . وفي الخبر « إن الصوم أمانة

الدنيا وزيتها نوق إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يخشون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وبطل ما كانوا يعملون - وهذا أيضا متناول بمعومه حب الجاه فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زيتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب للال والجاه يبتتان النفاق في القلب كما يثبت للماء البقل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ماذبان ضاريان أرسلا في زرية غم بأسرع إفسادا من حب الشرف واللال في دين الرجل المسلم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم لى كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء (٣) » نسأل الله العفو والعافية عنه وكرمه .

### ( بيان معنى الجاه وحقيقته )

اعلم أن الجاه واللال هما ركنا الدنيا ومعنى اللال ملك الأعيان للتعنت بها ومعنى الجاه ملك اللوب للطلب تعظيمها وطاعتها وكما أن النقي هو الذي يملك الدرهم والدينار أي يقدر عليهما ليتوصل بهما إلى الأغراض وللقاقدوس والشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه وما ربه وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من العاملات ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال اتقاده وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كالا ويدعن قلبه للوصوف به اعتقادا ضروريا بحسب اعتقاده فان اعتقاد القلب حال القلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها ونفيلاتها وكما أن حجب اللال يطلب ملك الأرفاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يترقى الأحرار ويستجدهم ويملك رقابهم يملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورأيه أنسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا وبغى أن تكون له الأحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام التزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لمت من نموت الكمال فيه فيقدر ما يعتقدون من كماله تدعن له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وجهه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدرح والإطراء فان للمتعبد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يتقده فيبقى عليه كالخدمة والإعانة فانه لا يخل يذل نفسه في طاعته يقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في أغراضه وكالإيثار وترك النازعة والتعظيم والتوقير بالمفاعاة والسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتغال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بطلب أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

فاحفظوا حذكم أماتته  
والصوفي الذي لا يرجع  
إلى معلوم ولا يدري  
مق يساق إليه الرزق  
فاذا ساق الله إليه  
الرزق تناوله بالأدب  
وهو دائم للراقبة  
لوقته وهو في إفتار  
أفضل من الذي له  
معلوم محدد فان  
كان مع ذلك صوم  
فقد كمل الفضل .  
حكى عن روم قال  
اجتزت في الهاجرة  
يبيض سكك بغداد  
فطشت فقدمت إلى  
باب دار فاستقيت  
فاذا جارية قد خرجت  
ومعها كوز جديد  
ملآن من الماء للبرد  
فلما أردت أن أتناول  
من يدها قالت  
صوفي ويشرب بالثار  
وضربت بالصكوز

(١) حديث للال والجاه يبتتان النفاق الحديث تقدم في أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ماذبان ضاريان أرسلا في زرية غم الحديث تقدم أيضا هناك (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شه مطاع وهوى متبع الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس يسند ضعيف حب الثناء من الناس يعمى ويهيم .



أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يستفده الناس كالأفان هذه الأوصاف كلها تنظم عملها في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

( بيان سبب كون الجاه محبوا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة )

اعلم أن السبب الذي يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوا به وبينه يقتضى كون الجاه محبوا بل يقتضى أن يكون أحب من اللال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في للقدار وهو أنك تعلم أن الدرهم والدينار لا غرض في أعيانها إلا لأصالح لمطمع ولا مشرب ولا منسكح ولا ملبس وإنما هي والحصاة بمثابة واحدة ولكنهما محبوا لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فلا يشترط في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على اللال يقتضى أن يكون الجاه أحب من اللال وملك الجاه ترجيح على ملك اللال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى اللال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم والراهن الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب وبذولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آلة ووسيلة إلى اللال فمن ملك الجاه قد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن اللال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراس والخزائن ويبتدق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكتها فلا تعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عديدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي التهاب والغصب وأثبتت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي مخوفة وعروسة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها ، ثم إنما يغصب القلوب بالتصريف وتقييع الحال وتشير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فعله . الثالث أن ملك القلوب يسرى وينمى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فإن القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كاله يعلم أو عمل أو غيره أوضحت الألسنة له بحالة ما فيها فيصف ما يستفده لغيره ويقتص ذلك القاب أيضا ولهذا النعم يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطاع في الأقطار اقتص القلوب ودعاها إلى الإذعان والتنظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مردعين وأما المال لمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنائه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدأ في النماء بنفسه ولا مرد لوقته والمال واقف ولهذا أعظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة لثناء المستحقرت الأموال في مقابلته فهذه جماع ترجيحات الجاه على اللال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فإن قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه ، نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللال ودفع الضرر معلوم كالحاجة إلى اللبس والسكن والطمع أو كالبطلى برض أو بقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه فحينئذ للمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطبائع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكون الكسوف وإدخال النخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد ورادان من ذهب لا يتنى لهما ثالثا وكذلك يحب الإنسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى البلاد التي يعلم قطعه لأنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذ به

على الأرض وانصرفت  
قال روم فاستحييت  
من ذلك ونذرت  
أن لا أفسر أبدا  
والجماعة الذين كرهوا  
دوام الصوم كرهوه  
لمكان أن النفس إذا  
ألفت الصوم وتعودته  
اشتد عليها الإفطار  
وهكذا يعودها  
الإفطار تشكره الصوم  
فيرون الفضل في أن  
لا تركز النفس إلى  
عادة ورأوا أن إفطار  
يوم وصوم يوم أشد  
على النفس . ومن  
أدب القسراء أن  
الواحد إذا كان  
بين جمع وفي محبة  
جماعة لا يصوم إلا  
بإذنهم وإنما كان ذلك  
لأن قلوب الجمع متعلقة  
بفطوره وهم على غير  
معلوم فإن صام بإذن

غاية الالتذاذ وحسب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب مالا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وله سببان : أحدهما جلي تدركه السكافة . والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبدهما عن أفهام الأذكيا فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا التواصون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وإن كان مكفيا في الحال فانه طويل الأمل ويخطر بباله أن للسال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفرع إليه إن أصابت هذا السال جائحة فهو أبدا لشفتته على نفسه وجه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطاقة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن مثله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من هو مان لا يشبعان منوم العلم ومنوم السال (١) » ومثل هذه الالة تطرد في حبه قيام للزلة والجاه في قلوب الأباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب ربحه عن الوطن أو زرع أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني به وصفه الله تعالى إذ قال سبحانه - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - أو معنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم للكشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمة كالأكل والواقع وإلى صفات سبعية كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والحذية والإغواء وإلى صفات ربوية كالكبر والمن والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود قصص لا محالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك قصصا في حقا إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواء فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن الالية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستثناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تاجا ولا يكون متبعا فاذن معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه يحب لأن يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ماصرح به فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى -

الجمع وفتح عليهم في  
لا يلزمهم إذ خاره للصائم  
مع السلم بأن الجمع  
للطفرين يحتاجون  
إلى ذلك فان الله تعالى  
بأنى للصائم رزقه إلا أن  
يكون الصائم يحتاج إلى  
الرفق لتضعف حاله  
أو ضعف بنيته  
لشيخة أو غير ذلك  
وهكذا الصائم لا يلبق  
أن يأخذ نصيبه  
فيذخره لأن ذلك من  
ضعف الحال فان كان  
ضعيفا يسترف بهاله  
وصفه فيذخره والذي  
ذكرناه لأقوام هم على  
غير معلوم فأما الصوفية  
التيقون في رباط على  
معلوم فالأليق بمثلهم  
الصيام ولا يلزمهم  
مواظبة الجمع في الإفطار  
وهذا يظهر في جمع منهم  
لهم معلوم يقدم لهم

(١) حديث منومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث أبي مسعود بسند ضعيف والبراز والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

ولكنه ليس بجداً مجالاً وهو كما قال فإن العبودية قهر على النفس والروية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي أوما إليها قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتبهة له وملتبنة به لذاته لا لعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الوجودات فإن أكل الكمال أن يكون وجود غيره منك فإن لم يكن منك فإن تكون مستولياً عليه فصار الاستيلاء على السكل محبوا بالطبع لأنه نوع كال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كال ذاته ويلتذبه إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تقيده بحسب الإرادة وكونه مسخرًا لك تردده كيف تشاء فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء للوجودات معه إلا أن للوجودات مقسمة إلى ما يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأفلاك والكواكب وملكووت السموات وقوس للالائكة والجن والشياطين وكالجن والبهار وماتحت الجبال والبحار وإلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض وأجزائها وأعمالها من المعادن والنبات والحيوان ومن حمتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فإذا انقسمت للوجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى وللالائكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فإن ذلك نوع استيلاء إذا للعلوم المحاطة به كداخل تحت العلم والعالم كالاستولى عليه فذلك أحب أن يعرف الله تعالى وللالائكة والأفلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشبذة أوجر الثقيل أو غيره وهو مستعجز في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتهي إلى معرفة كيفية فهو متأم بهض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي يقدر الإنسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسبان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدرهم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادر عليها بفعل فيها ماشاء من الرفع والواضع والتسليم ولتلع فإن ذلك قدرة القدرة كالألكال من صفات الروية والروية محبوبة بالطبع فذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والتلبه عني يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تتعد كاله حتى يصير محبوا بها ويقوم القهر منزله فيها فإن الحشية القهرية أيضاً لتيبته لما فيها من القدرة . القسم الثاني : قوس الآدميين وقلوبهم وهي أفسى ما على وجه الأرض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفه تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الروية والقلوب إنما تتسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع لعنى الرباني من جملة معاني الإنسان وهو الذي لا يليه البوت في عدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الإيمان والعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فاذن معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخر له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالتهاز فأما إذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للفطرين أحسن من استدعاء الواقعة من الفطرين للصوام وأمر القوم مبناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس فكل ما صحت النية فيه من الصوم والافطار والواقعة وترك الواقعة فهو الأفضل فأما من حيث السنة فمن يوافق له وجه إذا كان صاماً وأفطر للواقعة وإن صام ولم يوافق فله وجه . فأما وجه من يفطر ويوافق فهو مأخوذ بآية أبو زرعة طاهر عن أبيه أبي الفضل الحافظ القسندى قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد

كآل وهو من أوصاف الربوبية فآذن محبوب القلب بطبعه الكآل بالعلم والقدرة واللآل والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للعلومآت ولا نهاية للقدورات وآدام يبق معلوم وآقدور فالشوق لآسكن والنقصان لآزول والذآل قآل صلى الله عليه وسلم «منهومان لآيشبعان» فآذن مطلوب القلوب الكآل والكآل الكآل بالعلم والقدرة وشآوت الدرجآت فيه غير محصور فسرور كل إنسان ولتته بقدر ما يدركه من الكآل فهذا هو السبب فى كون العلم واللآل والجاه محببآ وهو آمرورآ كونه محببآ لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فآن هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما يصآلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتفآضى بطلب العلم فى جميع السجآب وللشكآت لأن فى العلم استقلاء على العلوم وهو نوع من الكآل الذى هو من صفآت الربوبية فكلان محببآ بالطبع إلا أن فى حب كآل العلم والقدرة تغآليط لابد من يآنه إن شاء الله تعالى.

(بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقة له)

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات النصف بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه  
يتلصص بالكمال الهوى ويانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه: أحدها من حيث كثرة  
العلوم وسعتها فانه محيط بجميع العلوم فذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى  
الله تعالى. الثاني من حيث خلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون للمعلوم مكشوفاً به ككشفاً تاماً  
فإن العلوم مكشوفة لله تعالى بأنهم أنواع الكشف على ما هو عليه فذلك مهما كان علم العبد  
واضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى. الثالث:  
من حيث بقاء العلم أبداً لا يبادي حيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير  
فكذلك مهما كان علم العبد بعلوم لا يقبل التغير والاختلاف كان أقرب إلى الله تعالى وللعلوم  
ثلاث: متغيرات وأزليات. أما المتغيرات فتألم العلم يكون زيد في الدار فانه علم لمعلوم ولكنه  
يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهل فيكون نقصاناً  
لا كمالاً فكلما اعتقدت اعتقاداً موافقاً وتصور أن ينقلب للتعقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن  
ينقلب كمالك نقصاً ويسود عليك جهلاً وملتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كملكك مثلاً بارتفاع  
جبل ومساحة أرض وبمدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراخ وسائر ما يذكر في السالك  
والملك وكذلك العلم بالصفات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم  
لمعلوماتها مثل الترتيب تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالاً في الطلب.  
القسم الثاني: هو العلوم الأزلية وهو جواز الجائزات وجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان  
هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا استحالة الواجب قط جائز ولا الجائز محال ولا المحال واجباً فكل هذه  
الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته  
وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي  
الذي يقرب من تصف به من الله تعالى ويبقى كما لنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نوراً للعارفين  
بعد الموت - يسمى بين أيديهم وبأسمائهم يقولون ربنا نعم لنا نور نأبى تكون هذه المعرفة نوراً  
يوصل إلى كشف ما لم يتكشف في الدنيا كأن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سبباً لزيادة  
النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الحق على سبيل الاستقام ومن ليس معه أصل  
السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى - كمن مثله  
في الظلمات ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب

أبو الحسن محمد بن  
الحسين العلوي قال أنا  
أبو بكر محمد بن حمويه  
قال ثنا عبد الله بن  
حماد قال ثنا عبد الله بن  
صالح قال حدثني عطاء  
ابن خالد عن حماد بن  
حميد عن محمد بن  
المتكدر عن أبي سعيد  
الحدري قال أصطلت  
لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم وأصحابه  
طعاما فلما قدم إليهم قال  
رجل من القوم إني  
صائم فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
«دعنا كم أخوا كم تكلف  
لكم ثم يقول إني صائم  
أفطر وأقضي يوما  
مكاته» وأما وجه من  
لا يوافق فقد ورد «أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وأصحابه  
أكلوا ولال صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاستعادة إلا في معرفة الله تعالى وأمامه اذلك من المعارف فيها الملائكة  
له أصلاً كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة  
العرب والتفسير والفقه والأخبار فإن معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين  
على معرفة مافي القرآن من كيفية المبادات والأعمال التي تنفيذ تركية النفس ومعرفة طريق تركية  
النفس تنفيذ استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أفلح من  
زكاها - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فينا لهديهم سبلنا فتكون هذه المعارف كالوسائل إلى  
تحقيق معرفة الله تعالى وإنعما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف  
الهيطة بالموجودات إيدلوجيات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها  
بالقدرة والإرادة والحكمة فهي من تمكيلة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم ذكرناوه إن لم يكن لانها  
بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيق للعبد  
بل للعبد علم حقيق وليس له قدرة حقيقية وإنعما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة  
العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي  
مواضع شق من ربيع النجيات فكمال العلم يبقى معه بدلولت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا  
أمر له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده  
للبطش ورجله للشي وحواصه للادراك فإن هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج  
في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى اللطم والشرب واللبس والسكن وذلك  
إلى قدر معلوم فإن لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه ألبتة إلا من حيث البذة الحالية  
التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كالأقصد جعل فالخلق أكثرهم السكون في غمرة هذا الجهل فاتهم  
بظنون أن القدرة على الأجساد بقر الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة النفي وعلى تعظيم القلوب بسعة  
الجاه كمال فلما اعتدوا ذلك أجبه ولما أجبه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ففسدوا  
الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملاسكتة وهو العلم والحرية أما العلم فلا ذكرناه  
من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسير الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها  
بالملائكة الذين لا يستغرم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من  
الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال أنه تعالى استحالة التأثير على من كان  
عن التأثير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أقرب ومنزلة عند الله أعظم وهذا  
كأن ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنعما لم نورد في أقسام الكمال لأن حقيقة ترجع إلى عدم نقصان  
فان التغيير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنه وهلاكها كماله في الذات وفي صفات الكمال  
فاذن الكمالات ثلاثة إن عددنا عدم التأثير بالشهوات وعدم الاتياد لها كمالا ككمال العلم وكال الحرية  
وأعني به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب  
كمال العلم وكال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان  
الأموال وعلى استسخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفة وحرية لا يندمان بالموت بل يبقيان  
كلا فيهما وسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف اتقاه الباهلون وانكبوا على وجوههم انكباب  
العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والاد وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فإلقاء له وأعرضوا  
عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أديا لا انقطاع له هؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة  
فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى - المال والبنون زينة

فقال رسول الله ﷺ أنا كل  
رزقنا ورزق بلال في  
الجنة » فإذا علم أن  
هنالك قلبا يتأذى أو  
فضلا يرجى من موافقة  
من يضمن موافقته  
يفطر بحسن النية  
لا يحكم الطبع وتقاضيه  
فان لم يجد هذا المعنى  
لا ينبغي أن يتابس عليه  
الشراء وداعية النفس  
بالبية فليتم صومه  
وقد تكون الاجابة  
لداعية النفس لاقتضاء  
حق أخيه . ومن  
أحسن آداب الفقير  
الطالب أنه إذا أظفر  
وتناول الطعام ربما  
يجد باطنه متغيرا عن  
هيئته ونفسه متباعدة  
عن أداء وظائف  
العبادة فيعالج مزاج  
القلب للتغير باذهاب  
التغير عنه ويذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً - فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كالآل في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى - وأضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - فأصبح هشياً تذروه الرياح - وكل ما تذروهم ريح اللوت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطع للوت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كل ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصوداً فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله : ومن ينق الساعات في جمع ماله مخافة قمر فالتى فعل القفر إلا قدر البلغة منها إلى السكال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وقته للخير وهديته بطقك .

### ( بيان ما محمد من حب الجاه وما يمد )

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها حكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالسالم والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة الطعام وللشرب ولللبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والآنسان كالا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يتناوله به الطعام فكذلك لا يخفى عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يمينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار لخبه لأن يكون له في قلب خادمه من المثل ما يدعو إلى الخدمة ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المثل ما يحسن به مراقبته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المثل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لأن يكون له من المثل في قلب سلاطنه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأعراض كالسالم فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يقضي إلى أن لا يكون السالم والجاه باعياً لهما عبيد بل ينزل ذلك منزلة حب الإنسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محباً لبيت الماء فكل ما راد للتوصل به إلى محبوب فالجبوب هو القصد للتوصل إليه وتذكر التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع بيت الماء لضاء الحاجة ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الإنسان زوجته لذاتها حب الشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحباً لكانها فذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والمال وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعنيهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالسق والصيان مالم يحمله الحب على مباشرة معصية ما يتوصل به إلى اكتساب كذب وخداع وارتكاب محظور ولم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فإن التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي . فإن قلت : طلبه للزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانهم ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ، ووجه محظور .

أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام التزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو منبت عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبس إما بالقول أو بالعملة . وأما أحد الباحثين فهو أن يطلب المنزل بصفة هو متصف بها

الطعام بركات يصلها أو باقيات يتلوها أو بأذكار واستغفار يأتي به فقد ورد في الخبر « أديسوا طعامكم بالذكر » ومن مهام آداب الصوم كنهانه مهما أمكن إلا أن يكون متمكناً من الاخلاص فلا ياتي ظهر أم بطن .

[ الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصاحبة والمفسدة ] الصوفي يحسن نيته وحمه مقصده ووفور علمه وإتيانه بأذابه تصير طاداته عبادة والصوفي موهوب رفته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لئيبه أمرا له - قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيها أخبر عنه الرب تعالى - اجملنى على خزائن الأرض إلى حفيظ عليم - فانه طلب للترفة في قلبه بكونه حفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومصيبة من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على التقابح جائز ولا يجوز هناك السر واطهار الصبيح وهذا ليس فيه تلبس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا ياتى إليه أنه ورج فان قوله إني ورج تلبس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب . ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ليس إذ يخيل إليه أنه من المحسنين الخاشعين لله وهو مرء بماله فله فكيف يكون محصيا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل مصيبة وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يملك مال غيره يتلبس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

( بيان السبب في حب اللذات والثناء وارتياح النفس به وميل

الطبع إليه ونفضها للدم ونفرتها منه )

اعلم أن حب اللذات والثناء القلب به أربعة أسباب : السبب الأول وهو الأقوى شعور النفس الكمال فانا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب قادر كالألذذ فهما همرت النفس بكاملها ابراحتها واهترت وتلذذت واللذ يشعر نفس المدوح بكاملها فان الوصف الذي به مدح لا يغلو إيمان يكون جلبا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جلبا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يغلو عن لذة كنهاته عليه بانه طويل القامة أيضا اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تشغل عنه فتشغل عن لذته فاذا استشعرته لم يغل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكامل العلم أو كمال الورع أو بالحسن للطلاق فان الانسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لكونه عديم الظن في هذه الأمور إذ تلمطن نفسه إليه فاذا ذكره غيره أورت ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه الملة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خير بها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلذذ بثناء أستاذة عليه بالكيامة والدكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وإن صدر من مجازف في الكلام ولا يكون بصيرا بذلك الوصف ضفت اللذة وهذه الملة يفيض الدم أيضا ويكرهه لأنه يشعر بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو محمق والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الدم من بصير موثوق به كاذكرناه في اللذ . السبب الثاني : أن اللذ يدل على أن قلب اللذ محلول للمدح وأنه مرده ومعتد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بمحصوله لذية وهذه الملة تعظم اللذة مهما صدر الثناء من تتسع قدرته وينفع باقتناس قلبه كالمملوك والأكثر وضعف مهما كان اللذ من لا يؤبه به ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل اللذ إلا على قدرة قاصرة وهذه الملة أيضا يكره الدم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكبر كانت نكايته أعظم لأن الغامت به أعظم . السبب الثالث : أن ثناء اللذ ومديح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسبا إذا كان ذلك من يلتفت إلى قوله ويستدبره وهذا مختص بثناء يقع على اللذ فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والتمنى أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان اللذ ألد والذم أشد على النفس . السبب الرابع : أن اللذ يدل

له رب العالمين -

فتدخل على الصوفي

أمور العادة لموضع

حاجته وضرورة

بصرته ويحف بمادته

نور يقطنه وحسن

نيتة فتدور العادات

وتتشكل بالمبادات

ولهذا ورد «نوم العالم

عبادة ونفسه مسبيح»

هذا مع كون النوم

عين النفاة ولكن كل

ما يستعان به على العبادة

يكون عبادة فتناول

الطعام أصل كبير

يحتاج إلى علوم كثيرة

لاشغال على المصالح

الدنيوية والدنيوية

وتعلق أثره بالقلب

والقلب وبه قوام البدن

باجراء سنة الله تعالى

بذلك والقلب مركب

القلب وبهما عمارة

الدنيا والآخرة وقد

على حشمة المدوح واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالتناء على المدوح إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضا قديمة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان المادح لا يعتقد في الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذته ثناء القوي للمتمتع عن التواضع بالتناء أحد فبهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح ممدوح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفرقت فتقتص اللذة بها أما العلة الأولى وهي استثمار الكمال فتدفع بأن يعلم المدوح أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عالم يعلم أوتنوع عن المخطورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك قزول اللذة التي سببها الاستثمار الكمال وتبقى لذته الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه ونية اللذات فإن كان يعلم أن المادح ليس يستعد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب اللذة الثانية وهو استيلاءه على قلبه وتبقى للذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالتناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذته لفوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتالمها بسبب النعم وإعما ذكرنا ذلك يعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب الممدة وخوف للذمة فإن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الوفاق بكرم مولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى.

### ( بيان علاج حب الجاه )

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغوا بالتودد إليهم والرياء لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد وجهير ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات والرياء بها وإلى اتجماع المخطورات للتوصل إلى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذهنين ضارين وقال عليه السلام «إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل» إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب للزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق لحب الجاه إذن من للمهلكات فيجب علاجه وإزالته عن القلب فإنه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فأخذه الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بساط الأرض من المشرق إلى المغرب فيلبي خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا تقطع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحق العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد ، فكأنك تأخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كأنه كذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكأنك بالدين لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهو لا كان التفاهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقوا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يعتدونها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى - وقال عز وجل - كلا بل يحبون العاجلة وتذرون الآخرة - فمن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار

ورد «أرض الجنة  
قيمان نباتها التسبيح  
والقدس» والقلب  
بفردته على طبيعة  
الحيوانات يستعان به  
على عمارة الدنيا والروح  
والقلب على طبيعة  
الملائكة يستعان بهما  
على عمارة الآخرة  
وبجناعهما صلحا  
لعمارة الدارين والله  
تعالى ركب الآدمي  
بلطيف حكمته  
من أخص جواهر  
الجنانيات والروحانيات  
وجعله مستودع خلاصة  
الأرضين والسماوات  
جمل عالم الشهادة  
وما فيها من النبات  
والحيوان لقوام بدن



التي يستهدف لها أبواب الجلاء في الدنيا فإن كل ذى جاه عسود ومقصود بالإيذاء وخائف على الدوام على جباهه وعجز من أن يتغير منزله في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غلباتها وهي مترددة بين الإقبال والأعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على أمواج البحر فإنه لا ثبات له والاشتغال بمراجعة القلوب وحفظ الجلاء ودفع كيد الحساد ومنع لذى الأعداء كل ذلك غمر عاجلة ومكثرة للذة الجلاء فلا يبنى في الدنيا مرجوها بمخزوها فضلا عما يفوت في الآخرة فهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفلت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاستقاط الجلاء عن قلوب الخلق مباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتضارقه لذة القبول ويأنس بالجحول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب النلائية إذ اتجموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلو من آفة الجلاء وهذا غير جائز لمن يقتدى به فإنه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذى لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محذور لأجل ذلك بل له أن يفعل من اللباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روى أن بعض الملوكة قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبلا وأخذ يأكل بشره وعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذى صرفك عنى ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه إلا أن أبواب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون مفروط منهم فيه من صورة التفسير كما فعل بعضهم فإنه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجره وأفوى الطرق في قطع الجلاء الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع الجحول فإن المعتزل في بيته في البلد الذى هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزل التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلة فإنه ربما يظن أنه ليس محب لذلك الجلاء وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه قدوه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتأتت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبس ولا يبالى به وبه يتبين بعد أنه محب للجاء والمزلة ومن أحب الجلاء والمزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فإن فتنة الجلاء أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المزلة في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فإذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طعمه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالزاد فلا يبالى أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كالأبالى بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يرام ولا يطعم فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزله في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجلاء إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجلاء ومدح الجحول والنذل مثل قولهم المؤمن لا يخاف من ذلة وقلة وأغلة وينظر في أحوال السلف وإشارهم للذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

( بيان وجه العلاج لحب اللدح وكراهة الدم )

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف منة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من الهلسات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم . أما السبب الأول : فهو استشعار الكمال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى  
- خلق لكم ما في  
الأرض جميعا فكون  
الطبايع وهي الحرارة  
والرطوبة والبرودة  
واليبوسة وكون  
بواسطتها النبات وجعل  
النبات قواما للحيوانات  
مستغرة لا تدعى يستعين  
بها على أمر معاشه لقوام  
بدنه فالطعام يصل إلى  
المعدة وفي المعدة طبايع  
أربع وفي الطعام طبايع  
أربع فإذا أراد الله  
اعتدال مزاج البدن  
أخذ كل طبع من  
طبايع المدة صفة من  
الطعام فتأخذ الحرارة  
للبرودة والرطوبة  
لليبوسة فيستدل

للمدح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فبى إما صفة تستحق بها المدح كالملم والورع وإما صفة لا تستحق للمدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب حشياً تندروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كإل التلني: أشد التم عندي في سرور يتيقن عنه صاحبه انتقلا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بمرض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح السادح بها بل بوجودها وللمدح ليس هو سبب وجودها، وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالملم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الحاتمة غير معلومة وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الحاتمة باقى فى الخوف من سوء الحاتمة شغل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالملم والقوى لاجتماع السادح فإن اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لمن المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أطيب الروائح التي تنفوح منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقدار والأثان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أنشأوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطاع على خبايا باطنك وغوائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المدح إن صدق فليكن فرحك بصفته التي هي من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي أن يمشك ذلك ولا تفرح به. وأما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب المداح وكونه سببا لغيره فابعدا يرجع إلى حب الجاه والمثولة في القلوب وقد سبق وجهه من الجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المثولة عند الله، وبأن تعلم أن طلبك المثولة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به. وأما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المداح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي أن يمشك مدح المداح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات الإنسان. قال بعض السلف: من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في بطنه. وقال بعضهم: إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بش الرجل أنت فأنت والله بش الرجل. وروى في بعض الأخبار أن صح فوهو قاصم لظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذي قلت ثمت على ذلك دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمداح « ومحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لاتمدحوا وإذا رأيتم المداحين فاحشوا في وجوههم التراب (٣) » فلماذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وقتته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يأمر المؤمنين خيرون وأعلم فغضب وقال إني لم أمرك بأن تركى، وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبكاه الله فغضب وقال

المزاج ويأمن الأعوجاج وإذا أراد الله تعالى إفناء قلب وتخريب بنسبة أخذت كل طيبة جنبها من المأكول فتبيل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم . روى عن وهب بن منبه قال : وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام إني خلقت آدم وركبت جسمه من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لأن خلقته من التراب وهو يابس ورطوبته من الماء

(١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذي قلت ومات على ذلك دخل النار لم أجده أصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمداح تقدم . (٣) حديث ألا لاتمدحوا وإذا رأيتم المداحين فاحشوا في وجوههم التراب تقدمون قوله ألا لاتمدحوا.

إني لأحسبك عراقيا ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بمقتك فأشهدك على مقتك وإنما كرهوا اللدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم بمقتوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالمهم عند الله يفيض إليهم مدح الخلق لأن المدوح هو للتقرب عند الله وللذموم بالحقيقة هو البعد من الله للثقي في النار مع الأشرار ، فهذا المدوح إن كان عند الله من أهل النار لما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثباته عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذهمهم وسقط من قلبه حب اللدح واشتغل بما يرحمه من أمر دينه ، والله للوفيق للصواب برحمته .

### ( بيان علاج كراهة القم )

قد سبق أن العلة في كراهة القم هو ضد العلة في حب اللدح فصلاحه أيضا فيهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يغلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الإبداء والتنتع ، وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذهم وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتفقد منه فإن من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى المهلك حتى تنفي فينبى أن تفرح به وتشتغل بالذلة للذموم عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتيامك بسببه وكراهتك له وذلك إما فاته غاية الجهل وإن كان قصده التعت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرتك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبذ حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتبع لك أسبابها بسبب مامعته من اللذمة فمما قصبت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعدرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لحفت أن يحز رقتك لنوابيك جلس به بالعدرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعدرة طهر نفسك فينبى أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غيبة وجميع مساوى الأخلاق مهلكة في الآخرة والإنسان إنما يفرح من قول أعدائه فينبى أن تقتنمه . وأما قصد المدو التعت فخاية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وقصير هو به . الحالة الثالثة : أن يفترى عليك بما أنت برىء منه عند الله تعالى فينبى أن لا تذكره ذلك ولا تشتغل بذهم بل تفسكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فأعسر الله تعالى إذ لم يطلع على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برىء عنه ، والثاني أن ذلك كذارات بقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بسبب أنت برىء منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتيامك فقد أهدى إليك حسنة وكل من مدحك فقد قطع ظهرك ، فإيا بالك تفرح بقطع الظاهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب التقرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقراءه وتعرض لبقائه الأليم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فاتهم لا يفلون <sup>(١)</sup> » لما أن كسروا نذيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن آدم لمن شج رأسه بالغمرة فقيل له في ذلك فقال علمت أني مأجور بسببه وما نالني منه إلا خير فلا أرضى أن يكون

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فاتهم لا يفلون قاله لما ضربه قومه البيهقي في دلائل النبوة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

وحراوته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم يذوقون ومن قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بأخرى منهن ليرة السوداء والليرة الصفراء والدم والبلسن ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن البيوسة في الليرة السوداء ومسكن الرطوبة في الليرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة

هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة اللذمة قطع الطمع فان من استنبتت عنه مهم ما ذمكم لم يعظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن اللال والجاه وما دام الطمع قائما كان حب الجاه واللدح في قلب من ملعت فيه غالبا وكانت همتك إلى تحصيل للزلة في قلبه مصروفه ولا ينال ذلك إلا بهدم الدين فلا ينبغي أن يطعم طالب اللال والجاه وحسب اللدح ومبغض الدم في سلامته به فان ذلك بيد جدا.

( بيان اختلاف أحوال الناس في اللدح والدم )

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالاضافة إلى الدماء والسادح : الحالة الأولى أن يفرح بالمدح ويشكر للادح ويغضب من اللدح ويغمد على الدماء ويكافئه أو يجب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات العصية في هذا الباب . الحالة الثانية أن يمتنع في الباطن على الدماء ولكن يسلك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح بباطنه ويرتاح للادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من نقصان إلا أنه بالاضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذماده ومادحه فلا تنهه للذمة ولا تسره للذمة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يمتحن نفسه بعلماته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استغلا للذم عند تطويله الجالس عنده أكثر مما يجده في السادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج اللادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الدماء وأن لا يكون انقطاع الدماء عن مجلسه أهون عليه من انقطاع اللادح وأن لا يكون موت اللادح المطر به أشد نكابة في قلبه من موت الدماء وأن لا يكون غمه بمصيبة اللادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الدماء وأن لا تكون زلة اللادح أخف على قلبه وفي عينه من زلة الدماء فهم ما خاف الدماء على قلبه كما خاف اللادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى اللادح دون الدماء والشيطان يحسن له ذلك ويقول الدماء قد عصى الله بدمتك والادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استغفلك للذم من الدين المحض وهذا محض التلبس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كباثر الملهاصي أكثر مما ارتكب اللادح في مذمته ثم إنه لا يستقلهم ولا يفر عنهم ويعلم أن اللادح الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نقرة عنه بمذمة غيره كما يجد للذمة نفسه والمذمة من حيث إنها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المتورع لنفسه يغضب وهو لا يمتنع ثم إن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكاييد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع غوت عليه الدنيا ويحضره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى - قل هل ينشك بالآخرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره المدح ويمتنع اللادح إذ يعلم أنه فتنه عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويجب الدماء إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرشد له إلى مهمه ومهد إليه حسنة له فقد قال عليه السلام « رأس التواضع أن تذكره أن تذكر بالبر والتقوى (١) » وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح إذ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم ويول للقائم ويول لصاحب الصوف والإيمان ، قيل يا رسول الله إلا من ؟ قال إلا من تزهدت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة (٢) »

في البلم فأيا جسد اعتدلت فيه هذه القسط الأربع التي جعلتها ملاك وقوامه فكانت كل واحدة منهن دبا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيتة فان زادت منهن واحدة عليهن هز منهن ونالت بهن . ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبته حتى يضعف عن طاقته ويعجز عن مقدارهن فأهم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده أصلا (٢) حديث ويول للصائم ويول للقائم ويول لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس ويول لمن لبس الصوف غالف فله قوله ولم يخرج له ولده في مسنده .

وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضمم القرح والكرهية على الدائم والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والمذموم فلما نطمع فيها ثم إن طالعنا أنفسنا بسلامة الحالة الثانية فاتها لا تفي بها لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام المادح وقضاء حاجاته وتتناقل على إكرام الدائم والثاء عليه وقضاء حوائجه ولا تدر على أن نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا تدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والمذموم في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فانه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا في درجاتها أما الدرجات في اللدح فهو أن من الناس من يتمنى للذلة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرى بالعبادات ولا يبالى بفارقة المحظورات لاسيما قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستعمل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكن أن يضبطها فهو شك أن يقع فيما لا يحل لئيل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للذلة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور إليه بالتفكير في آفات اللدح فهو في خطر المجاهدة فارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا مدح للذم لم يسر به ولم يهتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره للذم إذا جمعه ولكن لا يهتم به إلى أن يغضب على المادح ويشكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الأحوال في حق الدائم وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار القرح ولا يكون القرح والإيمان في قلبه حتى يحدق على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبساتها الخبيثة فينفضها بغض العدو والإنسان يفرح بمن ينم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الدائم على ذلك ويعتقد فطنته وذكائه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتنقيص له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذا صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الناس وإذا سبقت إليه حسنات لم ينصب فيها فساده يكون خيرا ليوهه التي هو عاجز عن إمطتها ولو جاهد الريد نفسه طول عمره في هذه الحصلة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها ولا يطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

( الشطر الثاني : من الكتاب في طلب الجاه وللزلة بالعبادات )

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرأى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحيط العمل من الرياء وما لا يحيط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على الريد أن يلزمه قبل الطاعة وبسببها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

كبر الأمر والسب

طلب الحلال . ومن

أدب الصوفية رؤية

النعم على النعمة وأن

يتندى بفعل اليد

قبل الطعام قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم

« الوضوء قبل الطعام

ينفي الفقر » وإما كان

موجبا لنفي الفقر لأن

غسل اليد قبل الطعام

استقبال النعمة بالأدب

وذلك من شكر

النعمة والشكر

يستوجب المزيد فصار

غسل اليد مستجلبا

للنعمة منهبا للفقر

وقد روى أنس بن

مالك رضى الله عنه

عن النبي صلى الله

( بيان ذم الرياء )

اعلم أن الرياء حرام وللرائي عند الله محقوت وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار . أما الآيات : قوله تعالى - فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم رءاؤون - وقوله عز وجل - الذين يكرهون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فمدح المحصلين ينفي كل إرادة سوى وجه الله والرياء منه وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (١) نزل ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال « أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللتصدق بماله والقاري : لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قاري فأخبر صلى الله عليه وسلم أنهم يثابوا وإن رياءهم هو الذي أوجب أعمالهم (٢) وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « من رأى رياء رأى الله به ومن جمع مع الله به (٣) » وفي حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول لا تكن إن هذا لم يردني بعمله فأجعله في سجين (٤) » وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا ما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم ترءون في الدنيا فانظروا هل يجدون عندكم الجزاء (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « استعينوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء للرائين (٦) » وقال عليه السلام « يقول الله عز وجل : من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فويله كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك (٧) »

عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يحمى الله تعالى » وقوله تعالى - ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه - تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان . واختلاف الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله في وجوب ذلك وفهم الصوفي من ذلك بسد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل كل الطعام إلا ما قرأوا بالذكر فقرنه فريضة وقته وأدبه ويرى أن تناول الطعام للداء ينتج من إقامة النفس ومتابعة

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجو لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعبادته وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إلى أنف للوقف أبغى وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسختي من المستدرك وله سنة طه ابن عباس أو أبو هريرة وللبراز من حديث معاذ بسند ضعيف من صام رياء فقد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللتصدق بماله والقاري : لكتاب الله فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواء مسلم وسأيت في كتاب الاخلاص (٣) حديث ابن عمر من رأى رياء رأى الله به ومن جمع مع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث ابن عمر فرواء الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من جمع الناس مع الله به سامع خلقه وحقره وصفه وفي الزهد لابن المبارك ومسند أحمد بن منيع أنه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول لا تكن إن هذا لم يردني بعمله فأجعله في سجين ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الاخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظيمة من رواية حمزة بن حبيب مرسلأ ورواه ابن الجوزي في الموضوعات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الحديث أحمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استعينوا بالله من جب الحزن قيل وما هو ؟ قال واد في جهنم أعد للقراء للرائين الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وصعقه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كله

وقال عيسى للشيخ صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه  
 ثلاثا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شهادته وإذا صلى فليرجع ستر بابه فإن الله يقسم  
 التثابة كما يقسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من  
 رياء » (١) وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يتي ما ييكك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا  
 القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم  
 « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » (٣) وهى أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه  
 وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد ينجسها عن  
 شهادته » (٤) ولذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا » (٥) وقال صلى الله عليه  
 وسلم « إن المرأى ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر  
 أجرك من كنت تعمل له » (٦) وقال شداد بن أوس « رأيت النهر صلى الله عليه وسلم يتي يتي قلت  
 ما ييكك يا رسول الله ؟ قال إنى تخوفت على أمى الشرك أما إنهم لا يبعدون صبا ولا شمسا ولا قرأ  
 ولا حجرا ولكنهم يراءون بأعمالهم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت  
 بأهلها فخلق الجبال فصورها وأتادا للأرض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أهد من الجبال  
 فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذايت الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح  
 فكدرت الماء فاختلفت للملائكة فقالت نسأل الله تعالى قالوا يارب ما أهد ما خلقت من خلقك ؟  
 قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أهد على من قاب ابن آدم حين تصدق بيمينه فيخفيها عن  
 شهادته فهذا أهد خلقا خلقتهم » (٨) وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل  
 حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى وماذا حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكنت  
 ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لى « يا معاذ قلت ليك بأبى أنت وأبى يا رسول الله قال  
 الحديث مالك واللفظ له من حديث أبى هريرة دون قوله وأنا منه بربى ومسلم مع تقدمه وتأخير دونها  
 أيضا وهى عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده  
 هكذا (٢) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبرانى هكذا والحاكم يلفظ إن اليسر من الرياء شرك  
 وقد تقدم قبل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم فى أول هذا الكتاب  
 (٤) حديث إن فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد أن ينجسها عن شهادته  
 متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه فى حديث سبعة يظلمهم الله فى ظله (٥) حديث تفضيل  
 عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا البيهقى فى الشعب من حديث أبى الدرداء إن الرجل ليعمل  
 العمل فيكتب له عمل صالح لمعمل به فى السر ضعف أجره سبعين ضعفا قال البيهقى هذا من أقراد بقية  
 عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف بفضل  
 الله كره الحفى الذى لا تسمه الحفظلة على الله كره الذى تسمه الحفظلة سبعين درجة (٦) حديث إن  
 المرأى ينادى يوم القيامة يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر  
 رواية جيلة الجصبي عن صحابى لم يسم وزاد يا كافر يا كافر ولم يقل يا مرأى وإسناده ضعيف  
 (٧) حديث شداد بن أوس إنى تخوفت على أمى الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم  
 قريبا (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أهد من ابن آدم  
 يتصدق يمينه فيخفيها عن شهادته الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هواها ويرى ذكر الله  
 تعالى دواءه وترياقه .  
 روت عائشة رضى الله  
 عنها قالت « كان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم  
 يأكل الطعام فى ستة  
 نفر من أصحابه فجاء  
 أعرابي فأكله باقمتين  
 فقال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم أما إنه  
 لو كان يسمى الله  
 لكفأكم فاذا أكل  
 أحدكم طعاما فليقل  
 بسم الله فإن نسي أن  
 يقول بسم الله فليقل  
 بسم الله أول وآخره »  
 ويستحب أن يقول فى  
 أول لقمة بسم الله وفى  
 الثانية بسم الله الرحمن  
 وفى الثالثة يتم وشرب

إني محدثك حديثاً إن أنت حفظته فمك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجبتك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله تعالى خاق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكاً بواباً عليها قد جعلها عظاماً فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا زكته ففكرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب النية أمرني ربّي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد تشر به فزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يتخير به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يترجع نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يشكر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر السكوكب الذي له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس للزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كشوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقلعوا به على قلبه إني أحجب عن ربّي كل عمل لم يرد به وجه ربّي إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد روضة عند القهواء وذكرنا عند العلماء وصيننا في الدائن أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل الرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح الخالص لله قال فيقول الله لهم أتم الحفظة على عمل عبيدي وأنا أرقب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فليعني فتقول للملائكة كلهم عليه لنتك ولننتنا ونقول السموات كلها عليه لعنة الله ولننتنا وتلعنه السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ قالت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا ماذا قال اتقني وإن كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا ترك نفسك بذمتهم ولا ترفع شمسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك

الماء بثلاثة أخماس يقول في أول نفس الحمد لله إذا شرب وفي الثانية الحمد لله رب العالمين وفي الثالثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكان أن للمعدة طباغات قد ركاز كرناته بموافقة طباع الطعام فللاب أيضاً مزاج وطباغ لأرباب التفقد والرعيا والبقظة يعرف انحراف مزاج القلب من اللقمة للتناولة تارة تحدث من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض إلى الفضول وتارة تحدث في القاب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة



لكني يحذر الناس من سوء خلقك ولاتاج رجلا وعندك آخر ولا تتمتع على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناشطات نشطا - أتدري من هن؟ قلت يامعاذ؟ قلت يامه؟ بآي أنت وأمي يارسول الله؟ قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم. قالت بآي أنت وأمي يارسول الله فمن يطبق هذه الحاصل ومن ينجو منها؟ قال يامعاذ إنه ليسير على من يسره الله عليه (١) قال فما رأيت أكثر تلاوة القرآن من معاذ لالحذر مما في هذا الحديث. وأما الآثار: فيروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأ على رقبتة فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ورأى أبوامامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك. وقال على كرم الله وجهه: للرأى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أُنئى عليه وينقص إذا ذم. وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمد الناس قال لاشئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لاشئ لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث. وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال إن أحدنا يستطعم العروف يحب أن يحمده ويؤجر فقال له أعجب أن تمقت؟ قال لا قال فإذا عملت فاعمل فأخلصه. وقال الضحاك: لا يقولن أحدكم هذا الوجه الله ولوجهك لا يقولن هذا الله وللرحم فإن الله تعالى لاشريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقصر مني فقال لابل أدهم الله. ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا إنا أن تدعنا لي فأعرف ذلك أو تدعنا لله وحده فقال ودعنا لله وحده فقال فبم إذن. وقال الحسن: لقد صحبت أقواما إن كان أحدكم تعرض له الحسكة لولطق بها لنفسته ونفست أصحابه وما يمنعه منها إلا عذبة الشهرة وإن كان أحدكم ليرى الأذى في الطريق فليأمنه أن ينهيه إلا عذبة الشهرة. وقال إن للرأى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا صرأى يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب غدا أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا. وقال الفضيل بن عياض: كانوا يرادون بما يعملون وصاروا اليوم يرادون بما يعملون. وقال عكرمة: إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن التنية لأرباب فيها. وقال الحسن رضى الله عنه: للرأى يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل بمن ربه محل الأروياء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه. وقال قتادة: إذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبيدي يستهزئ بي. وقال مالك بن دينار: القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء اللوك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن. وقال الفضيل: من أراد أن ينظر إلى مرآة فلينظر إلى. وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمعت بالليل فانه أشرف من يمتلك بالتهار لأن السمعت بالتهار للصالحين وسمعت الليل لرب العالمين. وقال أبو سليمان: التوق عن العمل أشد من العمل. وقال ابن المبارك: إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قليل له وكيف ذلك؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بمكة. وقال إبراهيم بن آدم: ماصدق الله من أراد أن يشهر.

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة مسلكا بوابا عليها الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد لللائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء الصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواء في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزي في الموضوعات.

تحدث رطوبة السهو  
والغفلة وقارة يوسة  
الحسم والحزن بسبب  
الحظوظ العاجلة فمذه  
كلها عوارض يتفطن  
لها التيقظ ويرى تغير  
القلب بهذه العوارض  
تغير مزاج القلب عن  
الاعتدال والاعتدال  
كما هو مهم طلبه  
للقالب فللقالب أهم  
وأولى وتطرق  
الانحراف إلى القلب  
أسرع منه إلى القالب  
ومن الانحراف ما يستمر  
به القلب فيموت لموت  
القالب واسم الله تعالى  
دواء نافع مجرب يقى  
الأسوء ويذهب الداء  
ويجلب الشفاء. حكى

## ( بيان حقيقة الرياء وما يراى به )

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرياء أصله طلب التزلة في قلوب الناس بإرائهم خصال الخير إلا أن الجاه وللزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب التزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها فخذ الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالرائى هو العابد وللراى هو الناس للطلوب رؤيتهم بطلب للتزلة في قلوبهم وللراى به هو الحصول الذى قصد للرائى إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك وللراى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهى جماع ما يترين به العبد للناس وهو البدن والثرى والقول والعمل والألتباع والأغنياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

[ القسم الأول : الرياء في الدين بالبدن ] وذلك بإظهار التحول والصغار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليلد بالتحول على قلة الأكل وبالصغار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرانى بتشيعت الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفريغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدلت الناس بها على هذه الأمور قارتحت النفس لمعرفتهم فذلك تدعوه النفس إلى إظهارها لتدل تلك الراحتة بقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وقار الشعر هو الذى خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال للشيخ عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه وبرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما خاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراءاة أهل الدين بالبدن ، فأما أهل الدنيا فيراون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسيبها .

[ الثانى : الرياء بالهيئة والثرى ] أما الهيئة فتشيعت شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس فى اللقى والمهدوء فى الحركة وإبقاء أثر الجود على الوجه وغظظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مجرقا كل ذلك يرانى به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومقتد به بعبادته الصالحين ومن ذلك لبس الرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإنفلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنه النقع بالازار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تشفقه إلى الخدر من غبار الطريق وتنتصر فى إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم وللراون بازى على طبقات فمنهم من يطلب للتزلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فلبس ثياب الخرق الوسخة القصيرة المليظة ليرانى بفلظها وسخاها وقصرها وتخرقها أنه غير مكتر بالدين ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عندهم منزلة الذبح وذلك خوفاً أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من اللوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب الخرقاء المنزلة ازدريهم أمعن اللوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فذلك يطلبون الأوساف الدقية والأكسية الرقيقة والرقبات للصبوغة والقوط الرفية فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئة لون

أن الشيخ محمد  
الغزالي لما رجع إلى  
طوس وصف له فى  
بعض القرى عبد صالح  
قصد زائراً فصادفه  
وهو فى صحراء لا يندر  
الخطبة فى الأرض فلما  
رأى الشيخ محمد جاء  
إليه وأقبل عليه فجاء  
رجل من أصحابه  
وطلب منه البدر  
لينوب عن الشيخ  
فى ذلك وقت اشتغاله  
بالغزالي فامتنع ولم يسطه  
البدر فسأله الغزالي  
عن سبب امتناعه  
فقال لأنى أبذر هذا  
البدر بقاب حاضر  
ولسان ذاكر أرجو  
البركة فيه لكل من

ثياب الصلحاء فيتمسكون القبول عند الفريقين وهؤلاء إن كفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لسكان  
عندهم كالذئب خواف من السقوط من أعين اللوك والأغنياء ولو كفوا لبس الديق والسكان الديق  
الأبيض والقصب للعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفاً من أن يقول  
أهل الصلاح قد رغبوا في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأي منزلته في زى مخصوص فيتمل عليه  
الاشتمال إلى مادونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباهة خيفة من اللزمة وأما أهل الدنيا فراءاتهم  
بثياب النفيسة والراكب الريفة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفرة  
الحول وبالثياب للصبغة والطباسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في يوتهم الثياب  
الحسنة ويشدون عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالقوا في الرتبة .

[ الثالث : الرياء بالقول ] ورياء أهل الدين بالوعظ والنذير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار  
والآثار لأجل الاستعمال في المحاورة وإظهارا لفرارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين  
وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الحاقق وإظهار  
الغضب للمعصيات وإظهار الأسف على مفارقة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت  
بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وإدعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والديق على من يروى  
الحديث بيان خلل في لفظه يعرف أنه بصير بالأحاديث والمبادرة إلى أن الحديث صحيح وغير صحيح  
لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إخماد الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير  
وأنواعه لا تنحصر . وأما أهل الدنيا فراءاتهم بالقول بحفظ الأسماء والأمثال والتفانص في العبارات  
وحفظ النحو الفريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاسيما القلوب .

[ الرابع : الرياء بالعمل ] كمرادة الصلح بطول القيام ومد الظهور وطول السجود والركوع وإطراق  
الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك الصوم والنزول والجمع  
وبالصدقة وبالطعام والطعام والإحبات في الشيء عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في  
الكلام حتى إن للرائي قد يسرع في الشيء إلى حاجته فإذا أطلع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار  
وإطراق الرأس خوفاً من أن ينسبه إلى السجدة وقلة الوقار فإن غاب الرجل عاد إلى محبته فإذا عاد إلى  
خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجمد الخشوع له بل هو لا اطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد  
فيه أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا جمع هذا استعيا من أن تخالف مشيته في الخلو مشيته بمرأى  
من الناس فيكلف نفسه للشيء الحسن في الخلو حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التفسير ويظن أنه  
يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رباؤه فإنه صار في خلوته أيضاً محراباً فإنه إنما يحسن مشيته في  
الخلوة ليكون كذلك في اللأ لا خوف من الله وحياء منه ، وأما أهل الدنيا فراءاتهم بالتبخر والاختيال  
وتحريك اليدين وتقريب الخطأ والأخذ بأطراف الدين وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة .

[ الخامس : المرادة بالأصحاب والزائرين والمخالطين ] كالذي يشكك أن يستزير طالما من العلماء  
يقال إن فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويتبردون إليه أو  
ملسكا من اللوك أو عاملا من محال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر  
الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيأهـى بشيوخه ومباهاته ومراداته تشرح منه عند  
عخاصته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ  
وما يجري مجراه فهذه جماع ما يرأى به المرادون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والنفرة في قلوب العباد ومنهم  
من يقع بحسن الاعتقادات فيه فكمن راهب أزوى إلى ديره سنين كثيرة وكمن عابد اعتزل

يتناول منه شيئا فلا  
أحب أن أسده إلى  
هذا فينذر بأسان غير  
ذا كرو قلب غير حاضر  
وكان بعض الفقراء  
عند الأكل يشبع  
في تلاوة سورة من  
القرآن يحضر الوقت  
بذلك حتى تنقضي  
أجزاء الطعام بألوار  
الذكر ولا يهتبط الطعام  
مكروه ويشترى مزاج  
القلب وقد كان شيخنا  
أبو النجيب السهروردي  
يقول أنا آكل وأنا  
أصلي يشير إلى حضور  
القلب في الطعام وربما  
كان يوقف من يمنع  
عنه الشواغل وقت  
أكله فلا يتفرق عنه

إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خيَّاته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم نسبوه إلى جرعة في ديره أو سومتته لتشوش قلبه ولم يقطع بلم الله يראה ساحتة بل يشتد ذلك غمهم ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لن يندى كما ذكرناه في أسبابه فانه نوع قدرة وكال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يفتري به إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن للرائين من لا يقطع بقيام منزلته بل يتمسك مع ذلك إطلاق اللسان بالتناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتسخر الرحلة إليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعة وتجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال التامى وغير ذلك من الحرام وهو لا يشعر طبقات الرائين الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل . فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرر من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتليسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكأن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال - إني خفيظ عليكم وكان المال في قسم نافع ودر باقي نافع فكذلك الجاه وكأن كثير المال يلهمي ويطنى وينسى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وقتنا الجاه أعظم من فتنة المال وكان أنا لا حول تملك المال الكثير حرام فلا حول أيضا تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة مالا يجوز ، نعم انصراف المم إلى نعمة الجاه مبدأ الشرور كانصراف المم إلى كثرة المال ولا يتدرج الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها أو أمانة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف المم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فلي هذا قول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج إلى الناس مرادة وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوما إلى الصحابة فكان ينظر في حب اللاء ويسوى عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يزين لخواصه إذا خرج إليهم» (١) نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع وأسبغوا قلوبهم ولوسقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا ترد به أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصور رسول الله ﷺ ولكن لو قصدوا قصد به أن يحسن نفسه في أعينهم فحرام من ذمهم ولومهم واستروا إلى توقيهم واحترامهم كان قد قصدوا أمباحا إذ للانسان أن يحترج من ألم الذمة ويطلب راحة الأنس بالاخوان ومهما استقبلوه واستقبلوه لم أنس بهم فاذن المرادة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وموقود ذلك بحسب القرض للطلب بها ولذلك يقول الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لافي معرض العبادات والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مرادة وليس بحرام وكذلك أمثاله أما العبادات كالصدقة

وقت الأكل ويرى  
لذكر وحضور القلب  
في الأكل إنما كيرا  
لايسه الإهمال له ومن  
الذكر عند الأكل  
التكريفها لله تعالى  
من الأسنان للعبه على  
الأكل فلها الكسرة  
ومنها القاطعة ومنها  
الطاحنة وما جعل الله  
تعالى من الماء الخلو في  
المم حتى لا يفتري الدوق  
كما جعل ماء العين مالحا  
لما كان شحما حتى  
لا يفسد وكيف جعل  
الندوة تتبع من أرجاء  
اللسان والقم ليصين  
ذلك على المضغ والسوغ  
وكيف جعل القوة  
الحامضة مسلطة على

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب اللاء ويسوى عمامته وشعره الحديث ابن عدى في الكامل وقد تقدم في الطهارة .

والصلاة والصيام والتزو والحج فللمرائی فی حاتان: إحداهما أن لا یكون له قصد إلا الریاء المحض دون الأجر وهذا یبطل عبادته لأن الأعمال بالنیات وهذا لیس بقصد العبادة ثم لا یتصر على إحباط عبادته حتى یقول صار كما كان قبل العبادة بل یسمى بذلك ویأثم كما دلت علیه الأخبار والآیات . وللحق فیہ أمران أحدهما یتعلق بالبداء وهو التلبیس والسكر لأنه خیل إلیهم أنه یمسح مطیع لله وأنهم من أهل الدین ولیس كذلك والتلبیس فی أمر الدنیا حرام أيضا حتى لو قضی دین جماعة خیل للناس أنه یتبرع علیهم لیتقنوا سخاوتهم ثم به لما فیہ من التلبیس وتملك القلوب بالخداع والسكر . والثانی یتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستهزیء بالله ولذلك قال قتادة إذا رأى العبد قال الله للملائكة انظروا إلیه کیف یستهزیء بی ومثاله أن یشتمل بین یدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه لملاحظة جارية من جواری الملك أو غلام من غلمان فان هذا استهزاء بالملك إذ لم یقصد التقرب إلی الملك بخدمة بل یقصد بذلك عبدا من عبيده فأی استحقار یزید على أن یقصد العبد بطاعة الله تعالى مرادة عبد ضعیف لا یملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك إلا لأنه یظن أن ذلك العبد أقدر على تحصیل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إلیه من الله إذا تراءى على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأی استهزاء یزید على رفع العبد فوق الولی فهذان كبائر لله لملکات ولهذا صام رسول الله صلى الله علیه وسلم الشرك الأصغر (١) ، نعم بعض درجات الریاء أهدى من بعض کسایا یأتیها فی درجات الریاء إن شاء الله تعالى ولا یخلو شیء منه عن أثم غلیظ أو خفیف بحسب ما به الرأاء أو لولم یکن فی الریاء إلا أنه یسجد وبرک لیسر الله لسانه فی کفایة فانه وإن لم یقصد التقرب إلی الله فقد قصد غیر الله ولم یرى لوعظم غیر الله بالسجود لسكر کفر اجلیا إلا أن الریاء هو الکنفرا الحقی لأن للرأى عظم فی قلبه الناس فاقضت تلك العظمة أن یسجد وبرک فکان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظیم الله بالسجود وبقي تعظیم الخلق کان ذلك قریبا من الشرك إلا أنه قصد تعظیم نفسه فی قلب من عظم عنده بظهوره من نفسه صورة التعظیم لله فمن هذا کان شركا خفیا لا شرکا جلیا وذلك غاية الجهل ولا یقدم علیه إلا من خدعه الشیطان وأوهم عنده أن العباد یملكون من ضربه وقضه وورقه وأجله ومصالح حاله وما له أكثر مما یملكه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله إلیهم وأقبل بقلبه علیهم لیستعمل بذلك قلوبهم ولو وکله الله تعالى إلیهم فی الدنیا والآخرة لکان ذلك أقل مکافأة له على صنیهه فان العباد کلهم عاجزون عن أنفسهم بالملکون لأنهم یفعلوا لضراف کفیف یملکون لیسرهم هذا فی الدنیا فکیف فی يوم لا یجزى والدن ولدن ولا مولود هو جاز عن والده شیئا بل یقول الأنبیاء فی نفسی نفسی فکیف یمتدیل الجاهل عن ثواب الآخرة ونیل القرب عند الله ما یرتبه بطمعه الکاذب فی الدنیا من الناس فلا ینبغی أن نشک فی أن للرأى بطاعة الله فی سحق الله من حیث القل والقیاس جمعا هذا إذا لم یقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والمجد جمیعا فی صدقته أو صلاته فهو الشرك الذى یناقض الاخلاص وقد ذکرنا حکمه فی کتاب الاخلاص ویدل على ما قلناه من الآثار قول سعید بن السیب وعبادة بن الصامت : إنه لا أجر له فی أصلا .

### ( بیان درجات الریاء )

اعلم أن بعض أبواب الریاء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

(١) حدیث مسمى الریاء الشرك الأصغر أحمد من حدیث محمود بن لیبید وقد تقدم وزواه الطبرانی من رواية محمود بن لیبید عن رافع بن خدیج فجعله فی مسند رافع وتقدم قریبا وللمحقق ویمصح إسناده من حدیث شداد بن أوس کنا نعد على عی رسول الله صلى الله علیه وسلم أن الریاء الشرك الأصغر .

الطعام تفصله وتجزئه متعلقا مددها بالسکبد والسکبد بثابة النار والسکبد بثابة القدر وعلى قدر قساد السکبد تقل الهاضمة ویفسد الطعام ولا ینفصل ولا یصل إلى کل عضو نصیه وهكذا تأثیر الأعضاء کلها من السکبد والطحال والسکبتین ویطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فلیطالع تشریح الأعضاء لیرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها ببعض فی إصلاح الغذاء واستجذاب

فيه وأركانها ثلاثة للرأى به والرأى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأول : نفس قصد الرياء وذلك لا يغلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يغلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى : وهى أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذى يصلى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل ربا يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصده إلى الرياء فهو الموقوف عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية : أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضيقا بحيث لو كان في الحلوكة لكان لا يضعه ولا يجعله ذلك القصد على العمل ولولم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا يخفى عنه للقت والإيم . الثالثة : أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يمتعه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما مائلا للانفراد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أقسده مثل ما أصلح فترجوا أن يسلم رأسا برأس لاله ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة : أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولولم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك » فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثانى : للرأى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات : الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخد في النار وهو الذى يظهر كفى الشهادة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه رأى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - أى في دلائلهم بقولهم على ضمايرهم وقال تعالى - ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها الآية وقال تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ - وقال تعالى - يرادون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبحين بين ذلك - والآيات فيهم كثيرة وكان الغفاق يكثر فى ابتداء الإسلام ممن يدخل فى ظاهر الإسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر اتفاق من يسئل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول للملحدة أو يعتقد على بساط التبرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فيؤلاء من المنافقين وللمؤمنين المخدبين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حال من الكفار المجاهرين فاتهم جمعا بين كفر الباطن وشقاق الظاهر . الثانية : الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره بأخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان فى يده لما أخرجهما ويدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الحلوكة وكذلك يصوم رمضان وهو يشرب خلوة من الخلق لغيره وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف الدمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو ويرى والده لا عن رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء  
واقسامه إلى الدم  
والنمل والابن لنضجة  
للرلود من بين قرث  
ودم لنا خلاصا سائما  
للشاريين فتبارك الله  
أحسن الخالقين فالسكر  
فى ذلك وقت الطعام  
وتعرف لطيف الحكم  
والقدر فيه من الذكر  
وعما يذهب داء الطعام  
للفير لمزاج القلب أن  
يدعو فى أول الطعام  
ويسأل الله تعالى  
أن يحمله عونا على  
الطاعة ويكون  
من دعائه : اللهم صل  
على محمد وعلى آل محمد  
ومارزتنا مما تحب  
اجعله عونا لنا على

خوفا من الناس أو يفترو أو يهيج كذلك فهذا مراد أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لا يعبود  
سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لقبره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للسكسل وينشط عند  
اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخالق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من منعة الناس  
أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في عهدهم أهد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل  
وما أجدر صاحبه بالقتل وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد. الثالثة: أن لا يراى  
بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يراى بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يصبى ولكنه يكسل عنها في الخلوة  
لتنور رغبته في ثوابها ولا يثابر لذة السكسل على ما يرجى من الثواب ثم يمشى الربا على فعلها وذلك  
كحضور الجماعة في الصلاة وعبادة للرب وتبليغ الجائزة وغسل اللب وكالتجبد بالليل وصيام يوم  
عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، فقد فعل للراى جملة ذلك خوفا من اللزمة وأطلب المجددة  
ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فإن  
الذى قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق  
فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافلة  
لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الربا بأصول العبادات . القسم  
الثاني : الربا بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات: الأولى أن يراى يفعل ما في  
تركه نقصان العبادة كالذى غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس  
أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل  
ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل : أى أنه ليس يبالى باطلاع الله عليه في الخلوة فإذا اطلع  
عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان مرتبا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن  
الجلوس كان ذلك منه تقدما لغلالم على السيد واستهانة بالسيد لاهمالة . وهذا حال الراى بتحسين  
الصلاة في اللأ دون الخلوة وكذلك الذى يعتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء  
فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن التوبة  
والرفق لأجل الخلق لا كالألبادة الصوم خوفا من اللزمة ، فهذا أيضا من الربا المخطو لأن فيه  
تقدما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الربا بأصول التطوعات فإن قال للراى إنما فعلت ذلك  
صيانة لأستهم عن التوبة فانهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان  
بالذم والتوبة وإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتبليس  
وليس الأمر كذلك فإن ضررك من نقصان صلاتك وهى خدمة منك لمولوك أعظم من ضررك بنية  
غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدى وصيفة  
إلى ملك لينال منه فضلا ولا ية يتلقاها فيهدىها إليه وهى عوراء قبجة مقطوعة الأطراف ولا يبالى  
به إذا كان الملك وحده وإذا كان عنده بعض غلامه امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل  
من يراعى جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم للراى فيه حالتان: إحداهما  
أن يطلب بذلك المنزلة والمجددة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرنى  
الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتى عند الله نافلة وآذانى الناس بدمهم  
وغيرهم فاستفيد بتحسين الشهية دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن ترك تحسين الصلاة  
فيفوت الثواب وتحصل اللزمة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص  
فإن لم تحضره التوبة فينبى أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمرأة بطاعة الله

ماحب وما زويت عنا  
مما تحب اجعله قراغا  
لنا فيها تحب .

[ الباب الثالث  
والأربعون في آداب  
الأكمل ]

لن ذلك أن يبتدىء  
بالمح وبختم به روى  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال لعلى  
رضى الله عنه « يا حى  
ابدأ طامبك بالمح  
واختم بالمح فان للمح  
شفاء من سبعين داء  
منها الجنون والجذام  
والبرص ووجع البطن  
ووجع الأضراس »  
وروت عائشة رضى الله  
عنها قالت « بلغ رسول  
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرائي بفعل مالا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التسكلة والتسمة لمبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين وللبادرة إلى التسكيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت واختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعطاء الرقبة التالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرائي بزيادات خارجة عن قس التوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول وتوجهه إلى عين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي أين وقف ومضى بحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرائي به وبعضه أشد من بعض والكل مذموم . الركن الثالث : للرائي لأجله فإن للرائي مقصودا لا محالة وإنما يرائي لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لا محالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولي القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يسلم إليه تفرقه الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويجدها أو تسلم إليه الأموال التي تتفق في طريق الحج فيختل بضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استئجار الحجيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده القادمة في المعاشي ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التعجب إلى امرأة أو غلام لأجل العجب وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرقعة من امرأة أو غلام وهؤلاء أيضا للرائين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سبلا إلى معصيته وأخذوها آلة ومتجرا بضاعة لهم في قسمهم ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقرب جريئة أهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة وإتاهمه الناس بها فيصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بماله نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء وبشغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقتصد إما امرأة بينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، وكذلك يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنياه ولكن دون الأول فإن للطلوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يبعد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطالع عليه الناس فيحسنن للشي ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل الله والسهو لامن أهل الوقار ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدامنه للزاح فيخاف أن ينظر إليه بين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الأدمي عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لمسا كان يتقرب إليه وإنما يخاف أن ينظر إليه بين الاحتقار لا بين التوقير كالذي يرى جماعة يصلون التراويح أو يتجعدون أو يصومون الخديس والاثنين أو يصدقون قيوافهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إمامه من رجله اليسرى لدغة فقال على بذلك الأبيض الذي يكون في العجين فجثا بجمع فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه » ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها ، روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي » وروى أنه قيل « يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع



لا يفعل شيئا من ذلك وكالذي يحطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خواف من أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعمه فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصح بأن صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وأنه يختز من أن يذكر عبادة للناس فيكون مرأته فيريد أن يقال إنه سائر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه فيه عذرا قصر مجاراة تعرضا بأن يعمل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أظفرت تطيبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به أنه يعتذر برياض ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألقى على اليوم ولم أجد بدا من تطيب قلبه ومثل أن يقول إن أي ضيفة القلب مشقة على نظن أني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا الروسخ عرق الرياء في الباطن أما الخاس فإنه لا يبالى كيف نظر الحلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وإن كان له رغبة في الصوم لله قطع يعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياى شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ورأب أصفاء الراتبين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد الهلكات وإن من شدته أن فيه مشاوب هي أخفى من ديب الخلق كما ورد به الخبر يزل فيه حلول العلماء فضلا عن العباد الجاهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرياء الحفي الذي هو أخفى من ديب الخلق)

اعلم أن الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يمتح على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجله وأخفى منه قليلا هو مالا يحمل على العمل بمجردة إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجهه الله كالذي يتاد التهجيد كل ليلة ويقبل عليه فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولا كنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدماء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته قرب عبد يخلص في عمله ولا يستند الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنا النار في الحجر فأظهر عته اطلاع الحلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استمر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الحفي من الرياء حتى يتحرك له نفس حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعرض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الاظهار بالطلق تعرضا وتصريحا ولكن بالتشاكل كإظهار النجول والصفار وخفض الصوت وبسبب الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة الناس الدال على طول التهجيد وأخفى من ذلك أن يخفى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدوه بالسلام وأن يقابله بالبشاشة والتوقير وأن يشنوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يساعوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في المكان فإن قصر فيه مقصر قتل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لكم فتفقدون على طاعتكم اجتماعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الأكل على السفر وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن القومى بإسناده إلى ابن ماجه الحافظ القزويني قال أنا محمد ابن الثني قال ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبي عن يونس بن القرات عن قتادة عن أنس ابن مالك قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقّه ومهما لم يكن وجود العبادة كدعما في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خالبا عن شوب خفى من الرياء أخفى من ديب الخلق (١) وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة: ألم يكن يرضخ عليكم السهر ألم تسكونوا تبتدون بالسلام ألم تسكونوا تقضى لكم الحوائج وفي الحديث « لا أجر لكم قداس توفيتهم أجوركم » وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد غفلة الطغيان فنخاف أن نسكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أخذنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تحضى له لمكان دينه وإن اشتري شيئا أحب أن يرضخ عليه لمكان دينه فيأخذ ذلك ملكهم فركب في مركب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلا بالناس قال السائح ما هذا قبل هذا الملك قد أظلك فقال للعلماء اتقوا بطعام فأتاه يقل وزيت وقلوب الشجر جعل يحشو شقه ويأكل أكلنا عينا فقال للملك أين صاحبكم؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس، وفي حديث آخر يخبر فقال للملك ما عند هذا من خير فأنصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لى ذام فلم يزل المتخلصون خائفين من الرياء الخفى يجهدون لذلك في عيادة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفاتهم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجا أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة بإخلاصهم على ملاء من الخلق إذ علموا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلوا شدة حاجتهم وفاقهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يحزى والد عن ولده ويشغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد قسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فاتهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب للقرى الخالص لهم بأن أرباب البوادي لا يروج عديم الزائف والتبهرج والحاجة تشتد في البداية ولا وطن يفرغ إليه ولا حبيب يتمسك به فلا ينحى إلا الخالص. من التقدر كذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والراى الذى يزودونه له من التقوى فإذن شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا، اطلعوا على حركته أم لم يطعموا فلو كان محمدا فاعلم الله لاستحق عقابه العباد كما استحق صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدر أن على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقصان عقاب كالأقارب على البهائم والصبيان والمجانين فإذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب يحبط للأجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل. فان قلت فما نرى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم. فنقول أولا: كل سرور قليل بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم، فأما محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والاختلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطاعهم وأظهر الجليل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظروا إليه وإطافه به فانه يستر الطاعة والمحبة ثم الله يستر عليه المحبة ويظهر الطاعة ولا تطفأ أعظم من ستر القبيح وإظهار الجليل ليكون فرحه بحملي نظر الله له لا بحمد الناس

فلام كانوا يأكلون؟  
قال على السفر وصغر  
اللقمة ويجود الأكل  
بالمنشغ وينظر بين  
يديه ولا يطلع وجوه  
الأكلين ويقعد على  
رجله اليسرى وينصب  
اليمنى ويجلس جلسة  
التواضع غير متكى.  
ولا متمزز نهى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أن يأكل الرجل  
متكئا وروى « أنه  
أهدى لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
شاة فجثا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
على ركبته يأكل  
فقال أعرابي ما هذه  
الجلسة يا رسول الله؟

(١) حديث في الرياء شواذب أخفى من ديب الخلق أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري اتوا هذا الشرك فانه أخفى من ديب الخلق، ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق وضمفه هو والدارقطني.

وقيام الميزة في قلوبهم وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فليسألوا منه شيء - الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل باظهار الله الجليل وستره التبرع عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة (١)» فيكون الأول فرحا بالقول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا الثبات إلى المستقبل . الثالث أن يظن رغبة المطلبين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر الصلاة عما ظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به في طاعة لله مثل أجر أعمال القديين بمن غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور محال الرغبة فيه وموجب السرور لا محالة . الرابع أن يحمده للظلمة على طاعته فيفرح بطاعته لله في مدحهم وبجرهم للطبع ويعيل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الاعمان من يرى أهل الطاعة فيميته ويحسده أويده وهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بمحدم غيره مثل فرحه بمحدم إياه . وأما للندوم وهو الخامس فهو أن يحسب فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكره والله تعالى أعلم .

(بيان ما يحيط بالعمل من الرياء الحفي والجلي وما لا يحيط)

فقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارء الرياء فلا يغلو إيماناً يرد عليه به . فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نية الاخلاص سالما عن الرياء فليطأ به بعد فبرجوا أن لا ينطلف عليه أثره لاسيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه إلا مداخل من السرور والارتياح على قلبه . نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء . ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا يخوف . وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحيط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له «صمت ولا أفطرت (٢)» فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له . لما أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يطرأ أمداً للعمل بمطالعات العمل بل الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على حراماته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يسلط الصلاة ويحيط بالعمل وأما إذا ورد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في أثناءها وارد الرياء فلا يغلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعثا على العمل فإن كان باعثا على العمل وحتم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون في تطوع فتجدد له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر ، صامت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لاصام ولا أفطرت وللطبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه فقال رجل إني صائم قال بعض القوم إنه لا يفطر لأنه يصوم كل يوم قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصام ولا أفطرت من صام الأبدي لم أجده بافطار الخطاب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلقني عبدا ولم يجعلني جبارا عنيدا . ولا يبتدىء بالطعام حتى يبدأ للقدم أو الشيع روى حذيفة قال «كنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضح أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين» روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لأكل أحدكم يمينه وليشرب يمينه ولأخذ يمينه وليعط يمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب

أوحضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه أويذ كرثيثا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستمها خوفا من مذمة الناس قد حبط أجره وعليه الاعادة إن كان في فرصة وقد قال **عليه السلام** « العمل كالوعاء إذ طاب آخره طاب أوله <sup>(١)</sup> » أى النظر إلى خاتمته، وروى « أنه من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله <sup>(٢)</sup> » وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لاطل الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد فباطل أيضا بدال الباقي دون النافى والصوم والحج من قبيل الصلاة وإنما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمتنع من قصد الاتمام لأجل الثواب كالوحضر جماعة في أثناء الصلاة فحرق بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا فهذا رياء قد تدرأ في العمل واتضح باعشا على الحركات فإن غلب حق اتحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا يبقئ أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لأننا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما ينفىها ويفسدها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه . ولقد ذهب الحرث المحاسب رحمه الله تعالى إلى الاجاباط في أمره هو أن من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس على سروره أو كسب للزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصار فرقة إلى أنه يحبط لأنه قرض العزم الأول وركن إلى حمد الخلقين ولم يحتم عمله بالاخلاص وإعمايته العمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وإن لم يتزدد في العمل ولا آ، ن عليه . وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والأغلب على قاي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى : إنها حالتان فإذا كانت الأولى لله لم يفسده الثانية . وقد روى « أن رجلا دل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسل الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسدني قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية <sup>(٣)</sup> » ثم تسكاهم على الخبر والأثر فقال أما الحسن فانه أراد بقوله لا يفسده أى لا يدمر العمل ولا يفسده الخطرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يفسده وأما الحديث فسكاهم عليه بكلام طويل يربيع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد أن يسره للاقتداء به أو لسرور آخر محمودهما ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المخدمة وللزلة بدليل أنه جعل له به أجرا ولا ذهاب من الأمة إلى أن لا سرور بالمخدمة أجرا وغايته أن يفسى عنه فكيف يكون له خاص أجر وللرأى أجران . والثالث : أنه قال أكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفسه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل يظهر ميلا إلى الاجباط والأقرب عندنا أن هذا التقدير إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وإنما انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينمعه به أصل نيته وبقيت تلك

بجاهه ويأخذ بجاهه  
ويطى بجاهه « وإن  
كان لا يأكل تمرأ أو  
ماله هجم لا يجمع من  
ذلك ما يرى ولا يؤكل  
على الطبق ولا في كفه  
بل يضع ذلك على  
ظهر كفه من فيه  
ويرميه ولا يأكل من  
ذروة الثريد . روى  
عبد الله بن عباس  
عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال « إذا  
وضع الطعام فخذوا من  
حاشيته وذروا وسطه  
فإن البركة تنزل في  
وسطه » ولا ييب الطعام  
روى أبو هريرة رضى الله  
عنه قال ما عاب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ إذا طاب أسفل طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله لم أجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلا قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسدني فقال لك أجران الحديث البقي في شعب الإيمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذى وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيفسده فإذا أطلع عليه أعجبه قال له أخر السر والعلانية قال الترمذى غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مرسل .

انية باعثة على العمل وحاملة على الأنعام ، وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الحلق وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما إذا كان ضيقا بالاضافة إليه فلا يحيط بالكلفة ثواب الصدقة سائر الأعمال ولا ينبغي أن يقصد الصلاة ولا يبعد أيضا أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص مالا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما في مجاز وردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة إما قبل القرائع أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذي يقارن حال العقد بأن يتبدى به الصلاة على قصد الرياء فإن استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضى ولا يمتد بصلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام قضايته ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تنفد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريم الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ باخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطيع بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد أمير الله لكان كافرا ولكن اقرن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومنهجه الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزم إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أضالزا لئمة في الصلاة فتفسد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضيف لأن الرياء ينقض في النية وأولى الأوقات براعاة أحكام النية حال الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثة مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامثال الأمر لم ينقض افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلي لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا النية عبارة عن إجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لو لا الناس أيضا لكان يصلي إلا أنه ظهر له الرغبة في المهددة أيضا فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وماليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحج فإن كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب فمن عمل بمثل الفذرة خيرا يره ومن يعمل بمثل فذرة شر يره - فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحيط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تهيل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يغلو إما أن تكون فرضا أو نفلا فإن كانت نفلا لحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والافتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلاف بيت وحملها صلى لاصح الافتداء به فإن للصير إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا تطوعه فتصح باعتبار ذلك قصد صلاته وصح الافتداء به وإن اقرن به قصد آخر وهو به عاص فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم ينهض باعثا في حقه بمجرد استقلاله وإن كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرائض ولو لم يكن باعث الفرض لأن صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتها  
أكله وإلا تركه وإذا  
سقطت القصة يأكلها  
قد روى أنس بن  
مالك رضى الله عنه  
عن النبي صلى الله عليه  
وسلم أنه قال « إذا  
سقطت لقمة أحدكم  
فليعط عنها الأذى  
ولياكلها ولا يدعها  
لشيطان ويلحق  
أصابعه » قد روى جابر  
عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال « إذا  
أكل أحدكم الطعام  
فليحتس أصابعه فإنه  
لا يدري في أي طعامه  
تكون البركة » وهكذا  
أمر عليه السلام  
بإسقاط القصة وهو

الأمر يباع مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مضمومة فانه وإن كان عاصيا بإيقاع الصلاة في الدار للمضمومة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من يبادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدىء صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يراضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القبح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا ما راه لاها بقانون الفقه والسألة غامضة من حيث إن الفقهاء لم يترضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيها نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

### ( بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه )

قد عرفت مما سبق أن الرياء محيط للأعمال وسبب للحقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه جدير بالتشهير عن ساق الجذ في إزائته ولو بالمجاهدة وتحمل للشاق فلاشفاء إلا في شرب الأدوية للرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذا الصبي غلبت ضيف العقل والتعيز تمتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انقضى الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على لومه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرها وفي علاجه مقامان : أحدهما قلق عروقه وأصوله التي منها انتعاه والثاني دفع ما يغتر منه في الحال . القام الأول : في قطع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المازلة والجاه وإذا فضل رجع إلى ثلاثة أصول وهي : لذة الحمدة والقرار من ألم الهم والطمع فيها في أيدي الناس ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للعراني ما روى أبو موسى « أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية <sup>(١)</sup> ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو ينهم بأنه مهزبور مغلوب وقال الرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طوب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد بالاسنان فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لشكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان زلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا . وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملاء دفتي راحته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى <sup>(٢)</sup> » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الهم كالخيل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالتليل كي لا يخجل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالبيان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الهم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أيس

منها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلاط القصعة ولا ينفخ في الطعام فقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تنفخ في الطعام ذهب بالبركة » وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الإزاء فليس من الأدب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة قيل إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان

(١) حديث أبي موسى أن أعرايا قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .

(٢) حديث من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى النسائي وقد تقدم .

من الحد كره الدم والرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلى ركعات معدودة حتى لا ينام بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لغة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الدم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن ينام بالجهل ويغنى بغير علم ويدعى العلم بالحدوث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من النعم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك الرائي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يغني أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ إما في الحال وإما في المآل فان علم أنه لذيق في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن الصلابة يذوق ولكن إذا بان له أن فيما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضرر ومهما عرف العبد مقصود الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يعرّم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من اللذة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم ولانقت الشدائد والحزى الظاهر حيث ينادى على ردوس الخلائق بإفاجر بإفاجر يأمرائى أما استحييت إذا غفرت بطاعة الله عرض الدنيا وارقت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وهيمت إلى العباد بالنقض إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقرّبت إليهم بالبعد من الله وتحدثت إليهم بالندم عند الله وطلبت رضام بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تفكر العبد في هذا الحزى وقابل ما يحصل له من العباد والذين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسنة لوخلص لافدا فسد بآراء حول إلى كثرة السيئات فترجح به ويهوى إلى النار فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لسكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصدّيقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صفّ النمل من مراتب الأولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت لهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طاب رضام في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإظهار ذم الله لأجل حمدهم ولا يزيدهم حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعهم يوم مقره وفاته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيديهم فإن يعلم أن الله تعالى هو السخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الدل والحياة وإن وصل إلى الراد لم يخل من اللثة واللهانة فكيف يترك ما عند الله بجاه كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تقى لذته بألم منته ومدته وأما ذمهم فلم يحد منه ولا يزيد ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يجلل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يفضله إلى الله إن كان محمودا عند الله ولا يزيد مقتا إن كان مذمومًا عند الله فالعباد كلهم همزة لا يعلكون لأنفسهم ضرا ولا شفا ولا يعلكون موتا ولا حياة ولا نشورا فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها قوت رغبته وأقبل على الله قلبه فان الماقل لا يرغب فيها بكثر ضرره ويقل شمه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لمتوهه وسيكشف الله عن سره حتى يفضله إلى الناس ويرفهم أنه مرادهم ويموتوا عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم فإن مدحى زين وإن ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقل روت أم سعد  
رضى الله عنها قالت  
«دخل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم على عائشة  
رضى الله عنها وأنا  
عندها فقال هل من  
غداء ؟ فقالت عندنا  
خبز وعمر وخل فقال  
عليه السلام : نعم لا دام  
الحل اللهم بارك في الحل  
فانه كان إدام الأنبياء  
قبلي ولم يغير بيت فيه  
خل » ولا يصمت على  
الطعام فهو من سيرة  
الأناس ولا يقطع  
اللحم والحزب بالسكين  
فيه نهى ولا يكف يده  
عن الطعام حتى يفرغ  
الجمع فقد ورد عن ابن  
عمر رضي الله عنهما

كذبت ذلك الله الذي لا إله إلا هو (١) « إذ لازن إلا في مدحه ولاشين إلا في ذمه فأى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقيمين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها للؤيد وللنازل الرفعة عند الله استقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من السكدرات وللنصاات واجتمع هموا نصرف إلى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانصطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها لمن لطائف الكشافات ما يزيد به أنه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدينا واستعظامه للآخرة وسقط عمل الخلق من قلبه وأخل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الإخلاص فهذا وما قد تمتد في الشطر الأول هي الأدوية الطبية القائلة مغارس الرياء : وأما الدواء العملي : فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون القواش حتى يقنع قلبه بعلم الله وإطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لتجالسنا بهذا فلم يرخص في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا بد من الرياء مثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة بالتكليف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك وتواصل لطاف الله وباعديه عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين - وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لئنه أجرا عظيما - .

للقام الثاني : في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من قلعه أيضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالنقاعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين الخلق واستحقار مدح المخلقين وذهمها للشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يطرأه بخطر الرياء ولا تنقطع عنه زفاته وهوى النفس وميلها إلا ينمحي بالكسبية فلا يد وأن ينشرح لدفع ما يمرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدرج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة من النفس في حدم وحصول للزلة عندهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتضميم العقد وإعما كمال القوة في دفع الخاطر الأول وردة قبل أن يتلوهم الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال مالك وللخائق علوا أولم يعلموا والله عالم بحماك فأى فائدة في علم غيره فان حاجت الرغبة إلى لئنه الحمد يذكر ما رشح في قلبه من قبل من آفة الرياء وترضه لدقت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لعنت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والسكرهه تدعوه إلى الإباء والنفس تطاوع للاحالة أقوامها وأغلها فاذا ن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور : للمعرفة والسكرهه والإباء وقد شرع العبد في العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقله ولا تنحصر للمعرفة ولا السكرهه التي كان الضمير منطوبا عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف النعم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يلقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بأفات الرياء وشؤمها عاقبتة إذ لم يبق موضع في القلب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وضعت للنائدة فلا تقوم رجل حتى ترفع لسانه ولا يرفع يده وإن شبع حتى يسرع القوم وليتمل فإن الرجل يجبل جلسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة » وإذا وضع الحسب لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الحسب فإن الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقر وابن آدم ومن أحسن الأدب وأهمه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذلك الله ، حم من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات إلا أني لأعرف لأبي سلمة ابن عبد الرحمن سماعا من الأقرع ورواه الترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ قال رجل إن حمدي .



خال عن شهوة الحمد أو خوف اللثم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم التضع وبزعم على التحمل عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى ساقية عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حالوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة التضع وإليه أشار جابر بقوله : ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر ولم يأنبه على الموت فأنسيتها يوم حنين (١) حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجوا . وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت للمهد السابق حتى ذكروا ، وأكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون ، إذ تنسى معرفة مضرتها الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي للمعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة ، وقد يتذكر الإنسان فيعلم أن الحاضر الذي خطر له هو خاطر الریاء الذي يمرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على تركه لذة الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكمن عالم بحضرة كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أو كد إذ قيل داعي الریاء مع علمه بفائضه وكونه مذموما عند الله ولا تنقته معرفته إذا خلت للمعرفة عن الكراهة وقد تحضر للمعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الریاء ويعمل بالكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا ينفع بكراهته إذ النرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي للمعرفة والسكران والإباء فالإباء ثمرة الكراهة ثمرة المعرفة وقوة للمعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضمف للمعرفة بحسب الغلبة وحسب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكير فيها عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويشمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حالوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتلبس وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستئذاء بنور الكتاب والسنة وأتوار العلوم . فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الریاء وحملته الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وجهه له ومنازعة إياه إلا أنه كاره لحبه وإليه وإلى غير محب إليه فهل يكون في زمرة الرائيين ، فاعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا دفع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استتارها من معرفة المواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به وبذل على ذلك من الأخيار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا ترضى لقولنا بأشياء لأن نخر من السماء فتطغنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا حمل على الكراهة المداوة للوسوسة والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فإن

(١) حديث جابر ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر لا تفر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة بما يمرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان ، والنسائي في اليوم واليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماملا » آدمى وعاء شرا من بطنه « ومن عادة الصوفية أن يقيم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلسه معه فليأكله أو أكله أو أكلتني فإنه ولي حره ودخانه » وإذا فرغ من الطعام يحمده الله تعالى روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة <sup>(١)</sup> » وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فهاهنا عليه فإذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لاتضرك مهما رددت مرادها بالإباء والكراهة والخواطر التي هي المألوم والتذكريات والتخييلات للأسباب الهيجية للرّياء هي من الشيطان والرغبة والليل بمد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان ههنا مكيده وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرّياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعتة انصرف عن سر النجاة مع الله فيوجب ذلك قصانا في منزلته عند الله . والتخلصون عن الرّياء في دفع خواطر الرّياء على أربع مراتب : الأولى أن يرد على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق قصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بسدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعرج على قتال قطاع الطريق قصان في السلوك . الثانية : أن يعرف أن الجدال والقتال قصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه لئلا يشتغل بمجادلته . الثالثة : أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لأن ذلك وقوف وإن قلت بل يكون قد فرغ في عقد ضميره كراهة الرّياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحا للكرهات غير مشغل بالتكذيب ولا بالخاصة . الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرّياء فيكون قد عزم على أنه مهازم الشيطان زاد فيها هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظ الشيطان وذلك هو الذي ينيظ الشيطان ويقمعه ويوجب بأسه وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلانا يذكر لك قال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان يدعو العبد إلى الباب من الأثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرا فإذا رآه كذلك تركه . وقال أيضا إذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك وإذا رآك مداوما ملك وفلاك . وضرب الحرف الحاسبي رحمه الله لعله الأربعة مثلا أحسن فيه فقال : مثلم كآربة قصدوا مجلسا من العلم والحديث ليتلوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فجلسهم على ذلك ضال متبعض وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم إلى واحد فنهه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى فلما عرف إياه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليقوت عليه بقدر تأخره فلما رآه الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع في حجر الضال ولم يشتغل بالقتال واستجعل قهرج منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان غاب منه رجاءه بالكيفية فمر الرابع فلم يتوقف له وأراد أن ينيظه فزادى عجلته وترك الثاني في الشئ فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاود الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا ماوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن زغاته فهل يجب التمسك له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والنفقة عنه . قلنا اختاف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهبت فرقة من أهل البصرة

(١) حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم واليلة بلفظ كيد .

قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاما قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أكل طعاما فقال : الحمد لله الذي أطعمني هذا ووزقني من خير حولي ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه » ويتخلل فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخلصوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة » ويغسل يديه قدر روى

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه فاعتز لهم الشيطان وأيس منهم وخس عنهم كما أيس من صفاء العباد في الدعوة إلى الحق والازواصارت مزالا الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والحزير فارتحلوا من حبها بالكلفة فلم يبق للشيطان لهم سبيل فلاحاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن التردد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أين بأن لا شريك لله في تدبيره فلا يخفى غيره ويعلم أن الشيطان ذليل غفول ليس له أمر ولا يكون إلا ما اراده الله فهو الضار والنافع والمعارف يستحي منه أن يحذر غيره فالبقيت بالوحدانية يخيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلصت قلوبهم عن حب الدنيا بالكيفية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان وزفاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وإسمائه وفي تحسين البدع والاضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته - وقال النبي ﷺ « إنه ليغان على قلبي (١) » مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره إلا بخير (٢) فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما - إن هذا عدوك ولزووجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى إن لك أن لا تجوع فيها ولا تسرى وأنت لا تعلم فيها ولا تصحى - ومع أنه لم ينبه إلا على شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع الحزن والفقر ومعدن لللاذات الشهوات للهي عندها وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى - هذان عمل الشيطان - ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة - وقال عز وجل - إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف بدع الأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم - وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الجبل - فإذا لم يك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فإن يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن حجر بن صيد تراه ولا يراك يوشك أن يظفر به ويصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر إلا قتله هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم فليس من الاشتغال بالله الإعراض عما حذر الله وبه يضل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قاذف في التوكل فإن أخذوا الترس والسلاح وجمع الجنود وحضر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما بين غلط من زعم أن معنى التوكل الزرع عن الأسباب بالكيفية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الجبل - لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والحي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادي والضل هو الله ويرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفي يده خمر لم يسل فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه » ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أترعوا الطموس وخالفوا الجوس » ويستحب مسح العين يبلل اليد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأمسكوا أعينكم الماء ولا تنفضوا أيديكم قائما .

(١) حديث إنه ليغان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

في التوكل وهذا ما اختاره الحرث الحاسي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم ومقابله يشبه أن يكون من كلام الصياد الذين لم يفرز عليهم ويفنون أن ما بهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاسترقاق بالله يستمر على الدوام وهو بيد ثم اختلفت هذه القرعة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فإنا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال القلب كله بالشیطان وذلك مراد الشيطان منابل نشغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولانسى الشيطان وعداؤه والحاجة إلى الحذر منه فنجمع بين الأمرين فإنا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحسب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجردنا لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا ينبغي غلظه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا يدامنا ذكره وأما القرعة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ماعداه إبليس وغيره فالحق أن يلزم البعد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكسب عليه بكل الحمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فإنه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبهه وعند التنبيه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزعة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يغتبه مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بمحرم ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم بعداوة الشيطان وترصدوا وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بذلك شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو وفتال القلب بذكر الله وأريد تطهيرها من اللباء القذر لينفجر منها للباء الصافي فاشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد تزج الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا إليهم من جانب آخر فيطول تنبيهه ولا تحجب البئر من الماء القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى اللبء القذر سدا وملاها بالماء الصافي فإذا جاء الماء القذر دفعه بالسك والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

### ( بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات )

اعلم أن في الإسراع للأعمال قائمة بالإخلاص والنجاة من الرياء وفي الإظهار قائمة بالافتقار وترغيب الناس في الخير وليكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون أن السر أحرز العاملين ولكن في الإظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلاية فقال - إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والإظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخره بالحدث بما عمل - القسم الأول : إظهار نفس العمل كالصدقة في اللأ لتزغب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين «  
قبل لأبي هريرة في الوضوء وغيره قال نعم في الوضوء وغيره. وفي غسل اليد يأخذ الأسنان باليمين وفي الحلال لا يزدرد ما يخرج بالحلال من الأسنان وأما ما يلوكة باللسان فلا بأس به ويحسب التصنع في أكل الطعام ويكون أكمله بين الجمع كما كنه مفردا فإن البراء يدخل على البعد في كل شيء. وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تعلم به بأما قال نعم رأيت تصنع

التي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فعل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه (١) » وتجري سائر الأعمال هذا المجرى من الصلوات والصيام والحج والتزوي وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب، ثم التوازي إذا ما بالخروج فاستعد وشد الرجل قبل التوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن التزوي في أمسه من أعمال العلانية لا يمكن إسراره فالبادرة إليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل للبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلوة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي للتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإبداء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية القدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العمليين ويدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استأن بامه على عمل السر سبعين ضعفا (٢) » وهذا لوجه للخلاف فيه فإنه مهما انتك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين لما يقتدى به أفضل لا محالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينصفه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان : إحداها أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به الله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم للعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموه ولم يتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الاظهار بعذر الاقتداء وإنما شهوته التجمع بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المتخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فإن الضعيف مثاله مثل التريق الذي يحسن سياحة ضيفة فنظر إلى جماعة من الترقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبوا به فهلكوا وهلك والفرق بالماء في الدنيا أنه ساعة ولبت كان الهلاك بالرياء مثله لابل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزية أقدام العباد والطهارة فاشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفتن لذلك فامضى وعك ذلك أن يحرض على نفسه

(١) حديث من سن سنة حسنة ففعل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استأن بامه على عمل السر سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصر على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال مفرد بة بقية عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة فضل أو يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الخفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا وقال تفرد به معاوية بن يحيى الصدي وهو ضعيف.

في الأكل ومن تصنع في الأكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل وإن كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطمعنا طيبا واستعملنا صالحا وإن كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عوناً على معصيتك وليكثر الاستغفار والحزن ويحكى على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يكي كن يأكل وهو يضحك

أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو الظاهر للعمل فباعته الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فاتهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع إسراره لما بال قلبه يميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فيحذر البعدي عن النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحج الجاه على القلب غالب وقلم تسم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل السلامة شيئاً والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أثاناً فالخذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بمافعله بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجر في الحكاية زيادة ومبالغة والنفس لذة في إظهار الدعوى عظيمة إلا أنه لو طرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة للراضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم ومذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد قل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء . قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت لمحدث نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة لمحدث نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علمت أنه حق ، وقال عمر رضي الله عنه : ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأنني لا أدري أيهما خير لي ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضي الله عنه : ما تمنيت ولا عنييت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال شداد بن أوس : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لثلاثة أئمة بالسفرة لثبث بها حتى تذكرك القداء ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لا تبسكوا لي فاني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما قضى الله في قضاء قط فسرت أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال الشريعة وفيها غاية الرأفة إذا صدرت ممن يراني بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز الأقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطباع بمجولة على حب التشبه والاقتداء بل إظهار للرأى المباداة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير لئلا تناس ولكنة شر للعرائي ، فكمن غلظ كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو وراءه عند الله ، وقد روى أنه كان يحث الناس على الاقتداء بالبراءة إذا صدرت البصرة عند الصبح فيسمع أصوات الصلوات بالقرآن من البيوت فصف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصف فإظهار للرأى فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رآؤه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم (٢) كما ورد في الأخبار وبعض للرائين عن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف ترين ويحتمل الدخول على قوم في وقت أكلهم قد ورد من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراماً ومعناه أظنا آخر دخل سارقاً وخرج مغنياً إلا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويحتمل للضيف التكافؤ إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإنفاق ولا يفعل

(١) حديث عثمان قوله ما تمنيت ولا عنييت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى اللوصي في معجمه باسناد ضيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يارسول الله فذكره بلفظ منذ بايتك قال هو ذاك يا عثمان (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم هما حديثان فالأول متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه النسائي من حديث أنس بسند صحيح وأقدم أيضاً .

( بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمه له )

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والملاينة كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل الملاينة قال يا أمير المؤمنين وما عمل الملاينة ؟ قال ما إذا طلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو مسلم الخولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إيتاني أهلي والبول والغائط إلا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل واحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب قبله أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ما تخرج به الخواطر في الشهوات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك فارادة البعد لاختفائها عن العيود ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر للرأى. وأما الصادق الذي لا يرأى فله ستر الماعى ويصح قصده فيه ويصح اعتقاده باطلاع الناس عليه في ثمانية أوجه : الأول أن يفرح بستر الله عليه وإذا اقتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ نورى الخبر أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنبا ستره الله عليه في الآخرة (١) وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان. الثاني أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور الماعى ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله » فهو وإن عصى الله بالذنوب فلم يغل قلبه عن محبة ما أحبه الله ، وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور الماعى وأما الصادق فيه أن يكره ظهور الذنوب من غيره أيضا ويقتضيه بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يذمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضا يذم أن يكره الحمد الذى يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ، وهذا أيضا من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان. الرابع أن يكون ستره ورغبته فيه لسكراهته لنم الناس من حيث يتأذى بطبعه فإن النبل مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وإعاصيه إذا جازعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يهتم بنم الخلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصادق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذلمه ومادحه لعله أن الضر والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تألم بالذم لمسا فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الدمام من أهل البصيرة في الدين فاتهم شهداء الله وذمه يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يهتم به ، نعم التلم للذم هو أن يهتم لقوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمده الورع ولا يجوز أن يحب أن يحمده بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوبا من غيره فإن وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد. وأما كراهة الذم بالمصيبة من حيث الطبع فليس بعمد فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون البعد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وإعما مراده أن يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم إذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال وأما كراهة الذم على المصيبة فلا محذور فيه إلا أمر واحد هو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فإن ذلك غاية نقصان في الدين بل ينبغي أن يكره غمه باطلاع الله وذمه له أكثر. الخامس أن يكره الذم من حيث إن الذم قد عصى الله تعالى به وهذا من الإيمان وعلمته أن يكره ذمه لغيره أيضا

ذلك حياء وتكلفا  
وإذا أكل عند قوم  
طعاما فليقل عند فرأه  
إن كان بعد اللرب  
أفطر عندكم الصائمون  
وأكل طعامكم الأبرار  
وصلت عليكم اللانكة  
وروى أيضا عليكم  
صلاة قوم أبرار ليسوا  
بأئمين ولا فجار يصلون  
بالليل وصومون  
بالتهار . كان بعض  
الصعابة يقول ذلك .  
ومن الأدب أن  
لا يستحق ما يقدم له  
من طعام وكان بعض  
أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
ما ندرى أيهم أعظم  
وزرا الذى يحتقر

(١) حديث أن من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بورة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستر بستر الله الحاكم في السندرك وقد تقدم .

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستتر ذلك كيلا يقصد بهر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم القم فإن ألم القم مؤلم من حيث يشعر القاب بنقصانه وخسته وإن كان بمن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستتر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم القم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبايح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله »<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام « الحياء شعبة من الإيمان »<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير »<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحي الحليم »<sup>(٤)</sup> فالذي ينسق ولا يبالى أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق والتبتك والوقاحة فقد الحياء فهو أحد حالين يستتر ويستحي إلا أن الحياء يمتزج بالرياء ومشبه به اعتداه عظميا قل من يتفطن له ويدعى كل مرء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقبيه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرأى معه ويأمنه أن الرجل يطلب من صدق له قرضا ونفسه لاتسوخ بأقرضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا يطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالى فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لحياء له فان للاستحي إما أن يتعلل أو يقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال : أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يبيع الحياء فيقبض عنده الرد فيبيع خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطى حتى يبقى عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فلذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء وبقي في نفسه البخل فيمتلئ الاعطاء فيبيع داعي الاخلاص ويقول له إن الصدقة واحدة والقرض ثمان عشرة فقيه أجر عظيم وإدخال مرور على قلب صدق ذلك محمود عند الله تعالى فتسوخ النفس بالاعطاء لذلك فهذا يخلص هيجان الحياء إخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مدته ولا حب لعمه ، ته لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه ، ن الأجانب والأراذل لكان يرده وإن كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبايح كالبخل ومقارفة الذنوب والرائي يستحي من المباحات أيضا حتى إنه يرى مستجلا في الشيء يعود إلى الهدوء وصاحا كافر جمع إلى الانقباض وزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضغف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس ببيع كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذي الشبهة السلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيق الأمر بالمعروف فالله يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه ، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبايح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري

ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عسده أن يقدمه . ويكره أكل طعام المباحة وما يتكلف به لأعراس والتعازي لما عمل للنسوانح لا يؤكل وما عمل لأهل العزاء لأبأس به وما يجري مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانقباض إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا حرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صدقكم - قيل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحو الباب وأنزلوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان الصحيح عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير لا ينفك عنه من حديث فاطمة والبرار من حديث أبي هريرة إن الله يحب الحي الحليم للتعفف وفيه لث بن أبي سليم بخلاف فيه .



عليه غيره ويقتدى به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالأمّة أو بمن يقتدى به وهذه العلة ينبغي أيضا أن يغنى العاصي أضامه صيته من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الأعداء الجمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر العصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرأيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز للبعد أن يجب حمد الناس له بالصالح وحبهم إياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم «دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا عجبك الله وابذ إليهم هذا الخطام بحبوك» (١) فتقول جيك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمدا وقد يكون مذموما فالمحمود أن تحب ذلك تعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده وللذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجبك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والبلاب أن تحب أن يحبك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة للمعينة فبك ذلك تحبك للسال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض فكل الأموال فلا فرق بينهما.

### ( بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات )

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرأيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيها يترك من الأعمال وما لا يترك لحرف الآفات ما بذكره وهو أن الطاعات تنقسم إلى مالا لذة في عينه كالصلاة والصوم والحج والنفق وقاتها مقاساة ومجاهدات إنما تصير لذية من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس لذية وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو لذية وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإنفاق السال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لثقله بالخلق ولما فيه من اللذة. القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تستلحق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث : إحداها ما يدخل قبل العمل فيبث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه مصيبة لاطاعة فيه فانه تدرج بصورة الطاعة إلى طلب للزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولاك لا تستحيين بالعمل لأجله وتستحيين بالعمل لأجل عبادته حتى يندفع باعث الرياء وتسخر النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فاشتغل بالعمل . الثانية أن يبعث لأجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعاجلات التي ذكرناها من إزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول. الثالثة أن يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فيبني أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فبدعوك إلى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مرء وتبكي ضائع فأنت فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يهلكك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثلك من يترك العمل لحرفة أن يكون مرأيا كمن سلم إليه مولا حطة فها زوان وقال خلصها من الزوان وشها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم خلص خلاصا صافيا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا التقليل

(١) حديث قال رجل دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا عجبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيها في أيدي الناس وقد تقدم .

أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا إنه مرء فيعصون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العباد وترك العمل خوفا من قولهم إنه مرء هو عين الرياء فاولا حبه لمحمدتهم وخوفهم من ذمهم فماله وانقولهم قالوا إنه مرء أو قالوا إنه غلص وأى فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مرء وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه فافل متصرف بل ترك العمل لأعدم ذلك فنهك كلها مكاييد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يغلبه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه غلص لا يشتبه الشهرة فيضارك بذلك إلى أن تهرب فإن هربت ودخلت سرا تحت الأرض أتني في قلبك حلالة معرفة الناس لترهك وهربك منهم وتظلمهم لك بقاوبهم على ذاك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تترك قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا تقع فيه في الدينائلم الكراهة والإياء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وإن نزع العدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخيرات لما دمت تجمد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وأزم قلبك الحياء من الله إذا دعكت تقسك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدهم بقتوك بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مرء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإيائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل تصد الثواب . فان قلت قد تقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا قرا أكل ساعة . وقال إبراهيم النخعي إذا أجبك الكلام فاسكت وإذا أجبك السكوت فسلم . وقال الحسن أن كان أحدم لير بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدم يأتيه الكيام فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا يمارسه ماورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإماطة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه . وبالجملة ترك الوافل جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يبالغون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالاعتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء وأما إطباق إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لعله بأنه سيجنح إلى ترك القراءة . دخوله واستنشاه بعد خروجه للاشتغال بمكائله فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يموت إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إيائه عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا مجرد خوف الرياء وأما قول النخعي إذا أجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالقصاحة في الحسابات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت للباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق للندوب إليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تنظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنعسا كلامنا في العبادات الخاصة بدين العبد بما

وقالوا هم الغداء ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب التكبرين ثم نفى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صعب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صعب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإمالة الأذى لحوف الشبهة ربا كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإنما ذكره خوفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها . القسم الثاني : ما يتعلق بالحق وتعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إضاق المال . أما الخلافة والإمارة فهي من أفضل المبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما » (١) فأعظم بعبادة يولّزى يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم « أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام القسط » (٢) أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لاترد دعوتهم الامام العادل » (٣) أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل » (٤) رواه أبو سعيد الخدري فلا مارة والخلافة من أعظم المبادات ولم يزل للفقهاء يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تحملها وذلك لحافيه من عظيم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولغة الاستيلاء ونفاذ الأمر وهو أعظم ملاذ الدنيا فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالى ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيجتنب من كل ما يقدس في جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « مامن والى عشرة لإجاء يوم القيامة منلوله يده إلى عنقه أطلقه عدله أو أوقفه جور » (٥) رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يأمر المؤمنين أشرفي قال اجلس وأكرم على وروى الحسن « أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم « وكذلك حديث عبد الرحمن بن حمزة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة فانك إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام القسط الحديث مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أرفه ذكر الأولية (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لاترد دعوتهم الامام العادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الخدري أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأسهاني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحق بن إبراهيم الديلمي ضعيف أيضا (٥) حديث مامن والى عشرة لإجاء يوم القيامة يده منلوله إلى عنقه لا يشكها لإعدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبخاري من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن أبي زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبخاري وأبو يعلى والطبراني الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البخاري والطبراني حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي الدرداء مامن والى ثلاثة لإلاني الله . منلوله عينه الحديث وقد عزى الصنف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة إلا لم يرج راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم « وكذلك حديث عبد الرحمن بن حمزة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة فانك إن

يأمر المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم .

[ الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونباتهم ومقاصدهم فيه ]

اللباس من حاجات النفس وضرورها لدفع الحر والبرد كما أن الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما أن النفس غير قائمة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فيكذبا في اللباس تشفي فيه ولها فيه أهوية متنوعة

أوتيتها من غير مسألة أغنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها<sup>(١)</sup>» وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لاتأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لي لاتأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يجد فيها فعليه بهلة الله يعني لمة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من التهي عن متاعها وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يتمتعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيلسوا وأغنى بالقوى الذي لا يمكنه الدنيا ولا يستغزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقهروا الشيطان فأيس منهم هؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكتهم إلا الحق ولو زهدت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فراهها صابرة على الحق كافعة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذقت لذة الولايات وأن تستحل الجاه وتستلذ فغاد الأمر فتكره العزل فيدهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقالون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يعبده نفسه إلا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع في العزل، ولم هو كقيل العزل طلاق الرجال فإذا شرع لا تبسح نفسه بالعزل وتبذل نفسه إلى الهدنة وإهمال الحق وتهوى به في قس جهنم ولا يستطيع الزرع منه إلى اللوت إلا أن يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس إلى طيب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لآلؤي أمرنا من سألنا<sup>(٢)</sup>» فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض. وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة فهو في معناها فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ والإمارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والفتاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة<sup>(٣)</sup>» وقال عليه السلام «من استقضى فقد ذبح بغير سكين<sup>(٤)</sup>» فحكمه حكم الإمارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه ولتقلده الأقوياء الذين لاتأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء لإعدهمتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التعلقين بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه ولم يطيعوه فليس له أن يتكلم القضاء وإن تقلده فعليه أن يبالغهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عندهم مرضا له في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرح بالعزل إن كان يقضى لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوبا وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار. وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

ومآرب مختلفة فالصوفي يرد النفس في الالباس إلى متابعة صريح العلم. قيل لبعض الصوفية توبك بمزق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من اشترى ثوبا بشرة دراهم وفي عنقه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» أي لا يرضى ولا نافعة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة التوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لاتمل الإمارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لآلؤي أمرنا من سألناه متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استقضى فقد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبي هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء وإسناده صحيح.

الحديث وجع الأسانيد العالية وكل ما يتبع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته أيضاً عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون القنوى ما وجدوا إليه سبيلاً وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن جسر كذا وكذا فحضر من الحديث وقال ينبغي من الحديث أني أهتيت أن أحدث ولو أهتيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكلامهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لثة لا توازي لثة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلاً وبغير عن كل كلام يستقله العوام وإن كان حقاً وبصير مصروف الهمة بالسكية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثاً وحكماً إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس الثبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولاً ثم يقول إذا أتم الله عليّ بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فأقصها ليشاركني فيها إخواني المسلمين فهذا أيضاً مما يعظم فيه الخوف والفتنة يحسكه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والرزقة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويغافل الهوى فيه إلى أن تراض نفسه وتقرى في الدين حمته ويأمن على نفسه الفتنة فمضد ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا ما أخذها بحقها (٢) » وقال « نعمت للرضعة وبئست الفاطمة (٣) » ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعاً وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت للمعيش فلم ينهى عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب رأى قوماً يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فنحن من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على للتبوع ومثله على التابع وعمر كان بنفسه مخطوب ويصط ولا يجتمع منه . واستأذن رجل عمر أن يحفظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال آتني من نصيح الناس فقال أخشى أن تتفجع حتى تبلغ الرياء رأى فيه غايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولاة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤدي إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرياسة وحسب يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالاسلسل والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إنني أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلاً فليس في التهي عن إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فإن لم يكن

(١) حديث التهي عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن سمرة لاسل الإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة إلا ما أخذها بحقها البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله إلا ما أخذها بحقها وراذلي آخره فنعمت للرضعة وبئست الفاطمة ودون قوله حسرة وهي في صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت للرضعة وبئست الفاطمة البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبئست للرضعة وبئست الفاطمة (٤) حديث التهي عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤمن على اثنين ولا ثلاثين ما يقم

الصلاة وما عدا هذين  
النظرين فنظره في  
كونه يدفع الحر والبرد  
لأن ذلك مصلحة  
النفس وبسد ذلك  
ما تدعو النفس إليه  
فكفه فضول وزيادة  
ونظر إلى الخلق  
والصالح لا ينبغي أن  
يلبس الثوب إلا لله  
وهو ستر العورة  
أو لنفسه لدفع الحر  
والبرد . وحتى أن  
سفيان الثوري رضي  
الله عنه خرج ذات يوم  
وعليه ثوب قد لبسه  
مقلوباً قتيلاً ولم يعلم  
بذلك فهم أن يحمله  
وبغيره ثم تركه وقال  
حيث لبسته نويت أني

في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن مته في الظاهر ونخيله إلى العوالم أنه إنما يريد الله وعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا تمنعه منه وتقول له اشتغل وجاهد نفسك ، فان قال لست أقدر على تقى فتقول اشتغل وجاهد ، لأننا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو المالك وحده وسلامته من الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فتجده فداء للقوم وتقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم <sup>(١)</sup> » ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويזהد في الدنيا بكلامه وبظواهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات الزخرفوا الألفاظ المسجعة للقرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخوف للمسئلين بل فيه التريجة والتجرفة على المعاصي بطيارات التكت فيجب إخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامه في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يعطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيه أو ردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الجندر من قن العلم وغوائله ، ولهذا قال السبح عليه السلام : يا علماء السوء تصومون وتصاون وتتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتندرسون ما لا تعملون فيأسوء ما تحكون تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالمهوى وما يفي عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتهم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى ناس أحسن منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدللين وتقيمون في عملة التجبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركوا هالكهم لاهلا ويلكم ماذا ينبغي على البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا ينبغي عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معظلة يا عبيد الدنيا لا تكيد ألقباء ولا كأحرار كرام تؤشك الدنيا إن تعلمكم عن أصولكم فتلقبكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم يدفكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيؤفكم على سوائتكم ثم يميزكم بسوء أعمالكم وقد روى الحارث المحاسبى هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبا في عرض الدنيا ورفعها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وعين وفي الآخرة هم الحاسرون . فان قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه <sup>(٣)</sup> » إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال لعلنا اشتغل بالعلم وأترك مرادنا خلقنا كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة لترك العمل ولكن أتم العمل وجاهد نفسك . فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم

البسمة لله والآن في  
أغيره إلا لنظر الخلق  
فلا أنقض النية الأولى  
بهذه. والصوفية خصوصا  
بطهارة الأخلاق وما  
رزقوا طهارة الأخلاق  
إلا بالصلاحة والألمية  
والاستمداق الذي  
هيا الله تعالى لنفسهم  
وفي طهارة الأخلاق  
وتعاضدها تناسب واقع  
لوجود تناسب هيئة  
النفس وتناسب هيئة  
النفس هو للشار إليه  
بقوله تعالى - فإذا  
سوته ونفخت فيه  
من روحي - فالتناسب  
هو التسوية فمن  
المناسب أن يحكون  
لباسهم مشا كالأطباء مهم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النساءى وقد تقدم قريبا (٢) حديث لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بألفاظ غير لك من حمر النعم وقد تقدم في العلم (٣) حديث أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة في أوله ولمسلم من حديث أبي هريرة من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه الحديث .

كفضل الخلافة والإمامة ولا تقول لأحد من عباد الله ترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإنما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا تقول له أيضاً تركه مادام يجد في نفسه باعثاً دينياً يمزجها برياض الرياء أما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الظهور أشنع وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للنصب الكبيرة في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفاً من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضغائنهم ولم يؤثر عنهم الترك خوفاً من الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على تقبها مع إتمام العمل لها أدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبين وهو التصدي للنصب للوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها للضعف والقوى ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها للضعف رأساً دون الأقوياء ومن نصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاية أشبه وأن الخلد منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم . وههنا رتبة رابعة وهي : جمع المال وأخذة للفرقة على المستحقين فإن في الاتفاق وإظهار السخاء استجلاباً للشاء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضاً كثيرة ، ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به قال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من الرهد تركها قربة إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما سرني أني ألفت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين ديناراً أتصدق بها أما إنني لأحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تظلمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الجلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله ، وقد قال السبيح عليه السلام يا طالب الدنيا ليربها تركها لها أبر ، وقال ثقل مافيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركها أبر والاحتشال بالذکر لا خلاف في أنه أفضل . وبالجملة ما يتعلق بالخلق والنفس فيه قد فوئث بالآفات والأجبان يعمل ويدفع الآفات فإن عجز فلينظر وليجهد وليست قلبه وليزن مافيه من الخير بمافيه من الشر ليفعل ما يبد عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تشير إلا بالشر وقها تستند الخير وتميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضاً في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي وإثبات فهو موكول إلى اجتهد القلب لينظر فيه لدينه وبعده ، ويريه إلى ما لا يريه ثم قد يقع مجاذرة ما غرور للجاهل فيمسك للمال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن حرقة المال في الباحات فضلاً عن الصدقات أفضل من إمساكه وإعسا الخلف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاتفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما للمال الحاصل من الحلال فضرته أفضل من إمساكه بكل حال . فان قلت فبأي علامة تعرف العلم والواعظ أنه صادق عظمى في وعظه غير مرير براء الناس . فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظاً أو أغزر منه علماً والناس له أهد قبولاً فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالنبطة وهو أن يمتنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبق كما كان عليه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق ولكي خلفه في الأسواق

وطعامهم مشاكلا  
لكلامهم وكلامهم  
مشاكلا لمناسهم لأن  
التناسب الواقع في  
النفس مقيد بالعلم  
والتشابه والتماثل في  
الأحوال يحكم به العلم  
ومتصوفة الزمان  
ملتزمون به من  
التناسب مع مزج  
الموى وما عندهم من  
التطلع إلى التناسب  
رشح حال سلفهم في  
وجود التناسب . قال  
أبو سليمان الداراني :  
يلبس أحدكم عبادة  
بثلاثة دراهم وشهوة  
في بطنه بخمسة دراهم  
أنكر ذلك لعدم  
التناسب فمن خشن

ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحاجج من بعض أبواب المسجد ومعه الخرس وهو على بردون أصغر فدخل للمسجد على بردونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقه أحفل من حلقه الحسن فتوجه نحو ما حتى باغ قريبا منها ثم ثنى وركب قنزل ومشي نحو الحسن فداراه الحسن متوجها إليه يخاف له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجايت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحاجج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فاقطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحاجج إليه أن يزيد كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هية الحاجج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكثرت به رفع الحاجج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ ورفعيكم بهذه الخلس وأشبابها فاتخذوها حلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مجالس الذكر رياض الجنة (١) ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمرقنا بفضاها قال ثم أقر الحاجج فتكلم حتى هبب الحسن ومن حضر من بلباغته فلما فرغ طفق ققام فقام رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحاجج فقال عباد الله للسدين الاتعجبون أني رجل شيخ كبير وأني أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وأن لي ثلثائة درهم من العطاء وأن لي سبع بنات من الصيال فشكمن حاله حتى رقى الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قتلهم الله اغزلوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزوا أعداء الله غزوا في الفساطيط الجبابرة على البغال السبابة وإذا غزى أخاه أغزاه طاولوا وأجلاها أقر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشدّه قمام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمي به إلى الحاجج وحكي له كلامه فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحاجج فقالوا أجب الأمير قمام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقصار أيت فاغرا فاه يضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما مجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا في الدينار والدرهم إن الحياة أشدّ الحياة أن مجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبه ثم ينطلق فيسمى بنا إلى شراوة من نار إني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقلوك إذا غزوا أعداء الله وكذا وكذا وإذا غزى أخاه أغزاه كذا لا أبالك تعرض علينا الناس أما إننا على ذلك لانهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمرا يريد للتلز فبينما هو يسير إذ انفتحت فرأى قوما يتبسمونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء وإلا فارجوا فما يتبع هذامن قلب العبد فيه من العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العطاء يتفكرون ويتعاصدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين .

( بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وملاصحه )

اعلم أن الرجل قد يبيت مع التوم في موضع فيقومون للتعبد أو يقوم بعضهم فيصالحون الليل كله أو يهضه وهو بمن يقوم في بيته ساعة قرية فاذا رآهم انبت نشاطه للواقعة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصلى مع أنه كان لا يستاد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولا هم لما انبت هذا النشاط فلهذا عاين أن نرى ما وأن الواجب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الأذكار والدعوات .

ثوبه يبغي أن يكون مأكوله من جنسه وإذا اختلف الثوب والأكول يدل على وجود انحراف لوجود هو كامن في أحد الطرفين إما في طرف الثوب لموضع نظره الخلق وإما في طرف المأكول لشرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى اللداوة ليعود إلى حد الاعتدال . ليس أبو سليمان الداراني ثوبا غسلا فقال له أحمد لولبت ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل قيس في الثياب



ترك المراقبة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تنوّه العوائق ويعتبه الاشتغال وبغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تدفع العوائق والأشغال في بعض اللواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله تقطعه الأسباب عن التهجّد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجه أو المهادنة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معاملة فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تخرّج رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كشاهدته إياهم وقد أقبوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يستقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره للوضع أو سبب آخر فينتقم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما يضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجّد دائماً وتسمح بالتباعد وقتاً قليلاً فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يصر عليه الصوم في منزله ومعه أطيب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشیطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرأباً إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على سلاتك للتباعد وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفاً من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون بأنه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فربما يمانعهم من ذلك وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك محض وليست تصلّي لأجلهم بل لله وإنما كنت لاتصلّي كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبّه إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يتباده ولا رخصة واحدة لأنه يمسى الله بطلب محمّدة الناس بطاعة الله وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحريك التبعة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك للوضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سحت نفسه فليصل فان باعته الحق وإن كان ذلك يشق على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك حب محمّدم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه بزعم النفس إلى حب الحمد فهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشغل بالعبادة وكذلك قد يسيى جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفاً من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحسب ما يبيى ولكن بكاء الناس يؤثّر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فينبأه تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يكون ولا تدفع عنه فينبأه تكلفاً وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فينبأه أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فانما خوفه من أن يقال إنه قاسى القلب فينبى أن يترك التباكى . قال لقمان عليه السلام لانه : لا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقبلك فاجر وكذلك الصيحة والنفس والأبنيى عند القرآن أو الذكر أو بسى مجارى الأحوال

فكان الفقراء يلبسون  
الرقع وربما كانوا  
ياخذون الخرق من  
الزابل ويرقون بها  
نوبهم وقد فعل ذلك  
طائفة من أهل الصلاح  
وهؤلاء ما كان لهم  
معلوم يرجعون إليه  
فكما كانت رقاعهم  
من الزابل كانت  
قصبهم من الأبواب .  
وكان أبو عبيد الله  
الرقاعى مثابراً على  
الفقر والتوكل ثلاثين  
سنة وكان إذا حضر  
للفقراء طعام لا يأكل  
معههم فيقال له في ذلك  
فيقول أتم تأكلون  
بحق التوكل وأنا  
أكل بحق للسكنة ثم

تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والتأسف وتارة تكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود وقد تقتن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن يعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهاها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يعمد ويؤدي رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محذور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقلبه فيدعو إلى زيادة تحزين الصوت أو رفع له أو حفظ الدمة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر تضخف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزقق ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتدء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفتق سرعا فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة وإنما هي كبري خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفتق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سرعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيتة صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنين فيشتكي على غيره يرى أنه ضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطأ ل يظهر أنه ضعف عن سرعة المشي فهذه كلها مكاييد الشيطان وزغات النفس فإذا خطرت فصلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا ثقافتها في الباطن واطلموا على ضميره لقتوه وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتا كارهى عن ذى النون رحمه الله أنه قام وزعق مقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذى يراك حين تقوم مجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال للتافين وقد جاء في الخبر «تمودوا بالله من خشوع التفاني»<sup>(١)</sup> وإياها خشوع التفاني أن تخضع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون خاطرا خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ماهو ومن أين هو فإن كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذى هو كد ييب الخلق وكن على وجل من عبادتك أى مقبولة أم لا ؟ لحوفك على الاخلاص فيها واحذر أن تتجدد لك خاطر الركون إلى حمدك بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك بما يكثر جدا فإذا خطر لك تفكرك في اطلاع الله عليك ومقتك لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال يا أيوب ما علمت أن العبد تصل عنه علانيته إلى كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريره وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أبى أخشاك وأنت لى ماقت . وكان من دعاء بن عبد الحسين رضى الله عنهم: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامة العيون علانيق وتقبح لك فيما أخلو سررتى محافظا على رياء الناس من نفسى ومضيا لما أنت مطلع عليه منى أبدي للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوأ عملى تقربا إلى الناس بحسناتى وفرارا منهم إليك بيسئلتى فيحل بى حقتك ويحبب على غضبك أعزنى من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة هز لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء ، فليراقب العبد قلبه ليقف عليها في الخبر « إن للرياء سبعين بابا »<sup>(٢)</sup> وقد عرفت أن بعضه أغص من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين المشاءين  
يطلب الكسر من  
الأبواب وهذا شأن من  
لا يرجع إلى معلوم ولا  
يدخل تحت منة .  
حتى أن جماعة من  
أصحاب الرقعات دخلوا  
على بشر بن الحرث فقال  
لهم يا قوم اتقوا الله  
ولا تظهروا هذا الزى  
فأنكم تعرفون به  
وتكرمون له فسكتوا  
كلهم فقال له غلام منهم  
الحمد لله الذى جعلنا من  
يعرف به ويكرم له والله  
ليظهرن هذا الزى حتى  
يكون الدين كله لله  
فقال له بشر أحسنت  
يا غلام مثلك من يلبس  
للرقعة فكان أحدم

(١) حديث تمودوا بالله من خشوع التفاني البيهقي في الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه  
الحارث بن عبيد الإيادي صفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا هكذا ذكر

مثل ديب الخمل وبعضه أخفى من ديب الخمل وكيف يدرك ما هو أخفى من ديب الخمل إلا بشدة التفقد والرقابة وليت أدرك بعد بذل المجهود فكيف يطعم في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحن للنفس وتفطيش عن خدعها ، نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

( بيان ما يبنى للريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبه وفيه )

اعلم أن أولى ما يلزم للريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بإله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجأه اشتبهى اطلاعه على محامن أحواله فإن كان في هذه الرتبة فيلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والایمان لما فيه من خطر التعرض للفتن وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تكاد تغلى حرصاً على الانشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فإني الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى بأخفائه فيجعل الناس عليك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طاب بطاعته ثواباً من عباده ويعلم أن إظهاره لتبره محب إليه وسقوطه عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الإخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الإخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من التقي لأن للتقي إن فسدت نوافله بقيت فرائضة كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مأخوذاً بالزبائل وهلك بها فالتحاطب إلى الإخلاص أحوج . وقد روي عجم الدار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يا صاحب العبد يوم القيامة فإن قص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطرفه فألقى في النار (١) » فإني المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتأده في جبر القرائن وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلوص النوافل وأما للتقي المجتهد في زيادة الدرجات فإن حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة ، فاذن ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه تصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلاً من عمله خائفاً أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكاً في قوله ورده مجوزاً أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبسببه إلا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقناً في الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله إلا الله حق يصح عمله فإذا

المنصف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو طوى من قوله من كلامه أنه الرياء بالثبات وإنما هو الرياء بالوحدة والرسوم كتابته بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء سبعون حواياً يسرها أن يسكن الرجل أمه وفي إسناده أبو مشر وإسمه نجيب مختلف فيه وروي ابن ماجه أيضاً من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرياء ثلاثة وسبعون باباً . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البراء حديث ابن مسعود باللفظ الرياء بضع وسبعون باباً والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالثبات لا لقرانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث عجم الدار في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة .

يبقى زمانه لا يطوى له  
ثوب ولا يملك غير  
ثوبه الذي عليه .  
وروي أن أمير  
للمؤمنين علياً رضي الله  
عنه لبس قميصاً اشتراه  
بثلاثة دراهم ثم قطع  
كفه من ردوس أصابعه  
وروي عنه أنه قال  
لعمرو بن الخطاب إن  
أردت أن تاتي صاحبك  
فرقع قميصك واخشف  
نملك وقصر أمك  
وكل دون الشيع .  
وحكى عن الجريري  
قال كان في جامع بغداد  
رجل لا يسكده تجده  
إلا في ثوب واحد في  
الشتاء والصيف فسل  
عن ذلك فقال قد

شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه قد دخل بالإخلاص وشك في أنه هل أسدء برياء فيكون رجاؤه القبول أغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات ، فالإخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، والذي يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبني أن يلزم نفسه رجاؤه الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعله فقط دون شكر ومكافأة ومحمد وثناء من التعلم ولتسم عليه فإن ذلك يحبط الأجر فهما توقع من التعلم مساعداً في شغل وخدمة أو مرافقة في الشيء الطريق ليستكثر باستتباعه أو تردداً منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره ، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعله ليكون له مثل أجره ولكن خدمة التلميذ بنفسه قبل خدمته قد رجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستبعد منه لو قطعه ومع هذا قد كان العلماء يحدرون هذا حتى إن بعضهم وقع في برقاء قوم فأدلو احتيالاً لرفعوه خلف عليهم أن لا يفتق منهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثاً خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوباً فرفده عليّ فقلت له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترد عليّ قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يبين قلبي لأخيك أكثر مما يبين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان يبدره أوبدتين وكان أبوه صديقاً لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيراً فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من ابن شيّ فقال رحمه الله أبالك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا للسال إلى فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحق فرفده عليّ فخرج فقال أحب أن تأخذ ما لك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخته مع أبيه في الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت ويلك أي شيّ قلبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما ترحمني أما ترحم إخوتك أما ترحم عيالك فأكثر عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت ههنا مريضاً وأسأل عنها أنا ، فإذا يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل اللزقة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن أن له أن يراني بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والمعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملاً قد علم على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبني أن يتعلم لله ويعبد الله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فإن العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يختم أبويه لا ينبني أن يخدمهما لطلب اللزقة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يراني بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن رياءه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضاً وأما الزاهد للعزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فإن ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تيسر عليه العبادات في خلوته به وإنما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم محله وهو لا يدري أنه الخائف للعمل عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تلمست للرفقة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت لهاطامك قال يا حنيئ وما دماك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من

كنت ولست بكثرة لبس الثياب فرأيت إليه فيها يرى الناس مكاناً دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقهاء على مائدة فأردت أن أجلس معهم فإذا بجماعة من اللائكة أخذوا يدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قميصان فلا تجلس معهم فأنهت وندرت أن لا ألبس إلا ثوباً واحداً إلى أن ألقى الله تعالى . وقبل مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذي كان عليه وكان طارية فردوه إلى صاحبه .

ذلك حتى تكفيك هذه الحصة قال ترى الفير الذي بمذاك قلت نعم قال إنهم يأتوني في كل سنة يوما واحدا فيزبون صومعتي ويطوفون حولها ويطعموني فكلما شاكلت نفسي عن العبادة ذكرتها عن تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لمن ساعة فاحتل يا حنفي جهد ساعة لمن الأبد فوفر في قلبى للرفة فقال حسبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال أنزل عن الصومعة فزلت فأبلى لى ركوة فيها عشرون حصاة فقال لى ادخل الفير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدار اجتمع على الصاري قالوا يا حنفي ما الذى أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساءم قلت عشرون ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنفي ما الذى صنعت قلت بنت منهم قال بكم قلت بعشرين ديناراً قال أعطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأطوك هذا عز من الاتبعه فانظر كيف يكون عز من تبعه ، يا حنفي أقبل على ربك ودع الفهاب والحيثة. وللصودان استعمار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثاً في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده واليهام بمثابة واحدة فلو تقيرا عن اعتقادهم له لم يجمع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بقله وإيمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعاً ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكرة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فيرجى له أن لا يغب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والاحتياض كي لا ينسبوا إليه فذلك لأأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتعمل بطلب الاحتياض فيطالبها في دعواها قصد الاحتياض بموتى من الله غليظ وهو أنه لو علم أن احتياضهم عنه إنما حصل بأن يجدو كثيراً أو يضحك كثيراً أو يأكل كثيراً فسمح نفسه بذلك فإذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها للزلة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا ممن تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان عمله فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا لخطرات ضعيفة لا يثيق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغنى زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في الغنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرمه بذلك الوصف لا بالفن فن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة وهيب إلى القلب للسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى الغنى أكثر مما يستروح إلى الفقر ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثورى كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمتعون أنهم فقراء في مجلسه ، نعم لك زيادة إكرام للفقير إذا كان أقرب إليك أو كان منك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدمه الغنى عليه في إكرام وتقدير ألبتة فان الفقير أكرم على الله من الغنى فلا يشارك له لا يكون إلا طماعاً في غناه ورياء لئلا إذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للفقير أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء خفى أو طمع خفى كما قال ابن الهالك لجارية له مالى إذا أتيت بغداد فتحت لى الحكمة فقالت الطمع يشعل لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند الغنى بما لا ينطق به عند الفقر وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقر ومكابد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينبجك منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك

وحكى لنا عن الشيخ  
حماد شيخ هيجنا أنه  
بقى زماناً لا يلبس  
الثوب إلا مستأجراً  
حتى إنه لم يلبس على  
ملك نفسه شيئاً  
وقال أبو حفص الحداد  
إذا رأيت وضاعة الفقير  
في ثوبه فلا ترجو خيره  
وقيل مات ابن السكري  
وكان أستاذ الجنيدى  
وعليه مرقمته قيل  
كان وزن فردكم له  
وتخاريسه ثلاثة عشر  
رطلاً قد يكون جمع  
من الصالحين على هذا  
الزنى والتخشن وقد  
يكون جمع من  
الصالحين يشكفون  
لبس غير للرفع وزى

ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منفصة في أيام مقاربة وتكون في الدنيا كذلك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودأب ملكه فاعرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد تحولا لقلته أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتجائه فنهما نازعته نفسه إلى شهوة تضر في توالي الأوجاع والآلام عليه وأداه ذلك إلى الموت للفرق بينهما وبين ملكته اللوجب لشهوات الأعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تضر فبا يستفيد منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونجته في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رخي وأمر ناقد فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصايرة للكروهات فكذلك المؤمن المرید للملك الآخرة احتضى عن كل مهلك له في آخرته وهي قنات الدنيا وزهرتها فاجترى منها بالقليل واختار التحول والدبول والوحشة والحزن والحوف وترك للؤاسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه تخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بصاقبة أمره وبما أعد له من النعيم القيم في رضوان الله أبد الآباده ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده للريدين لرضوانه عوناً وبهم رءوفاً وعليهم عطفوا ولوعاء لأغنامهم عن التعب ولكن أراد أن يولمهم ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلاً ثم إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالعودة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر وحجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة للتجاعة ما يليه عن مائت اللذات ويقويه على إمامة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمدته بمعوته فان السكرم لا يضيع سعى الراجي ولا يغيب أمل المحب وهو الذي يقول : من تقرب إلى شيرا تقربت إليه ذراعا . ويقول تعالى : لقد طال شوق الأبرار إلى لقاءى وإني إلى لقاءهم أشد شوقا . فليظهر العبد في البداية جوده وصدقته وإخلاصه فلا يعوز من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته . ثم كتبت ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده .

الفقراد ويكون نيته في ذلك ستر الحال أو خوف عدم التوضي بواجب حق للرقصة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان يتام عليه بلاوطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجملوا بينهم وبين القرب حائلا ويكون لبس

### ( كتاب ذم الكبر والعجب )

( وهو الكتاب التاسع من ربيع الهلكتات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الخالق البارئ للصور العزيز الجبار للتكبر الملى الذي لا يرضه عن مجسده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع التنى الذي ليس له شريك ولا منازع القادر الذي يهر أبصار الخلائق بجلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الأنبياء وصفه وثناؤه وارفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياءه وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمتهم وكبريائه فالظلمة لإزاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيما قسمه بدهاء الموت فأعجزه دواؤه جل جلاله وقدست أسماؤه، والصلاة على محمد الذي أنزل عليه النور للتقوى ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأوليائه وخيرته وأصفيائه وسلم تسليما كثيرا .

أبي حفص الناعم يعلم ونية يلقي الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الحشن من الثوب لنية تكون لهم في ذلك فلا يترض

( كتاب ذم الكبر والعجب )

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيها قسمته<sup>(١)</sup> » وقال عليه السلام « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه<sup>(٢)</sup> » فالكبر والعجب داءان مهلكان والتكبر والعجب سقبان من رمضان وهما عند الله مخوفتان بضيان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح للمهلكات وجب إضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح الرديات ونحن نستقصي ياتهما من الكتاب في شطرين شطري الكبر وشرط في العجب : الشرط الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان مآبه التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق التواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان الحمدود من خلق التواضع وللدوم منه .

### ( بيان ذم الكبر )

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى - ما صرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بشير الحق - وقال عز وجل - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار - وقال تعالى - واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد - وقال تعالى - إنه لا يحب للمتكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان<sup>(٣)</sup> » وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيها قسمته<sup>(٤)</sup> » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقي عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمرو على الصفا فتوافيا ففى ابن عمرو وأقام ابن عمر يركب قالوا ما يركبك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعنى عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه<sup>(٥)</sup> » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيده ما أصابهم من العذاب<sup>(٦)</sup> » وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فاجروا فائق ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرغ حق مع زجل اللاسكة بالنسيج في السموات ثم خفض حق مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسفت به أيديهم ورفضوا وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيها قسمته إلخ كما في الاستدرك دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسيأتى بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البرار والطيراني والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيها قسمته إلخ كما في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قدفته في النار وقال مسلم عنده وقال داود وإزاره بالنسيج وأدامع أبي هريرة أبا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر أكبه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب .

عليهم غير أن ليس  
الحسن والرقع يصلح  
لسائر الفقراء بنية  
التقلل من الدنيا  
وزهرتها وبهجتها وقد  
ورد « من ترك نوب  
جمال وهو قادر على  
لبسه ألبسه الله تعالى  
من حل الجنة » وأما  
لبس الناعم فلا يصلح  
إلا لعالم بحاله بصير  
بصفات نفسه متفقد  
خفى شهوات النفس  
يلقى الله تعالى بحسن  
النية في ذلك فلحسن  
النية في ذلك وجوه  
متعددة يطول شرحها  
ومن الناس من لا يقصد  
لبس ثوب بعينه  
لأخشوته ولا لعمومه

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكنت ثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالصورين <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء للكمة <sup>(٢)</sup> » وقال <sup>(٣)</sup> « تحاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالتكبرين والتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضفء الناس وسقاظهم وعجزتهم فقال الله للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما مئوذا <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « بش العبد عن تجبر واعتدى ونسى الجبار الأمل بش العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير للتعالي بش العبد غفل وسها ونسى القابرو والي بش عبد عتا ونسى للبدأ وللتهى <sup>(٥)</sup> » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده لوت <sup>(٦)</sup> » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أسركا باثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر وأمركا بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولأن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها وأمركا بسبحان الله وبعمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء <sup>(٧)</sup> » قال السبيح عليه السلام : طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لمعت جبارا . وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء الملقون <sup>(٨)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أجكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبضكم أخلاقا وبدمكم منا الثرثارون للتشدقون التمتيقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون وللتشدقون فالتمتيقون قال للتكبرون <sup>(٩)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر للتكبرون يوم القيامة في مثل صور القدر تطوهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلمهم كل شيء من الصفات ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يعلمهم نار الأنبار يسقون من طين الحبال عصارة أهل النار <sup>(١٠)</sup> » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فإن رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جلية في التوب الذي أدخله الله عليه يخرجها إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار ففسد ذلك لا يسهه إلا أن يلبس التوب الذي ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي رحمه الله لا يتقيد بهيئة من اللبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعمد تكلف

(١) حديث يخرج من النار عنق له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء للكمة تقدم في أسباب الكسب والمعاش والمعروف خائف مكان جبار (٣) حديث تحاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالتكبرين والتجبرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث بش العبد عن تجبر واعتدى الحديث الترمذي من حديث أسماء بنت عميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقاله غريب وليس إسناده بالقوى ورواه الحاكم في المستدرک ومحمه ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن حماد ووضعه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده لوت الحديث الترمذي (٦) حديث عبد الله بن عمرو : إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أسركا باثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخاري في كتاب الأدب والحاكم بزيادة في قوله قال صحيح الإسناد (٧) حديث أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندهما من حديث حارثة بن وهب الخزاعي ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل غل جواظ مستكبر (٨) حديث إن أجكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبي ثعلبة الخشني بلفظ إلى متى وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في رياضة النفس أول الحديث (٩) حديث يحشر للتكبرون يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذي من رواية عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده وقال حسن غريب .



« يحشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ تطوّم الناس لهوائهم على الله تعالى (١) » وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقالت له بإبلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في جهنم واديا يقال له ههب حق على الله أن يسكنه كل جبار فأياك بإبلال أن تسكون ممن يسكنه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبرون ويطلق عليهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من فتنة التكبر (٤) » وقال « من فارق روحه جسده وهو برئ من ثلاث دخل الجنة: للتكبر والدين والقول (٥) » الآثار : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير ، وقال وهب لمخلوق الله جنة عدن نظر إليها فقال أمت حرام على كل متكبر . وكان الأحنف بن نيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب مائة رجله فلم يقضها وقد الأحنف فزعمه بعض الزمعة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال هيا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقال الحسن العجبي من ابن آدم ينسل الحرق يده كل يوم مرة أو مرتين ثم يمرض جبار السموات ، وقد قيل في - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - هو سبيل الناطق والبول ، وقد قال محمد بن الحسين ابن علي ما دخل قلبه امرئ من التكبر قط إلا ضل من عقده بقدر ما دخل من ذلك قل أو أكثر . وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال التكبر ، وقال النعمان بن بشير في اللب إن للشيطان مصالي وغفوخا وإن من مصالي الشيطان وغفوخه البطر بأنهم الله والفخر باعطاء الله والتكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله ، نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة عنه وكرمه .

( بيان ذم الاختيال وإظهار آثار التكبر في اللثى وجرّ الثياب )

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبدالله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعتة يقول أي بني ارفع إزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء»<sup>(١)</sup> وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح يده على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى : ابن آدم أتجزئي وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين والأرض منك وتيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وآتي أوان الصدقة»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مشيت أمتي للطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلك الله بعضهم على بعض»<sup>(٣)</sup> قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»<sup>(٤)</sup> الآثار : عن أبي بكر الهذلي قال بينا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهمم يريد للصورة وعليه جباب خرق قد قصد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عجايقها وهو يمشي يتبخر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أفأف شامخ بأفه ثاني عطفه ، صرخة ينظر في عطفه أي حميت أنت تنظر في عطفك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير للأخذ بأمر الله فيها ولا للؤذي حق الله منها والله أن يمشي أحد طبيعته يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفة فسمع ابن الأهمم فرجع يتندر إليه فقال لا تقدر إلى «تب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى سولنا عشي في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً - ومن بالحسن شارب عليه بزة حسنة فدهاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه محب لشبابه كأن القبر قد واري بدنك وكأنك قد لقيت عمك وحك داوطلبك فان حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يغتال في مشيته فتمزججه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرد قال عمر كالمعندر يأمم لقد ضرب كل عضو مني على هذه الشية حتى تعسها ، ورأى محمد بن واسع ولده يغتال فدهاه وقال أتدري من أنت أأماك فاشترها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر الله في السنين مثله ، ورأى ابن عمر رجلاً يجهر إزاره فقال إن الشيطان إخواننا كرههم أربعين أو ثلاثاً ، ويرى أن مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى اللهب وهو يتبخر في جيبه خرق فقال يا عبدالله هذه مشية ينفخها الله ورسوله فقال له اللهب أما تعرفي فقال بل أعرفك أولك نطفة ، مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل المذرة فمضى اللهب وترك مشيته تلك ، وقال بجاهدي في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يطمئ - أي يتبخر ، وإذ قد ذكرنا ذلك الكبر والاختيال فلندكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

( بيان فضيلة التواضع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زاد الله عبداً بغو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكان بها فان هورفع نفسه

(١) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن الباررجل من بني ليث غير مسمى (٢) حديث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح يده على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول ابن آدم أتجزئي وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث بشر بن جحاش (٣) حديث إذا مشيت أمتي للطيطاء الحديث الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر للطيطاء بضم الليم وفتح الطاءين المهمتين بينهما مشاة من تحت مصغرا ولم يستعمل مكبرا (٤) حديث من تعظم في نفسه واختال في مشيه لقي الله وهو عليه غضبان أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر (٥) حديث ما زاد الله عبداً بغو إلا عزاً الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم

الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى مواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا تلمني إلا أحد رجلين رجل يبالغنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يبالغنا عفاقي القوم من أرباب العزعة فنقول له هل ترى لنا في لبسنا اختياراً أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الحشن ولكن يحب

جذباهم قال اللهم ضمه وإن وضع نفسه قال اللهم ارضه (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأتقى مالا جمعه في غير مصيبة ورحم أهل الدار والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة » (٢) وعن أبي سلمة للدينى عن أبيه عن جده قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائما فأثنيته عند إفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رضموا ذاقه وجد حلاوة العسل فقال ماهذا ؟ قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال أما إنى لأأحرمه ومن تواضع لله رفته الله ومن تكبر وضعه الله ومن اتقصد أغناه الله ومن بذر أقره الله ومن أكرذ كر الله أحبه الله » (٣) وروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في قعر من أصحابه في بيته يأكلون قدام سائل على الباب وبه زمانة يشكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم رجلا من قريش العجايز ممنوتك رهما ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « خيرى ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولاً أو ملكاً نياظم أدرأهم ما أختار وكان صفي من اللائكة جبريل فرفضت رأسى إليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولاً » (٥) وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمي ولم يتواضع على خلقى والزم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجل وقال عليه السلام « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقي » (٦) وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب للتأبير يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة. وقال بعضهم بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجهه في موضع غير شائى له ورزقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « أربع لا يعطيه الله إلا من أحبها الصمت وهو أول العبادة

(١) حديث مامن أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكنانه بها الحديث العقيلي في الضعفاء واليهي في الشعب من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضاً من حديث ابن عباس وكلاماً ضيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث البغوي وابن قانع والطبرانى من حديث ركب للصري والبزار من حديث أنس وقد تقدم بعضه في العلم وبعضه في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلمة للدينى عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائماً الحديث وفيه من تواضع رفته الله الحديث رواه البزار بن رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة قد ذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال الذهبي في اللبان إنه خبر منكسر وقد تقدم ورواه الطبرانى في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إنى لأزعم أن تحرام الحديث وفيه من أكرذ كر لوبت أحبه الله وروى للرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذر أقره الله وفيه كراهية قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذى كان به زمانة منكراً وأهمل صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لم أجده أصلاً وللوجود حديثاً كلهم معجذوم ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذى غريب (٥) حديث خيرى ربي بين أمرين عبداً رسولاً وملكاً نيا الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن عباس وكلاماً الحديثين ضعيف (٦) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقي ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسل وأسنده الحاكم أوله من رواية الحسن عن مرة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته الحديث الطبرانى موقوف على ابن مسعود نحوه وفيه للسعودى مختلف فيه

أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجا إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الرى إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى فى رى بعينه فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه رى خصوصاً فيلزم بذلك الرى فيكون لربه بقاء ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لربه . ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما يسطه الله فيليس التوب عن علم

والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا (١) « وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تواضع العبد رضعه الله إلى السماء السابعة » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رقة فتواضعوا يرحمكم الله » (٣) « وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تشقر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليعجنني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به السكير عن قسه » (٥) « وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً « مالي لأرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع » (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار » (٧) . « الآثار : قال عمر رضي الله عنه : إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكته وقال انمشى رضعك الله وإذا تكبر وعدا طوره رضعه الله في الأرض وقال اخسأ خسأك الله فهو في نفسه كبير وفي عين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : اتيت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسميته عليه ثم إن الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي قد كرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رضعه الله يوم القيامة يا جرير أندري ما ظلمة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتفعلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن أسباط : يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ماهو ؟ قال أن تخضع للحق وتتقاده ولو لم سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلم أنه ليس لك بديك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن من فوقك في الدنيا حتى تعلم أنه ليس له بديك عليك فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو مياها أو علماً لم تواضع فيه كان عليه وبالاً يوم القيامة . وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا نعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة تأمها عليك .

(١) حديث أربع لا يخطئهن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبين إلا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العوام بن جوريقة قال ابن حبان يروى للوضوعات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع البدر رفع الله رأسه إلى السماء السابعة السبيعي في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضفه الجمهور (٣) حديث إن التواضع لا يزيد العبد إلا رقة الحديث الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياضي وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطعم فجاءه رجل أسود به جدري فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا والعرش أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث إنه ليعجنني أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به السكير عن نفسه ، غريب (٦) حديث مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضا (٧) حديث إذا رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلة وصغار ، غريب أيضا .

ويثقان ولا يبالى بما ليسه ناعماليس أو خشنا وربما لبس ناعما ونفسه فيه اختيار وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له مردودا عليه موهوبا له بواقفه الله تعالى في إرادته نفسه ويكون هذا الشخص تام الزكوة تام الطهارة محبوبا ضاردا يسارع الله تعالى إلى مراده ومحابه غير أن ههنا مذلة قدم لكثير من المدعين : حكى عن يحيى بن معاذ الرازي أنه كان يلبس الصوف والخلقان في ابتداء أمره ثم صار في آخر عمره يلبس الناعم فقيل لأبي يزيد ذلك

وقال كسب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نعمها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا لمنعه الله نعمها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يندبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد الملك ابن مروان أتى الرجال أفضل؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك البصرة عن قوة. ودخل ابن السكك على هرون فقال يأمر المؤمنين إن تواضعك في شركك أشرف لك من شركك فقال ما أحسن ما قلت فقال يأمر المؤمنين إن أسأأت الله جمالا في خلقته وموضعا في حبه وبسط له في ذات يده صف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدعاه هرون بدوة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصنع وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجرىء إلى للسالكين فيقدم معهم ويقول مسكين مع مساكين . وقال بعضهم كما تسكره أن يرثك الأغنياء في الثياب الدون فكذاك فاكرد أن يرثك الفقراء في الثياب للترتبة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتلوا كرون التواضع فقال لهم الحسن أندرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تخلق مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام فمحن الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان: إن الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أهد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فحسه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولائي كنت معهم إلى أخشي أنهم حرما وسبى وقال أرفع ما يكون للمؤمن عند الله أوضع ما يكون عند قسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند قسه . وقال زياد البري: الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تنمر . وقال مالك بن دينار: لو أن مناديا ينادي بياي المسجد ليخرج شر كم رجلا والله ما كان أحد يستقي إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أوسى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا. وقال الفضيل: من أحب الرياضة لم يفلح أبدا . وقال موسى بن القاسم: كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكي ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدنام محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى الشبلي رحمه الله فقال له ما أنت؟ وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطه التي تحت الباء فقال له الشبلي أباد الله شاهدك أو يحمل نفسك موضعا . وقال الشبلي في بعض كلامه: ذلي عطل ذل اليهود . ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن شحرف قال رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تبه الفقراء على الأغنياء تقة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان: لا يتواضع البعد حتى يعرف قسه وقال أبو يزيد: مادام البعد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل له فيكون متواضعا قال: إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان: لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاضاعي عند قسي ماقدروا عليه . وقال عروة بن الورد: التواضع أحج مصاديد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع. وقال يحيى بن خالد البرمكي: التواضع إذا نسك تواضع والسفيه إذا نسك تنظم . وقال يحيى بن معاذ: التكبر على ذوى التكبر عليك بما له تواضع ، ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم  
يصبر على الدون  
فكيف يصبر على  
التحذير ومن الناس من  
يسبق إليه علم ما عوف  
يدخل عليه من  
لللبوس فيلبسه محمدا  
فيه وكل أحوال  
الصادقين على اختلاف  
تنوعها مستحسنة  
- قل كل يعمل على  
شأنه فربكم أعلم بما  
هو أهدي سبيلا -  
وليس الحشن من  
الثياب هو الأحب  
والأولى والأسلم للعبد  
والأبعد من الآفات .  
قال مسلمة بن عبد الملك  
دخلت على عمر بن

وفي الفقراء أقبح ، ويقال لآخر إلّا لمن تدلّل لله عز وجلّ ولا رفعة إلّا لمن تواضع لله عز وجلّ ولا أمن إلّا لمن خاف الله عز وجلّ ولا ربح إلّا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجلّ . وقال أبو عليّ الجوزجاني : النفس معجونة بالكبر والحرص والحمد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والصيحة والتناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فإذا حاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا حاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجلّ وإذا حاجت في نفسه نار الحرص أدركتها التناعة مع عون الله عز وجلّ . وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم »<sup>(١)</sup> ما تكلمت عليكم . وقال الجنيد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده

أن التواضع ثبتت نفسه ثم يعضها وللوحدة لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يعضها أو يرفعها وعن عمرو ابن شيبه قال كنت بمكة بين الصفاء واللوة فرأيت رجلا راكبا بئله وبين يديه غلمان وإذا هم ينفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجئت أنظر إليه وأتأمله فقال لي مالك تنظر إلى قلعتك له شيهتك رجل أو آيته بمكة ووصفت له الصفة فقال له إن أذاك الرجل قلعت ماضل الله بك ؟ قال إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعي الله حيث يرفع الناس . وقال النضر : كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه قبيح الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي إذا سمع صوت الرعد قام وقصد وأخذ بطنه كأنه امرأة ماضى وقال هذا من أجلى يصيبكم ، لومات عطاء لاستراح الناس . وكان بشر الحافي يقول سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك قال أعطاك الله ما ترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأبى للمعرفة . وتناخرت قرشي عند سلمان الفارسي رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قدرة ثم أعود جيفة مثنتة ثم آتى لليزان فان تهل فأننا كريم وإن خف فأننا لثيم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : وجدنا الكرم في التقوى والثني في اليقين والشرف في التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

### ( بيان حقيقة الكبر وآفته )

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاستراخ والركون إلى رؤية النفس فوق للتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتى فان العجب لا يستدعي غير العجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فتندلك يكون متكبرا ولا يكتفى أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكتفى أن يستحق غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذى من حديث أبي هريرة إذا أخذ النبي دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث علي بن أبي طالب إذا قلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولا يني نعم في الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة فذكرها منها وفيها فرج بن فضالة ضعيف

عبد العزيز أعوده في مرضه فرأيت قبيحه وسخا فقلت لامرأته فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقالت ففعل إن شاء الله قال ثم عدته فإذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة ألم أمركم أن تغسلوه ؟ قالت والله ماله قميص غير هذا . وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألبين الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا بأطهاره رثة قلبسها . وقيل لمامات أبو الدرداء وجد في ثوبه أربعون

لم يتكبر بل يبنى أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعنده هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لأن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفي فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فذلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من شفة الكبرياء» (١) وكذلك قال عمر أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا الذي استأذنه أن يسط بعد صلاة الصبح فكان الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه - قال عظمة لم يسلوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تنفي أفعالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرافاته مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراء وأصاء عن نفسه وأبعد وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم مائلا بين يديه إن اعتد كبره فإن كان أحد من ذلك استسكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا لخدمة عتته فإن كان دون ذلك فأبف من مساوئه وتهدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يدها بالسلام واستبدت قصيره في قضاء حوائجه وتوجب منه وإن حاج أو ناظر أتف أن يرد عليه وإن وعظ استسكف من القبول وإن وعظ غف في النصع وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرقق بالتململ واستندهم واتهم وأمن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الجدي استجهالا لهم واستحقارا والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فانها مشهورة ، فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلة هائلة وفيه بهلك الخواص من الخلق وتلفايتك عنه العباد والزهاد والماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تنظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» (٢) وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه عول بين اليد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس ينفق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق للتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصع اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصع وفيه العز ولا يسلم من الأزدراء بالناس ومن اغتياهم وفيه العز ولا يمتلئ للتطويل فسامن خلق ذميم إلا أصحاب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فمن هذا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من أنوار الأخلاق الدائمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لاهالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والاتباع له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى - وللانكسار بأسوا أيديهم - إلى قوله - وكنتم عن آياته تستكبرون - ثم قال - سادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فأنس مثوى للتكبرين - ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشد عيا على الله تعالى فقال - ثم لنزغن من كل شعبة أبهم أشد على الرحمن عيا - وقال تعالى - فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنكم لكمناؤمين -

(١) حديث أعوذ بك من شفة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف . وقال زيد بن وهب : لبس على بن أبي طالب قيصا رازيا وكان إذا مدحه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال أحييوني على لباس هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدى في السلم وقيل : كان عمر رضي الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نورا قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت . وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يفكروا فيها ويستبرأ بها . ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب التواضع ولا تعمل في قلب التكبر ألا ترون أن من فمغ برأسه إلى السقف شجرة ومن طأطأ أظله وأكته فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق وغمص الناس (١) » .

( بيان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وعمرات الكبر فيه )

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسوله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلو ما جهولا فخارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخلق فاذن التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أغص أنواع الكبر ولا مثار له إلا الجهل الخفض والطغيان مثل ما كان من عمرو فانه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكأ يحكي عن جماعة من الجهلة بل ما يحكي عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الأهل إذ استنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا للملائكة القريبون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس ورفضها عن الاتقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة بصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل يكبره فيمتنع عن الاتقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للاشهاد للحق والتواضع للرسل كما حكي الله عن قولهم - أئؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم - إن آتيناكم بشرا مائنا لوئلتن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا خاضرون - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا للملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا أكبرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاءهم للملائكة مقترنين - وقال الله تعالى - واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا . قال وهب قاله موسى عليه السلام آمن بملكك قال حق أشاور هاما ن فاشاور هاما ن فقال هاما ن بينا أنت رب تعبد إذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف به الله إلينا فقال تعالى - أم يسمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من هتنا ساء استحقارهم واستبعادا لخدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراءه للسليخ فازدروهم بأعينهم فقهرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزله الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - إلى قوله - ما عليك من حاسبهم - وقال تعالى - واسبر

فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تصمدوا دينكم محمد الناس وثناهم ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نملين فلما نظر إليهما أعجب به . حينهما فسجد لله تعالى فقيل له في ذلك فقال خشيت أن يعرض عني ربّي فتواضعت له لاجرم لا يبيتان في منزلي لما تخوفت للقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفنهما إلى أول مسكن لئله ثم أمر فاشترى له نملان عضوفان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس

(١) حديث الكبر من سفه الحق وغمص الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر الحق وغط الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغمص الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ للصف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ريثانة هكذا .



نفسك مع الذين يدعون ربهم بالتفداء والمشي يريدون وجهه ولا تمد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - (١) ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجلا كنا ندعهم من الأشرار قيل ينون عمارا وبلالا وصهيبا والقناد رضى الله عنهم ثم كان منهم من منه التكبر عن الفكر والفرقة لجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه التكبر عن الاعتراف قال الله تعالى غيرا عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا - وهذا التكبر قرب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستعظم غيره فتأني نفسه عن الأقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأمن بنفسه مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين : أحدهما أن التكبر والعز والعلوية والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد للمالوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله التكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بالله ، ومثاله أن يأخذ التلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره ثم لأعظم استحقاقه للموت ومأعظم تهديفه للخرى والشك والماأند استجراره على مولاه وماأقبح مقاطعاه ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى «العلظة إنا نرى والكبرياء رداً فمن نازعى فيها قسمته » أى أنه خاص صفى ولا يليق إلا بالى وللنازع فيه منازع في صفة من صفات وإذا كان التكبر على عباد الله لا يليق إلا به فمن تكبر على عبادته قد جنى عليه إذ الذى يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بمحاق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجته درجتين أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخاق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، ثم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثانى الذى تعظم به رذيلة التكبر أنه يدعو إلى غفلة الله تعالى في أوامره لأن للتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى الناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم لهم يتباحثون بمجادد التكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتمل لدفعه بما يقدر عليه من التلبس وذلك من أخلاق الكافرين والنافقين إذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون - فكل من ينظر للغلبة والإغغام لا يفتن الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخفاق وكذلك يجعل ذلك على الأفتة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قرأها فقال إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف يقتل فقام آخر فقال تقتلون الدين يأمرن بالقسط من الناس فقتل التكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل إيماء إذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال **عليه السلام** لرجل « كل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت لما منه إلا كبره قال لما رفعها بعد ذلك (٢) »

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نهجلى إليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال فقال للشركون وقال ابن ماجه قالت قريش (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

المصروف واحتذى  
المصروف وأكل مع  
العبيد وإذا كانت  
النفس محل الآلات  
فالوقوف على دساتها  
وخفى شهواتها وكان  
هوها عسر جدا  
فالائق والأجدر  
والأولى الأخذ بالحوط  
وترك ما يريب إلى ما  
لا يريب ولا يجوز للعبد  
الدخول في السعة إلا  
بعد إتيان علم السعة  
وكال تزكية النفس  
وذلك إذا غابت النفس  
بشيء هوها التبع  
وتخلصت النية وتسدد  
التصرف فلم صريح  
واضح ولا مزعة أقوام  
يركبونها ويراعونها

أى اعتات يده ، فأذن تكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله وإعاضاً رب إبليس مثلهم لما حاكمه من أحواله إلا اعتبر به فإنه قال : أنا خير منه . وهذا التكبر بالنسب لأنه قال : أنا خير منه خلقتي من نار وخلقته من طين . فعمله ذلك على أن يتمتع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان يبدو التكبر على آدم والحسد له جفء ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبداً أبداً فيه آفة من آفات التكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبر بهاتين الآيتين إذ سأله ثابت بن قيس بن جهماس فقال يا رسول الله « إني امرؤ قد حبيب إلى من الجال ماترى أئمن التكبر هو ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن التكبر من بطر الحق وغمض الناس (١) » وفي حديث آخر « من سفه الحق (٢) » وقوله وغمض الناس أى ازدراهم واستحقروهم وهم عباد الله أمثاله أو خير . ثم وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هورده وهى الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه قد تكبر بما بينه وبين الحق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويؤاضع لله بطاعته وإتباع رسله قد تكبر بما بينه وبين الله تعالى ورحله .

### ( بيان ما به التكبر )

اعلم أنه لا يتكبر إلا على ما يستعظم نفسه ولا يستعظم إلا ما هو يعتقد لها صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي فالدينى هو العلم والعمل والدينوى هو النسب والجمال والقوة وللآل وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب . الأول : العلم وما أسرع التكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « آفة العلم الحياء (٣) » فلا يلبث العالم أن يتوهم أنه عالم يستشعر في نفسه جمال العلم وكأله ويستعظم نفسه ويستحققر الناس وينظر إليهم نظره إلى الهائم ويستجبلهم ويتوقع أن يبدوهه بالسلام فإن بداه واحد منهم بالسلام أورد عليه بشر أوقام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنعة عندهم ودا عليه يلومه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفضل بهم ما يستحقون من مثله وأنه ينبغي أن يبقوا له ويخدموه شكره على صنيعه بل القالب أنهم يرونه فلا يبرهم ويرونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخفون من خالطه منهم ويستخفونه في حوائجه فإن قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراءه وكان تعليمه العلم صنعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا لما يتعلق بالدينى ، أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلاً أولى من أن يسمى عالماً بل العلم الخفي هو الذى يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر الجامعة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كالبأساني في طريق معالجة التكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفاً وتواضعاً وتخشعاً ، ويتقضى أن يرى كل الناس خيراً منه ليعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو البرداء من ازداد علماً ازداد وجهاً وهو كما قال . فإن قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبراً وأمثا . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يصكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً حقيقياً

لابرون القول إلى  
الرخص خوفاً من  
قوت فضيلة الإهد في  
الدنيا واللباس الناعم  
من الدنيا وقد قبل من  
رقى ثوبه رقى ديه  
وقد يرخص من ذلك  
لأن لا يلزم بالهد  
ويقف على رخصة  
الفرع . وروى علقمة  
عن عبد الله بن  
مسعود رضى الله عنه  
عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال  
« لا يدخل الجنة كل من  
كان في قلبه مثقال ذرة  
من التكبر فقال رجل  
إن الرجل يحب أن  
يكون ثوبه حسناً ولعله  
حسناً فقال النبي عليه

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن جهماس إني امرؤ قد حبيب إلى من الجال ماترى أئمن التكبر من بطر الحق وغمض الناس مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بمحدثين (٢) حديث التكبر من سفه الحق وغمض الناس تقدم منه (٣) حديث آفة العلم الحياء . قلت هكذا ذكره المصنف والمعروف آفة العلم التسيان وآفة الجمال الحياء هكذا رواه القضاعى في مسند الشهاب من حديث على بسند ضعيف . وروى عنه أبو منصور الديلى في مسند الفردوس آفة الجمال الحياء وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفى لا يدري من هو حدث عن أبيه بمحدث موضوع قاله صاحب اليزان .

وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه خطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلاؤها كبراً وتفاقاً وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالباً . السبب الثاني أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردى النفس سيء الأخلاق فإنه لم يشغل أولاً بهتديب نفسه وتركيز قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه بقي خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يعلب ثمره ولم يظهر أثره الجبر أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلاً فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافياً تقتشر به الأشجار يبروقها فتحول على قدر طوعها فيزداد للر مرارة والحلو حلوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوه على قدرهمها وأهوائها فيزيد التكبر كبراً والتواضع تواضعاً وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً وإذا كان الرجل خاضعاً مع جهله فازداد علماً علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لئن عليه السلام - واخضع جنحنا لك إن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظاً غليظ القلب لا تقتضوا من حولك - ووصف أوليائه فقال - أذلة على المؤمنين أعز على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم اتبناهم إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكونوا جارية العلماء لا يلقى عليكم جهلكم ، ولذلك استأذن عبيد الدارى عمر رضى الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الدبع واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تنتفع حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لثمنين إماماً غيرى أو لثمنين وخذنا فاني رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فما أعز على بسيط الأرض عالماً يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحرکه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من أخاصه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته ونسرى إلينا سيرته وسجيته وهيئات فأتى يسمح آخر الزمان بتلهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد اتهروا في القرن الأول ومن يليهم بل يمر في زماننا عالم مختلج في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الحصة فذلك أيضاً إما معدوم وإما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بشر ما أتم عليه نجا (٢) » لكان جديراً بنا أن نتجنبه واليباز بالله تعالى ورحلة الألباس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أحوالنا ومن لنا أيضاً بالتمسك بشيء ما كانوا عليه ولينا تمسكنا بعشر عشرة . فنسأل الله تعالى أن ياملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أفعالنا كما يقتضيه كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يغلو عن رذيلة العز والتكبر واستمالة قلوب الناس

السلام إن الله جيل  
يجب الجلال « فتكون  
هسته الرخصة في  
حق من يلبس لاهوى  
نفسه في ذلك غير  
مفتخر به وغشال فأما  
من لبس الثوب للتمناخر  
بالدنيا والتكبر بها  
قد ورد فيه وعيد .  
روى أبو هريرة أنه  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال « أزره  
لؤلؤ من إلى نصف الساق  
فما بينه وبين الكعبين  
وما كان أسفل من  
الكعبين فهو في النار  
من جر إزاره بطراً  
لم ينظر الله إليه يوم  
القيامة فبينما رجل من  
كان قبلكم يتبخر في

(١) حديث العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢) حديث سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بشر ما أتم عليه نجا أحمد من رواية رجل عن أبي ذر .

اتزهد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم زيارتهم أولى  
منهم بزيارة غيرهم ويتوقفون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم  
بالورع والتقوى وتقدريهم على سائر الناس في الحظوظ إلى جميع مآذ كثراته في حق النساء وكانهم  
يرون عبادتهم منه على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو  
الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو  
أهلكهم » (١) وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مقتر بالله آمن من  
مكره غير خائف من سلطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم « كفى  
بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم » (٢) وكمن الفرق بينه وبين من يحبه الله ويعظمه لعبادته ويستعظمه  
ويرجو له مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتظيمهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله تعالى  
بالذنوب منه وهو يمتدح إلى الله بالتزهد والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فأجدرهم إذا حرصوا لصلاوة  
أن ينقلهم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الإهمال كما روى  
أن رجلا من بني إسرائيل كان يقال له خليع بن إسرائيل لكثرة فساده من رجل آخر يقال له عابد بن  
إسرائيل وكان على رأس العابد عمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه أنا خليع بن  
إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمي فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن  
إسرائيل وهذا خليع بن إسرائيل فكيف يجلس إلي فأنت منه وقال له قم عني فأوحى الله إلى نبي  
ذلك الزمان مرهما فليستأفقا العمل فقد غفرت للخليع وأجبت عمل العابد. وفي رواية أخرى فتحولت  
الضامة إلى رأس الخليع وهذا يرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل المعاصي  
إذا تواضع هية لله وذل خوفا منه قد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم للتكبر والعابد العاجز  
وكذلك روى أن رجلا من بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطيء على رقبته وهو تاجد  
قال ارفع فو الله لا يفر الله لك فأوحى الله إليه أيها للتألى على بل أنت لا يفر الله لك (٣) وكذلك  
قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطرز الخزانة أن صاحب الخبز يذل لصاحب  
الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآية أيضا قلبا يفتك عنها كثير  
من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبد أن يفر الله له ولا يشك في أنه صار محموتا  
عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستكر ذلك الاستكبار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جمل  
وجمع بين الكبر والعجب واعتقار بالله وقد ينتهي الحق والعبادة يعضهم إلى أن يتحدى ويقول  
سرون ما يجري عليه وإذا أصيب بنكبة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الإشفاء غلبه  
والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة أكذوا الأنبياء  
صوات الله عليهم فنهض من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن أقامهم أكثرهم ولم يساقبهم في الدنيا بل ربا  
أسلم بعضهم فلم يصبه مكرهه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل للفرور يظن أنه أكرم لله من  
أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في مقت الله بالعجايب وكبره وهو غافل عن هلاك

ردائه إذا أهجه رداؤه  
نفسه الله به الأرض  
فهو يتجلبل فيها إلى  
يوم القيامة والأحوال  
تختلف ومن صح حاله  
بصحة علمه صحت نيته  
في ما كوله ولبوسه  
وسائر تصاريفه وفي  
كل الأحوال يستقيم  
ويستبد بالاستقامة  
الباطن مع الله تعالى  
ويقدر ذلك بتقويم  
تصاريف العبد كلها  
بحسن توفيق الله  
تعالى .

[ الباب الخامس  
والأربعون في ذكر  
فضل قيام الليل ]  
قال الله تعالى - إذ  
يضيق الناس أمانة

(١) حديث إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث  
كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ ، من الشر (٣) حديث  
الرجل من بني إسرائيل الذي وطيء على رقبته عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله  
لا يفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال للمعاصي وأه  
لا يفر الله لك أبدا وهو ينير هذه السقاة وإسناده حسن .

نفسه فهذه عقيدة اللعنين ، وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلي حين كان  
 تهب ريح أوتقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسبي ولومات عطاء لتخلصوا ومقالة الآخر بعد  
 انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجيهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا اتقى  
 الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسقيه وذلك ربما يضر من الزيادة والكبر والحسد  
 والقتل ما هو ضحكة للشيطان به ثم إنه يفتن على الله بعمله ومن اعتقد جزأ ما أنه فوق أحد من عباده فقد  
 أحبط بجعله جميع عمله فان الجهل الماصى وأعظم شئ يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير  
 من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى وأن رجلا ذكر  
 بخير النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى  
 في وجهه سفة من الشيطان فلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سألك  
 بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم <sup>(١)</sup> فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 بنور النبوة ما استمكن في قلبه سفة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله  
 لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستترا في قلبه يرى  
 نفسه خيرا من غيره إلا أنه يحتج ويتواضع ويفعل قلة من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسيخ  
 في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكليّة. الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في  
 المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الانكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم أن يصرخه  
 للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متزه عن الناس مستقلهم  
 أو غضبان عليهم وليس يعلم للسكين أن الورع ليس في الحجة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يبس ولا في  
 الحد حتى يصير ولا في الرقية حتى تطأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره <sup>(٢)</sup>» قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 «أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبعا وانسلا <sup>(٣)</sup>» ولذلك قال الحرث  
 ابن جزء الزيدى صاحب رسول الله ﷺ «يجبني من القراء كل طليق مضحك فأما الذي تلقاه ببشر  
 وبانة لا يبوس بمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى رضى ذلك  
 لما قال لثييه صلى الله عليه وسلم يا خض جناحك إن أتبعك من المؤمنين - هؤلاء الذين يظهر أثر الكبر  
 على شمائلهم فأحوا لهم أخف حالا بمن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى  
 يدعو إلى الدعوى وللإفخرة والمباهاة وتركية النفس وحكايات الأحوال واللقامات والتشمر لليلة الغير  
 في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لنيره من العباد من هو واعماله ومن أين زهده  
 فيطول اللسان فيهم بالتقص ثم يفتن على نفسه ويقول إني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم  
 القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يركى نفسه ضمنا فيقول  
 قصدي فلان بسوء فهل ولد وأخذ ماله أو مرض أو ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه أو ما بهااته  
 فهو أنه لو وقع مع قوم يصاون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلى وإن كانوا يصبرون على الجوع  
 فكيف نفسه الصبر ليقلهم ويظهر له قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من أن يقال غيره

(١) حديث أن رجلا ذكر بخير النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي  
 ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفة من الشيطان الحديث أحمد والبزار والدارقطني من حديث  
 أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث  
 كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

منه وينزل عليكم من  
 السماء ماء ليطهركم به  
 ويذهب عنكم رجز  
 الشيطان - نزلت هذه  
 الآية في المسلمين يوم  
 بدر حيث نزلوا على  
 مكثب من الرمل  
 تدوخ فيه الأقدام  
 وحوافر الدواب وسبقهم  
 للشركون إلى ماء بدر  
 العظمى وغلبهم عليها  
 وأصبح المسلمون بين  
 محدث وجنب وأصابعهم  
 الظما فوسوس لهم  
 الشيطان أنكم ترحمون  
 أنكم على الحق وفيكم  
 نبي الله وقد غلب  
 للشركون على الماء  
 وأنتم تصلون محدثين  
 وجنبيين فكيف

أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفان في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وماضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليغرضه ويعظم نفسه وأما باباته فهو أنه يجتهد في الناظرة أن يغلب ولا يثلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ وحفظ العلوم الثرية ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان أقرانه ويفرح معها أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التمرز بالملم والعمل وأين من يخاف عن جميع ذلك أو عن بضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (١) كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إنك عندنا قدام مالم تر نفسك قدرا فإن رأيت لما قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالملم والعمل. الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستعظم من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأف من مخالطهم ومجالستهم وتمره على اللسان التفخار به فيقول لشعري يانبطي ويأهندي ويأزمني من أنت ومن أبوك أنا فلان ابن فلان وأين لك أن يكلمني أو ينظر إلى ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فإن غلبه غضب أطع ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ قتلته له يابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أباذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» (٢) فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نهى رسول الله ﷺ أن يرى نفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمه إلا اللذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتخر رجلا عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حق عدتسة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا غما في جهنم أوليكون أهون على الله من الجملان التي تدرف بآنفها القدر» (٤). الرابع: التفاخر بالجمال وذلك أكثر

ترجون الظفر عليهم  
فأنزل الله تعالى مطرا  
من السماء سال منه  
الوادي فثرب للسلمون  
منه واغتسلوا وتوضأوا  
وسقوا الدواب وملئوا  
الأسقية ولبد الأرض  
حق ثبت به الأقدام قال  
الله تعالى - وثبت به  
الأقدام. إذ يوحى ربك  
إلى الملائكة أني معكم -  
أمسدم الله تعالى  
بالملائكة حتى غلبوا  
للشركين ولكل آية  
من القرآن ظهر  
وبطن وحد ومطلع  
والله تعالى كما جعل  
النحاس رحمة وأمنة  
للصحابة خاصة في تلك  
الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٢) حديث أبي ذر قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم قتلته له يابن السوداء الحديث ابن للبارك في البر والصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست غير من أحمروا أسود إلا أن تفضل به بقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد اللسن من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٤) حديث ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقصدا وراحمافي جهنم أوليكون أهون على الله من الجملان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التتمس والطلب والفتية وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها (١) » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكأنها أعجبت بجمتها واستصغرت المرأة في جنب نفسها قالت ما قالت . الخامس : الكبر بالمال وذلك يجري بين اللوك في خزائهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيهم وبين التجميلين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقق التثني الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثالث يتيق يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أغنى في اليوم مالا لك في سنوكل ذلك لاستظامه للغي واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بغضلة الفقر وآفة التثني وإليه الإشارة بقوله تعالى - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه فقال إن نون أنا أقل منك مالا وولدا فحسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليا حسبنا من السماء فخصص بصددا زلفا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله - يا ليتني لمن أشرك بربي أحدا - ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه ذو حظ عظيم - السادس : الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالاتباع والأنصار والتلامذة والتمسان والعشيرة والأقارب والبنين ويجري ذلك بين اللوك في الكثرة بالجنود وبين العلماء في الكثرة بالمستفيدين . وبالجملة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يستند كال وإن لم يكن في نفسه كالا أمكن أن يتكبر به حتى إن الخشن ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة الخشنيين لأنه يرى ذلك كالا فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الثرب وكثرة الفجور بالنسوان والتمسان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان غلطًا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشيء منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلومه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم والحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله العون بطفه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

### ( بيان البواعث على التكبر وأسبابه للهجة له )

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي غمرة وتيجية ويبنى أن تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالتكبر كما سيأتي معناه فانه إذا أعجب بنفسه بعلومه وبمجه أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسابيه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرها . أما السبب الذي في التكبر فهو العجب والذي يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرها هو الرياء فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يورث التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر

وابن حبان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث تقدم في آفات اللسان .

رحمة تم للمؤمنين  
والناس قسم صالح  
من الأقسام العاجلة  
للمريدن وهو أمانة  
لقلوبهم عن منازعات  
النفس لأن النفس  
بالنوم تستريح ولا  
تشكو الكلال والتعب  
إذ في شكائهما وتعبها  
تصكدير القلب  
وباحترامها بالنوم  
بشرط العلم والاعتدال  
راحة القلب لما بين  
القلب والنفس من  
الواطأة عند طمأنينتها  
للمريدن السالكين  
تقدليل يبنى أن يكون  
ثلث الليل والنهار نوما  
حق لا يضطرب الجسد  
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بفضه فهو لذلك لاتطاعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكمن ردل لاتطاعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بفضه له وبجمله ذلك على ردالحق إذا جاء من جهة وعلى الأفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه فلا يتنذر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فإنه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهة إيذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا إلى جعد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكمن جاهل يشناق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستكفاه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقرابه حسدا وبضا عليه فهو معرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على أن يماحله بأخلاق للتكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق للتكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لسكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد يمتحن إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينسب إلى ذلك النسب ويرفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن بحمله الرياء على أفعال التكبرين وكان اسم للتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار وهو إن ممي متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

( بيان أخلاق للتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر )

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كسعر في وجهه ونظيره شزرا وإطرافه قرأسه وجلو سمرته جأ ومثكثا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد ويظهر في مشيته ويختبر وقيامه وجلو سمرته وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لأفصاه وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن التكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فنحن التكبر بأن يجب قيام الناس له أو يمين يديه وقد قال على كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد يمين يديه قوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يطمون من كراهته لذلك (١) . ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه . قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزدد من الله جدنا ما مشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبده إذا كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ، ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويعشى في غمارهم (٢) إما لتعليم غيره أو لينبئ عن نفسه وسأوس الشيطان بالكبر والعجب

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب الصلوة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يمشى مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشي إلى البقيع فقبه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

لنوم ساعتين من ذلك  
يحملهما اللريد بالتهار  
وست ساعات بالليل  
ويزيد في أحدهما  
وينقص من الآخر  
على قدر طول الليل  
وقصره في الشتاء  
والصيف وقد يكون  
بحسن الإرادة وصديق  
الطلب ينقص النوم  
عن قدر الثلث ولا  
يضر ذلك إذا صار  
بالندرج عادة وقد  
يحمل ثقل السهر وقلة  
النوم وجود الروح  
والأنس فإن النوم  
طبعه بارد رطب ينفع  
الجسد والماغ وسكن  
من الحرارة واليبس  
الحادث في الزواج فإن



كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين اللعين<sup>(١)</sup>، ومنها أن لايوزر غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روى أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن آدم أن تعال فحدثنا سفيان فقبل له يأبأ إسحق تبعث إليه بعث هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبدالعزيز بن أبي رواد فسئلت عن غفلة فضجعت نفسي عنه فأخذ ثيابي فجري إلى نفسه وقال لي لم تفضلوني بما تفضلون بالجلبابة وإني لأعرف رجلا منكم شرا مني. وقال أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت<sup>(٢)</sup>، ومنها أن يتوقى من مجالسة للرضى والمعالين ويتحاشى عنهم وهو من التكبر دخل رجل وعليه جدرى قد تقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه<sup>(٣)</sup> وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لا يجلس عن طعامه مجنوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقدم على ما دنته. ومنها أن لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أنه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم إلى الصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنيبه الغلام فقال هي أول نومة ناما أقام وأخذ البطيخة وملا للصباح زيتا فقال الضيف فمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهب وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما قص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا. ومنها أن لا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك<sup>(٤)</sup> وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك. وعن الأصمعي بن نباتة قال كآني أنظر إلى عمر رضي الله عنه معلقا لجبا في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فجعله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا، أبو العيال أحق أن يحمل. ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «البذانة من الإيمان»<sup>(٥)</sup> فقال هرون سألت معنا عن البذانة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق ويده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة قرعة بعضهم من آدم وعبوب علي كرم الله وجهه في إزار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى ومثى خلفهم فسل عن ذلك فقال إني سمعت خفيق نعالكم فأشفت أن يقع في شيء من التكبر وهو منكر فيه جماعة ضعفاء<sup>(٦)</sup> حديث إخراج الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخليع. قلت المعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخاق أو نزع الخيصة ولبس الأنجانية وكلاهما تقدم في الصلاة<sup>(٧)</sup> حديث أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث تقدم في آداب اللبشة<sup>(٨)</sup> حديث الرجل الذي به جدرى وإجلاسه إلى جنبه تقدم قريبا<sup>(٩)</sup> حديث حمل متاعه إلى بيته أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للراويل وحمله وتشم<sup>(١٠)</sup> حديث البذانة من الإيمان أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم.

قصص عن التلث يضر الدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فإذا ناب عن النوم روح القلب وأنسه لا يضر قصصه لأن طليعة الروح والأنس باردة رطبة كطليعة النوم وقد تقصر مدة طول الليل بوجود الروح قصير بالروح أوقات الليل الطويلة كالنصف ساعة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لأهل الروح. قل عن علي بن بكارة قال: منذ أربعين سنة ما أذنني إلا طلوع الفجر. وقيل لبعضهم

عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس إنى لأغسل ثوبى هذين فأنت كقلبى مادامتا  
 تهين . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف  
 دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول  
 ما أجوده لولائه قليل له أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين فقال إنى نفسا ذوقا وأنا  
 لم تلق من الدنيا طبقة إلا تافت إلى الطبقة التى فوقها حتى إذا ذات الخلافة وهى أرفع الطباق تافت  
 إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه  
 قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست  
 فكس رأسه مليا ثم رفع رأسه قال إن أفضل القصد عند الجدوة وإن أفضل العفو عند القدرة . وقال  
 صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء مرضاته كان حقا على الله  
 أن يدخله عبرى الجنة (١) » فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب .  
 « وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من صفه  
 الحق وغمض الناس (٢) » فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته  
 أن يكون من التكبر فى حق كل أحد فى كل حال وهو الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وهو الذى عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال فى امرؤ حبيب إلى من الجمال ماترى (٣)  
 فعرف أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا يتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من  
 الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب البون قد يكون من التواضع وعلامة للتكبر  
 أن يطلب التجميل إذا رآه الناس ولا يبالى إذا اتهم بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب  
 الجمال فى كل شئ ولو فى خلوته وحتى فى سنوره داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الأحوال  
 نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء فى  
 القاب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعنى أن الكبر لا يوجب به وبجوز أن لا يوجب  
 الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف فى مثل هذا والمحبوب الوسط من  
 اللباس الذى لا يوجب شهرة بالجوذة ولا بالزاداة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا  
 والبسوا وتصدقوا فى غير سرف ولا غيلة (٤) » . « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥) » وقال  
 بكر بن عبد الله المزنى البسوا ثياب للوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وإنما خاطب بهذا قوما يطلبون  
 التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : ما لكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان  
 وقلوبكم قلوب الدئاب الضواري البسوا ثياب للوك وأميتوا قلوبكم بالخشية . ومنها أن تواضع  
 بالاحتياط إذا سب وأودى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا ما هل عن السلف من احتياط  
 الأذى فى كتاب الغضب والحد . وبالجملة فجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه  
 وسلم فيه فينبغى أن يقتدى به . ومنه ينبغى أن يتعلم . وقد قال أبو سلة : قلت لأبي سعيد الخدرى

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو سعيد المالبني فى مسند الصوفية  
 وأبو نعم فى الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفى إسناده نظر (٢) حديث سئل  
 عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال لا الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس  
 قال لنبى صلى الله عليه وسلم إنى امرؤ حبيب إلى الجمال الحديث هو الذى قبله سمى فيه السائل وقد تقدم  
 (٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا غيلة النسائي وابن ماجه من رواية  
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذى  
 وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلهما للصنف حديثا واحدا .

كيف أنت والليل؟ قال  
 ماراعيته قط يرى  
 وجهه ثم ينصرف  
 وما تأملته . وقال  
 أبو سليمان الداراني  
 أهل الليل فى ليالهم  
 أشد لذة من أهل اللهو  
 فى لهوهم . وقال بعضهم  
 ليس فى الدنيا شئ  
 يشبه نوم أهل الجنة  
 إلا ما يجد أهل التملق  
 فى قلوبهم الليل من  
 حلاوة المناجاة خلوة  
 للمناجاة ثواب عاجل  
 لأهل الليل . وقال  
 بعض العارفين إن  
 الله تعالى يطلع على  
 قلوب السائقين فى  
 الأسرار فيملؤها نورا  
 فتد الفوائد على ولوجهم

ما ترى فيما أحدث الناس من اللبس والشرب والركب والطعم فقال يا ابن أخي: كل شيء شربته والبس  
 شيء وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو حمة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من  
 الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يسلف الناضح ويعقل البعير ويقم  
 البيت ويعلم الشاة ويخفف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطن عن إذا أعيا ويشترى  
 الشيء من السوق ولا يمتنع من الحياء أن يلقه بيده أو يحمله في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصافح  
 النقي والفقيد والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمراً وعبد  
 من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر  
 ولا يحقر مادي إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرغ غداء لعشاء ولا عشاء لعدها هين للؤنة لين  
 الخلق كريم الطبيعة جميل للماشرة طليق الوجه يسام من غير ضحك عز و من غير عبوس شديد في غير  
 عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق  
 لم يمش قط من شيع ولا يمد يده من طمع ، قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتني بما  
 قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذا أخبرك أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً ولم يبت إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار  
 والغنى وإن كان ليطول جامعا ليلته حتى يصبح لما يمتنع ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه  
 فيؤتي بكنوز الأرض وتمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لقعل وربما بكيت رحمة له  
 مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك القداء لو بلغت من الدنيا بقدر ما عوتك  
 ويمتلك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا  
 فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل نوابهم فأجذني أستحي إن ترهفت في معيشتي  
 أن يقصر بي دونهم فأصبر أيا ما بسيرة أحب إلى من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب  
 إلى من الحقوق يا خواتي وأخلائتي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى يقبضه  
 الله عز وجل (١) . فما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق التواضعين فمن طلب  
 التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق عمله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به  
 فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رضة إلا في الاقتداء به  
 ولذلك قال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالاسلام قلن نطلب العز في غير ما عوتب في بدانة  
 هيئته عند دخوله الشام . وقال أبو الدرداء : اعلم أن الله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء  
 هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا  
 الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع  
 المسلمين والصليحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تحين وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله  
 واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقاً أو ثلاثون رجلاً قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه  
 السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه . واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئاً ولا يؤذونه .

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يسلف الناضح وفيه قال أبو سلمة فدخلت  
 على عائشة فحدثتني بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط  
 شبعاً الحديث بطوله لم أقف لهما على إسناد .

فستعبر ثم تنقشر من  
 قلوبهم الفوائد إلى  
 قلوب القافين . وقد  
 ورد أن الله تعالى أوحى  
 في بعض ما أوحى إلى  
 بعض أنبيائه أن لي  
 عبداً يحبوني وأحبه  
 ويشتناقون إليّ  
 وأشتاق إليهم  
 ويدكرونني وأذكرونني  
 وينظرون إلي وأنظر  
 إليهم فإن حسادوت  
 طريقهم أحببتك وإن  
 عدلت عن ذلك مقتك  
 قال يارب وما علامتهم  
 قال يراعون الظلال  
 بالنهار كإبراهيم الخواص  
 عنصه ويعنون إلى  
 غروب الشمس كما عن  
 الطير إلى أوكارها فإذا

ولا يحرقونه ولا يبتادلون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرمون على الدنيا هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخام نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حلهم الظاهر وهم فيها بينهم وبين ربهم لاتدرهم الرياح العواصف ولا الخيل المجرأة تلويهم تصعد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدما في استباق الخيرات وأولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم للفاخون - . قال الراوي : قلت يا أبا الدرداء ما صنعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن ألبسها فقال ما ينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وقدر حبك للآخرة زهد في الدنيا وقدر ذلك تبصر ما ينصك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتفه بالصفة . واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى للزل - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما تلقذ للتلاذون بمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من عبي المحبين لك يارب العالمين فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيه وعلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### ( بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له )

اعلم أن الكبر من المللعات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التقى بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القائمة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأسياب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره . للقام الأول : في استئصال أصله وعلاجه على وعلى ولايم الشفاء إلا بمجموعهما أما المسمى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى وكيفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالتوكل فيه يطول وهو متى علم للكشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والذلة وكيفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فإن في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتح بصيرته وقد قال تعالى - قتل الإنسان ما كفره من أي شيء خلقه من نقطة خلقه فقدرة ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشأه - فقد أشارت الآية إلى أول خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقدرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نقطة ثم من علة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنوع إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه سجادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يمشي ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بعونه قبل حياته وبضفة قبل قوته وبجعله قبل عله وبجاه قبل بصره وبصممه قبل صممه ويكفه قبل نقطة وبضلالتة قبل هداه وبفقره قبل غناه وبجزءه قبل قدرته فهذا معنى قوله - من أي شيء خلقه من نقطة خلقه قدرة - ومعنى قوله - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نقطة أمشاج نبتليه - كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال - ثم السبيل يسره - وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال - من نقطة أمشاج نبتليه لجعلناه جميعا بصيرا إنا هديناه

جنهم الليل واختلط  
الظلام وخال كل حبيب  
عبيته نصبوا إلى  
أقدامهم واقترشوا إلى  
وجوههم وناجسوا  
بكل ما وعلقوا إلى  
يافى قبين صارع  
وبالك وبين متأوه  
وشاك به في ما يتحملون  
من أجل وبسعى  
ما يشكون من حي  
أول ما أعطاهم أن  
أقذف من نوري في  
قلوبهم فيخبرون عن  
كما أخبر عنهم والثاني  
لو كانت السموات  
السبع والأرضون  
وما فيها في موازينهم  
لاستقلتها لهم والثالث  
أقبل بوجهي عليهم

السييل إما شاكراً وإما كفوراً - ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جماداً ميتاً تراً! أولاً ونطفة ثانياً وأممته بعدما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من المجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره وإلى السيل كيف يسر وإلى طينان الإنسان ما كفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال - ألو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم حسر تنسرون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف خلقه من تلك الدالة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجوداً بعد عدمه وحياً بعد ملوث وناطقاً بعد البكم وبصيراً بعد العمى وقوياً بعد الضعف وطالماً بعد الجهل ومهدياً بعد الضلال وقادراً بعد العجز وغنياً بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء، وأى شيء، وأخس شيء، من لا شيء، وأى شيء، أقل شيء من عدم المحض ثم صار بالله شيئاً وإنما خلقه من التراب الدليل الذى يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد عدم المحض أيضاً ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإعماؤه أكل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمتها وجلاله وأنه لا يليق التكبرياء إلا به جلّ وعلا ولذلك امتنّ عليه فقال - ألم نجعل له عينين ولساناً وحفتين وهدينا له النجدين - وعرف خسته أولاً فقال - ألم يك نطفة من مئى يحيى ثم كان علقه - ثم ذكر منته عليه فقال - خلقنا فسوى فجعل منه الزوجين الذكور والأنثى - ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولاً بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر وهتكبرياء والفض والحيلاء وهو على التحقيق أخس الأشخاص وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته ففهم بأنفه وتنظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نعم لو أكله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يظنى وينسى البدأ والنسبى ولكنه سلط عليه في دؤم وجوده الأمراض المأثلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من الرقة والبلم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويعرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نقماً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً يريد أن يعلم الشيء فيجعله ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء ويشغل عنه فلا يظفر عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما بهمه فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويستهيى الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية وهى تنفمه ونحييه ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب محمه وبصره وتلفح أعضاؤه ويغتنس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما بهواه في دنياه فهو مضطر ذليل إن ترك بقى وإن اختطف قتي عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فأى شيء أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق السكر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليتأمله. وأما آخره ومورده فهو ملوث للشار إليه بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - ومعناه أنه يسلب روحه ومعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جماداً كما كان أول مرة لا يلقى إلا لشكل أعضائه وصورته لاحت فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قادرة كما كان في الأول نطفة مذرة ثم تبلى أعضاؤه وتشتت أجزاؤه وتختز عظامه ويصير ربما رافاً ويأكل الدود أجزائه فينتدى بمخلفيه فيقطعها ويغذيها فيقطعها ويسأر أجزائه فيصير روثاً في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقدره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإثتان وأحسن أحواله أن يموت إلى ما كان فيصير تراباً يعمل منه السكران ويصير منه البنيان فيصير مفقوداً بعد ما كان موجوداً وأوصار كأن لم يكن بالأمس حصيداً

أفستى من أقلت  
بوجهى عليه أيعلم أحد  
ما أريد أن أعطيه  
فالمصدق الرديء إذا خلا  
في ليله بمناجاة ربه  
انتشرت أنوار ليله على  
جميع أجزاء نهاره  
ويصير نهاره في حماية  
ليله وذلك لامتلاء قلبه  
بالأنوار فتكون حركته  
وتصاريفه بالتأثر  
تصدر من منبع  
الأنوار المحبسة من  
الليل ويصير قلبه في  
قبة من قباب الحق  
مسدداً لحركته موقرة  
سكناته. وقد ورد من  
صلى بالليل حسن وجهه  
بالنهار ويجوز أن  
يكون لمعينين: أحدهما

كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك لما أحسنه لترك ترابا ، لابل يحبه بعد طول البلى  
ليقاسي شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه للتفرقة ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى  
قيامة قائمة وساء مشقة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكسرة وثمس منكسرة وأهوال  
مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهم تفرز وجنة ينظر إليها المهجم فيتحسر ويرى صحائف منشورة  
فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو ؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها  
وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان يكتبان عليك ما كنت تتنطق به أو تعمله من قليل  
وكثير وتغير وقطعير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسبت ذلك وأحصاه الله عليك فهم إلى الحساب  
واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فرعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر  
الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فلما شاهدته قال سيأولتنا ما لهذا الكتاب لا يشار صغيرة ولا كبيرة  
إلا أحصاها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنشره - فلما ن هذا حاله والتكبر  
والتعظم بل ماله وللفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو  
ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون  
إنسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا وإن كان عند الله مستحقا للثأر والخزير أشرف منه وأطيب وأرفع  
لذا أوله التراب وآخره التراب وهو يعزل عن الحساب والعذاب والكبر والخزير لا يهرب منه الخلق  
ولورأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقه وتوقع صورته ولو وجدوا ربحه  
لمساؤوا من ثمنه ولو وقت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنثى من الجيفة فمن  
هذا حاله في العاقبة إلا أن يغفر الله عنه وهو على شك من الغفر كيف يفرح ويضطرب وكيف يتكبر  
ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يستغفله فضلا وأى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن  
يعفو الله الكريم فضله ويحبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله  
أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنائنه ضرب ألف سوط فحبس إلى السجن وهو ينتظر أن  
يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق وليس يدرى أينى عنه أم لا كيف يكون ذلك  
في السجن أفترى أنه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة  
من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا وإشفاقا ومهانة وقد لا يفهم  
العلاج العلمي القامع لأصل الكبر أو ما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق  
للتواضعين كالصفاء وحسينة من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه  
«كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد كل كاياكل العبد» (١) وقيل لسانا لم لا تلبس ثوبا جديدا  
فقال إنما أنا عبد فإذا اعتنقت يوما لبست جديدا أشار به إلى التقى في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة  
إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلوة جميعا وقبل الصلاة عماد الدين  
وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالثول قائما وبالركوع والسجود  
وقد كانت العرب قديما يأتون من الانحاء فكان يمسقط من يد الواحد سوطه فلا يحنى لأخذه  
وينقطع شركا له فلا ينكسر رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام يا بخت الله صلى الله عليه وسلم  
على أن لا آخر إلا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم قه وكل إيمانه بعد ذلك (٢)

أن الشكاة تستبر  
بالصباح فإذا صار  
سراج اليقين في القلب  
زهر بكثرة زيت العمل  
بالليل فيزداد الصباح  
إشراقا وتكسب  
مشكاة القلب نورا  
ومنياء . كان يقول  
سهل بن عبد الله  
البختين ناز والإقرار  
قبلة والعمل زيت  
وقد قال الله تعالى  
- سبام في وجوههم  
من أثر السجود وقال  
تعالى - مثل نوره  
كمشكاة فيها مصباح -  
فنور اليقين من نور  
الله في زجاجة القلب  
يزداد منياء بزيت  
العمل فتبقي زجاجة

- (١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد كل كاياكل العبد تقدم في آداب المعيشة  
(٢) حديث حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما الحديث  
رواه أحمد مقتصر على هذا وفيه إرسال خفي .

فلما كان السجود عندهم هو منتهى القلة والضعف أمروا به لتتكسر بذلك خيالاتهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فإن الركوع والسجود وللثقل قائماً هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فليتظر كل ما يقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على إتقيته حتى يصير التواضع له خلقاً فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعاً وذلك لحفاء الملاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والملكوت من عالم الملكوت . القام الثاني : فيما يمرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب فم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما ماعدهما يغني بالوقت فكذلك وهي فن هذا يصير على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يترتب الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تميز بكمال غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بآباء ذوى شرف      قد صدقت ولكن بشى ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خفياً في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حياً لكان له أن يقول الفضل لى ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولى أقرى أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف أباه وجده فإن أباه القريب نقطة قدرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نفسه من سلاله من ماء مهين - فمن أصله التراب المهين الذي يدا من الأقدام ثم سخر طينة حتى صار حملاً مسنوناً كيف يتكبر وأخس الأشياء ما إليه انتسابه إذ يقال يا أذل من التراب ويا أنثى من الحماة ويا أذل من اللبنة فإن كان كونه من أيه أقرب من كونه من التراب . فنقول : اقتصر بالقرب دون البعيد فاللبنة واللينة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رفة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رفة فمن أين جاءت الرفة لولده فإذا من التراب وفضله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه هي خمسة النسب فالأصل بوطاً بالأقدام والفصل تقسّم منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف النطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بين هاشم وقد أخبره بذلك والدها فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم إنه ابن هندى حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يبقى شيئاً من كبره لا بل يصير عند نفسه أخقر الناس وأذلهم فهو من استعمار الخوى لحسته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة واللينة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى ثقل التراب أو يتعاطى الدم بالحمامة وغيره لكان يعلم به خسة نفسه لمسامة أعضاء أيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القدرة التي يترتب عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الأفقار في جميع أجزائه ألجميع في أمعائه والبول في مثانته والخطأ في أنفه والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصديد تحت جبرته والصنان تحت إبطه يسفل الغاطس يده كل يوم دفعة أو دفتين ويتردد كل يوم الخلاص مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لورآه بعينه

القلب كالكوكب  
الدرى وتنعكس أنوار  
الرجاحة على مشكاة  
القالب وأيضاً يلين  
القلب بشار النور  
ويسرى لينة إلى القالب  
فيلين القالب للين القلب  
فتشاهان لوجود اللين  
الذي هما . قال الله  
تعالى - ثم تلين جلودهم  
وقلوبهم إلى ذكر الله  
وصف الجلود باللين كما  
وصف القلوب باللين  
فاذا امتلأ القلب بالنور  
ولان القالب بما يسرى  
فيه من الأنس  
والسرور يسدج  
الزمان والمكان في نور  
القلب ويندرج فيه  
الكلم والآيات والنور

لاستقذاره فضلا عن أن عسه أو يشمه كل ذلك يعرف قدرته وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقدار الشذية الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من الله كرجى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القدر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقدر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرو إذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلاقه وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الأتان والأقدار وصار أنتن وأقذر من الدواب اللهملة التي لا تتعده نفسها قط فاذا نظر أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الأقدار لم يتختر بحاله الذي هو كضراء الحمن وكلون الأزهار في البوادي فيبها هو كذلك إذ صار هشيا تذروه الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح إذ لم يكن قبيح القبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجليل إليه حتى يحمده عليه ، كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الأسباب فكمن من وجوه جميلة قد سمحت بهذه الأسباب مفعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأمها . السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى وينمعه من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه اللهاب شيئا لم يستغنه منه وأن بقة لو دخلت في أنفه أو غلغلت في أذنه لقتلته وأن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته وأن حمى يوم تحل من قوته مالا يتجرى في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذباة فلا ينبغي أن يفخر بقوته ثم إن قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو حجل أو أى اختار في صفة يسبقك فيها الهائم . السبب الرابع والخامس : الفنى وكثرة المال وفى معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والنسكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فان للتكبر بحاله كأنه متكبر بفكره وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا للتكبر بتسكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف وللتكبر بالفنى لو تأمل لراى في اليهود من يزيد عليه فى الفنى والثروة والتجمل فأفكشرف يسبقك به اليهودى وأفكشرف يأخذ السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مغلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو فى الآخرة وبال وشكال فالفاخر به غاية الجهل وكل ماليس إليك فليس لك وشى . من هذه الأمور ليس إليك بل إلى وإهبة إن أجاء لك وإن استرجعه زال عنك وماأنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شىء . ومن عرف ذلك لا يد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفخر العاقل بقوته وجماله وماله وحرته واستقلاله وسعة منازل وكثرة خيوله وغلمانه إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فسلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكة فأخذه وأخذ جميع ما فى يده وهو مع ذلك يخشى أن يماقيه ويشكل به لتفريطه فى أمواله وتقصره فى طلب مالكة ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا فى منزل قد أحدثت به الحيات والقاربان والهوام وهو فى كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا فى الخلاص اليه أفترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكاله أم تذلل نفسه ويخضع ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض أرض والقالب بنور ربها إذ يصير القلب صماء والقالب أرضا وللة تلاوة كلام الله فى عمل المناجاة تستر كون الكائنات والكلام الجسد يكونه ينوب عن سائر الوجود فى مزاجية صفو الشهود فلا يبقى جيلد للنفس حديث ولا يسمع للهاجس حسيس وفى مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القرآن من قاعته إلى خاتمة من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم . الوجه الثانى لقوله عليه السلام



قائل بصيرفاته يرى نفسه كذلك فلا علك رقبته ويبدنه وأعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشبهات وأمراض وأستقام هي كالتقارب والحيات يخاف منها الهلاك، فمن هذا حاله لا يتكبر بقوة وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فمذا طريق علاج التكبر بالأسباب الحاركة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فأتهم كالان في النفس جديران بأن يفرح بهما ولكن التكبر بهما يضاهي نوع من الجهل حتى كاستدركه.

السبب السادس : الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغاب الأدوية وأبعدا عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا إلا إذا كان معهما علم وعمل، ولذلك قال كعب الأسيار : إن العلم طغيانا كطغيان المال ، وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم إذا زلزل زلزلته علم فيجزع العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجهال لكثرة ما نطق الشرع بغضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أكد وأنه يحتمل من الجهال ما لا يحتمل عشرة من العالم فإن من عصي الله تعالى عن معرفة وعلم لجنايته أغشى إذ لم يقص حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالمعالي يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابها فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول كنت أحمرا بالخير ولا أتية وأنهى عن الشر وآتية <sup>(١)</sup> » وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلاب فقال عز وجل سمئيل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أراد به علماء اليهود ، وقال في بلم بن باعوراء - وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - حتى بلغ - فثله ككل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - قال ابن عباس رضي الله عنهما : أوتي بلم كتابا فأخذ إلى شجوات الأرض أي سكن جبه إليها فثله بالكلب - إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - أي سواء آتته الحكمة أو لم أوتيه لا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فأى عالم لم يقب شهوته وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فيهما خطر للعالم عظم قدره بالإضافة إلى الجهال فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو يصده فان خطرته أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذلك وهو كالمالك الماخر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه إذا أخذ وقهر انتهى أن يكون قد كان فقيرا ففكر من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهاد والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه إن كان من أهل النار فالخزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصعابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : ياليتي لم تلدى أي وبأخذ الآخر تينة من الأرض ويقول ياليتي كنت هذه التينة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا أو كلبا ويقول الآخر ليتني لم أكن شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما أطال فسكره في الخطر الذي هو يصده زال بالكيفية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمر فشرع فيها فترك بعضها وأدخل نقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا فأخبره مخبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج منه من كل ماله فيه عريانا ذليلا وبقية على بابه في الجحش والشمس زمانا طويلا حتى إذا شاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتى عن جميع أعماله قليلا وكثيرها ثم أمر به إلى سجن شقيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فاذا تذكر

(١) حديث يؤتى بالمعالي يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابها الحديث متفق عليه من حديث أسامة

ابن زيد بلفظ يؤتى بالرجل وتقدم في العلم

« من صلى بالليل حسن وجهه بالهار » معناه أن وجوه أموره التي يتوجه إليها تحسن وتتداركه اللونة من الله الكريم في تصاريفه ويكون معانا في مصدره وموره فيحسن وجهه مقاصده وأفعاله وينتظم في سلك السداد مسددا أنواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب [ الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب العينية على قيام الليل وأدب النوم ] فمن ذلك أن الصديق يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل

في ذلك انكسرت نفسه وذلل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفاعة عند نزول العذاب فكذلك العالم إذا تفكر في ضعفه من أوامر ربه بمنائيات على جوارحه ويدنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والتفاق وغيره وعلم بما هو بصدده من الخطر العظيم فارقته كبره لامحالة . الأمر الثاني : أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار محموتا عند الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له إن لك عندي قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد أن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً وتصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علموا أن من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قسمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله علمهم فهذا أيضا مما يعضه على التواضع لامحالة . فان قلت فكيف يتواضع الفاسق للتظاهر بالفسق والابتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجمل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يخفيه أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والابتدع أكثر . فاعلم أن ذلك إنما يمكن بالتفكير في خطر الخاتمة بل ونظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ تصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإعانة ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والحزير على رتبة من هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكف من مسلم نظير إلى عمر رضي الله عنه قبل إسلامه فاستختره وازدراه لسكفه وقد رزقه الله الاحلام وفاق جميع السليين إلا بأبكر وحده فالعواقب مطبوعة من العباد ولا ينظر الماقل إلا إلى العاقبة وجميع الضعفاء في الدنيا تراءد للعاقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظري إلى جاهل قال هذا عصى الله يجمل وأنا عصيته بلم فهو أعلو مني وإن نظري إلى عالم قال هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظري إلى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبل فكيف أكون مثله وإن نظري إلى صغير قال إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظري إلى مبتدع أو كافر قال ما يدريني له يخطئ له بالاسلام وبختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كالم يكن ابتداءها إلى فيملاحظة الخاتمة يقدر على أن ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فناء يظهر في الدنيا مما لا يقاوم له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتواضع عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لأن يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشدة كل إنسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جنات أو وعدوا بأن تضرب رقابهم لم يفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عمهم الخطر إذ دخل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات إلى غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره . فان قلت فكيف أبيض البدع في الله وأبيض الفاسق وقد أمرت ببعضهما ثم مع ذلك تواضع لهما والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشبه بيلبس على أكثر الخلق إذ يترج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكف من عابد جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جالس بمحبة أز بهمن عنده وتزده عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى إسرائيل مع خليفهم وذلك لأن الكبر على الطبع ظاهر كونه شرًا والحد منه ممكن والكبر على الفاسق والابتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضب ان أيضا يتكبر على من غضب عليه والتكبر بغضب وأحدهما شر الآخر ويوجبه وما يترجحان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الوقوف والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة البدع أو الفاسق أو عند أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ثلاثة أمور :

القبلة منتظرا مجيئ  
الليل وصلاة الغرب  
مقبا في ذلك على أنواع  
الأذكار ومن أولها  
التسبيح والاستغفار  
قال الله تعالى لنبيه -  
واستغفر لذنبيك وسبح  
بحمد ربك بالشي  
والإكبار - ومن ذلك أن  
يوصل بين العبادين  
بالصلاة أو بالثلاثة  
أو بالذكر وأفضل ذلك  
الصلاة فانه إذا واصل  
بين العبادين بنفس  
عن باطنه آثار  
السكورة الحادثة في  
أوقات التها من رؤية  
الحق وعما لهم وسماع  
كلامهم فان ذلك كله  
له أثر وخذش في القلوب

أحدهما التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليضر عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله للنة فيه لآك قترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تتكبر . والثالث ملاحظة إيهام عاقبتك ، وعاقبته أنه ربما يحتم لك بالسوء ويحتم له بالحسنى حتى يشكك الخوف عن التكبر عليه . فان قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تغضب لمولوك وسيدك إذ أمرك أن تغضب له لنفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحاجة ، وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على الغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره .

فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هو قرعة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فإن كان الغلام عباً مطيعاً لمولاه فلا يجد بد أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بامتثال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لأهله من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تتنظر إلى اللبتدع والقاسق وتظن أنه ربما كان قدرها في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك تغضب بحكم الأمر بحجة لمولاه إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فيغضب إليه الخوف والتواضع . وأما الضرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالمعاقبة ، وذلك غاية الضرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبتها بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيما كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » (١)

إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فان قال العابد : ذلك لما جامل بعلوه وهذا عام فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد ورحت الأخبار بما يشهد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر غافلا عنه لم يجوز أن يحتقر طالما بل يجب عليه التواضع له . فان قلت : فان صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لتولاه عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل القاسق لذنوب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقت به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خاتفا فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خاتفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لأمر غيره فينبغي أن يكون الثالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة

وتقدم في العلم .

حتى النظر إليهم يعقب  
كدر في القلب يدركه  
من يرق صفاء القلب  
فيكون أثر النظر إلى  
الحلق البصرة كالنذير  
في العين للبصر  
وبالمواصلة بين  
المشاهير يرجى ذهاب  
ذلك الأثر . ومن ذلك  
ترك الحديث بعد  
المشاهير الآخرة فان  
الحديث في ذلك الوقت  
ينهب طراوة النور  
الحادث في القلب من  
مواصلة المشاهير  
ويقبح عن قيام الليل  
سما إذا كان عريا  
عن نقطة القلب ، ثم  
تجديد الوضوء بعد  
المشاهير الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقّه إلى مستورين وإلى مكشوفين فبني أن لا يتكبر على المستور قطعه أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه حبا لله . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما تريد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كالورأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما تجرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله عمقوتوا وقد جرى للناسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف الغطاء يوم القيامة قراء فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتكبر فيها هو ممكن لغيرك بل فيها هو خوف في حقك فانه لا تزد وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فقد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده فرقتان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا قبله إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتعى أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلانراه إلا لافان من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويثوب عليه ويغتم له بأحسن الأعمال ويرى ظاهر فذلك شر لي فلا يأمّن فيها أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فحوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فله السبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن ما بدا أروى إلى جبل قبيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله أن يدعوك فأتاه فسله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ويكتب ويتصدق ببعضه ويصوم عياله يعضه فرجع وهو يقول إن هذا لحسن ولكن ليس هذا كالنصر إطاعة الله فأتى في النوم ثانيا قبيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصغار الذي يوجبك فأتاه فسله فقال له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الحصة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقلوبهم وحلة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - وقال تعالى نينا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى للبلاد كة عليهم السلام مع تقدمهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشفاق فقال تعالى مخبر عنهم - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - ففي رال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وبكشف عند خاتمة أجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن ما يفسده العابد بإظهار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بمن الاستغفار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

معين على قيام الليل .  
حكى لي بعض الفقهاء  
عن شيخ له غراسان  
أنه كان يتسلق في الليل  
ثلاث مرات مرة بعد  
العشاء الآخرة ومرة  
في أثناء الليل بعد  
الانتباه من النوم  
ومرة قبل الصبح  
فلو ضوؤه والنقل بعد  
العشاء الآخرة أثر  
ظاهر في تيسير قيام  
الليل ومن ذلك التمدد  
على الذكر أو القيام  
بالصلاة حتى يظلب  
النوم فإن التمدد على  
ذلك يسير على سرعة  
الانتباه إلا أن يكون  
واقفا من نفسه وعادته  
فيتمتع بالنوم

لاغير إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمّر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت إلى طبيعتها ونسيت وعدها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في الدواول بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال للتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس ، ويأتي أن يجتنب النفس خمس امتحانات هي أدلة على استخراج مافي الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة: الامتحان الأول أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فنقل عليه قبوله والاضيقه والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتمرغه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا دفينا فليترك الله فيه ويشغل بملاجه ، أمامن حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة فهو خطر عاقبته وإن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ماقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالجزع ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نهى له فالحكمة صالة للؤمن فاذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فاذا واطب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبيعا وسقط تحمل الحق عن قلبه وطالب له قبوله ومهما ثقل عليه الشاء على أقرانه بما فيه من كبر فإن كان ذلك لا يتحمل عليه في الخلوة ويقل عليه في اللأفانيس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعة في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه في الخلوة وللأفانيس جميعا فقيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلاهما من فانهما جميعا مهلكان . الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأشغال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويحس خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فإن ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواطب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزياله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأرض فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإن ذلك يخف على نفوس للتكبرين إذ يذهبون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم ينجبهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن . الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق في حاجة الرققاء والأقارب فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل ففضور النفس عنها ليس إلا خبث في الباطن فليشتغل بازالتها بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر . الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله وقله قاله من السوق إلى البيت فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أورياء فإن كان ثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يتحمل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلة الهلكة له إن لم تتدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرک السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى - إلمن أن الله جلي بسلام - ويروي عن عبدالله بن سلام أنه حمل حزمة حطب فقيل له يا أيوسف قد كان في غلمانك وقتك ما يتكلم قال أ أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تتكر ذلك فلم تنفع منها بما أعطته من العزم على ترك الأثرة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر « من حمل الفاكهة أو الشيء قد برى من الكبر » . الامتحان الخامس أن يابس ثيابا بللة فإن تهور النفس عن ذلك في اللأرياء وفي الخلوة كبر . وكان عمر بن عبدالعزيز رضي الله

(١) حديث من حمل الشيء والفاكهة قد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضعفه بائضا من حمل بضاعته .

ويستجلبه ليقوم في وقتيه للعبود وإلا فأنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للرديدن والطالبين وبهذا وصف الهبون قيل نومهم نوم الفرق وأكلهم أكل الرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهدت بسلق العزيمسة لا تترسل في الاستغفار وهذا الانزعاج في النفس بسلق العزيمة

عنه له مسح بلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برى من الكبر» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف وأعتل البعير وألقى أسابي» وأجيب دعوة للملوك، فمن رغب عن سقن فليس في (٢). وروى أن أبا موسى الأشعري قيل له إن أقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عبادة فصل في ثيابها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فليختص بالملأ فهو الرياء، وما يكون في الخلوة فهو الكبر، فأعرف فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه، ومن لا يدرك للرض لا بدأويه.

### (بيان غاية الرياضة في خلق التواضع)

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلق له طرفان وواسطة: فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبراً وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسماً ومدة، والوسط بينهما تواضعاً. والحمد لله أن تواضع في غير ملة ومن غير تخاسس فإن كلا طرفي الأمور ذميم. وأحب الأمور إلى الله تعالى أواسطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه العالم إذا دخل عليه إسكاف فتنهى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا إلى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل، وهذا أيضاً غير محمود بل الممود عند الله العدل، وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لأثرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوق في القيام والبشرى الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسعى في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون على نفسه خوف منه على غيره فلا يحقره ولا يستغفره وهو لا يعرف خاتمة أمره، فأذن سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولن دونهم حتى يخف عليه التواضع الممود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فإن خضع عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يتقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما صدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فإن خضع ذلك وصار بحيث يتقل عليه رعاية قدره حتى أحب الخلق والتخاسس فقد خرج إلى طرف النقصان، فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن تدل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غايته من هذا الخلق وفي سائر الأخلاق وللليل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو الخلق أهون من الليل إلى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الليل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الليل إلى طرف البخل، قهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أخف، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التفتق والتذلل مذمومان وأحدهما أرفع من الآخرة، والحمد لله المطلق هو العدل ووضع الأمور، واضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالسرع والمادة، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع.

الشرط الثاني: من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه.

### (بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى - ويومئذ ينزل من السماء غمامة من كثرتكم فلم تكن عنكم شيئاً - ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم ما نصتهم حصونهم من الله فأنهم الله من حيث لم يحسبوا - فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل. وقد

هو التجاني الذي قال الله تعالى - تحتاج جنوبهم عن المضاجع - لأن لهم قيام الليل وصدق العزعة يجعل بين الجنبي والمضجع نبواً وتجايفاً وقد قيل للنفس نظران: نظر إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظر إلى فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحية. فأرباب العزعة يخافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الروحية فأعطوا النفوس حقه من النوم ومنعوا حظه من النفس

(١) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برى من الكبر البهقي في الشعب من حديث أبي هريرة زيادة فيه وفي إسناده القاسم اليمري ضعيف جداً.

(٢) «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بعضه ولم أجد بقيته.

يجب الانسان بعمل هو عظمه فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه . وقال صلى الله عليه وسلم  
 « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب للرء بنفسه (١) » وقال لأن ثعلبة حيث ذكر آخر  
 هذه الأمة ، قال « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه عليك شك (٢) » .  
 وقال ابن مسعود : المهلك في الثنتين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن العادة لاتزال بالإلحاح  
 والطلب والجهد والتشمر والقائظ لا يسمى ولا يطلب والعجب يستند أنعم سمع وقد نظر مراده فلا يسمى  
 فالوجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد العجب حاصلة له ومستحقة في اعتقاد  
 القائظ فمن هنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا عملت  
 خيرا فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أي لا تمتدوها أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكانت أعجبه فله  
 العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح ففرض ذلك عمر فيه فقال ما زال يرفق في طلحة نأوا منذ أصيبت أصبعه  
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والتأوه هو العجب في اللغة إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحتقر مسلما  
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فإذا كان  
 لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن أبيت  
 نائما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا . وقال صلى الله عليه وسلم « لولم تذنبوا  
 لحشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب (٤) » فجعل العجب أكبر الذنوب . وكان بشر بن منصور  
 من الذين إذ رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة قلوبهم على العبادات فأطال الصلاة وما ورجل خلفه ينظر  
 فظن له بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يجبنك ما رأيت مني فإن إبليس لعنه الله عبد الله  
 تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه . وقيل لعائشة رضي الله عنها من يكون الرجل  
 مسيئا قالت إذا ظن أنه عسّن وقد قال تعالى - لا تطأوا صدفاتكم بالبن والأذى - ولأن نتيجة استعظام  
 الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا .

### ( بيان آفة العجب )

اعلم أن آفات العجب كثيرة فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه فلو تعلم من العجب  
 الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع العباد . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى  
 نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدتها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فيسهلها وما  
 يتذكره منها فيستغفره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفره . وأما العبادات  
 والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويعين على الله فعلها وينسى نعمة الله عليه بالوفيق والتمكين ، نهائم  
 إذا أعجب بها عي عن آفاتهما ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سببها آفات الأعمال الظاهرة  
 إذا لم تكن خالصة تهي عن الشوائب قلما تنفع وإنما يتفقد من يطلب عليه الإشفاق والخوف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أبي ثعلبة إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا  
 وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بنفسك أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث  
 وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكب عليه ولم بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه البخاري من رواية قيس  
 ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاه وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لولم تذنبوا لحشيت  
 عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث  
 أنس وفيه سلام بن أبي الصهبا قال البخاري منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه  
 أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جدا .

بما فيها مركوز من  
 الرأية والجدابة ترسب  
 وتستخلص وتستل  
 النوم . قال الله تعالى  
 - هو الذي خلقكم من  
 تراب - ولأدى بكل  
 أصل من أصول خلقته  
 طبيعة لازمة له .  
 والرسوب صفة التراب  
 والكسل والتقاعد  
 والتناوم بسبب ذلك  
 طبيعة في الانسان ،  
 فأرباب الجملة أهل العلم  
 الذين حكم الله تعالى لهم  
 بالعلم في قوله تعالى - أمن  
 هو قانت آناء الليل  
 ساجدا وقائما - حتى  
 قال - قل هل يستوي  
 الذين يعلمون والذين  
 لا يعلمون - حكم هؤلاء  
 الذين قاموا بالليل بالعلم

دون العجب وللعجب يقرر نفسه برأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بكان وأن الله عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطايه وغرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويذكرها وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستتكمف من سؤال من هو أعلم منه وربما يجب بالرأى الخطأ الذي خطره فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه فان كان رأيه في أمر دينوي فيحقق فيه وإن كان في أمر دنيوي لاسيا فيما يتعلق بأصول العقائد فيلك به ولواتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بملاء الدين وواظب على مذاكرة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من الهلكات ومن أعظم آفاته أن يفترق السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهالك الصريح الذي لا شية فيه . نسأل الله تعالى العظيم بحسن التوفيق لطاعته .

( بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما )

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لاهل حاله وللعالِم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان : إحداهما أن يكون خائفا على زواله ومشغفا على تذكره أو سليه من أصله فهذا ليس بعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورقة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفة ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله معها شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استنظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى النعم فان اضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفاسق متى هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويعين عليه فيكون معجبا فان استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تخفن تستكبر - أي لا تدل بعملك وفي الخبر « إن صلاة اللدل لا ترفع فوق رأسه ولأن فضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك » (١)

والادلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب عصل بالاستنظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عابه والادلال لا يمت إلا مع توقع جزاء فان توقع إجابة بدعته واستنكر ردّها يباطنه ويتعجب منه كان مدلا بعمله لأنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

### ( بيان علاج العجب على الجملة )

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلّة العجب الجهل المحض فلما جله المعرفة الضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار المبدأ كالعبادة والصدقة والتزو وسيامة الخلق وإصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى والعبادة والعمل الذي به يجب إنما يجب به من حيث إنه فيه

(١) حديث إن صلاة اللدل لا ترفع فوق رأسه الحديث لم أجده أصلا .

فهم لموضع عليهم  
أزعجوا النفوس عن  
مقار طبيعتها ورفوها  
بالنظر إلى الذات  
الروحانية إلى ذرا  
حقيقتها فتجافت  
جنوبهم عن الضائع  
وخرجوا من صفة  
الذائل الحاجب . ومن  
ذلك أن يفسر العادة  
فان كان ذا وسادة  
يترك الوسادة وإن  
كان ذا وطاء يترك  
الوطاء وقد كان بعضهم  
يقول لأن أرى في بيتي  
شيطانا أحب إلى من  
أن أرى وسادة فانها  
تدعوني إلى التسوم  
ولتفسير العادة في  
الوسادة والنطاء



فهو محله ومجره أو من حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فإن كان يسحب به من حيث إنه فهو هو محله ومجره ويجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر ومجريه لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يسحب بما ليس إليه وإن كان يسحب به من حيث إنه هو منه وإليه وبإختياره حصل وبقدرته ثم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عملها بها من أين كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يلد بها فينبغي أن يكون إعجابه بمجود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه مالا يستحق وآثر به على غيره من غير ساقطة ووسيلة فهما برز الملك لعلاه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لالصفة فيه ولا الوسيلة ولا الجلال ولا الخدمة فينبغي أن يتعجب للنعم عليه من فضل الملك وحكمه وإشاره من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه ولا ينبغي أن يسحب هو بنفسه ، ثم يجوز أن يسحب الصديقون للملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلو أنه ضطن في صفة من الصفات المحمودة الباطنة لم اقتضى الإيثار بالخدمة ولما أثنى بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأنى صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذى أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والتام معاً أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يسحبك جوده وفضله لا تضك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك للفرد باختراع الجميع للفرد بإيجاد الوصف والصفة فإنك إن أعجبت بعبادتك وقلت وفقى للعبادة لحبي له فيقال ومن خالق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بمجوده إذ أنتم بوجودك وجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذا لامنى لسحب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجليل بجماله وعجب النقي ببنائه لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيض فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده . فان قلت : لا يمكن أن أجهل أعمالى وأنى أنا عملتها فأنى أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها عملى لما انتظرت ثوابا فان كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال منى وبقدرتي فكيف لا أعجب بها . فاعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة . أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله زعمي فهذا هو الحق الذى انكشف لأرباب القلوب بعشادة أوضح من إِبصار العين بل خلقك وخلق أعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تنفى شيئا من هذا عن نفسك لم تهدر عليه ثم خلق الحركات في أعضائك مستبداً باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في الضو قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم فتدريجى في الخلق شيئا بعد شيء هو الذى خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتى تقريره في كتاب الشكر فإنه أليق به فأرجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة ما وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأخير في ذلك  
ومن ترك شيئا من  
ذلك والله عالم بنيه  
وعزيمته يثيبه على ذلك  
بتيسير مرام ومن ذلك  
خفة العدة من الطعام  
ثم تناول ما يأكل من  
الطعام إذا اقترن بذكر  
الله وبشفقة الباطن  
أعان على قيام الليل  
لأن بالذكر يذهب  
داؤه فان وجد للطعام  
تقلا على المعدة ينبغي  
أن يعلم أن تقله على  
القلب أكثر فلا ينال  
حق يذيب الطعام  
بالذكر . والتسلاوة  
والاستغفار قال بعضهم  
لأن أقص من عشانى  
لعملة أحب إلى من

وجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لامتك فان كان العمل بالقدرة فالتدرة مفتاحه وهذا الفتاح بيد الله ومعهما لم يعطك الفتاح فلا يمكنك العمل فالبادات خزائن بها يتوصل إلى السمادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي بيد الله لمحاكاة أيت لور أيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها يد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك الفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن الفاتح وسلطك عليها ومكنك منها فهدت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن الفاتح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن اللؤلؤة في تحريك اليد بأخذ اللؤلؤة وقوية وإنما الشأن كله في تسليم الفاتح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك اللوانع والصوارف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهية الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في إشارته إليك على الفساق من عباده إذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أعدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فكل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جرم سابقة من الفاسق الماصي بل أثرك وقدمك واصطفاك فضله وأبعد الماصي وأشفاه ببدله فما أعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فاذا لن تصرف قدرتك إلى اللقدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطررك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر وللجنة لا لك وسأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسيئات ماستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأفقره ممن أقاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعتي قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأقاض على هذا نعم الدنيا وهو الغافل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري التورر أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهرها الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والتمني وحرمتني منها فما لاجمعتهما إلى أوهل رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار على رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الذي أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جملة وغناه عوضا عن عقلك وقورك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والراة الحسنة الفقيرة ترى الخلق والجواهر على الديمة البسيطة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويغصص مثل ذلك القبح ولا تدرى للضرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع التني لآثرت الجمال فاذا نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل قبله يارب لم حرمتني الدنيا وأعطينا الجاهل كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطيني التلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فبه آتي ما أعطيتك فرسا أصارت تمنعني عليك وسيلة لك وحجة تطالب بها نعمة أخرى ؟ فهذه أو هام لتأخو الجمال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ريزال ذلك بالعلم المحقق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأ بها قبل الاستحقاق وهذا ينبغي العجب والإدلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يجب

أن أقوم ليلة الأحوط  
أن يوتر قبل النوم  
فانه لا يدري ماذا يحدث  
ويظهره وسواكه  
عنده ولا يدخل النوم  
إلا وهو على الطمارة  
قل رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إذا نام  
العبد وهو على الطمارة  
عرج روحه إلى العرش  
فكانت رؤياه صادقة  
وإن لم يمت على الطمارة  
فصرت روحه عن  
البوغي فتكون النامات  
أضغاث أحلام  
لا تصدق » وليريد  
التأهل إذا نام في  
الفراش مع الزوجة  
ينقض وضوءه بالمس  
ولا يفوته بذلك فائدة

بعله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأنى ليله إلا وإنسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفي رواية ما تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابده من آل داود بعيدك إما يمشي وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليهما داود ومن أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا بي ولولا عوني إياك ما قويت وسأكلك إلى قسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بسببه بسببه إذ أضافه إلى آل داود مدله حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنباً أورهه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحق ويعقوب فقال إني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأذل بالصل قبل وقته فقال الله تعالى فإني لم أخبرهم بأى شيء ابتليهم ولا في أى شهر ولا في أى يوم وأنا أخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بأمرأة فاحذر فحسك فوقع فيها وقع فيه وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا تغلب اليوم من قلة (١) وكلاهما إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أجهنكم كثرتمكم فلم تكن عنكم شيئا وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أن لك ذلك أى من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رماداً ووضع على رأسه وقال منك يا رب منك يا رب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكأتمكم من أحد أبداً - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس «ما منكم من أحد ينجيحه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته (٢) » ولقد كان لأصحابه من بعده يتشعرون أن يكونوا تراباً وتبناً وطيراً مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يعجب بسببه أو يبدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج التام لمادة الحب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاغصاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بفير ذنب أذنوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يبالي أن يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالي أن يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحاله ، والله تعالى أعلم .

( بيان أقسام ما به الحب وتفصيل علاجه )

اعلم أن الحب بالأسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يجب بمال يتكبر به كعجه بالرأى الخطأ الذي يزين له بجعله فإيه الحب ثمانية أقسام : الأول أن يجب يده في جماله وهيئته وصوته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلقت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو بمرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في السكب بالجمال وهو التفكير في أقدار باطنه وفي أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة أي كيف تزقت في التراب وأنت في القبور حتى استغذرتها الطباع . الثاني : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

- (١) حديث قولهم يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة النبي في دلائل النبوة من رواية الريح بن أنس مرسل أن رجلاً قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله عز وجل - ويوم حنين إذ أجهنكم كثرتمكم - ولابن مردويه في تفسيره من حديث أنس لما التقوا يوم حنين أجهنهم كثرتهم فقالوا اليوم نقاتل قهروا ، فيه القرع بن فضالة ضمنه الجهور (٢) حديث ما منكم من أحد ينجيحه عمله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

النوم على الطهارة مالم  
يسترسل في التذاد  
النفس باللس ولا يعدم  
قطعة القلب فأما إذا  
استرسل في الالتذاد  
وغفل فتعجب الروح  
أيضاً لمكان صلاته  
ومن الطهارة التي تشر  
صدق الرقيا طهارة  
الباطن عن خدش  
الهوى وكدورة محبة  
الدنيا والتسخره عن  
أغصان النمل والحقن  
والحدس وقد ورد من  
أوى إلى فراشه لا ينوى  
ظلم أحد ولا يعقد على  
أحد غفله ما اجترم  
وإذا طهرت النفس  
عن الرذائل أجليت  
مرأة القلب وقابل

حين ذلوا فيها أخبر الله عنهم - من أشد مناقرة - وكما اتكل عوج على قوته وأعجب بها فاقطع جيلا  
ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام نثب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقره هدهد ضعيف للنقار  
حتى صارت في عنقه وقد يشكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سلمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن  
الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى خرم ما أراد من الولد<sup>(١)</sup> وكذلك قول داود عليه السلام  
إن ابتليتي صبرت وكان إعجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة المهجوم في  
الحروب وإلقاء النفس في التهلكة وللبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه  
ما ذكرناه وهو أن يعلم أن يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلها الله تعالى بأذى آفة  
يسلها عليه . الثالث : العجب بالقل والكياسة والنطق لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا ومخرجه  
الاستبداد بالرأى وترك للشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ومخرج إلى قلة الإصفاة إلى أهل  
العلم إعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والقل واستحقار لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على  
ما رزق من العقل ويشكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويحن بحيث يضحك منه  
فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليس تقصر عقله وعلمه وليعلم أنه ما أوتى من  
العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه وأن ما جهله مما عرفة الناس أكثر مما عرفة فكيف يعمل بعرفه الناس  
من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحق كيف يسحبون بقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر  
أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي أن يعرف مقدار عقله  
من غيره لامن نفسه ومن أعدائه لامن أصدقائه فإن من يدهاته يثني عليه فيزيده عجاوبا ولا يظن  
بنفسه إلا الخير ولا يظن لجبل نفسه فيزداد به عجايب . الرابع : العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية  
حتى يظن بعضهم أنه ينجو به شرف نسبه ونجاة آياله وأنه مغفور له ويتعجل بعضهم أن يجمع الخلق  
له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أخلاقهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد  
جهل وإن اقتدى بآياله لما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق  
ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد  
ساوهم في النسب وعاركم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شر من الكلاب  
وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى سائرنا فافترقوا فأنسابكم  
لا يجتمعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين أن الشرف  
بالتقوى لا بالنسب فقال - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولما قيل لرسول الله ﷺ من أن أكرم الناس من  
أكيس الناس لم يقل من يقتدى إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكثرهم للوثة ذكرنا أو أشدهم لاستعدادا<sup>(٢)</sup>  
وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرت بن هشام وسهيل بن عمرو  
وخالد بن أسيد هذا العبد الأسود يؤذن فقال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال النبي  
صلى الله عليه وسلم «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم يتو آدم من تراب<sup>(٣)</sup>»

الروح المفوظ في النجوم  
وانتشت فيه عجائب  
الغيب وغرائب الأنبياء  
ففي السديقين من  
يكون في منامه مكلفة  
وعادة فيأمره الله  
تعالى وينهاه ويمنحه  
في المنام ويصرفه  
ويكون موضع ما يفتح  
له في نومه من الأمر  
والنهي كالأمور والنهي  
الظاهر يهيئ الله تعالى  
إن أدخل بهما بل  
تكون هذه الأمور  
أكبر وأعظم وقيل أن  
المخالفات الظاهرة  
تحموها النسبة  
والتائب من الذنب  
كمن لا ذنب له وهذه  
أوامر خاصة تتعلق بالله

(١) حديث قال سليمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة  
(٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكيس الناس قال أكرمهم للوثة ذكرنا الحديث  
ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في  
ذكر الوثة آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود  
والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يامعشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم <sup>(١)</sup> » فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى - وأندر عشيرتك الأقربين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال بإفاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها لأنفسكا فاني لأغني عنكما من الله شيئا <sup>(٢)</sup> » فن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر شرفه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما اتقى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية « إني لأغني عنكما من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأ بلها يلاها <sup>(٣)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سليم شفاعي ولا أرجوها بنو عبد المطلب <sup>(٤)</sup> » فذلك يدل على أنه سيخص قراجه بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب أيضا جدير بأن أرجوها لكن بشرط أن يبقى الله أن ينضب عليه فانه إن ينضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته لأن الذنوب تنقسم إلى ما يوجب اللقت فلا يؤذن في الشفاعة له وإلى ما يفي عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملكوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيها اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب مالا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - ويقول - من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه - ويقول - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - ويقول - فما تفهم شفاعه الشافعين - وإذا اقتصت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لاحالة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لم الأمر قريشا بالشفاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن النصية ولما كان يأذن لما في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فالانهاك في الذنوب وترك التقوى انكالا على رجاء الشفاعة يشاهي انهماك للريش في شهواته اعتادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب وحسنه وحلته تنفع في إزالة بعض الأمراض لافي كلها فلا يجوز ترك الحية مطلقا اعتادا على مجرد الطب بل للطبيب أن يزل الجمل ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال الزواج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفاء من الأنبياء والصالحين للأقارب والأجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يمتنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال قوام وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما صمموه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام اللجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يشكوا عليه ولم يشارق الخوف والخشوع قلوبهم ،

(١) حديث يامعشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يامعشر بني هاشم وسنده ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأندر عشيرتك الأقربين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال بإفاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله للتقدم لفاطمة وصفية ألا إن لكم رحما سأ بلها يلاها مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سأ بلها يلاها (٤) حديث أرجو سليم شفاعي ولا أرجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصير من حوشب عن إسحاق ابن واسل وكلاهما ضعيف جدا .

فيا بينه وبين الله تعالى  
فاذا أخل بها يخشى  
أن يقطع عليه طريق  
الإرادة ويكون في  
ذلك الرجوع عن الله  
واستيجاب مقام اللقت  
فان ابتلى العبد ببعض  
الأحايين بكسل وفنور  
عزيمة يمنع من تجديد  
الطهارة عند النوم بعد  
الحدث بمسح أعضائه  
بالماء مسحا حتى يخرج  
بهذا القدر عن زمرة  
الفاصلين حيث تقاعد  
عن فصل التيقظين  
وهكذا إذا كسل عن  
القيام عقب الالتباء  
يجتهد أن يستاك  
ويمسح أعضائه بالماء  
مسحا حتى يخرج في

فكيف يجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وساقبتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأهم المقولون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأتانتهم وأقذارهم لاستكفهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسب إليهم استغذارا واستحقارا لهم ولو انكشف لهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم ولللائكة آخذون بنواصيرهم يجرونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولسكان انتسابه إلى السكك والخزير أحب إليه من الانتساب إليهم خلق أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسبهم فجعل محض . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والحلم والقلمان والمشيرة والأقارب والأنصار والأبناج كما قال الكفار : نحن أكثر أموالا وأولادا - وكما قال المؤمنون يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلمهم بعيدة عن لعل يكون لأنفسهم ضرا ولا نصرا . - كم من قلة قليلة غلبت قلة كثيرة باذن الله - ثم كيف يجب بهم وأهم سيفتقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا شعيير فيسلفونه إلى البلى والحيات والقاربان والديدان ولا ينفون عنه شيئا وهو في أخوج وأوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر للره من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه - الآية ، فأى خير فمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتولى نعم من ملك تفك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جالس بجانبه فقير فاقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يسدو إليك فقره (١) » وذلك للعجب بالثني وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن المال قاد ورأى ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بينا رجل يتبختر في حلته قد أهجته نفسه إذا أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٢) » « أثار به إلى عقوبة إصحابه بماله ونفسه ، وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جياذ ثم قال ارفع رأسك فرفت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قرب الأرض مثل هذا (٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب الدنيا وكتاب ذم المال بين حجارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تهميره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضع في حقه ومن لا يفعل ذلك فقصيره إلى الحزى واليوار فكيف يجب بماله . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين في ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فلما على جنبه الأيمن كالملحود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كاليت للسجى ويقول باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فافقر لها وارحمها وإن أزلتها فاحفظها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جالس بجانبه فقير فاقبض عنه ثيابه فقير فاقبض منه الحديث رواه أحمد في الزهد (٢) حديث بينا رجل في حلته قد أهجته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قرب الأرض مثل هذا ابن حبان في صحيحه .

يحسنون صنعا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يثلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك  
 هلكت الأم السالفة إذ افتقرت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل  
 البدع والضلال إنما أصروا عليها لهجهم بأرائهم والسحب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى  
 والشهوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا العجب أحد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل  
 بخطئه ولوعرفه تركه ولا يبالغ الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتمسردوا به جدال أن العارف  
 بقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيل عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فان لا يصنى إلى العارف ويترجمه .  
 قد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يطعنها لئلا يمكن علاجه وكيف يطلب الحرب محاهو  
 سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متعبا لرأيه أبدا لا يفتقره إلا أن يشهد له  
 قاطع من كتاب أوسنة أو دليل عقل صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع  
 والعقل وشروطها ومكامن اللطائف إلا بتريخية تامة وعقل ناضج وجدّ وتشمرف في الطلب ومحارسة للكتاب  
 والسنة وجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه القلطي بعض الأمور  
 والصواب لمن لم يشرغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يخوض في اللذاهب ولا يصنى إليها ولا يسمعها ولكن  
 يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس كمثل شيء وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق  
 فيما أخبره ويتبع سنة السلف ويؤمن بحملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتقيير وسؤال  
 عن تفصيل بل يقول آتينا وصدقنا وشغلنا بالقوى واجتنبنا المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين  
 وسائر الأعمال فان خاض في اللذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر ، هذا حق  
 كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأول مهم له  
 معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والعرفة في أكثر اللطالبي شديدا  
 لا يقدر عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزز الوجود جدا ، فقلنا الله تعالى الصمة  
 من الضلال ولعوزبه من الاقتدار بخالات الجهال .

تم كتات ذم السكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله  
 العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### (كتاب ذم التور)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع للملكات من كتب إحياء علوم الدين)

### (بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور ، وقدرته مقاييس الخيرات والشرور ، وخرج أوليائه من الظلمات إلى  
 النور ، ومورد أعدائه ورطبات التورور ، والصلابة على محمد خرج الخلاق من الديجور ، وعلى آله وأصحابه  
 الذين لم تهرم الحياة الدنيا ولم يهرم بالله التورور ، صلاة تتوالى على محمد الدهور ومكر الساعات والشرور .  
 [ أما بعد ] فتفتح السعادة التيقظ والفتنة ومنبع الشقاوة التورور والتفلة فلا نعمة لله على  
 عباده أعظم من الايمان والعرفة ولا وسيلة إليه سوى انبراح الصدر بنور البصيرة ولا شاة أعظم  
 من الكفر والعصية ، ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فلا كياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يثلب على آخر هذه الأمة الاحجاب بالرأى هو حديث أبي ثعلبة التتقدم فاذا رأيت شحا  
 مطاما وهوى متعبا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فضلك خاصة نفسك وهو عند أبي داود والترمذى .

### (كتاب ذم التور)

تحفظ به مبادك الصالحين  
 اللهم إني أسألت نفسي  
 إليك ووجهت وجهي  
 إليك وفوضت أمري  
 إليك وألجأت ظمري  
 إليك رهبة منك ورغبة  
 إليك لا ملجأ ولا منجى  
 منك إلا إليك آمنت  
 بكتابك الذي أنزلت  
 ونبيك الذي أرسلت  
 اللهم فني عذابك يوم  
 تبعث عبادك الحمد لله  
 الذي حكم قهر الحمد  
 لله الذي بطن ظفر  
 الحمد لله الذي ملك  
 قنذر الحمد لله الذي  
 هو عبي الوقي وهو  
 على كل شيء قدير اللهم  
 إني أعوذ بك من  
 غفرك وسوء عقابك

فأبهم كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور و"المقرون قلبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه م سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فإلهامه من نور فلا أكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم ففتح صدورهم للإسلام والهدى والمقرون هم الذين أراد الله أن يضلمهم فغل صدرهم ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والنور هو الذي لم تفتح بصره ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فالتخذه الهوى قائدا والشیطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن النور هو أم الشقاوات ومنبع اللسكات فلابد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع النور فيه ليحذره المرید بعد معرفته فيتحية فالهوى من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فآخذ منها حذره وبقي على الحزم والبصرة أمره ونحن نشرح أجناس تجاري النور وأصناف المقترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادئ الأمور، الجلية ظواهرها القبيحة سرارها ونشیر إلى وجه اغترارهم بها وعقلتهم عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تنفی عن الاستقصاء وفرق للمقترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف. الصنف الأول من العلماء. الصنف الثاني من العباد. الصنف الثالث من التصوفة. الصنف الرابع من أرباب الأموال والمقتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى النسكر معروفا كالذي يتخذ للمسجد ويخزفها من لال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من ترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشغل بالذلة ومنهم من يترك الباب ويشغل بالفسر كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تنضج إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبداً وأولاً بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم النور وبيان حقيقته وحده.

### ( بيان ذم النور وحقيقته وأمثله )

اعلم أن قوله تعالى - فلا تترنك الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور - وقوله تعالى - ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربتم وارتبتم وغرتكم الأماني - الآية. كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حيثما نوم الأكياس وفطرم كيف يفتنون سهر الحق واجتماعهم ولثقال ذرة من صاحب تقوى ويقتن أفضل من ملء الأرض من الغرورين (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «السيكس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (٢)» وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذا الجهل هو أن يعتقد الشيء وراءه على خلاف ماهو به والغرور هو جهل لأن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه محسوسا ومغرورا به وهو الذي يفرقهما كان الجهول المتقدشيثا يوافق الهوى وكان السبب الواجب للجهل شبهة وخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تتكون إلا بالاسمى الجهول الحاصل بغرور أو الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

وشر عبادك وشر الشيطان وشر كويقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الخامسة - إن في خلق السموات والأرض - وآية الكرسي، وآمن الرسول. وإن ربكم الله. وقل ادعوا الله، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحسد والمودعين، وينفث بهم في يديه ويمسح بجماء وجهه وجسده وإن اضاف إلى ما قرأ عشرة من أول الكهف وعشرة من آخرها حسن ويقول اللهم

(١) حديث جعلا نوم الأكياس وفطرم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول أبي الدرداء بحوء وفيه انقطاع وفي بعض الروايات أبي الورد موضع أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث السيكس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذی وابن ماجه من حديث شداد بن أوس



الخبر وهم مخطئون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدّها غرور الكفار وغرور الصائت والفاسق فورد لهما أمثلة لحقيقة التورور . المثال الأول : غرور الكفار فهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله التورور أما الذين غرهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسبة والديانة والآخره نسبة فهمي إذن خير فلا بد من إشارتها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخره شك فلا تترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين - وإلى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخره فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وعلاج هذا التورور إما بتصديق الاعيان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الايمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم يتفد وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخره خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - وقوله - فلا تقرنكم الحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار قتلوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أميتك الله رسولا ؟ فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من التورور ويترك هذا مترلة تصديق العبي واليه في أن حضور للكتب خير من حضور الملعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فاعوره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ الماء فاقباس الذي نظمه الشيطان فيه أصلا : أحدهما أن الدنيا ضد الآخره نسبيته وهذا صحيح والآخره قوله إن النقد خير من النسبة وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسبة في القدار والقصور فهو خير وإن كان أقل منها فالنسبة خير فان الكفار للمغرور يبدل في تجارتهم درهما يأخذ عشرة نسبيته ولا يقول النقد خير من النسبة فلا تركه وإذا حذر الطبيب الفواكه ولذا في الأطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسبة والتجار كلهم يركبون البحار ويبيعون في الأسواق نقدا لأجل الراحة والريح نسبيته فان كان عشرة في ثانی الحال خيرا من واحد في الحال فأنسب للذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخره فان أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخره فكان ترك واحد يأخذ ألف بل يأخذ مائة نهاية ولا واحد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدره مشوبة بأنواع النقصات ولذات الآخره صافية غير مكدره فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسبة فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويصحتهم وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بشنا الله إليه من يرب فأويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقره القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد باسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أميتك الله رسولا فيقول نعم فيصدق متفق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم آله أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخره فقال الرجل آمنت بما جئت به وللطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضمام قال نشدتك به أهو أرسلك بما آمنتنا كتبك وآمنتنا رسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن ندم اللات والعزى قال نعم الحديث .

أيقظ في أحب الساعات  
إليك واستمعاني  
بأحب الأعمال إليك  
التي تربي إليك زلفي  
وبعدني من سخطك  
بعدا أسألك فتعطني  
وأستغفرك فتغفرني  
وأدعوك فتسجب لي  
اللهم لا تؤمني مكرك  
ولا تولني غيرك ولا  
ترفع عني سرك ولا  
تنسف ذكرك ولا تجعلني  
من الغافلين . ورد  
أن من دل هذه  
الكلمات بث الله  
تعالى إليه ثلاثة  
أملاك يوقظونه للصلاة  
فان صلى ودعا وأصل  
دعائه وإن لم يتم تعبدت  
الأملاك في الهواء وكتب

وأريد به خاص فنقل به للتور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسبئة أراد به خير امن  
نسبئة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفرع الشيطان إلى الفياس الآخر وهو أن القين خير من الشك  
والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ القين خير من الشك إذا  
كان مثله والافلتاجر في تبه على يقين وفي ربه على شك وللتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراك كربة  
العلم على شك والصيد في ترده في اللقطة على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم بنبأ الله  
بالانفاق وكل ذلك تركه لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أجرب بقيت جائعا وعظم ضرري وإن  
أجبرت كان تبي قليلا ورجمي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء الشكوي وهو من الشفاء  
على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالانفاق إلى ما ضايفه من  
المرض ولتلك فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قليل وهو  
منتهى العمر بالانفاق إلى ما يقال من أمر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني إلا التمتع أيام  
حياتي وقد كنت في الدم من الأول إلى الآن لا أتمم فأحسب أني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقا  
فأبقى في النار أبدا الآباد وهذا لا يطاق . ولهذا قال علي كرم الله وجهه بمضلل الحدين إن كان ما قلته  
حقا فقد تغلصت وتغلصنا وإن كان ما قلته حقا فقد تغلصنا وهلكنا وما قال هذا من شك منه في الآخرة  
ولكن كلم للمحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور . وأما الأصل الثاني من  
كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين ولقبحته مدمر كان : أحدها الإيـمان  
والصدق تقليدا للأنبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل التور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص  
ومثاله مثال مريض لا يعرف دواء علقته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه  
الثبت الفلاني فانه تظلمن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل  
يثنى بقولهم ويحمل به ولو بقي سوادى أو متوه يكدبهم في ذلك وهو يعلم بالتور وقرائن الأحوال أنهم  
أكثر منه عددا وأعز منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبهم بقولهم ولا يعتقد  
كذبهم بقوله ولا يثبت في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان متوها مغرورا فكذلك  
من نظر إلى المقرين بالآخرة والخبرين عنها القائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها  
وجدم خير خلق الله وأعلام رتبة في البصرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء  
وانبهم عليه الخلق على أصنافهم وهذا من أحد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم  
إلى التمتع فظلم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا  
الأنبياء فكم أن قول الصبي وقول السوادى لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك  
قول هذا النفي الذى استرقت الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر  
من الإيـمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لأجل التور والقرور يزيل به . وأما المدرك  
الثاني لمرة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والأعلام للأولياء ولا نطق أن معرفة النبي عليه السلام لأمر  
الآخرة ولأمر الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماح منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه  
وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقلد فقط وهيئات فان التقليد ليس بمعرفة  
بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها  
فشاهدوها بالبصرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن  
سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من  
أمر الله الأمر الذى يقابل النهى ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم  
ويسبح ويحمد ويكبر  
كل واحد ثلاثا وثلاثين  
ويتهم المسافة بلا إله إلا  
الله والله أكبر لا حول  
ولا قوة إلا بالله العلى  
المعظم .

[ الباب السابع  
والأربعون في أدب  
الانتباه من التور  
والعمل بالليل ]

إذا فرغ المؤمن من أذان  
المغرب صلى ركعتين  
خفيفتين بين الأذان  
والاقامة وكان العلماء  
يسألون هاتين الركعتين  
في البيت يسجلونهما  
قبل الخروج إلى الجماعة  
كيلا يظن الناس أنهم

الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله قطع لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالمان عالم الأمر وعالم الخلق والله الخلق والأمر فالأجسام ذوات الكمية والقدار فانه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزوع الكمية والقدار فانه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي يمنع من إفشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف الله أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي البقيع بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحسينه إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينبغي عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له - ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسدت الرطبة عن كمالها إذا خرجت عن معدها القطري وهذه إشارة إلى أسرارهم ولا تستشاق روائعها العارفون وتشتت من سماع ألفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجلل وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار الحفايش واحتاج هذا الباب من سر القلب إلى عالم اللسكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء. ولنرجع إلى الغرض للطلوب فالقصد أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إياهم يقين تهليدي وإما يصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسننهم وبفائدته إذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولا بسوا الشهوات واللحاصي فهم مشاركون للسكران في هذا الغرور لأنهم أثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يصممهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكم أيضا من الغرورين فانهم اعتفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها ومجرد الإيمان لا يكفي للفوز قال تعالى - وإن تضرعوا لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه) (١) وقال تعالى - وبالمصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوعد للفرقة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالإيمان والعمل الصالح جميعا لا بالإيمان وحده فهو لا أيضا مغرورون أعنى اللطفتين إلى الدنيا الترحين به الترفين بنعيمها المهيمن لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيادون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا. ولتذكر الغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في أنفسهم وبألسنتهم إنه لو كان لله من معاد فتحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال أحدهما لآخر الساعية قائمة ولئن رددت إلى ربّي لأجدن خيرا منها متقبلا - ووجه أمرها كما نقل في التفسير أن الكافر مهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخدمها بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفي ذلك كله يظله للؤمن ويقول اشتريت قصرا يغرب وأشتريت قصرا في الجنة لا يغني واشتريت بستانا يغرب ويغني أأشتريت بستانا في الجنة لا يغني وخمسا لا يغنون ولا يعوتون وزوجة من الحور العين لا تعوت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء مما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم.

سنة مرتبة فيقتدى  
بهم غلامهم أيها سنة  
وإذا صلى المغرب يصل  
ركعتي السنة بعد المغرب  
يسجل بهما فاتهما  
يرفغان مع القرينة  
يقرأ فيهما بقل يا أيها  
الكافرون وقل هو الله  
أحدهم يسلم على ملائكة  
الليل والصكرام  
الكاتبين فيقول مرحبا  
بملائكة الليل مرحبا  
بالمسكين السكريمين  
الكاتبين اكتبوا في  
صحفي أني أشهد أن  
لا إله إلا الله وأشهد أن  
محمد رسول الله وأشهد  
أن الجنة حق والنار  
حق والحوض حق

فليكوننّ لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول لأوتين مالا وولدا - فقال الله تعالى ردّا عليه - أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا - وروى عن خباب ابن الأرت أنه قال «كان لي على العاص بن وائل دين بخت أفضاضه فلم يقض لي فقلت إني آخذته في الآخرة ، فقال لي إذ صرّحت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا أفضيك منه فأزل الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر باستأوا لآوتين مالا وولدا (١) » - وقال الله تعالى - ولئن أذقنا مرحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إني ربي إنّ لي عنده للحسنى - وهذا كله من التور باله . وسيله قياس من أقيسة إبليس فعوذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يمدنا الله بما نقول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس الصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم قراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ما سبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظم في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا في المستقبل كما قال الشاعر :

لقد أحسن الله فيما مضى      كذلك يحسن فيما بقي

وإنما يقيس للمستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولائي كريم عند الله ومحبوب لما أحسن إلى والتبليس تحت ظنه أن كل محسن محب لابل تحت ظنه أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظنّ أنه كريم عنده بدل بدل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران يفيض أحدهما ويحب الآخر ، فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلومه للكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه وملاذ الأطعمة التي تضره ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي يفيضه يهمله ليعيش كيف يريد فيأب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظنّ هذا العبد المفضل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهواته ولدائه وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض التورور وهكذا نعم الدنيا ولذاتها فأنهم يهلكات ومبهمات من الله «فإن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدهم رضى من الطعام والشراب وهو يحبه (٢) » هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر . وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب مجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة للقت والاهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين . والتورور إذا أقبلت عليه الدنيا ظنّ أنها كرامة . ن الله ، وإذا صرّفت عنه ظنّ أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال - فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرم من وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهان - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء فعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فين أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرام ولا هذا بهوان ولكن الكرم من أكرمه بطاع غنيا كان أو فقيرا . وللهان من أهنته بمصطفى غنيا كان أو فقيرا وهذا التورور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصرة أو بالتقليد . أما البصرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات

والشفاعة      والصراف      واللبان      حق ، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي إلها . اللهم احطط بها . وزري واغفر بها ذنبي وتقل بها مني وأوجب لي بها ما باني وتجاوز عني يأرحم الراحمين فان واصل بين المشامين في مسجد جماعته يكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة المشامين وإن رأى انصرافه إلى منزله وأن للواصلة بين المشامين

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لي على العاص بن وائل دين بخت أفضاضه فقلت في قول الله تعالى - أفرأيت الذي كفر باستأوا لآوتين مالا وولدا (٢) حديث إن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .

إلى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل المارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم الكاشفة ولا يليق بهلم العامة. وأما ممرته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى - أيحسبون أن ما نعدهم به من مال وبنين نساير لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - وقال تعالى - قنحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - أنهم كلما أجدوا ذنبا أخذناهم نعملة ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا إثما - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلف من هذا الغرور فإن منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يفتكر بأمثال هذه الحيلالات القاسدة وينظر إلى فروعهم وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى - هل نفس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجة فقال - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير للماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا وكيد أهل الكافرين أمهم رويدا - فكما لا يجوز للعبد اللهم أن يستبدل بأهل السيد إياه وتعينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرًا منه وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فإن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجة أولى فاذن من آمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور أنه استبدل بنعم الدنيا على أنه كرم عند ذلك النعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشیطان بواسطة الهوى يبيل بالقلب إلى ما يوققه وهو التصديق بدلائله على السكرامة وهذا هو حد الغرور . المثال الثاني : غرور العاصي من المؤمنين بقوله إن الله كريم وإننا نرجو عفوه واتكأهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية غنيم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه غنيم وأين معاصي العباد في بحار رحمته وإننا موحدون ومؤمنون فرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بأسلحة الآباء وعلو رتبهم كاعتزاز العلوية بنسبهم وعنفائفة سيرة آباءهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آباءهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى للغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من المفرقين - قال رب إن ابني من أهلي - فقال تعالى - يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرحته لما بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب اللطيف ويغض العاصي فكما أنه لا يغض الأب اللطيف ييغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي ويغض العاصي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

في يشته أسلم لهديه  
وأثرب إلى الاخلاص  
وأجمع لهم فلا يفعل .  
وسئل رسول الله عليه  
السلام عن قوله تعالى  
- تتجافى جنوبهم عن  
الضامح - فقال هي الصلاة  
بين المشاءين وقال  
عليه السلام : عليكم  
بالصلاة بين المشاءين  
فاتها تذهب بملقاة  
النهار وتهذب آخره  
ويجعل من الصلاة بين  
المشاءين ركعتين  
بصورة البروج  
والطارق ثم ركعتين  
يصد ركعتين يقرأ في  
الأولى عشر آيات من  
أول سورة البقرة  
والآيتين ولهمك إله

عجه للأب للطيع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأعوك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لأزر وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بشقوى آية كمن ظن أنه يشبع بأكل آية ويرى يشرب آية ويصبر علما يتعلم آية ويصل إلى السكينة ويراهما بشقوى آية فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه - إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كسابق في كتاب الكبر والعجب . فان قلت فأين النطق في قول العصاة والتجار إن الله كريم وإننا رجوع رحمة ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب . فاعلم أن الشيطان لا ينهى الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر محدود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « السكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (١) وهذا هو التنبؤ على الله تعالى غير الشيطان اسمه فله رجا حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجا فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعني أن الرجا بهم ألقى وهذا لأنه ذكر أن نواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استؤجر على إصلاح أو ان شرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما بفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاه الأجر وكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر وزعم أن السناجر كريم أقره العلاء في انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجا والقرة قيل للحسن قوم يقولون رجوا الله ويضعون العمل فقال هيئات هيئات تلك أمانيتهم يرجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثيبتاى فقال له رجل إننا لرجوا الله فقال مسلم هيئات هيئات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكان الذى رجو فى الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجمع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصى فهو مغرور فكا أنه إذا نكح ووطى وأنزل بقي مترددا فى الولد يخاف ويرجو فضل الله فى خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يشنه بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويعرس قلبه عن الليل إلى الشهور بقية عمره حتى لا يليل إلى المعاصى فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم التوروتون بالله - وسوف يملون حين يرون العذاب من أصل سيلا - . وتعلمن نبأ بعد حين - وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم - ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعمل صالحا إنا موقنون - أى علمنا أنه كما لا يولد إلا بواقع ونسكاح ولا يثبت زرع إلا بمحراثة وبذر فكذلك لا يحصل فى الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك فى قولك - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى - كلما أتى فيها فوج سالم خزنها ألم بأنكم نذير قالوا بل قد جاءنا نذير - أى ألم نسمعك سنة الله فى عباده وأنه - توفي كل نفس ما كسبت - . وأن كل نفس بما كسبت رهينة - فما الذى عرکم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير -

واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفى الثانية آية الكرسي وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وقرأ فى الركتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصل بعد ذلك ما شاء فان أراد أن يقرأ شيئا من حزب فى هذا الوقت فى الصلاة أو غيرها وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاخرة ولو واصل بين العشاءين ركعتين يطيلهما لحسن وفى هاتين الركتين يطيل القيام

(١) حديث الكيس من دان نفسه تقم قريبا .

فإن قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المأمود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق العاصي التهمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقع القنوط بالرجاء ويتذكر - إن الله ينفر الذنوب جميعا - وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله ينفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنيسوا إلى ربكم - أمرهم بالإنيابة وقال تعالى - وإنى لنفاز لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وإن توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق غفطره أن يسعى إلى الجمعة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان ومما يبدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وإن استمر على التجارة وأخذ خير جو تأخير الانعام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أول أجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يصر فيها فهو مغرور. الثاني أن يفتتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على القرائن فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى - قد أفلس المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فالرجاء الأول يقع القنوط للنازع من التوبة والرجاء الثاني يقع القنوط للنازع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا في العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرّة كما إذا خطر له أن يترك الذنوب ويشغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك وإليّاه تنسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرّة وعند هذا واجب على البعد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بنضب الله وعظيم عقابه وبول إنّه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنّه مع أنه كريم خلد السكاف في النار أبدا لا يابد مع أنه لم ينصره كقزم بل سلب المذاب والمحن والأمراض والممل والفقر والجوع على جملة من عبادته في الدنيا وهو قادر على إلزاقها بغير هذه سفته في عبادته وقد خوّف في عقابه فكيف لا يخافه وكيف أغترّ به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فلا يبعث على العمل فهو بمنّ وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إغراضهم عن الله تعالى وإقبالهم السعي للأخرة فذلك غرور قد أخبر عليه السلام وذكر أن القنوط سيغل على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما أتوا وقابوهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبايعون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على العاصي وانهما كهم في الدنيا وإغراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واقفون بكرم الله تعالى وفضله لا يحول لغيره ومغفرتهم كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون فإن كان هذا الأمر يدرك بالنيابة وبالبرهان فلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد كثرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيارواه معقل بن يسار «بأنى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما يخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون

(١) حديث إن القنوط يغلب على آخر هذه الأمة هدم في آخر ذم الكبير والعجب وهو حديث أبي ثعلبة في إيجاب كل ذي رأى برأيه .

تاليا القرآن حزبه  
أومكرا آية فيها الدماء  
والثلاوة مثل أن يقرأ  
مكرا - ربنا عليك  
توكلنا وإليك أنبنا  
وإليك النصير - وآية  
أخرى في معناها  
فيكون جامعا بين  
الثلاوة والصلاة والثناء  
ففي ذلك جمع لهم  
وظفر بالفضل ثم صلى  
قبل العشاء أربعين  
وبعدها ركعتين ثم  
ينصرف إلى منزله  
أو موضع خلوة فيصلي  
أربعين أخرى وقد كان  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يصلي في بيته أول  
ما يدخل قبل أن يجلس  
أربعين ويقرأ في هذه

طمعاً لا خوف منه إن أحسن أخدم قال يتقبل مني وإن أساء قال يفترق<sup>(١)</sup> فأخبر أنهم يمشون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن ومعانيه وبمثله أخبر عن النصارى إذ قال تعالى - غلبت من يديهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أي هم علماء يأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الله ياحراما كان أو حلالاً وقد قال تعالى - ولئن خاف مقام ربه جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يشكر فيه متفكر إلا يطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمناً بما فيه وترى الناس يهلونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفها ورغبتها ونصبا وكأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العلم غرور يزيد على هذا فافهم أمثلة التور والقرآن وبين الفرق بين الرجاء والغرور وقرب منه غرور طوائف طاعات ومخاص إلا أن معاصيهم أكثر دم يتوقعون للثمرة ويطنون أنهم ترجع كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل قرئ الواحد يتصدق بدرهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضاعه ولعل ما صدق به من أموال المسلمين وهو يشكل عليه ويطن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصديق بشرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفاً وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله، نعم . ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا احتمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يفتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدذ ويكون نظره إلى عدد سيئته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هدياته طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة قال ما يلفظ من قول لا إله إلا الله رقيب عتيد - فهذا أبداً يتأمل في فضائل التسبيحات والتليلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة للفتيان والسكندانيين والتماسيين والناققين يظهر من الكلام ما لا يضرهم من إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره النسخ لما يكتبونه من هدياته الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حق عن جملة من مهماته وما نطق به في قراته كان يصد ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجره نسخه في أعجاب لمن يحاسب نفسه ويحتمل خوفاً على قراط يفتو في الأجرة على النسخ ولا يحتمل خوفاً من فوت الدروس الأعلى ولعمري ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفعتنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من السكرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحق للفرورين فهاهنا أعمال من يصدق بمساجاة به القرآن وإنا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتق ولا يفتربه امتلاكاً على أباطيل للى وتمايل الشيطان والهوى والله أعلم .

( بيان أصناف القترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف )

الصنف الأول : أهل العلم وللقترين منهم فرق - ففرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأمنوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإثامها الطاعات واغترقوا بعلومهم وظنوا

(١) حديث معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل .

الأربع سورة لقمان  
ويس - وحسب الدخان  
وتبارك الملك وإن أراد  
أن يخفف فقرها فيها  
آية الكرسي وآمن  
الرسول وأول سورة  
الحديد وآخر سورة  
الحشر ويصلى بعد  
الأربع إحدى عشرة  
ركعة يقرأ فيها ثلثمائة  
آية من القرآن من  
- والسماء والطارق - إلى  
آخر القرآن ثلثمائة آية  
هكذا ذكر الشيخ  
أبو طالب للمكي رحمه  
الله وإن أراد قراءتها  
القدر في أقل من هذا  
العدد من الركعات  
وإن قرأ من سورة



أنهم عند الله بكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فأنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته السمي بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس للتمومة والحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لاتراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمرض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يبرفها إلا حذاق الأطباء فيسمى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فصلمه الدواء وفضل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يتخلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه ومجته فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها للرضى ولم يشغل بشربها واستعمالها أقرى أن ذلك يخفى عنه من مرضه شيئا هيئات هيئات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرزه كل ليلة ألف مرة لم يشف ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم وشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحياء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك بكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجنبها وأحكم علم الأخلاق للتمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق الحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى - قد أقبلت من زكاهم ولم يقل قد أقبلت من تعلم كيفية تركيها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يبرفك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل للرضى وإنما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم بحسب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فان كان السكين معنوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن إليه وأهمل العمل وإن كان كيسا فيقول للشيطان أذكرني فضائل العلم وتنسبني ماورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى - فثله كمثل الكلب - وكقوله تعالى - مثل الذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فأي خزي أعظم من التمثل بالكلب والحمار وقد قال ﷺ «من ازداد علما ولم يزددهدى لم يزددهم الله إلا بعدا» (١) وقال أيضا «يلقى العالم في النار فتندلق أفتاب فيدور بها في النار كابدور الحمار في الرحى» (٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام «شر الناس العلماء السوء» (٣) وقول أبي الدرداء: ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات: أي أن العلم حجة عليه إن قال له ماذا عملت فبأ علمت وكيف قضيت شكر الله وقال ﷺ «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» (٤) فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وماورد في فضل العلم يوافق فيعمل الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين النور فانه إن نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وإن نظر بعين الايمان فآلئيه أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بدم العلماء السوء وإن حال الجاهل فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذي يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فقروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف للملك معرف فأخلاقه وأوصافه ولو أنه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه

(١) حديث من ازداد علما ولم يزددهدى الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقي العالم في النار فتندلق أفتابه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس العلماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه

الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الخ إلى آخر التهجيد إلا أن يكون واقفا من نفسه في عاداتها بالاتباع للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجيد حيثل أفضل وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول

ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما ينضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس الجميع ما ينضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيته وكلام وحركة وسكون فوردي على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متاطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا إليه بمرقته له ولتسبه واسمه وبهله وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانة ومعاملته رعيته فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمرقته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لسكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربته والاختصاص به بل قصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامي دون المعاني إذ لو عرف الله حق معرفته لحشيه وأتقاه فلا يصور أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتبعه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ماعرف الأسد فن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالى ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو هلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبدا الأباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقعة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى - إنما نحشى الله من عباده العلماء - وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بحشية الله علما وكفى بالاعتزاز بالله جهلا واستفتي الحسن عن مسألة فأجاب قتيلا إن قهانا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت قسيها قط الفقيه القائم له الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فاذن الفقيه من قده عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من الثرورين. وفرقة أخرى: أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا للعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليجوئها الصفات للذمومة عند الله من الكبر والخصد والرياء وطلب الرئاسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت إلى قوله ﷺ « أدنى الرياء شرك » (١) وإلى قوله عليه السلام « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » (٢) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (٣) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « حب الشرف واللبال يبتنان النفاق كما يبتن الماء البقل » (٤) إلى غير ذلك من الأخبار التي أوردناها في جميع ربيع الملوكات في الأخلاق للذمومة فهؤلاء زينو أظواهرهم وأعملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٥) فحسدوا الأعمال وما تهودوا القلوب وأقابوا الأصل إذ لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرها جص وباطنها نتن أو كقبور اللوق ظاهرها مزين وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فصص باب داره وترك الزبال في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه رجل زرع زرعاً فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتقنية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يجز رؤسه وأطرافه فلا تزال تنمو أصوله فنبت لأن مغارس للعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب فن

الليل يصلى بعد الور  
ركعتين جالسا يقرأ  
فيهما بلذا زلزلت  
والهاكم وقيل فل  
الركعتين قاعدا بمنزلة  
الركعة قائما يشفع له  
الور حتى إذا أراد  
التهدج يأتي به ويوتر  
في آخر تهجد ونية  
هاتين الركعتين نية  
الفعل لا غير ذلك  
وكثيرا ما رأيت الناس  
يتفاوضون في كيفية  
نيتها وإن قرأ في كل  
ليلة للسبحات وأضاف  
إليها مسورة الأهل  
فصبر ستا فقد كان  
المعلماء يقرءون هذه  
السمور ويترقبون  
ركبتها فإذا استيقظ

- (١) حديث أدنى الرياء شرك تقدم في ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تقدم في العلم وغيره (٤) حديث حب الشرف واللبال يبتنان النفاق في القلب الحديث تقدم (٥) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم الحديث تقدم.

لا يطمح القلب منها لآتم له الطاعات الظاهرة لإمع الآفات الكثيرة بل هو كريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فتعني بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في السادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به فيخرج من الماددة التي في البطن. وفرقة أخرى : علما أن هذه الأخلاق الباطنة مدمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم متفككون عنها وأنهم أرضع عند الله من أن يتبلمهم بذلك وإنما يعتنى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يتبلمهم ثم إذا ظهر عليهم غاييل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإفراغ أنفس المخالفين من البتدعين وإن لولبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لسمعت بن أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسى للفرور أن عدوه الذي حذر منه مولاه هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويستخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالقرى والسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذادة زيه عند قدومه إلى الشام فقال : إننا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا للفرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديق والاريسم الحرم والحجول والراكب ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك همما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على البطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يتقدا أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوجم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا ينضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه وهكذا يرأى بأعماله وعلمه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيئات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بنبيهم إلى دين الله تعالى فيخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل للفرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معاجلتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل غناؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا اعتدوا بن كان الأجر لي والثواب لي فأنما فرحى بثواب الله لا بقبول الخلق قولى هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخرجه نبي بأن ثوابه في الحول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في صحن وقيد بالاسلسل لا احتال في هدم السجن وحل الاسلسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثنى عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلطين الظلة حرام قال له الشيطان هيئات إنما ذلك عند الطمع في المالم فأما أنت فترضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين تقل ذلك عليه ولو قدر على أن يفسح حاله عند السلطان بالعلن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد يتبلى غرور بعضهم إلى أن يأخذ من المالم وإذا خطر له أن يحرم قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا تخلص لك أن تأخذ قدر حاجتك فيقتدر بهذا التلبس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لا مالك له فانه يفرق أنه يأخذ الحراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وعاية الأمر وقوع الخلط

من النوم فمن أحسن الأدب عند الالتباه أن يذهب ياطنه إلى الله ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يجول الفكر في شيء سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصديق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام ينام على حبة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذي كان كلف به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون اللوت والقيام إلى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما هم فانه هكذا يكون عند القيام من القبر إن

في أموالهم ومن غضب مائة دينار من عشرة أنس وخالفها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لأمالك له وجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ، ولعل الدين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فعملوا على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لإمام الدين إذا الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا أشنع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام لعالم السوء إنه كمشخرة وقست في فم الوادي فلا هي تحرب للآل ولا هي تترك للماء فخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار للتأخرة خارجة عن الحصر وفيها ذكر نكاته بالقليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر الماصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجليلة والقوية ولكم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خداع النفس مادي وخمض مدر كهم فلم يفتنوا لها وأهموها وإعما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفقش عن كل حشيش رآه فقلعه إلا أنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر ورز وكان قد نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهمها وهو يظن أنه قد اقتناها فإذا هو بها في غفلة وقد نبتت وقويت وأفست أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك الماقد يضل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدفائن فقرأ يسر ليهنا بهار في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألعابها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعته الحرس على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعته الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق والانطلاق إلى الألسنة عليه للثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في اللحقات وإيثاره في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصفاء عند حسن اللفظ والإيراد والتمتع بتحريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع والاستفاد من السرور بالتخصيص بهذه الخاصة من بين سائر الأثران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتسكن به من إطلاق لسان الطعن في الكافة القليلين على الدنيا لاعتنجه بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالخير واعتداد بالتخصيص ولعل هذا للسكين للزور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز واتقاد وتوقير وحسن ثناء فلو تقيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فساه يتقشوش عليه قلبه وتختلط أورداه ووظائفه وعسا يتذمر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تقطيع عيه وعسا يؤثر بالكرامة وللراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبؤ قلبه عن عرف حقه فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعسا يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقديمه في الفضل والورع وإعما ذلك لأنه أطوع له وأبجع لمراة وأكثر ثناء عليه وأشد إعساء إليه وأحرص على خدمته ولعلمهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لا خلاصه وصدة وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر للدنوب ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعسا لو وعد بمثل ذلك التواب في إيثاره التحول

كان همه الله فهمه هو  
والإنهم غير الله  
والعبد إذا انتبه من  
النوم فباطنه عائد  
إلى طهارة القطرة  
فلا يسع الباطن يتبر  
بغير ذكر الله تعالى  
حق لا يذهب عنه  
نور القطرة الذي  
انتبه عليه ويكون  
قائرا إلى ربه يباطنه  
خوفا من ذكر الأغيار  
ومهما وفي الباطن  
بهذا العيار قد اتفق  
طريق الأنوار وطرق  
النفحات الإلهية  
بغير أن تصب إليه  
أقسام الليل انصبا  
وصير جناب القرب له  
موللا ومآبا ويقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة ولا خفاء لغة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعله امتنع من فبجبهه وقع في حباله وعساه يصنف ويجهتد فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به وإنما يريد به استطراد اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه وعما عنه اسمه ونسبه إلى نفسه تقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى المصنف والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه ولله في تصنيفه لا غلوم من الثناء على نفسه إما صريحا بالنسبة الطولية الرقيقة وإما ضمنا بالطنن في غيره ليستبين من طنه في غير ما أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان في غية عن الطعن فيه ، ولله عجي من الكلام للزيف ما يزيد تزييفه فيعزبه إلى قائله وما يستحسنه فله لا يعزبه إليه ليطن أن من كلامه فينقله بينه كالسارق له أو غيره أدنى تغيير كالذي يسرق فيصا فيتنهذ قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولله يجهتد في تزيين الفاظه وتجميعه وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى شمع الناس وعساه فاعلاما يرى أن بعض الحكماء وضع ثلثا منه تصنف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض ثقافا وإني لأقبل من ثقافتك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من اللغتين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو اتفقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصعابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ثم إذا انفرقوا واشتغلوا بالافادة تمارروا وتحاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره تقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فيعد ذلك لاهتر باطنه لإكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجها كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أنفي مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أنفع له في دينه لأفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة فجمع ذلك لا تنزل النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيقتل بالطنن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله لأنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أنفي عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كارهه بنية للساين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يغطن له إلا الأكياس ولا يترزه عنه إلا الأقوياء ولا طمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوء ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بعبده خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءت سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من الغرور للزكي لنفسه للتمسك على الله بصله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فيعود بالله من النفلة والاعتزاز ومن للفرقة خفايا الجيوب مع الإهمال ، هذا غرور الذين حصلوا العلوم الهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولئذ ذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بحالهم وهم موقر كمالهم وهم به مفترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاختصارهم عليه ، فهم فرقة اختصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية التجارية بين الخلق لصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها وصموه الفقه وعلم الذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يخرسوا اللسان عن القية ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن الشيء إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يخرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر الهالكات فيؤلفون مغرورون ومن وجبهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم . أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثاهم

باللسان المدقة الذي  
أحيانا يصد ما أماتا  
وإليه الفشور ويقرأ  
الشعر الأواخر من  
سورة آل عمران ثم  
يقصد الساء الطهور  
قال الله تعالى - ويترك  
عليكم من السماء ماء  
ليطهركم به - وقال  
عز وجل - أنزل من  
السماء ماء فسلات  
أودية بقدرها - قال  
عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهم الماء  
القرآن والأودية  
الفسلوب فسالت  
بقدرها واحتملت  
ما وسعت ولقاء مطهر  
والقرآن مطهر والقرآن  
بالنظير أجدر فالسما

مثال للمريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لأبل مثالمه مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ويحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة ويتكرر ذلك ليلاً ونهاراً مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتساؤني عن ذلك وذلك غاية الضرر فكذلك للتفقه للمسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر الهلكات الباطنة وربما يخطئه الموت قبل التوبة والتلاقي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبيّنات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه وإذا احتاج غيره كان في الفتن كثيرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشرف إذ يظن للفرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض الدين مصيبة ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفتنة وجه الله تعالى فانه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم حيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم ثقلة أخبار وحمة أسفار لا يفقهون وترك أيضاً علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بأدراك حاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبه والخشوع ويعمل على التقوى قرآناً آمناً من الله بمقرابه متكللاً على أنه لا بد وأن يرحمه فانه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فتدرك العلوم التي هي أعم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدرك ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفته صفاته الخوف والرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلزم التقوى إذ قال تعالى - فوالأمر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشروط المعاملات وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمسا في طريق الله ألقوا بالدين مركباً ونعم العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة قس الحجاب بين العبد وبين الله تعالى وإذا مات معلوماً بتلك الصفات كان محبوباً عن الله فثاله في الاختصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقصود عليه ليس من الحج في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافات ولم يهجم إلا على طريق المجادلة والإلزام وإلزام الخصوم ودفع الحق لأجل التلبية والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التنقيش عن مناقشات آراء باب المذاهب والتفقد لمبوب الأقران والتلفق لأنواع التسيببات المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الإيذاء ومهمهم السفه ولا يقصدون العلم إلا للضرورة وما يلي مهم لمباهاة الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فاتهم يستحقونه ويسموه الزويق وكلام الوعاظ وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل الرتبة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضاً بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يصرها السلف ، وأما أملة الأحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيها . وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتمدية فانما أبدعت لإظهار التلبه والإلزام وإقامة سوق الجدل بها فمرور هؤلاء أشد

يقوم غيره ، مقامه  
والقرآن والعلم لا يقوم  
غيرها مقامهما ولا يسد  
مسدهما فالمداء الطهور  
يطهر الظاهر والعلم  
والقرآن يطهران  
الباطن وبذهبان  
رجز الشيطان فالنوم  
غفلة وهو من آثار  
الطبع وجدير أن  
يصكون من رجز  
الشيطان لما فيه من  
النفلة عن الله تعالى  
وذلك أن الله تعالى أمر  
بقبض القبضة من  
التراب من وجه  
الأرض فكانت القبضة  
جللة الأرض والجللة  
ظاهرها بشروطها  
أدمة قال الله تعالى

كثيرا وأقبل من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على المخالفين وتبع مناقضاتهم واستكبروا من معرفة اللغات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وإخفافهم وافتروا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لمبدع عمل إلا بإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يتعلم جلدتهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم ولا إيمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم عليهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم فرقتان ضالقة ومحنة فالضالقة هي التي تدعو إلى غيبد السنة والمحنة هي التي تدعو إلى السنة والترور شامل لجميعهم . أما الضالقة فلغلغلها عن ضلالها وظلها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وإنما أقيمت من حيث إنها لم تبهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة . وأما الفرقة المحقة فأنما اقرارها من حيث إنها ظنت بالجلد أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله عز وجل أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرر دليل فليس بمؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن اللغات وهذيانات البدعة ومناقضاتهم وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجلد أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه لا يتذانه بالعبادة والإخام ولذة الرياسة وعز الاتهام إلى الذب عن دين الله تعالى حميت بصيرته فلم يلتفت إلى القرن الأول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والهموى فما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة توهموا احتيايل بقول فقد كروا بقدر الحاجة ما يبدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلاله هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه في الله ولم يلزموا للاتصاف معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنن ومن السنة ترك الجدل في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» (١) «وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يجادلون ويخصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقي» في وجهه حب الزمان (٢) «حرره من الغضب فقال: «الهدى بعثم أبعد أمسرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض الظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فاتموا» فقد جرم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث إلى كافة أهل اللئ لم يقدم معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إزام فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والشبهة ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يسجز عن مجادلتهم بالنقصيات ودقائق الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يترؤوا به وأقوالوا النجاة أهل الأرض وهلكنا لم نفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل اللئ وما ضيعوا العمر بشحير مجادلتهم فسلنا نضيق العمر ولا نصره إلى ما يتفنى في يوم قفرا وفانقنا ولم نخوض فيها لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تفاصيله ؟ ثم ترى أن البدع ليس يترك بدعته بجداله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالى بمخاصمة نفس ومجادلتها ومجاهدتها لترك الدنيا والآخرة أولى هذا لو كنت لم أنه عن الجدل

(١) حديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويخصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقي في وجهه حب الزمان الحديث تقدم.

- إلى خالق البشر  
طين - فالبشرة والبشر  
عبارة عن ظاهره  
وصوره هو الأدمة عبارة  
عن باطنه وأدميته  
والأدمية مجمع الأخلاق  
الحسنة وكان التراب  
موطنه أقدام إبليس  
ومن ذلك اكتسب  
ظلمة وصارت تلك  
الظلمة معجونة في طينة  
الأدنى . ومنها الصفات  
للذمومة والأخلاق  
الردية . ومنها الغفلة  
والسهو فاذا استعمل  
النساء وقرأ القرآن آتى  
بالطهرين جميعا ويذهب  
عنه رجز الشيطان  
وأثر طعنه ويحكم له  
بالعلم والخروج من

والخصومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة الأولى أتفقد نفسي وأنظرم  
صفاتها ما يفضله الله تعالى وما يحبه لأكثره عما يفضله وأمسك بما يحبه . وفرقة أخرى: اشتغلوا بالوعظ  
والتذكير وأعلام رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر  
والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظامهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا  
بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها قد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفسكون عنها عند الله  
إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أحد الضروريات لهم يحبون بأنفسهم غاية  
الإعجاب ويظنون أنهم ماتجروا في علم الحبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص  
إلا أنهم مخلصون وما وقوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها مزهونون ولولا أنه مقرب عند الله  
عرفه معنى القرب والبعد وعلم السالك إلى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون  
يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من الفتيرين الضعيفين ويرى  
أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساكطين ويرى أنه من التوكلين على الله وهو من التكاثرين على العز  
والجاء وللأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من الرائين بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص  
في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرأى بذلك ليتقدم في أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق  
الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو  
منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقر بالله تعالى وهو منه  
متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات الذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس  
عن الحقائق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت  
عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن فرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه  
وصلحوا على يديه لما تم غما وحسدا ولو أنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق  
الله إليه هؤلاء أعظم الناس غرة وأبغضهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن الرغب في الأخلاق  
المهمودة والنفر عن الذمومة هو العلم بنوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة  
الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يبالغ وكيف سبيل تخويفه وإنما الخوف ما يتوهم على عباد الله  
فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات المهمودة يمكن أن يدل  
على طريق الامتناع والتجربة وهو أن يدعى مثلا صاحب الله فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله  
ويدعى الخوف لما الذي امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله  
تعالى ويدعى الأنس بالله فقد طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه  
يتملى بالخلاوة إذا أحق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش  
من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يتمتعون أنفسهم بهذه الصفات وبطالونها بالحقيقة  
ولا يقتنعون منها بالتزويق بل يعمون من الله غليظ والمتعرون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف  
الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أكتافهم فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار  
بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأبسون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما وقع  
الغرور لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب  
الله والخوف منه والرضا بفضله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم  
ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله هله وما تقع الناس بكلامهم فيها إلا لاصتافهم بها وذهب بهم  
أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الانصاف بالصفة

حيز الجهل فاستعمال  
الظهور أمر شرعي له  
تأثير في تور القلب  
بإزاء التور الذي هو  
الحكم الطبيعي الذي  
له تأثير في تكدير  
القلب فيذهب نور هذا  
بظلمة ذلك ولهذا رأى  
بعض العلماء الوضوء  
مما مست النار وحكم  
أبو حنيفة رحمه الله  
بالوضوء من القهقهة  
في الصلاة حيث رآها  
حكما طبيعيا جالبا للآثم  
والإثم رجس من  
الشیطان والماء يذهب  
رجس الشيطان حتى  
كان بعضهم يتوضأ  
من التوبة والكذب  
وعند الغضب لظهور



فلم يفارق آحاد المسلمين في الانصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل برعازاد آمنه  
وقل خوفه وظهر إلى الخلق ميلا وضمف في قلبه حب الله تعالى ، وإيمانه مثاله مثال مريض يصف  
المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرض لا يقدر على وصف الصحة  
والشفاء وأشباهه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والانصاف به وإنما يفارقه في الوصف  
والعلم بالباب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب  
والتوكل والزهّد وسائر هذه الصفات غير الانصاف بحقائقها ، ومن التبس عليه وصف الحقائق  
بالانصاف بالحقائق فهو مغرور فنه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل مناج وعظهم مناج  
وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصري ومثاله رحمه الله عليهم . وفرقة أخرى . منهم عدلوا  
عن المناج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على التدور في بعض  
أطراف البلاد إن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والسطح وتأنقوا كلمات خارجة عن قانون الشرع  
والعمل طلبا للإغراب ، وطائفة شغلوا بطيارات النكت وتسجيع الأقاظم وتلفيقها فأكثر منهم  
بالأشجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفرار وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزعمات والتواجدولو  
على أغراض فاسدة فمؤاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فان الأولين وإن يصلحوا  
أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم وعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله  
ويجرون الخلق إلى الفور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا  
لا سيما إذا كان الواعظ متريضا بالباب والخليل والراكب فانه تشهد هيئته من فرقة إلى قدمه بشدة  
حرصه على الدنيا فما يفسده هذا الفور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا  
يخفى وجه كونه مغرورا . وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم  
يحفظون الحكمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على اللامر ،  
وبعضهم في الماربي ، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر  
عن السوق والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دوتهم قد أفلح ونال الفرض وصار مغفورا  
له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل  
الدين يكفي ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم  
الحديث أغنى في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد القريبة العالية فهمه أحدهم أن  
يدور في البلاد ويرى الشيوخ يقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعنى من الأسناد ما ليس  
مع غيره ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم حكمة الأسفار فانهم لا يعرفون العناية إلى فهم معاني  
السنن فعملهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها  
لا يعملون بها وقد يضمنون بعضها أيضا ولا يعملون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين  
وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الأسانيد وطلب المال من أجل حاجتهم إلى شيء من ذلك .  
ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقيمون بشرط السماع فان السماع بمجرد وإن  
لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإثبات والعمل بعد  
التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء انحصروا من الجملة على السماع  
ثم تركوا حقيقة السماع فقرأ الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينال والصبي يلعب  
ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى لسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يخل ولا يسمع  
ولا يفتي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لومحرف وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف  
الشیطان في هذه  
الواطن ، ولو أن  
التحفظ السراعى  
لراقب المحاسب كلما  
انطلقت النفس في مباح  
من كلام أو مصا كنة  
إلى مخالطة الناس أو  
غير ذلك مما هو بمرضاة  
تحليل عقد العزيمة  
كالخوض فيما لا يعنى  
قولا وفعل عقب ذلك  
بتجديد الوضوء لتبت  
القلب على طهارته  
وزايله ولصكان  
الوضوء لصفاء البصيرة  
بتأية الجفن الذى  
لا يزال يهفهفه حركته  
بحول البصر وما يعقلها  
إلا العالمون - فتذكر

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ، ويروي كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماعك من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تعني للسمع فتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا أو خطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح للكتاب وتحفظه حتى لا تنسل إليه يد من يشيه ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غره فاذا لم تحفظه لم تستمر بتثنيه فيكون مغفوطا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمين فيه من التغير والتحريف ، فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيرا أو يفرق حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة ، فاذا لم يكن منك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى - ولا تحفظ ما ليس لك به علم - وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في اللمد ، ثم إذا بلغ الصبي وأفان المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جواز ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في اللمد لأنه لا يفهم ولا يحفظ . فالصبي الذي يلعب والغافل وللغفل بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجرا جاهل فقال يكتب سماع الصبي في اللمد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيئا على أن يقول سمعت بعد بلوغه أي في صباه حضرت مجلسا يروي فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتا غفلا لجاز إثبات سماع صبي في اللمد وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها » (١) وكيف يؤدي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا أخف أنواع الغرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيئا إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة إلا أن للمحدثين في ذلك جاهها وقبولها لخلاف السالكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجمع لذلك في حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضاً أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه مدممة وإن كان لا يدري ما يجري ، وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

فما نهيتك عليه تجد بركنه وأثره ، ولو اغتسل عند هبله المتجددات والعوارض والانتباه من النوم لكان أزيد في تنوير قلبه ولكان الأجدر أن العبد يشغل لكل فرصة بأدلا مجهوده في الاستعداد للمناجاة الله ويحسد غسل الباطن بصدق الإنابة وقد قال الله تعالى - منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة - قدم الإنابة للدخول في الصلاة ولكن من رحمة الله تعالى وحكم الخفية السهلة السمحة أن رفع الحرج وعوض

علماء الأصول بالغة وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولوصموا على الشرط لكانوا أيضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي إضفاء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكنه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينهيه »<sup>(١)</sup> فقام وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سماع الأقباس الذين يحذرون الضرر . وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتربوا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأفي هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثلهم كمن ينفي جميع المعرف في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحديثها ويؤمن أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعل أنه يكفي أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الأدب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والاضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع له في معرفة لغة الترك والمهند و إنما فارقتها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيمكن من اللغة علم التربين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فأما التعمق فيه إلى درجات لانتهاهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثاله من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ للقصود من الحروف المعاني وإنما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكجيين ليزول ما به من الصفراء وضيع أوقاته في تحسين القبح الذي يشرب فيه السكجيين فهو من الجهال للثورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فالألب الأقصى هو العمل والقدى فوقه هو معرفة العمل وهو كالتقبر للعمل وكالألب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق بالإضافة إلى السرفة ولب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو التقبر الأمل العلم بمخارج الحروف والقانون بهذه الدرجات كلهم منترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى باب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيها عن الشوائب والآفات فهذا هو للقصود المندوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدمه ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالإضافة إليه وكل من لم يبلغ للقصود قد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم يتألون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الضرور بها أقل من الضرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك التقبر الألب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعنه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن أخذ التقبر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

بالوضوء عن الفضل وجوزأداء مقترضات بوضوء واحد دفعا للحرج عن عامة الأمة وللخوفس وأهل العزبة مطالبات من بواطنهم تحمك عليهم بالأولى وتلجئهم إلى سلوك طريق الأعلى فاذا قام إلى الصلاة وأراد استفتاح التهجيد يقول الله أكبر كبير أو الحمد كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله السكحات عشر مرات ويقول الله أكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينهيه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية علي بن الحسين مرسلا وقد تقدم .

في فن الفقه فظنوا أن حكم البديع بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الجورق وأسأوا تأويل الألفاظ البهمة واغتروا بالظواهر وأخطروا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والترور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم السكافة إلا الأكياس منهم فتشبر إلى أمثلة : فمن ذلك فتاوى بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برى الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسىء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرى الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاطئ طيبة نفس وقد قال تعالى - فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا - وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الإنسان بقلبه مالا لطيب به نفسه فانه يريد الحجابة بقلبه ولكن تسكرها نفسه وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاعتبار ضرورة تقابلها حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها فهذه مصادرة على التحقيق بإكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تسكره بسبب ظاهر والا كراه الباطن ليس يطلع الخافي عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الإنسان مالا على ملاء من الناس فاستجبا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوته حتى لا يعطيه ولكن خاف أن يمدمة الناس وخاف أن تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الأئين وهو ألم التسليم فسله فلا فرق بين هذا وبين الصادرة إذ معنى الصادرة إيلاء البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب يبدل المال فيختار أهون الأئين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فإن الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على مافي القلب وكذلك من يعطى انشاء لشر لسانه أو لشر سعائته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بسد أن غفر له يارب كيف لي خصمي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر ببدائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا أوريا فأجابه ليبيك يا بني الله أخرجتني من الجنة فإذا تريد ؟ فقال إني أسأت إليك في أمر فبه لي قال قد فعلت ذلك يا بني الله فانصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع قبيل له فرجع فناداه فقال ليبيك يا بني الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهبه لك قال ألاستأني ما ذلك الذنب قال دهو يا بني الله ؟ قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب ، فقال يا أوريا ألا تحبيني قال يا بني الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود بالبكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوبه منه في الآخرة ، فهذا ينهيك أن الهبة من غير طيبة قلب لا يفيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرها إلا إذا خلى الإنسان واختياره حتى تثبت الدواعي من ذات نفسه لأن تضطربواعته إلى الحركة بالجيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وانها بهامها لاسقاط الزكاة فالقبيح يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع حاجته إلى البيع لاطئ هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القاب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد  
أنت نور السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت بهاء السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت قيوم السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت رب السموات  
والأرض ومن فيهن  
ومن عليهن أنت الحق  
وملك الحق وقاؤك  
حق والجنة حق والنار  
حق والنبون حق  
ومحمد عليه السلام حق  
اللهم لك أسلمت وبك  
آمنت وعليك توكلت  
وبك خاصمت وإليك  
حاجت فاغفر لي ما قدمت  
وما أخرت وما أسررت  
وما أعلنت أنت للقدم

«ثلاث مهلكات شح» مطاع (١) وإتصاص شحه مطاعا بما فضله وقبله لم يكن مطاعا قد تم هلاك بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه ووجهه للال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهد والقرور ومن ذلك إياحه الله مال الصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء للقرور ولا يعيرون بين الأمانى والفضول والكهوات وبين الحاجات بل كل مالا تم رعوتهم إلا به رونه حاجة وهو محض القرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسواك طريق الآخرة فكل ماتوا له البعد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وماعدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولودهننا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا للمأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول . الصنف الثاني : أرباب العبادة والعمل والقرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل مام . فمنهم فرقة : أهملوا الفرائض واختلوا بالفضائل والنوافل وربما تعصوا في الفضائل حتى خرجوا إلى الصدوان والسرف كالتي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى للماء المحكوم بطهارته فيقوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو اغلب هذا الاحتياط من اللئاء إلى الطعام لكان أهبه بسيرة الصحابة إذ توضع عمر رضى الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهى عنه (٢) وقد يطول الأمر حتى يضيق الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأغنياء قبله فانه مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سنى ولا يقدر على صد العباد إلا بما يغيل إليهم أنه عبادة فيصدم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدهم الشيطان حتى يقدر نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يضلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويفترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتبعوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف القامحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الصاد والظاه وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لانه غسيه ولا يتفكر فيها سواء ذاهلا عن معنى القرآن والاحتياط به وصرف القهم إلى أسرارهم وهذا من أقبع أنواع القرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهي عن الاسراف في الوضوء الترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب إن للوضوء شيطانا يقال له الوهتان الحديث وتقدم في عجائب القلب .

وأنت للآخر لا إله إلا  
أنت اللهم أنت تقسى  
تقواها وزكها أنت خير  
من ذكها أنت وليها  
ومولاه اللهم اهدني  
لأحسن الأخلاق  
لا يهدي لأحسنها إلا  
أنت وأصرف عني سيئها  
لا يصرف عني سيئها إلا  
أنت أسألك مسألة  
البائس للسكين  
وأدعوك دعاء الفقير  
للدليل فلا تجلني  
بدعائك رب شقا  
وكن بي رحوفا رحيا  
يا خبير للسؤولين  
ويا أكرم العطين ثم  
يصلى ركعتين تحية  
الطهارة يقرأ في  
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤد بها على وجهها فأخذ يؤدى الرسالة ويتأق في خارج الحروف ويكررها ويصدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فلما أحراه بأن تمام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بقصد العقل. وفرقة أخرى: اغتروا بقراءة القرآن فيهدونه هذا وربما يغمثونه في اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأمانى إذ لا يفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجه ويتمتع بمواظبه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن القصد من إزالة القرآن المهدمة به مع الغفلة عنه. ومثاله: مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتاباً وأما عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن انصرف على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمر به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته ونسوته ونسوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو الراد منه فهو مغرور. نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحفظه وحفظه يراد لمناهه ومناهه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويقترب باستلذاده ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هي لذته في صوته ولوردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لا تلبث به ذلك إلا أن الذاذ فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة أخرى: اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفات وفيها لا يغفطون الستم عن التوبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار والسبتم عن الهديان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيحمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية القصور. وفرقة أخرى: اغتروا بالجمع فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن اللظام وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يجدون في الطريق من الرث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وأتقاه على الرقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصى الله تعالى في كسب الحرام وأولاه في إنفاقه بالرياء ثانياً فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت قلب ملوث بذنابل الأخلاق وذم الصفات لم يقدم تطهيرة على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور. وفرقة أخرى: أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشروا منكرها ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولوقام يتعهد السجدة غيره لمرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم أخدني وزوجحت على مرتبتي وكذلك قد يتلقاه إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام للمسجد فلو تقدم غيره وإن كان أروع وأعلم منه قل عليه. وفرقة أخرى: جاؤوا بمكة أواللدنية واغترروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهريهم وباطنيهم قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفه أن فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذ سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويمدعين طمعه إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئاً شبع به وأمسه لم تسمح نفسه بلقمة تصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل

- ولو أنهم إذ ظفروا أنفسهم - الآية وفي الثانية - ومن يعمل سوا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يغد الله غفوراً رحيماً - ويستغفر بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة برحمتين خفييتين إن أراد يقرأ فيها بآية الكرسي وآمن للرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصلي ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعهد هكذا ثم يصلي ركعتين طويلتين أنصر من الأولين وهكذا يتدرج إلى أن

والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمنزلة لو ترك المجاورة ولكن حب الحمدة وأن يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضيق بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتهما واعتمد عليهما فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل التورب في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإنما الغرض الآن الإشارة إلى جماع ما سبق في الكتب . وفرقة أخرى زهدت في المال وتعتصمت باليابس والطعام بالدون ومن للسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباء بأعظم المهلكين فإن الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومراييا ومتصفا بجميع خبايا الأخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوقة الزهيدة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطاول بذلك على الأغنياء ويخشن معهم الكلام . وينظر إليهم بين الاستحقاق ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويجب جملة ويتصف بجملة من خبايا القلوب وهو لا يدري ويربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال فله في الظاهر ورده في الحقيقة لم يسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألقاب أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يغلو من توقير الأغنياء وتهديبهم على الفقراء والليل إلى المريدين له والذين عليه والنفرة عن المالين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان ليعزبها عنه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم واليلة مثلاً ركعة ويستمع القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقد تطهير من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة ترفع بها كفة حسناته وهيات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يغلو هذا للمغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح للمغرور بذلك وصديق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تركية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجعل الناس بخبايا باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفرصة لغة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « ما تحرب للتقربون إلى بئس أدام ما اقترضت عليهم » (١) وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الإنسان فرضان : أحدهما يموت والآخر لا يموت ، وأفضلان أحدهما يضيئ وقته والآخر يتسع وقته فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن الحسنة ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تهديب بعض الطاعات على بعض كتهديب الرائض كلها على النوافل وتهديب فروض الأعيان على فروض الكفايات وتهديب فرض كفاية لا قائم به على ما قرأه غيره وتهديب الأهم

(١) حديث ما تحرب التقربون إلى بئس أدام ما اقترضت عليهم ، البخاري من حديث أبي هريرة بانظر ما تحرب إلى عبيد .

يصلي اثنين عشرة ركعة أو ثمان ركعات أو يزيد على ذلك فإن في ذلك فضلا كثيرا والله أعلم .

[ الباب الثامن والأربعون في تفسير قيام الليل ]

قال الله تعالى - والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما - وقيل في تفسير قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم قيام الليل وقيل في تفسير قوله تعالى - استمعوا بالصبر والصلاة - استمعوا بصلاة الليل على مجاهدة النفس ومصارعة العدو

من فروض الأعيان على مادونه وتقدم ما يفوت على مالا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا له : من أبر يارسول الله . قال أمك ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك فأدناك »<sup>(١)</sup> فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب ، فإن استويا فبالأحوج ، فإن استويا فبالأقرب ، والأروع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينفق أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو . ودونه وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فاجتمع ثبوت والاشتغال بالوفاء بالوعد مصيبة وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغفل القول على أبيه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإلذاؤها محذور . والحذر من الإبداء أم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لاتحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور ، وهذا غرور في غاية التموض لأن للفرور فيه في طاعة إلا أنه لا يظن لصيرورة الطاعة مصيبة حيث ترك بها طاعة واجبة هي أم منها ومن جعلته الاشتغال بالمذهب والحلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة البهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعنى عليه حتى يفتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث للتصوفة وما أغلب الفرور عليهم وللفقرون منهم فرق كثيرة . فقرة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزى والمهنية والنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيمهم وهيتهم وفي أفعالهم وفي آدابهم ومراسمهم واسطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتسكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشبائل والميثاق فما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياسة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا من أجل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقيز والقطمير ويمزق بعضهم أعراس بعض مها خلقه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من القاتلين ثبتت أسباؤهم في الديوان وقطع لسكل واحد منهم قطار من أقطار للملكة فتأقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلقت من رجز الأبطال أياتا وتعودت إيراد تلك الأيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلقت بكيفية تحترقهم في البدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شاكلتهم في الزى والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت إلى المسكر أنفدت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع ونظر ما تحتها وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عائتها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي هجوزة ضئيلة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر ؟ قليل لما أجتت للاستزاء بالملك ولاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم

وفي الخبر « عليكم قيام الليل فانه مرضاة لقرينكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهارة عن الآثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطرقة للداء عن الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى قل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الضداة بوضوء العشاء . منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض . ووهيب بن الورد . وأبو سليمان الداراني . وطى بن بكار . وحبيب الجمعي . وكهمس ابن المبال . وأبو حازم . ومحمد بن المنكدر . وأبو حنيفة رحمه الله

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذى والحاكم ومعه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصحبة .



خذوها فألقوها قدام التيل لسخنها فألقيت إلى اتيل فمكذأ يكون حال للدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزى والرقع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى : زادت على هؤلاء في الغرور إذ حق عليها الانتداء بهم في بذاة الثياب والرضا بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من الزين بزيمهم تركوا الحرير والإبريسم وطلبوا للرقعات النفيسة والقوطة الرقيقة والسجادات للصيفة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قيمة من الحرير والإبريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم إنما لونوا الثياب لثلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ ، وإنما لبسوا للرقعات إذ كانت ثيابهم عخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد . فأما تقطيع القوطة الرقيقة قطعة قطعة وخياطة للرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فيؤلا أظهر حماقة من كافة الغرورين فاتهم يتعمون بنفس الثياب ولذيد الأطمعة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الفاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يمدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من عوَم للتشبهين وشرهم . وفرقة أخرى : ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة القامات والأحوال وللأزمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والقسرين والهدئين وأصناف العلماء بين الازدراء فضلا عن العوام ، حق إن الفلاح ليرك فلاحته والحالك يترك حيا كته ولا يلزمهم أياما معدودة ويلتقف منهم تلك الكلمات للزينة فرددوها كأنه يتكلم عن الوحي وغير عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء ، فيقول في العباد أنهم أجراء متعبون ، ويقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من القريين ، وهو عند الله من الفجار للناقين ، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وحفظه . وفرقة أخرى : وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسوراين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أصب قسى . وبعضهم يقول : قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن ، وإنما يغتر به من لم يجرب . وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ، ولا يلج الأحق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلها بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث يتقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع . وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها ، وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة حب الله وواصله إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا كفة في الحضرة الربوية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لاتصدم عن طريق الله قوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يكون عليها وينوحون سنين متواليها وأصناف غرور أهل الإباحة من التشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط وسواس يخدعهم الشيطان بها ليهتكهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم ومن غير اعتناء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم بطوله.

تعالى وغيرهم عدم  
وساهم بأنسابهم  
الشيخ أبو طالب الكي  
في كتابه قوت القلوب  
فمن هجر عن ذلك  
يستحب له قيام ثلثه أو  
ثلثه . وأقل الاستحباب  
سدس الليل فلما أن  
ينام ثلث الليل الأول  
ويقوم نصفه وينام  
سدسه الآخر أو ينام  
النصف الأول ويقوم  
ثلثه أو ينام السدس .  
روى أن داود عليه  
السلام قال يارب إني  
أحب أن أقيم لك ليلي  
وقت أقوم فأوحى الله  
تعالى إليه : يا داود  
لا تهم أول الليل ولا  
آخره فانه من قام أوله  
نام آخره ومن قام آخره  
نام أوله ولكن قم  
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حد هؤلاء واجتذبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القاب وصار  
أحدهم يدعى للقامات من الزهد والتوكل والرضاء والحب من غير وقوف على حقيقة هذه القامات  
وشروطها وعلاماتها وآفاتها ، فهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويؤمن أنه والله بالله ولله قد  
تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره  
الله عز وجل وعن إثارة هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا  
لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة  
والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل  
عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فأمافهموا أن التوكل المحاطة بالروح وترك الزاد  
بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لاعلى الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على  
سبب من الأسباب وائق به وامان مقام من اللقامات للتجنيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد  
ذكرنا مداخل الآفات في ربيع للتجيات من السكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : صيفت على  
نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القاب والجوارح في غير هذه الخصلة  
الواحدة ، ومنهم من أهل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري  
للسكين أن الله تعالى لم ير من عبده يطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال  
بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات وللعاى ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجي فهو  
مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة قصدوا الخدمة الصوفية فجمعوا قوما  
وتكلفوا بخدشهم وأخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإعساغرضهم التكبر وهم يظهرون الخمة  
والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارتفاع وغرضهم الاستبعا وهم يظهرون أن  
غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكرأتباعهم وينشر  
بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج  
على الصوفية ويؤمن أن غرضه البر والافتاق وباعث جميعهم الرياء والسمة وآية ذلك إهمالهم لجميع  
أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والافتاق منه ومثال من ينفق الحرام في  
طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالمذرة ويؤمن أن قصده العمارة . وفرقة  
أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فأخذوا  
البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن  
عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتهم فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا  
عيب والافتات إلى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسالة تضعيع الأوقات في تلفيقها ومن  
جعل طول عمره في التفيتش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق  
الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يثنيه . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلك  
الطريق وافتتح لهم أبواب المعرفة فسلكوا تشموا من مبادئ المعرفة راحة تعجبوا منها وفرحوا بها  
وأعجبهم غرابتها فتعبدت قلوبهم بالانصات إليها والتفكير فيها وفي كيفية افتتاح بابها عليهم والنسداد  
على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتعبد بها  
قصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب مبداهة روضة  
فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثله فوقف ينظر إليها ويستعجب حتى فاتته الوقت الذي  
يكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم يفتتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في

تخلو به وأخلو بك  
وارفع إلى حوائجك  
ويكون القيام بين  
نومتين وإلا فيغالب  
النفس من أول الليل  
ويتنفل فإذا غلبه  
النوم ينام فإذا انتبه  
يتوضأ فيكون له  
قومتان ونومتان  
وبكون ذلك من  
أفضل ما يعلله ولا يصلى  
وعنده نوم يشغله عن  
الصلاة والتلاوة حتى  
يقبل ما يقول ، وقد  
ورد « لا تكابدوا الليل »  
وقيل لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم إن صلاة  
تصلى من الليل فإذا  
غلبها النوم تملقت  
بجمل قهسى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن  
ذلك وقال « ليل  
أحلكم من الليل ما تيسر

الطريق ولا إلى ما ينسر لهم من المطايا الجزيلة ولم يخرجوا على الفرح بها والانتفات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القرية إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقفوا وغطوا فان الله تعالى سميع حجاب من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويطن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخبارا عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي - وليس للمنى به هذه الأجسام اللضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجها ليطنون أن الكوكب ليس بإله ففشل إبراهيم عليه السلام لا يفهم الكوكب الذي لا يشر السوادية ، ولكن للراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأضمر التيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده قال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النفس والانعطاط عن ذروة الكمال - قال لأحب الآفلين - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد يفتخر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يفتخر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين المبدؤ نفسه فانه أيضا أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالسائر له فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس إذ التجلي يلتبس بالتجلي فيه كما يلتبس لون ما يترامى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون للآراء وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقى الزجاج ورتق الحجر فقشاهما قشاكل الأمور  
فكأنما حجر ولا قدح وكأما قدح ولا خر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فأروا إشراق نور الله قد تلاذقه فتلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمديه إليه لآخذوه وهو مغرور وأنواع النور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تخص في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكافحة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينفع بسببه بل ربما يستضره إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بدهنه المختصر وخياله القاصر وجدله للزخرف وصدق أيضا بما يحكى له من المكشافات التي أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أصرم كذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل . الصنف الرابع : أرباب الأموال والمقترون منهم فرق

فإذا غلبه النوم فليمن  
وقال عليه السلام :  
« لا تشادوا هذا الدين »  
فانه متين فمن يشاده  
يغلبه ولا تبضن إلى  
نفسك عبادة الله  
ولا يلبق بالطالب ولا  
يفنى لأن يطلع الفجر  
وهو نائم إلا أن يكون  
قد سبق له في الليل  
قيام طويل فيعذر في  
ذلك على أنه إذا استيقظ  
قبل الفجر بساعة مع  
قيام قليل سبق في  
الليل يكون أفضل  
من قيام طويل ثم  
النوم إلى بعد طلوع  
الفجر فإذا استيقظ  
قبل الفجر يحس  
الاستغفار والتسبيح  
ويشتم تلك الساعة وكذا  
يصل بالليل يحس  
قليلا بعد كل ركعتين

فرقة منهم : يجرءون على بناء للساجد والمدارس والرباطات واقتناط وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميم بالأجر عليها ليتخذ ذكروهم ويقيم بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في إغافها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما ببرد بدلها عند الجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فان لم يبق للمظالم وارث فالواجب صرفها إلى أم الصالح وربما يكون الأمم الفرقة على الساكنين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فينبون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب اثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم للكتابة فيها لبقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإغاف على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على للوضع الذي أنفق عليه لثقل عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما اقتصر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقت على الساجد وهي أيضاً مغرورة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو بقله قراء وصرف المال إليهم أم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وإغافهم عليهم الصرف إلى المساجد ليعلم ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المسلمين وعتقة أبصارهم (١) والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المسلمين ويحبط ثوابهم بذلك وبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يفتري به ويرى أنه من الحيرات ويمد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمتثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشبهون مثل ذلك في يومتهم ويشبهون بطلبه وبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك ابن دينار : أتى رجلان مسجداً فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه المنيكان عند الله صديقاً فهكذا يبنون أن أعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى ، وقال الحواريون المسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمتي أمتي بحق أقول لك لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعا بالذهب والفضة ولا بهذبه الحجارة التي تعجبكم شيئاً وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الأرض وبها تخرب إذا كانت على غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرفتم مساجدكم وحلستم صاحبكم فالدمار عليكم (٢) » وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجداً المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا زخرفة ولا نقشه (٣) » وفرو هذا من حيث

ويسبح ويستغفر ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجد بذلك ترويحاً وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هي أول نومة فإن انتهت ثم عدت إلى نومة أخرى فلا أنام الله عني . وحكى لي بعض الفقهاء عن شيخ له أنه كان يأمر الأصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة لليوم واليلة . وقد جاء في الخبر « قم من الليل ولو قدر حلب شاة » وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر ركعتين . وقيل في تفسير قوله تعالى - تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء -

(١) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالقوش البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تحمر ولا تصقن (٢) حديث إذا زخرفتم مساجدكم وحلستم صاحبكم فالدمار عليكم ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفاً على أبي الدرداء (٣) حديث الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء ولا زخرفة ولا نقشه لم أجده .

إنه رأى للشكر وانكل عليه . وفرقة أخرى : يتفقون الأموال في الصدقات على الفقراء وللساكنين ويطلبون به الحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون إخماد الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على إتفاق المال في الحرج فيحبسون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم حيانا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويسقط عنهم في الرزق ويرجعون عمروين مسلوبين يهوى بأحدم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يؤاسيه وقال أبو نصر التمار إن رجلا جاء يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحرج فأمرني شيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألفي درهم قال بشر فأبى شيء تبنتي بحجك زهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أسببت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتتفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أنعم لك قال نعم قال أذهب فأعطها عشرة أشس مديون يقضى دينه وتقير يرم شعثه وميعل يبنى عياله ومري يتيم يفرحه وإن قوى قلبك تمطيها واحدا فافعل فان إدخالك السرور على قلب السلم وإغاثة الهمهان وكشف الضر وإغاثة الضيف أفضل من مائة حبة بدحجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا قتل لنا مافي قلبك فقال يابا نصر سفرى أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له المال إذا جمع من وسع التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تفضي به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل التقيين . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل يهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قمع باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حبة وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبع السككيجين ليسكن به الصغراء ومن قتلتة الحية متى يحتاج إلى السككيجين ، ولذلك قيل لبشر إن فلانا الفنى كثير الصوم والصلاة فقال للسككين ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا إيطام الطعام للجماع ولا تفارق على الساكن فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمع نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستسحار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يئنه واحد من الأكاير عن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب عبادة الله عوضا من غيره فهذا أمثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يهصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور . وفرقة أخرى : من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك ينفيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاحتاط أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل فان ضمنت عن العمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك التسير فلا قيمة له وربما يشتري بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البسكاء وربما تدخله رقة كرتة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع كلاما عوفا فلا يزيد على أن يصفق يديه ويقول بسلام سلم أو نموذج بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفقروا في العزيمة أو تهاونا به لقلة الاعتداد بذلك أو اغترارا بحاله فليكن عليه فقد قطع عايه طريق كبير من الخير وقد يكون من أرباب الأحوال من يكون له إيواء إلى القرب ويجد من دعة القرب ما يفتقر عليه داعية الشوق ويرى أن القيام وقوف في مقام الشوق وهذا يخلط فيه ويهلك به خلق من الدعسين والذي له ذلك يذنبى أن يصل أن استمرار هذه الحالة متعذر والانسان متمرض للقصور والتخلع والشبهة ولا حالة أجل

وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجائع الذي يحضر عنده من  
يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يفتي عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك صماع  
وصف الطاعات دون العمل بها لا يفتي من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا غير أفعالك حتى تقبل  
على الله تعالى إقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته  
وسيلة لك كنت مغرورا . فإن قلت فما ذكرته من مداخل التورور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن  
الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إلا يقوى أحد من البشر على الحذر من خيائهم هذه الآفات . فأقول  
الإنسان إذا قوت همة في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صبح منه الهوى  
اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الإنسان إذا  
أراد أن يستزل الطير المالحق في جو السماء مع بعده منه استنزه وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق  
البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن  
يقتنص الوحوش للطفة في البراري والصحاري اقتنصها وإذا أراد أن يستخرج السباع والطيور عظيم  
الحيوانات استخرجها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ويحبسها أخذها واستخرج الدواب  
من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الديباغ للون للنقش من ورق الثوت اتخذها وإذا أراد أن يعرف  
مقادير السكاكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك  
باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخ الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور  
وهي الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الأدعي كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك  
معين له على دنياه فلو أنه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فنجو عن تقويم قلبه  
وتخاذل وقال هذا حال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بحال لو أصبح وهمه هذا اللهم الواحد بل هو  
كما يقال \* لو صبح منك الهوى أرشدت للجيل \* فهذا شيء لم يجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم  
باحسان فلا يجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همة بل لا يحتاج إلى عشر لعب الخلق في  
استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فإن قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أذكرت في ذكر مداخل  
التورور فممن يجو العبد من التورور . فأعلم أنه يجو منه ثلاثة أمور : بالقل واللم والعرفة فهذه ثلاثة أمور  
لا بد منها . أما العقل فأعني به الفطرة التريزية والنور الأصل الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء  
فالقطة والسمكة فطرة الحق والبلاطة فطرة البليد لا يقدر على التحفظ عن التورور فضاء العقل  
وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا إن لم يطر عليه الإنسان فاكتسبه غير ممكن ، نعم إذا حصل  
أسله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم « تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا <sup>(١)</sup> » إن الرجلين ليستوى علمهما وبرهما وصومهما  
وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالنذرة في جنب أحد وماقسم الله خلقه حظا هو أفضل من العقل  
واليقين . وعن أبي الدرداء أنه قيل « يا رسول الله أرايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج  
ويتعمر ويتصدق ويحزو في سبيل الله ويعود الرضا ويشيع الجنائز ويبين الضعيف ولا يعلم  
مزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزي على قدر عقله <sup>(٢)</sup> » وقال

من حال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وما استغنى عن قيام  
الليل وقام حتى تورمت  
قدماء وقد يقول بعض  
من يحتاج في ذلك إن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فعل ذلك تشرعيا  
فقول ما لنا لا نتبع  
تشرعيا وهذه دقيقة  
فعل أن رؤية الفضيلة  
في ترك القيام وإدما  
الايواء إلى جناب القرب  
واستواء النوم واليقظة  
امتلاء وإبتلاء حالى  
وهو تقييد بالحال  
وتحكيم للحال ونحك  
من الحال في البعد  
والأفواء لا يتبعهم فيها  
الحال ويصرفون الحال  
في صور الأعمال فهم  
متصرفون في الحال  
لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية  
طاوس مرسل وفي أوله قصة إسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث  
أبي الدرداء أرايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل الحديث وفيه إنما يجزي على قدر عقله الخطيب  
في التاريخ وفي أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبي الدرداء .

أنس «أنتي على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف عقله ؟ قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخافه فقال كيف عقله فان الأحقق يصيب بحقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيمة على قدر عقولهم» (١) وقال أبو البرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا احسن قال ارجوه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ (٢) وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالتدكاه صحيح وغريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل القطرة فان قامت ببلادة وحمالة فلا تدارك لها . الثاني : المعرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور : يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم وأجنيا من هذه السموات البهيمية وإنما الموافق له طمعا هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليست على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح صحايف القلب وكتاب التفكير وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكال المعرفة ورأه فان هذا من علوم الكاشفة ولم نكتب في هذا الكتاب إلا في علوم للعامة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرنا في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليبين له أن لائسبة للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة نار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة بها ويصيرهم أموره مایوسه إلى الله تعالى ونفسه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها فان أكل مثلا أو اشتغل قضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والتزعزع إلى الدنيا والجاه وللحال فان ذلك هو للفساد للنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه التخلص من التورود فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله وبفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى المعنى الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والتمسك بما يقرب به من الله وما يبعد عنه والتمسك بالطريق وعقباته وغواياته وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربيع العبادات شروطها فروعها وآفات ما فيتقيا ومن ربيع العادات أسرار المعايير وما هو مضطر إليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربيع الهللكات يعلم جميع العقبات النافعة في طريق الله فان للنابع من الله الصفات للذمومة في الخلق فيعلم للذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع للتجبات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفا عن للذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من التورود وأصل ذلك كله أن يطلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به التيقن لا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فان قلت فإذا ضل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فان الريد الخلس إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع الكسدرات واستوى على الصراط المستقيم وصرفت الدنيا في عينه تركها وانقطع بطنه عن الخلق فلم يفتت إليهم ولم يسق إليهم

فليعلم ذلك فلما رأينا من الأصحاب من كان في ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى أن ذلك وقوف وقصور . قبل للحنن يا باسعيد إني آيت معافي وأحب قيام الليل وأعدت طموري فما بالي لأتوهم قال ذنوبك قيدتك فليحذر العبد في نهارة ذنوبا تقيد في ليله وقال النووي رحمه الله حرمت قيام الأيام سبعة أشهر بذنوب أذنبته فقبل له ما كان الذنب قال رأيت رجلا بكاء قتلت في نفسي هذا مرء . وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يسكن قتل ما لك أذاك نبي بعض أهلك فقال

(١) حديث أنس أنتي على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن الحبر في كتاب العقل وهو ضيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي البرداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدي ومن طريقة البيهقي في الشعب وضعفه.

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد حيز الشيطان عن إغوائه إذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطعمه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر العبد برحمته إلى العبد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صامعاً قد استولى عليهم الرض وهم لا يشعرون وقد دوا الطبيب وأشر فواطي العطب فقلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة للفرقة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق آله وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضراب الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا نص ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهذأ بالتهار بعد شدة التلق وطاب عيشه بعد نهاية السكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتدقتهم وارتفع إلى السماء أنينهم فتذكر أن دواءهم هو الذي يعرفون وقد رعى شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد الخالس بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل دأؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم وسهل عليه دأؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالاً للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالاً للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفياً أخفى من ديب الفحل لا يشعر به الريد فلم يزل ذلك الديب على قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بحسين الألفاظ والتقمات والحركات والتصنع في الأثر والهيئة فأقبل الناس إليه يطمعونه ويحبونه ويوقرونه ويوقروا يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافياً لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فأثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولاً كالبيد والخدم تخدموه وقد صموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فتند ذلك انتشر الطبع وانتشرت النفس وذات لذة يالها من لذة فأصابته من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم آفات ما فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمرة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنزلوا خطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجدته من الغضب بادر الشيطان غيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد الريد في فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الضرر فربما أخرجه ذلك إلى الوقعة فيمن رد عليه فوقع في التوبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع في السكدر الذي هو تمرّد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبقه الضحك أوفر عن بعض الأوراد جرت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فتبجح ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان غيل إليه إنك إنما فعلت ذلك كيلا يفر رايهم عن طريق الله فيترك الطريق بتركه إنما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا يجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما عجب ذلك ويستشربه ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استشرت واستلذت الرياسة لكان يغتم ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقفوا في بر وتطى رأس البر بهجر كبير فجزوا عن الرقي من البر بسية فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونجاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة

أعدت قلت وجع يؤلك  
قل أشد قلت وما ذاك  
قال بابي متاق وسترى  
مسبل ولم أقرأ حزبي  
البارحة وما ذاك إلا  
بذنوب أحدنيته . وقال  
بعضهم : الاحتلام  
عقوبة وهذا صحيح  
لأن المراعى التحفظ  
بحسن تحفظه وعلمه  
بحاله يقدر ويتمكن  
من سد باب الاحتلام  
ولا يتطرق الاحتلام  
إلا على جاهل بحاله أو  
مهمل حكم وقته وأدب  
حاله ومن كل تحفظه  
ورعايته وقيامه بأدب  
حاله قد يكون من ذنبه  
لوجب للاحتلام ووضع  
الرأس على الوسادة إذا  
كان ذا غيرة في ترك  
الوسادة وقد يتهدد للنوم  
ووضع الرأس على



إذ غرضه خلاص إخوانه من البثر فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه للسليين من النار فإذا ظهر من أماته أو كفاه ذلك لم يقل عليه أرايت لو اهدتوا جميعهم من أنفسهم أكان يفنى أنه يقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فإذا اهدتوا غيره فلم يقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دناه الشيطان إلى جميع كباثر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فتمود باقه من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء . فان قلت فحق يصح له أن يشتغل بصنع الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم فله تعالى وكان يود لو وجد من بينه أو لو اهدتوا بأنفسهم وانقطع بالسكينة طمعه عن ثنائهم وعن أمواهم فاستوى عنده محمدم وذمهم فلم يبال بدمهم إذا كان الله يحمد به ولم يفرح بمحدم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب اللزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يترين لها ولا يتصنع بل راعى للاشية إنما غرضه رعاية للاشية ودفع الذنب عنها دون نظر للاشية إليه فلما لم يمسأر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم، ثم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه . فان قلت فلو ترك الوعظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة خلعت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة (١) » ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت للماشي وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا يترغ الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تغرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر مافي حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات للهلكة التي سيطرها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكذلك لا تزال ألسنة الوعظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرع والازنا والسرقة والرياء والظلم وسائر الماصي بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد أو أشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فأنما يخشى أن يفسد طريق الاتعاط فأما أن تخرس ألسنة الوعظ ووراءم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فان قلت فان علم الريد هذه السكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو لصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحائل الاعتذار . فأعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أهزمتي وأفلت منى بذكائك وكال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا .

تم الجزء الثالث من تخریج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي  
وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

الوسادة بحسن التوبة  
من لا يكون ذلك ذنبه  
وله فيه نية لعون على  
القيام وقد يكون ذلك  
ذنباً بالنسبة إلى بعض  
الناس فإذا كان هذا  
القدر يصلح أن يكون  
ذنباً جالباً للاحتلام  
نقص على هذا ذنوب  
الأحوال فانها تختص  
بأربابها ويمسرفها  
أصحابها وقد يرتقى  
بأنواع الرفق من  
الفرش الطوى  
والوسادة ولا يعاقب  
بالاحتلام وغيره على  
فعله إذا كان عالماً بذنوبه  
يعرف مدخل الأمور  
وغارجهما وكما من  
تألم يسبق القيام لو فر  
علمه وحسن نيته وفي  
الحبر « إذا نام العبد

عليك لما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك وعملك إذ قواك على هفوى ومكنتك من التفتن لجميع  
مداخل غروري فيصني إليه ويصدقني ويسبب بنفسه في قراره من التورود كله فيكون إلهجابه بنفسه  
غاية التورود وهو للهالك الأكبر فالجيب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت  
أنك بملكك تخلصت مني فيجعلك قد وقعت في حبالى . فان قلت فلو لم يجب بنفسه إذ علم أن ذلك  
من الله تعالى لآمنه وإن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعوته ومن عرف صنف  
نفسه وهجره عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله  
تعالى لما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب ، فأقول : يخاف عليه التورود بفضل الله والثقة بكرمه  
والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والافتلاب فيكون  
حاله الاسكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر  
جدا بل سيبه أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت  
عليه سعة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه ويكون  
خائفا أن يسلب خاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الحاجة وهذا خطر  
لا يحس عنه وخوف لا نجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء  
في قوت الزرع وكان قد بقي له نفس فقال أفلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل : الناس كلهم هلكي  
إلا المالمون والمالمون كلهم هلكي إلا العاملون والعاملون كلهم هلكي إلا المخلصون والمخلصون  
على خطر عظيم فاذن للتورود هالك والمخلص القار من التورود على خطر فلذلك لا يفارق الخوف  
والحذر قلوب أولياء الله أبدا .

ففسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الحاجة ، فان الأمور بخواتمها .

ثم كتاب ذم التورود وبه تم ربيع الهالكات ، وثانوه في أول ربيع النجيات كتاب التوبة  
والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة  
إلا بالله العلي العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين  
وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه  
ثلاث عقد فان قد  
وذكر الله تعالى انحلت  
عقدة وإن توشأ انحلت  
عقدة أخرى وإن سلى  
ركبتين انحلت العقد  
كلها فأصبح نشيطا  
طيب النفس وإلا  
أصبح كسلان خبيث  
النفس « وفي خبر آخر  
« إن من نام حتى يصبح  
بال الشيطان في أذنه »  
والذى يغفل بقيام الليل  
كثرة الاهتمام بأمور  
الدنيا وكثرة أشغال  
الدنيا وإهمال الجوارح  
والامتلاء من الطعام  
وكثرة الحديث والغلو  
والغطر وإعمال التيلولة  
وللوفق من يهتم وقته  
ويصرف داه ودواؤه  
ولا يهمل فيهمل .

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
٥١	بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق	٢	(كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	بيان قبول الأخلاق للتبشير بطريق الرياضة		وهو الكتاب الأول من ربيع الملهكات
٥٦	بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة	٣	بيان معنى النفس والروح والقلب والفعل وما هو المراد بهذه الأسماء
٥٩	بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق	٥	بيان جنود القلب
٦١	بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة	٦	بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
٦٢	بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه	٧	بيان خاصية قلب الانسان
٦٣	بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات	١٠	بيان مجامع أوصاف القلب وأمثله
٦٧	بيان علامات حسن الخلق	١٢	بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
٦٩	بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم	١٥	بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدينية والأخرية
٧٢	بيان شروط الإزادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة	١٧	بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار
٧٧	(كتاب كسر الشهوتين)	١٩	بيان الفرق بين اللقامين بمثال عسوس
	وهو الكتاب الثالث من ربيع الملهكات	٢٢	بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لامن التعلم ولامن الطريق للتأد
٧٨	بيان فضيلة الجوع ودم الشبع	٢٥	بيان تسلط الشيطان على القلب بالسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٨١	بيان فوائد الجوع وآفات الشبع	٣٠	بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلوب
٨٦	بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن	٣٩	بيان ما يؤخذ به الصيدين وسواس القلوب وهما وخاوطرها وقصودها وما ينبغي عنه ولا يؤخذ به
٩٣	بيان اختلاف حكم الجوع وفضيسته واختلاف أحوال الناس فيه	٤٢	بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكيفية عند الله كرام أم لا
٩٥	بيان آفة الريد للظفر إلى من ترك أكل الشهوات وقليل الطعام	٤٤	بيان سرعة قلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات
٩٦	القول في شهوة الفرج	٤٧	(كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب
٩٨	بيان ما على الريد في ترك التزويج وفعله		وهو الكتاب الثاني من ربيع الملهكات
١٠١	بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والمين	٤٨	بيان فضيلة حسن الخلق ومقدمة سوء الخلق

صفحة	
١٥٤	آلة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين
١٥٦	آلة الثامنة عشرة للدح
١٥٧	بيان ماعلى المدوح
١٥٨	آلة التاسعة عشرة النفلة عن دقائق الخطأ في لحوى الكلام
١٥٩	آلة العشرون سؤال العوام من صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ
١٦٠	(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)
	وهو الكتاب الخامس من ربيع للهلكات
١٦١	بيان ذم الغضب
١٦٣	بيان حقيقة الغضب
١٦٥	بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالراحة أم لا
٢٦٨	بيان الأسباب للهيبة للغضب
١٦٩	بيان علاج الغضب بعد هيجانه
١٧١	بيان فضيلة كظم النيفظ
١٧٢	بيان فضيلة الحلم
١٧٥	بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام
١٧٧	القول فى معنى الحقد وتلويحه وفضيلة العفو والرفق
١٧٧	فضيلة العفو والاحسان
١٨١	فضيلة الرفق
١٨٣	القول فى ذم الحسد وفى حقيقة وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى إزالته
	بيان ذم الحسد
١٨٥	بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه
١٨٨	بيان أسباب الحسد وللنافسة
١٩٠	بيان السبب فى كثرة الحسدين الأمثال والأقربان والإخوة وبني العم والأقارب وتأكد كده وقتله فى غيرهم وضعفه
١٩٢	بيان الدواء الذى ينفي مرض الحسد عن القلب

صفحة	
١٠٤	(كتاب آفات اللسان)
	وهو الكتاب الرابع من ربيع للهلكات
١٠٥	بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٠٨	آلة الأولى من آفات اللسان الكلام فيما لا يهنيك
١١١	آلة الثانية فضول الكلام
١١٢	آلة الثالثة الخوض فى الباطل
١١٣	آلة الرابعة للرأ والجدال
١١٥	آلة الخامسة الخصومة
١١٦	آلة السادسة التعرف فى الكلام بالتشددى وتكلف السجع والفصاحة الخ
١١٧	آلة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان
١١٩	آلة الثامنة اللعن
١٢٣	آلة التاسعة الفناء والشعر
١٢٤	آلة العاشرة الزناح
١٢٨	آلة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء
	آلة الثانية عشرة إفشاء السر
١٢٩	آلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
١٣٠	آلة الرابعة عشرة الكذب فى القول واليمين
١٣٤	بيان ما رخص فيه من الكذب
١٣٦	بيان الحذر من الكذب بالماريض
١٣٨	آلة الخامسة عشرة النية
١٤٠	بيان معنى النية وحدودها
١٤٢	بيان أن النية لا تقتصر على اللسان
١٤٣	بيان الأسباب الباعثة على النية
١٤٥	بيان العلاج الذى يمنع اللسان عن النية
١٤٧	بيان تحريم النية بالقلب
١٤٨	بيان الأعداء المرخصة فى النية
١٥٠	بيان كفارة النية
١٥١	آلة السادسة عشرة النجاسة
١٥٢	بيان حد النجاسة وما يجب فى ردها

صفحة

١٩٥ يان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)

وهو الكتاب السادس من ربيع  
للهلكات

١٩٧ يان ذم الدنيا

٢٠٦ يان للواعظ في ذم الدنيا وصفها

٢٠٩ يان صفة الدنيا بالأمثلة

٢١٤ يان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق البد

٢١٩ يان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها

التي استغرقت هم الخلق حتى أنتم

أنتمهم وخالقهم ومصدرهم ومورد

٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)

وهو الكتاب السابع من ربيع

للهلكات

٢٢٦ يان ذم للمال وكراهة حبه

٢٢٨ يان مدح البخل والجمع بينه وبين الدم

٢٣٠ يان تفصيل آفات المال وفوائده

٢٣٢ يان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة

والأيسر مما في أيدي الناس

٢٣٥ يان علاج الحرص والطمع والدواء

الذي يكتب به صفة القناعة

٢٣٧ يان فضيلة السخاء

٢٤٢ حكايات الأسخياء

٢٤٧ يان ذم البخل

٢٥٠ حكايات البخل

٢٥١ يان الإيثار وفضله

٢٥٣ يان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

٢٥٥ يان علاج البخل

٢٥٧ يان مجموع الوظائف التي على العبد

في ماله

٢٥٨ يان ذم التقي ومدح التفر

صفحة

٢٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)

وهو الكتاب الثامن من ربيع

للهلكات وفيه شطران

٢٦٩ الشطر الأول في حب الجاه والشهرة

وفيه يان ذم الشهرة ويان فضيلة

الحول الخ

يان ذم الشهرة وانتشار الصيت

٢٧٠ يان فضيلة الحول

٢٧١ يان ذم حب الجاه

٢٧٢ يان معنى الجاه وحقيقته

٢٧٣ يان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع

حتى لا يغفل عنه قلب الإلشديد المجاهدة

٢٧٦ يان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي

الذي لا حقيقة له

٢٧٨ يان ما عمد من حب الجاه وما يذم

٢٧٩ يان السبب في حب للدس والثناء

وارتياع النفس به وميل الطبع إليه

وبعضها للدم وتقرتها منه

٢٨٠ يان علاج حب الجاه

٢٨١ يان وجه العلاج لحب للدس وكراهة الدم

٢٨٣ يان علاج كراهة الدم

٢٨٤ يان اختلاف أحوال الناس في للدس والدم

٢٨٥ الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه

والسزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه

يان ذم الرياء إلى آخره

٢٨٦ يان ذم الرياء

٢٩٠ يان حقيقة الرياء وما يرامى به

٢٩٣ يان درجات الرياء

٢٩٧ يان الرياء الخفي الذي هو أخفى من

ديب الغل

٢٩٩ يان ما يحبط العمل من الرياء الخفي

والجلي ، وما لا يحبط

٣٠٢ يان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه



## فهرس

## بقية عوارف المعارف للسهروردي الذي بالمهامش

صفحة	الكتاب	صفحة
٢٤٧	الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره	٢ الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤	الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنظار	١١٠ الباب الحادي والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥	الباب الحادي والأربعون في آداب الصوم ومهامه	١٢٣ الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لأهل القرب
٢٧٨	الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام ومافيه من المصلحة والمفسدة	١٣٨ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
٢٩٥	الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل	١٥١ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراجه
٣١٥	الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس وقياسهم ومقاصدهم فيه	١٦١ سنن الوضوء ثلاثة عشر
٣٤٠	الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل	١٦٢ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
٣٥٣	الباب السادس في ذكر الأسباب للعيبة على قيام الليل وأدب النوم	١٧٣ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها
٣٧٠	الباب السابع في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل	١٨٩ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
٣٩١	الباب الثامن والأربعون في تهيم قيام الليل	٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها











Bibliotheca Alexandrina



0632848